نموذج ترخيص

انا الطالب : إسلام عبد الوهاب خلف الشوابكة أمنح الجامعة الأردنية و/أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و /أو استعمال و /أو استغلال و/ أو ترجمة و/ أو تصوير و/ أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

النظرة إلى الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة تحليلية مقارنة

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: إسلام عبد الوهاب خلف الشوابكة

التوقيع:

التاريخ: ٣/ ١/ ٢٠١٨

النظرة إلى الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة تحليلية مقارنة

إعداد

إسلام عبد الوهاب خلف الشوابكة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

قدمت هذه الاطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في

العقيدة الإسلامية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الأول،٢٠١٧م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (النظرة إلى الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام- دراسة تحليلية مقارنة) وأجيزت بتاريخ ٢١/١٢/ ٢٠١٧

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد أحمد الخطيب، مشرفاً أستاذ - العقيدة الإسلامية	....
الدكتور محمد نبيل طاهر العمري، عضواً أستاذ مشارك – العقيدة الإسلامية	....
الدكتور أمجد محمد مرزا قورشه، عضواً أستاذ مشارك – العقيدة الإسلامية	....
الدكتورعزمي طه السيد أحمد، عضواً أستاذ – الفلسفة الإسلامية ومناهج البحث (متقاعد)	....

الإهداء

إلى من كنت أجده يقظاً يرقبني إذا غفوت . . .

وينتظر عودتي كل مساء ليسألني عما أنجزت . . .

إلى من أصرّ منذ البداية أن أكمل مشواري الدراسي . . .

إلى والدي الحي دائماً في وجداني وذاكرتي أهدي عملي هذا الذي هو بعض قطاف جهده

****

إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها . . . .

إلى من شاطرني متاعب رحلتي الدراسية . . . زوجي وبناتي الغاليات

إلى كل مسلم ومسلمة . . .

أقدم هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

جزيل شكري وعظيم امتناني وخالص تقديري

إلى أستاذي ومعلمي الفاضل الأستاذ الدكتور

محمد أحمد الخطيب

الذي وسعني بسعة صبره، وصواب توجيهاته التي أرشدتني إذا احترت، وقوت من عزيمتي ، فبارك الله به ونفع بعلمه، وأسأل المولى الكريم أن يمده بالصحة التامة، والعافية الكاملة، وأن يجعله ذخراً للإسلام والمسلمين .

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة عامة ، وفي قسم العقيدة خاصة، وإلى كل من جلست أمامه طالبة علم ، فلا أنسى فضلهم وعلمهم ، وجميل صنعهم في جميع مراحل دراستي .

كما أتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة الأجلاء الذين يشرفني حضورهم جلسة المناقشة، وأسأل المولى عز وجل أن ينفعني بعلمهم وتوجيهاتهم ، فأسلك طريقاً سلكوه، وأكمل معهم بعض ما بدأوه

قائمة المحتويات

الفصل الثالث: التعريف بالمسيحية وأهم عقائدها ومصادرها

الفصل الرابع: التعريف بالإسلام وأهم عقائده ومصادره

الباب الأول

الآخر في عقائد الأديان الثلاثة ومصادرها

الفصل الأول: الآخر في العقيدة اليهودية ومصادرها

الباب الثاني

النظرة إلى الآخر في شرائع الأديان الثلاثة وأثرها في سلوك أتباعها

الفصل الأول: النظرة إلى الآخر في الشرائع اليهودية وأثرها على السلوك اليهودي

الباب الثالث

شواهد تاريخية في التعامل مع الآخر بين الأديان الثلاثة

الفصل الأول: نماذج من التاريخ اليهودي في التعامل مع الآخر

النظرة إلى الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام – دراسة تحليلية مقارنة

إعداد

إسلام عبد الوهاب الشوابكة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الخطيب

الملخص

هذا بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراة في تخصص العقيدة، وقد تناولت الدراسة موضوع " النظرة إلى الآخر في اليهودية والمسيحية والإسلام – دراسة تحليلية مقارنة".

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور، جاء الأول منها فكرياً متضمناً أثر عقائد الأديان الثلاثة في صياغة نظرة أتباعها إلى الآخر من خلال المصادر والكتب المعتمدة عند كل منها، وجاء الثاني مشتملاً على ما أفرزته العقائد من أحكام وشرائع توجه سلوك اتباعها نحو الآخر، أما الثالث فقد تناول شواهد ونماذج تطبيقية توضح دور العقائد والشرائع في تعامل أتباعها مع الآخر.

وتحقيقاً لذلك جاءت محتويات هذه الدراسة على النحو الآتي:

- المقدمة، وتضمنت الحديث عن مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.
- الباب التمهيدي، وفيه أربعة فصول قمت من خلالها بتسليط الضوء على مفهوم الآخر وتاريخه، وتحديد مضامينه ودلالته في الأديان الثلاثة، ثم التعريف باليهودية والمسيحية والإسلام من حيث نشأتها، وعقائدها، ومصادرها.
- الباب الأول، ويمثل الجانب الفكري وقد تناول موضوع العقائد في الأديان الثلاثة مرتكزاً على موضوع قيمة الإنسان عند كل منها، وأثرها في صياغة النظرة إلى الآخر من خلال المصادر والكتب المعتمدة.
- الباب الثاني، ويتضمن ما حوته الأديان الثلاثة من شرائع وأحكام حددت علاقة أتباعها بالآخر وقد اشتملت على الحقوق، والحريات، والأملاك، والعلاقات الاجتماعية، وشريعة القتال.
- البالب الثالث، ويمثل الجانب العملي والتطبيقي حيث تناول شواهد ونماذج من واقع تاريخ الأديان الثلاثة تظهر أثر عقائدها في سلوك الأتباع نحو الآخر.

وقد خلصت الدراسة إلى أن العقائد تعد الأساس الذي تبنى عليه النظرة إلى الآخر، وأن قبول الآخر والاعتراف به متوقف على صحتها وموقفها من الإنسان بشكل عام، وأن مسألة رفض الآخر وإقصائه تعود إلى فساد العقيدة واضطراب نظرتها إلى الإنسان بشكل عام.

وأسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون قد حقق هدفه ومقصوده، وأن ينفع به أمة الإسلام والمسلمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

بدأت قصة هذا البحث مع اختيار العنوان، فكانت كل كلمة فيه تحتمل أن تكون عنواناً لكتاب أو مدخلاً لبحث، ولولا توفيق من الله لي بالثبات، أن يسّر لي عوناً من أساتذتي لمسته وأدركته منذ الحروف الأولى لهذه الرسالة؛ لراوحت مكاني دون تقدم وإنجاز، فبارك الله فيهم وأمدهم بعونه على ما أولوني إياه من إرشاد ومتابعة...

أما هذا البحث فله من عنوانه الكثير؛ فيه نظرة حملت معاني البحث والتحليل والاسترشاد والاستشهاد، فكيف إذا خرجت هذه النظرة عن إطار الذات وعن الأنا؛ لتبحث وتتعمق وتصور الآخر، الآخر في الدين والمعتقد، الآخر الذي يجمعك به التاريخ أحياناً ويفرقك عنه الحاضر، الآخر الذي يشاركك الوطن والأرض والمستقبل، وتتيه معه في وحل المصطلحات، الآخر الذي شُوِّهت النظرة إليه من ملل انحرفت عن جوهر الرسالات الحقة، وولغت في تطرفها حتى أنكرت العدل والاعتدال في الحوار والتعايش؛ فأنكرت الآخر وعادته، ورفضت إنسانيته، وحقه في العيش والحياة.

من هنا برزت أهمية هذا البحث؛ لتؤطر ميزاناً لمعرفة الآخر، وضبط النظرة إليه، وسبل التعامل والتعايش معه وفق معايير إنسانية أقرها ديننا، ومارسها أسلافنا واقعاً معاشاً، واندماجاً أفضى إلى تطور ملموس في مناحي الحياة العلمية والعملية كافة.

من هنا كان لا بد من رصد قيمة الإنسان؛ كمحور هام ولبنة أساسية اعتمد عليها البحث في الديانات الثلاث مبتدئاً بالديانة اليهودية، التي تتمحور فيها قيمة الإنسان على تفوق العرق اليهودي، وأنهم هم وحدهم أصحاب الحق في التكريم الإنساني، وقمت بتتبع هذه النظرة، وأثرها على الآخر في عقائدهم من خلال مصادرهم المعتمدة لديهم، وشرائعهم، وتاريخهم الطويل في التعامل مع الأمم والشعوب الأخرى وفق عقدة التفوق.

كما قمت بالبحث عن القيمة الإنسانية في المسيحية وفي مصادرها المعتمدة لديها، وعقائدها وشرائعها التي بنيت أساساً على عقيدة الخطيئة، وجَعلتْ المسيحية تدور حول هذه الفكرة بعقائدها وشرائعها؛ فانعكست على نظرتها إلى الآخر.

وعند البحث عن قيمة الإنسان في الإسلام التي بنيت أساساً على تكريم الإنسان ابتداءً، وذلك من خلال المصادر المعتمدة (القرآن والسنة)، التي أتاحت للإسلام أفقاً أوسع للتعامل مع الآخر منذ بداية الإسلام، وقد شغل الآخر جزءاً من عقيدة المسلم، وأساساً من أسس دينه؛ فالرؤية العقدية في الإسلام ترى أن الأصل والقاعدة في التنوع والاختلاف، تحقيقاً للتعارف والتدافع، يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣].

كما أن النظرة إلى الآخر في الإسلام تنطلق من عالميته، حيث خاطب الله به الناس كافة على اختلاف منابتهم ومشاربهم، وأشركهم في أهم أسسه ودعائمه المتمثلة في قضية التوحيد، فخاطبهم بها، ودعاهم إلى مضمونها، ورتب سلوك المسلم نحوهم بمقتضاها، فقضية الإعتراف بالآخر في الإسلام ليست إشكالاً عقدياً يمس جوهر الدين؛ بل هي قضية خضعت لتجاوزات اجتماعية وسياسية واقتصادية، فالعقيدة الصحيحة تقتضي قبول الآخر، والتعامل معه إلى حد العدل والإنصاف، وفق منهاج واضح ورصين، ورفض الآخر وإنكاره هو نتيجة لفساد في العقيدة أفرز فساداً في الشرائع.

من هنا جاء هذا البحث؛ ليوضح دور العقائد والشرائع في تشكيل صورة الآخر والنظرة إليه، وأثر ذلك في سلوك أتباع الأديان الثلاثة، والبحث عن صورتنا في مرآة الآخر كما هي دون تجميل أو تضليل؛ لنحدد الأدوات والوسائل اللازمة في التعامل مع الآخر داخل المجتمع الإنساني الكبير، وكيفية توضيح ما شوّه أو زيف.

ولتحقق الدراسة أهدافها ونتائجها المرجوة، جاءت خطتها في تمهيد وثلاثة أبواب؛ أما التمهيد فقد جاء موضحاً مفردات عنوان البحث، حيث ناقش ووضح الآخر مفهوماً وتاريخاً، كما عرف اليهودية والمسيحية والإسلام من خلال عقائدها ومصادرها.

واحتوى الباب الأول ثلاثة فصول، تناول كل منها الآخر في عقائد الأديان الثلاثة ومصادرها، بينما تحدث الباب الثاني الذي يتضمن ثلاثة فصول موضوع النظرة إلى الآخر في شرائع الأديان الثلاثة، وأثر ذلك في سلوك أتباعها.

أما الباب الثالث فقد احتوى ثلاثة فصول، تناول كل منها شواهد ونماذج متفرقة في التعامل مع الآخر، من خلال التاريخ اليهودي، والمسيحي، والإسلامي.

مشكلة الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بالآخر ؟

٢. من هو الآخر في الأديان الثلاثة؟

٣. ما دور عقائد الأديان الثلاثة ومصادرها في تشكيل صورة الآخر، وكيف أثر ذلك في نظرة أتباعها للآخر؟

٤. ما أثر الشرائع في الأديان الثلاثة على السلوك الإنساني؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في جملة أمور جاءت على النحو الآتي:

- بيان أهمية التمسك بالثوابت والالتزام بالعقيدة الإسلامية والفهم السليم لصحيح الدين دون تشدد أو تفريط.
- رد الشبهات التي يطلقها بعض المغرضين ممن هم في مراكز الدراسات والإعلام في إلصاقهم تهمة الانعزال وإقصاء الآخر إلى الإسلام.
- رؤية الصورة الحقيقية للمسلم في مرآة الآخرين دون تزييف أو تزيين لنستطيع تحديد أدواتنا ووسائلنا في التعامل مع الآخر داخل المجتمع الإنساني الكبير وكيفية توضيح ما شوّه أو زُيّف والدفاع عن ثوابت الدين والعقيدة أمام هجمات الآخر.
- تحليل التجارب التاريخية المعاصرة ودراستها لاستخلاص الدروس والعبر، وتحديد المعايير للتعامل المستقبلي الذي يحقق مصلحة الأمة، ويساهم في تقدمها وبنائها وتجنب الأخطار المحدقة من خلال فهم فكر الآخر، وتقليل المخاطر بمعرفة الآخر؛ فمن عرف قوماً أمن مكرهم.
- توضيح الصلة بين الجانب العقدي والتشريعي، والنظرة إلى الآخر في كل من الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام وبيان أثرها على السلوك العملي لأتباعها.

أهداف الدراسة:

١. تحديد مفهوم الآخر في كل من الديانة اليهودية والمسيحية والإسلام.

٢. بيان دور العقائد في تشكيل صورة الآخر في الأديان الثلاثة وأثر ذلك في أتباعها.

٣. بيان أثر الشرائع الثلاثة على السلوك الإنساني.

٤. توضيح أسس التعايش الإنساني في ظل الاختلاف مع الآخر.

الدراسات السابقة :

خلال بحثي في الرسائل الجامعية وبعد الوقوف على فهارس المكتبات التي تعنى بالدراسات العليا علمت أن هذا البحث لا يوجد ضمن قاعدة المعلومات المتوفرة، وظهر لي أنه لا توجد رسالة بهذا العنوان أو رسالة قريبة في محتواها مما سأتطرق إليه اللهم. إلا:

أولاً: رسالة قدمت للحصول على درجة الماجستير بعنوان "أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى" إعداد هند بنت دخيل الله القثامي بإشراف أ.د. أحمد بن عبد الرحيم السايح، من جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٢١هـ.

وقد تضمنت الرسالة ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة، بحث الباب الأول النشأة التاريخية لليهود أما الباب الثاني فقد تناول مصادر اليهود ونظرتها إلى الأمم الأخرى كما تناول علاقة اليهود بغيرهم من خلال نظرتهم لأنفسهم باعتبارهم شعب الله المختار، ونظرتهم إلى أرض فلسطين باعتبارها أرض الميعاد، أما الباب الثالث فقد بين أثر النصوص التوارتية والتلمودية، وموقف اليهود من غيرهم من خلال فصلين الأول: موقف اليهود من الإسلام وصور الإسلام والثاني: موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر.

ومما يجدر ذكره أن هذه الدراسة قد تناولت علاقة اليهود بغيرهم من الأمم دون ربطها بشكل مباشر بعقائد اليهود كما أنها لم تفرد موضوع العقائد بمبحث خاص مستقل من المصادر بالإضافة إلى تعرضها لذكر الصفات التي امتاز بها اليهود عبر التاريخ دون ربطها بما لديهم من أفكار وعقائد.

أما ميزات الدراسة الحالية فهي كالآتي:

- عدم الاقتصار على الديانة اليهودية في نظرتها للآخر لتشمل المسيحية والإسلام.
- ربط النظرة إلى الآخر في الأديان الثلاثة بموضوع العقائد وبيان دورها في تشكيل صورة الآخر وتحديد مصيره.
- لا تقتصر هذه الدراسة على الجانب النظري المتمثل في العقائد، وإنما تتجاوزه إلى الشرائع والسلوك العملي في التعامل مع الآخر.
- التركيز على استنباط النصوص من المصادر المقدسة عن الأديان الثلاثة لفهم نظرة كل منها إلى الإنسان، وما يترتب على ذلك من تحديد مفهوم الآخر، واستخلاص حقوقه وواجباته.
- توعية القارئ المسلم من خلال الكشف عن صورته في عقائد الآخرين ومصادرهم ليتمكن من فهمهم وتفادي أخطارهم.

ثانياً: كتاب "مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية" ، مجموعة من المؤلفين، دارالفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

يعد هذا الكتاب احد المحاور المطروحة في برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ضمن سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية في فروع العلوم السياسية، وقد اشتمل هذا المشروع على سبعة محاور تنوعت بين الحديث عن الحوار من حيث منطلقاته المعرفية وآلياته وأهدافه، كما تناول موضوع الأنا والآخر، والعلاقات الدولية، والعولمة والإسلام.

أما ما يهمنا في هذه المحاور فموضوع مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية؛ وقد ضم أربعة بحوث لعدد من المؤلفين اختص كل منهم في بحث معين وقد جاءت على النحو الآتي:

أولاً: مفهوم الآخر لدى الجماعات اليهودية الحديثة لرقية العلواني.

ثانياً:مفهوم الآخر في الأديان التوحيدية والمسيحية الكاثوليكية للأب كريستيان فان بسين.

ثالثاً: مفهوم الآخر في المسيحية المصرية للقس سمير مرقس.

رابعاً: مفهوم الآخر في المسيحية الإنجيلية البروتستانتية للقس أكرم علي.

أما أهداف الكتاب فتتمحور في الكشف عن أسباب الاهتمام الراهن بالمجال الحضاري في العلوم السياسية ، والعلاقة بين الدين والثقافة والحضارة ، وأسباب الحوار أو الصراع بين الثقافات والحضارة.

ومما يجدر ذكره أن هذا الكتاب قد تناول مفهوم الآخر من الجانب السياسي والحضاري بهدف التأصيل النظري لهذا المفهوم دون التعرض للجانب العقدي في الديانتين اليهودية والمسيحية ، كما لم يحاول ربط ذلك بالسلوك العملي لأتباع الديانتين. وقد اقتصر الكتاب أيضا على مفهوم الآخر في الديانتين اليهودية والمسيحية دون التعرض لمفهوم الآخر في الإسلام؛ أما هذه الدراسة فستحاول التعرف على الآخر في الأديان الثلاثة، وربط ذلك بالعقائد والشرائع فيها، وبيان أثرها المباشر في نظرة أتباعها للآخر سواء ما يتعلق بالجانب الفكري أو السلوكي وسيتم ذلك ضمن دراسة تحليلية للنصوص المقدسة والقضايا العقدية والتشريعية من أجل الوصول إلى تصور واضح لحقيقة الآخر وحقوقه وواجباته في الأديان الثلاثة.

ثالثاً: كتاب "الإسلام والآخر " تأليف الدكتور محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، بيروت

تناول الكتاب موضوع الإسلام والآخر في عدد من العناوين العامة وقد جاءت على النحو الآتي:

- العالم في التصور الإسلامي: حيث تحدث الكاتب بشكل مجمل عن قبول الإسلام للآخر انطلاقاً من قانون التمايز والاختلاف الذي وضحه القرآن الكريم.
- اليهودية والمسيحية: وقد استعرض الكاتب فيها كيفية قبول الآخر في كلا الديانتين مسهباً في الشواهد التاريخية وأقوال الحاخامات وعلماء اللاهوت.

أما أهداف الكتاب فتتمحور حول قضية الدفاع عن الإسلام ضد تهم الفكر الغربي والعلماني المتمثلة في إنكار الإسلام للآخر وعدم قبوله ، ومن خلال النظر في موضوعات الكتاب وأبرز محاوره يمكن ملاحظة ما يلي :

- لم يقدم الكتاب تصوراً كاملاً عن الآخر في الإسلام من حيث مفهومه وحقيقته والنظرة إليه بل اقتصر على بعض الجزئيات التي تؤكد اعتراف الإسلام بالآخر بشكل مجمل وسريع مفصلاً في حقيقة اعتراف اليهودية والمسيحية بالآخر من خلال الأقوال والشواهد دون التعرض أيضاً إلى هذه المسألة من الجانب العقدي والتشريعي في كلا الديانتين.
- لم يتطرق الكتاب إلى دور العقيدة والشريعة الإسلامية في الاعتراف بالآخر، وإغفل الحديث عن التعامل النبوي مع الآخر.
- جاء الكتاب على شكل حوار بين الإسلام وخصومه؛ حيث يقف الإسلام في موقف الدفاع مقرعاً لخصومه مما أدى إلى تداخل الأفكار وتشابكها.

أما دراستي فستتعرض للآخر من خلال عدد من المحاور :

- تحديد مفهوم الآخر في كل من اليهودية والمسيحية والإسلام.
- النظرة إلى الآخر في الأديان الثلاثة انطلاقاً من توضيح قيمة الإنسان في كل منها.
- ربط النظرة إلى الآخر بالجانبين العقدي والتشريعي في الأديان الثلاثة، وأثر ذلك في سلوك أتباعها مع الآخر.
- دراسة الآخر في الإسلام بشكل تفصيلي من خلال العقيدة والشريعة الإسلامية ، والنصوص القرآنية والحديث الشريف وسير الصحابة.
- دراسة الآخر في التاريخ اليهودي والمسيحي والإسلامي من خلال عدد من النماذج التاريخية باعتبارها سلوكا عمليا لأتباع الأديان الثلاثة.

منهج البحث:

❖ **تتبع الدراسة المنهج الوصفي القائم على:**

- **الاستقراء**: وذلك باستقراء وجمع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتعلقة بموضوع النظرة إلى الآخر، وكذلك ما ورد في الكتاب المقدس.
- **التحليل**: من خلال دراسة المصادر المقدسة عند أتباع الديانات الثلاثة وتحليل نصوصها لاستخلاص العقائد والشرائع التي قامت عليها أسس النظرة إلى الآخر ومدى انعكاس ذلك على الواقع العملي، وتحليل النصوص من مصادرها للتوصل إلى أسس التعامل مع الآخر وفهمه، ومعرفة حقوقه وواجباته في الأديان الثلاثة.
- **المقارنة**: وذلك بمقارنة ما ورد حول موضوع النظرة إلى الأخر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية مع نصوص الكتاب المقدس، ومقارنة ذلك من خلال الجانبين العقدي والتشريعي في كل من الأديان الثلاثة.

❖ **المنهج التاريخي:** من خلال جمع النصوص من مصادر الأديان الثلاثة ممثلة بالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم، واستخلاص النشأة التاريخية لكل من اليهودية والمسيحية والإسلام، واستقراء شواهد ونماذج في التعامل مع الآخر من خلال دراسة التاريخ اليهودي والمسيحي والإسلامي لاستخلاص الدروس والعبر في فهم الآخر وكيفية التعامل معه.

خطة الدراسة:

- **المقدمة**

الباب التمهيدي

- **الفصل الأول: الآخر مفهوماً وتاريخاً.**
  - المبحث الأول: مفهوم الآخر.
  - المبحث الثاني: نظرة في التاريخ الإنساني لمصطلح الآخر.
- **الفصل الثاني: التعريف باليهودية وأهم عقائدها ومصادرها.**
  - المبحث الأول: التعريف باليهودية.
  - المبحث الثاني: أهم العقائد اليهودية.
  - المبحث الثالث: مصادر اليهودية.
- **الفصل الثالث: التعريف بالمسيحية وأهم عقائدها ومصادرها.**
  - المبحث الأول: التعريف المسيحية.
  - المبحث الثاني:أهم العقائد المسيحية.

- المبحث الثالث: مصادر المسيحية.

- **الفصل الرابع: التعريف بالإسلام وأهم عقائده ومصادره.**
  - المبحث الأول : التعريف بالإسلام.
  - المبحث الثاني: أهم العقائد الإسلامية.
  - المبحث الثالث: مصادر الإسلام.

الباب الأول: الآخر في عقائد الأديان الثلاثة ومصادرها.

- **الفصل الأول: الآخر في العقيدة اليهودية ومصادرها.**
  - المبحث الأول: قيمة الإنسان في العقيدة اليهودية ومصادرها.
  - المبحث الثاني: الآخر وعقيدة الاختيار الإلهي عند اليهود.
  - المبحث الثالث: الآخر وعقيدة الميثاق عند اليهود.
  - المبحث الرابع: الآخر وعقيدة المسيح المنتظر عند اليهود.
- **الفصل الثاني: الآخر في العقيدة المسيحية ومصادرها.**
  - المبحث الأول: قيمة الإنسان في العقيدة المسيحية ومصادرها.
  - المبحث الثاني: الآخر وعقيدة الخلاص عند المسيحية.
  - المبحث الثالث: الآخر وعقيدة الصلب عند المسيحية.
- **الفصل الثالث: الآخر في العقيدة الإسلامية ومصادرها.**
  - المبحث الأول: قيمة الإنسان في الإسلام.
  - المبحث الثاني: الآخر في العقائد الإسلامية.

الباب الثاني: النظرة إلى الآخر في شرائع الأديان الثلاثة وأثرها في سلوك أتباعها

- **الفصل الأول: النظرة إلى الآخر في الشرائع اليهودية وأثرها على السلوك اليهودي.**
  - المبحث الأول: العنصرية في الشرائع اليهودية وأثرها في النظرة للآخر.
  - المبحث الثاني: الآخر في شعائر اليهود وأعيادهم.
  - المبحث الثالث: أملاك الآخر في الشريعة اليهودية.
  - المبحث الرابع: التنظيم الديني والاجتماعي عند اليهود وأثره على الآخر.
  - المبحث الخامس: شريعة الحرب عند اليهود وموقفها من الآخر.

- **الفصل الأول: النظرة إلى الآخر في الشرائع المسيحية وأثرها على السلوك المسيحي.**
  - المبحث الأول: تطور الشرائع في المسيحية وأثر ذلك على الآخر.
  - المبحث الثاني: حقوق الآخر في الشرائع المسيحية.
- **الفصل الثالث: النظرة إلى الآخر في الشريعة الإسلامية وأثرها على السلوك.**
  - المبحث الأول: النظرة إلى الآخر في مقاصد الشريعة الإسلامية.
  - المبحث الثاني: حرية الآخر وحقوقه في الشريعة الإسلامية.
  - المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية مع الآخر في الشريعة الإسلامية.
  - المبحث الرابع: شريعة القتال في الإسلام وموقفها من الآخر.

الباب الثالث: شواهد تاريخية في التعامل مع الآخر بين الأديان الثلاثة

- **الفصل الأول: نماذج من التاريخ اليهودي في التعامل مع الآخر.**
  - المبحث الأول: اليهود في المدينة المنورة.
  - المبحث الثاني: اليهود في فلسطين.
- **الفصل الثاني: نماذج من التاريخ المسيحي في التعامل مع الآخر.**
  - المبحث الأول: المسيحيون في الأندلس.
  - المبحث الثاني: احتلال العراق.
- **الفصل الثالث: نماذج من التاريخ الإسلامي في التعامل مع الآخر.**
  - المبحث الأول: وثيقة المدينة المنورة.
  - المبحث الثاني: العهدة العمرية.
- **الخاتمة**
- **المصادر والمراجع.**
- **الملخص باللغة الإنجليزية**

الباب التمهيدي

الفصل الأول: الآخر مفهوماً وتاريخاً

المبحث الأول: مفهوم الآخر

يعد مفهوم الآخر أحد أكثر المفاهيم شيوعاً في العالم المعاصر؛ فموضوع الآخر من الموضوعات التي شقت طريقها في الدراسات الاجتماعية، والنفسية، والأدبية، والثقافة الإنسانية بشكل عام؛ وعلى الرغم من شيوع استخدامه في هذه المجالات؛ إلا أنه يعد من المصطلحات الفضفاضة إذا ما تم النظر إليه على اعتبار أنه من كان خارج دائرة الأنا، كما يعد أكثر المصطلحات جدلاً وتعقيداً: على اعتبار أن صورة الآخر والنظرة إليه تختلف من شخص إلى آخر، وتتغير بتغير موقف الأنا منه؛ ولأن هذه الكلمة تعد الركيزة الهامة التي تقوم عليها هذه الدراسة، كان لا بد من محاولة توضيح معناها، ودلالتها، وتحديد مغزاها ؛ ليتسنى بذلك الدخول إلى عالم الآخر في مجال مقارنة الأديان، وكيف كانت النظرة إليه في كل من اليهودية، والمسيحية، والإسلام من خلال العقائد، والتشريعات، والكتب والمصادر المقدسة فيها.

المطلب الأول: معنى الآخر لغةً

جاء في مقاييس اللغة أن "الهمزة والخاء والراء أصلٌ واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم، والآخر نقيض المتقدم (...) وقال الخليل: فعل الله بالأخر أي الأبعد (...) ويقول ابن دريد: الآخر تالٍ للأول (...) وأخر جماعة أخرى"[(١)]، وفي الصحاح "الآخر بالفتح أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى"[(٢)].

ويتضح مفهوم الآخر لغة عند ابن منظور إذ يقول: "الآخر بالفتح أحد الشيئين، وهو اسم على وزن أفعل، والأنثى أخرى (...) والآخر بمعنى **غير** كقولك رجل آخر، وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر(...) وتصغير آخر أويخر، وقوله تعالى: ﴿**فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا**﴾ [المائدة: ١٠٧] فسره ثعلب فقال: فمسلمان يقومان مقام النصرانيين يحلفان أنهما اختانا، وقال الفراء:

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (تحقيق عبد السلام هارون)، ج١، دار الفكر، ١٩٧٩م، ص٧٠ ، انظر: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، (تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي في مؤسسة الرسالة)، ج١ ، ط٨، مؤسسة دار الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٣٤٢

(٢) الفارابي، أبو نصر إسماعيل (٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، ج٢، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٧٦

معناه أو آخران من غير دينكم من النصارى واليهود ، وهذا للسفر والضرورة؛ لأنه لا تجوز شهادة كافر على مسلم في غير هذا"[١] ويلاحظ أن تأويل الفراء (ت٢٠٧هـ) للفظة آخر الواردة في الآية السابقة يشير إلى اتساع دلالة مفهوم الآخر اذ شملت المخالف في الدين والاعتقاد.

وفي معجم الكليات يحدد الكفوي لفظة الآخر لغة بجنس ما يسبقها؛ فإذا سبقت بكتاب فإن الآخر المقصود هو كتاب، وإذا سبقت بإنسان فإن الآخر إنسان، وفي هذا يقول: إن "مدلول الآخر في اللغة خاص بجنس ما تقدمه فلو قلت: "جاءني زيد وآخر معه" لم يكن الآخر إلا من جنس ما قبله ؛ بخلاف (غير) فإنها تقع على المغايرة مطلقاً في جنس أو صفة"[٢].

وقد تناولت المعاجم الحديثة لفظة الآخر لغة تحت معنيين رئيسيين :[٣]

الأول: أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد كما قال المتنبي:

ودع كل صوتٍ غير صوتي فإنني أنا الصائحُ المحكي والآخر الصدى

وكذلك قوله تعالى: ﴿**أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ**﴾ [يوسف:٤١]، وقد اعتادت العرب ألا تصف بلفظي (آخر وأخرى إلا ما يجانس المذكور قبله).

الثاني: بمعنى غير أو المختلف، وفي هذا يقول امرؤ القيس:

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخرا

من خلال ما سبق يلاحظ أن المعاجم اللغوية السابقة اتفقت على جملة من الأمور هي:

١. أن الآخر اسم لأحد شيئين.
٢. أن لفظة الآخر استخدمت في كلام العرب عند اتحاد الجنس فهي تتبع ما قبلها في جنسه.
٣. أن الآخر تأتي بمعنى المغاير أو المختلف (غير)، وقد استخدمه الفراء عند تفسيره للآية السابقة بأنه المختلف في الدين والعقيدة، وستعتمد هذه الدراسة على ما فسره الفراء لتوظيفه في فهم الآخر اصطلاحاً: فما يهمنا في هذه الدراسة هو دلالة الاختلاف الديني الذي تحمله كلمة الآخر.

---

(١) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣،ج٤، دار صادر، بيروت ١٤١٤ هـ، ص ١٢-١٣ ، انظر: الزبيدي، أبو الفضل محمد بن محمد (١٢٠٥ هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، (تحقيق مجموعة من المحققين)، ج١٠، دار الهداية، ص ٣٣-٣٤

(٢) الكفوي، أبو البقاء ايوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، (تحقيق عدنان درويش وآخرون)، ط١، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٦٢

(٣) انظر: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، **المعجم الوسيط**، ج١ مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهر، ص٨، عمر ، احمد مختار(ت ١٤٢٤هـ) ، وآخرون ، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ج١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧٠ ، عمر، أحمد مختار (١٤٢٤هـ)، وآخرون، **معجم الصواب اللغوي**، ط١،ج١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص١

المطلب الثاني: الآخر اصطلاحاً

تناولت الدراسات الفلسفية، والنفسية، والاجتماعية لفظة الآخر ، وقد عولج هذا المصطلح في هذه الدراسات من زوايا مختلفة؛ فتعددت تعريفاته وفقاً لطبيعة الدراسة، وتباين الرؤى، وقد جاءت على النحو الآتي:

أولاً: الآخر في الدراسات الفلسفية

لا يمكن الحديث عن الآخر كمصطلح فلسفي في الدراسات الفلسفية دون الحديث عن الأنا [(١)]، وتوضيح مفهومه، ودلالته في المعاجم الفلسفية؛ لأن الآخر بطبيعة الحال هو من كان خارج دائرة الأنا، والأنا مفهوم فلسفي يعني "الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائماً واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويقابل الآخر أو العالم الخارجي"[(٢)].

وقد استخدم مصطلح الأنا أيضاً في فلسفة العرب بمعنى النفس، والمراد بالنفس عند ابن سينا[(٣)] ما يشير إليه كل أحد بقوله أنا، وهي مغايرة لجملة أجزاء البدن فهي شيء وراء البدن، وهي عند الرازي[(٤)] أن أكون غافلاً عن جميع أعضائي الظاهرة والباطنة، واهتم بما وراء ذلك[(٥)].

---

(١) يعطي هذا القسم من الدراسة إضاءة حول تاريخ ظهور مصطلح الآخر في العصور الحديثة، وسأتحدث عن هذا لاحقا في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) وهبة، مراد، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة، مدينة نصر، القاهرة، ٢٠١١م ، ص ٩٥، وانظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٣، حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ط١ ، دار أسامة للنشرو التوزيع، عمان، الأردن ، ٢٠٠٩م، ص١٠٣

(٣) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ)، ولد في بخارى، وقد كان من أبرز فلاسفة المسلمين ولقب بالشيخ الرئيس، كما اشتهر بالطب وعلم المنطق والإلهيات والطبيعيات، ويقال إن المناخ الذي نشأ فيه كان شيعياً إسماعيلياً. انظر: الكيالي، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، ط١،ج١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٩م ، ص٢٢-٢٣

(٤) **الرازي:** محمد بن عمر بن الحسن ، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ): الإمام المفسر. ويقال له (ابن خطيب الريّ). من تصانيفه (مفاتيح الغيب)، و (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين) وغير ذلك من المصنفات. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ط١٥، ج٦، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م، ص٣١٣

(٥) انظر: الحفني، عبد المنعم، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٠٨ ، وانظر: فاضل، علي رمضان، **الموسوعة الفلسفية الميسرة**، ط١، مكتبة النافذة، القاهرة ٢٠١٤م، ص٧٠

وتعد الفلسفة الأوروبية الحديثة هي أساس فلسفة (الأنا) الذات، وعلى رأسهم كوجيتو ديكارت[١] المؤسس لفكرة فلسفة الأنا، حيث شك هذا الفيلسوف الفرنسي في كل شيء ولم يبق لديه أي شيء سوى كونه يفكر، ومن هنا جاءت مقولته الشهيرة: "أنا أفكر إذن فأنا موجود"[٢]، والأنا عند ديكارت هي قوة مفكرة تشك وتفهم وتتصور وتقرر وتنفي[٣]؛ أما مضمون مقولة ديكارت ومدى ارتباطها بظهور مصطلح الأنا والآخر فستتم مناقشته عند الحديث عن تاريخ مصطلح الآخر.

ويرى هيجل[٤] أن الأنا هو الشعور أو الوعي بالذات، وفي كتابه الشهير **(علم ظهور العقل)** اقترب من الآخر بالقرب من وعي الذات [٥].

وحول العلاقة بين الأنا والآخر يرى الفيلسوف فيشته[٦] أن الأنا يصنع وجوده بنفسه ومن أجل نفسه، والأنا يصنع اللاأنا، أي ليس ثم عالم بدون أنا، واللاأنا مشروط بالأنا [٧]. ويقصد فشتة بـــ (اللا أنا) أي الآخر، فالآخر بدايةً صنع الأنا، ولا وجود للآخر بدونه.

وبناءً على ما سبق من توضيح للأنا والعلاقة بينها وبين الآخر فقد عرفت المعاجم الفلسفية الآخر بأنه: "كل ما لا يكون الأنا، بأي معنى كان"[٨]، كما ربطت موسوعات أخرى بين مصطلح الآخر فلسفياً ولغوياً ، فتحت عنوان **(غير)** عُرّف الآخر بأنه "أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز منه، ويقابل الأنا، ومعرفة الغير تُعينُ على معرفة النفس"[٩]، وبذلك أطلق الآخر على المغاير، ويقال للأشخاص والأشياء والأعداد، ويطلق

---

(١) ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠): فيلسوف فرنسي أقام فلسفته على الشك المنهجي، وهو صاحب العبارة المأثورة: أنا أفكر، إذن فأنا موجود، ولديكارت تأثير فيمن جاءوا بعده حتى ليسمى عادة بأبي الفلسفة الحديثة.انظر: الكيالي، عبدالوهاب، **موسوعة السياسة**، ج٢، ص٧٤٧

(٢) الجابري، محمد عابد ، مقالة مأخوذة من الانترنت تحت عنوان مفهوم الأنا والأخر ، www.aljabriabed. Net!

(٣) بتصرف بسيط، الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص١٠٨

(٤) هيجل، جورج فلهايم فردريك (١٧٧٠-١٨٣١)، نشأ في أسرة نمساوية كانت مخلصة لمذهب لوثر في الإصلاح الديني، احتلت مراكز دينية، منها القساوسة، دخل معهداً دينياً بروتستانتياً لتخريج القساوسة الإنجليين. انظر: الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج٧، ص٢١٤

(٥) انظر: الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص١٠٨ وانظر: هيجل، **علم ظهور العقل** ، (ترجمة مصطفى صفوان)، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٣٤

(٦) فيشته، يوهان غوتليب (١٧٦٢-١٨١٤)، فيلسوف ومفكر سياسي ألماني. كتب عدة مؤلفات فلسفية وسياسية منها (ميكافيلي، اديب) و(حوارات وطنية) وأشهرها (خطابات إلى الأمة الألمانية) ، ويعتبر فيشته منظراً للقومية الألمانية بجوانبها الميتافيزيقية والدينية والأسطورية، واتهم بأنه مبشر ورائد للقومية الألمانية بشكلها العنصري والرافد الأكبر للفكر النازي فيما بعد. انظر: الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج٤، ص٦٧٧-٦٧٨

(٧) بتصرف، الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص١٠٨

(٨) لالاند، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، م٢، ط١، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٩٦م، ص٨٧٩

(٩) مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ص١٣٣

على المغاير في الماهية ويقابله (الأنا)، والاثنان يتمثلان في الوعي، وكلما زاد الوعي زاد الإحساس بالأنا والآخر[١].

وفي الموسوعة الفلسفية الميسرة عرف الآخر بأنه "الغير، المختلف في الدين واللغة والعرق والجنس"[٢].

مما سبق يلاحظ أن الدراسات الفلسفية اتفقت على أن الآخر هو من كان خارج دائرة الأنا، أو ما سوى الذات، وهو ضرورة لفهم الأنا، وضمان بقائها واستمرارها.

ثانياً: الآخر في الدراسات النفسية والاجتماعية

سارت الدراسات النفسية والاجتماعية في تتبع مصطلح الآخر على طريق الفلاسفة من خلال ربطه بمفهوم الأنا، وقد ظهر التلازم واضحاً بين الأنا والآخر في معظم أعمال أصحاب هذا الميدان وتعريفاتهم فقد أصبح الحديث عن أحدهما يستدعي – بالضرورة – حضور الآخر؛ "فالصورة التي نحملها عن أنفسنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أن كل صورة للآخر لدينا هي بمعنى من المعاني صورة عن ذواتنا"[٣].

ويبدو أن هذا التلازم على المستوى المفاهيمي هو تعبير عن طبيعة الآلية التي يتم وفقها تشكل كل منهما، وهذا التلازم بين الصورتين قد أبرزته أعمال العلماء النفسيين والاجتماعيين الذين اهتموا بالقضايا المتصلة بالذات والآخر[٤]. ففرويد مثلاً يحصر الأنا بجملة من الخصائص أهمها سيطرتها على الحركات الإرادية نتيجة العلاقة بين الإدراك الحسي والفعل العضلي كما تقوم بمهمة حفظ الذات[٥]، ثم ظهرت بعد ذلك أعمال وليام جيمس[٦] حيث أسس في نهاية القرن

---

(١) انظر: ذريل، عدنان، **الفكر الوجودي عبر مصطلحه**، منشورات اتحاد العرب، دمشق، ١٩٨٥م، ص٥ ، انظر: الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ص٢٩

(٢) فاضل، **الموسوعة الفلسفية الميسرة**، ص٢٦٣م

(٣) أبو العينين، فتحي، **صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي** ، بحث منشور في كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، ص٨١١

(٤) بتصرف، طرابيشي ، جورج ، **صورة الآخر في الرواية العربية** ، مقال من كتاب صورة الآخر، تحرير الطاهر لبيب، ص٧٩٧

(٥) بتصرف، سيجموند، فرويد، **الموجز في التحليل النفسي**، (ترجمة سامي عبد السلام القفاش)، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٢٦-٢٧

(٦) وليام جيمس: (١٨٤٢-١٩١٠م) الفيلسوف وعالم النفس الأشهر، صاحب البراجماتية، وله في علم النفس "مبادئ علم النفس" في مجلدين، و"علم النفس: مقرر أصغر" و"أحاديث للمدرسين عن علم النفس".موسى، نبيل، **موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي**،ط١،ج٢، دار الصداقة العربية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٦٦

التاسع عشر نظرة سيكولوجية خاصة للأنا، وقام بعده جيمس بالدون[١] بتطوير ذلك من خلال رؤية تفاعلية اهتم فيها بعلاقة الأنا بالآخر حيث شدد أن "الأنا والآخر مولودان معاً"[٢].

أما النظرة الاجتماعية لمصطلح الآخر فقد أسهم كل من (تشالز كولي، وجورج ميد[٣]) في تأسيس مفهوم الأنا والآخر، فذهب كولي إلى أن الأنا هي مركز شخصيتنا وأنها لا تنمو، ولا تفصح عن قدراتها إلا من خلال البيئة الاجتماعية، وأن الشعور بالأنا لا يبرز دون أن يكون مصحوباً بذوات الآخرين[٤]؛ أما ميد فقد قام بمعالجات موسعة لفكرة الذات الجماعية وهو يرى أن الذات لدى أي فرد تتطور كنتيجة لعلاقة هذا الفرد بالعمليات والنشاطات والخبرات الاجتماعية من جهة، وبالأفراد الآخرين من جهة أخرى[٥].

من هنا يمكن القول إن الأنا في الدراسات الاجتماعية والنفسية هي "نسق تصوري تطوره الكائنات البشرية أفراداً وجماعات وتتبناه أو تنسبه إلى نفسها"[٦]؛ أما **الآخر** فهو "مركب من السمات الاجتماعية والنفسية، والفكرية، والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة ما إلى الآخرين"[٧] وقد تتشكل صورة الآخر من عناصر انتقائية هي ما أريد إثباتها في أذهاننا عن هذا الآخر، في حين تغيب عنها عناصر أخرى لا نراها، أولا نريد رؤيتها، أو الاعتراف بها[٨].

ومن الجدير بالذكر أن بعض علماء الاجتماع قد تناول مصطلح الآخر للدلالة على السلب والنفي، فالباحث الفرنسي جان فارو يرى أن الآخر تابع في وجوده للأنا ومفتقر إليه، ويرى أن الآخر سوف يخلف في الخيال الغربي ذرية غامضة النسب فهو العدو، أو المزدوج، والآخر في رأيه من ليس له الأجداد أنفسهم، ولا الآلهة نفسها، ولا حتى اللغة نفسها التي لنا[٩]، ويذهب

---

(١) جيمس بالدون: (١٨٦١-١٩٣٤) هو فيلسوف، وعالم نفس، و أستاذ جامعي من الولايات المتحدة الأمريكية ولد في كولومبيا، وانتخب عضوًا في جمعية علم النفس الأمريكية. وأقام بباريس من سنة ١٩١٣م إلى وفاته، ومن مؤلفاته (المرجع في علم النفس). انظر: موسى، **موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس**، ج٢، ص٩١-٩٢

(٢) طرابيشي، **صورة الآخر في الرواية العربية** ، ص٨١٢

(٣) جورج ميد (١٨٦٣-١٩٣١) أمريكي، اشتهر بنظريته في الذات ويعد من أبرز علماء النفس الفلاسفة. موسى، **موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس**، ج٢، ص٤١٥

(٤) بتصرف، طرابيشي، **صورة الآخر في الرواية العربية** ، ص٨١٢

(٥) بتصرف بسيط، طرابيشي، **صورة الآخر في الرواية العربية** ، ص٨١٢

(٦) المصدر نفسه، ص٨١٣

(٧) المصدر نفسه، ص٨١٣

(٨) المصدر نفسه، ص٣١٣

(٩) بتصرف، جان، فارو، **الأخر بما هو اختراع تاريخي**، مقال من كتاب صورة الأخر، تحرير الطاهر لبيب، ص ٥١

باحثون مثل ميشال فوكو[1] إلى أن الآخر شخص غير طبيعي، ومجنون، ومعوق، في حين قرن جيمس أهو الآخر بالموت؛ أما جوليا كريستيفا فقصرته على الأجانب[2].

ومال بعض المعاصرين في علم الاجتماع إلى وصف الآخر بالعدو وأن أوضح صورة تبرز له في وقت الحرب؛ حيث يغدو ظلاماً سرمدياً على الأنا، وتصبح العلاقة بينهما قائمة على قاعدة غالب ومغلوب، ورأوا فيه الجانب العدواني أو السلبي أو الخشن فقط[3]، كما استخدمه بعضهم لغاية فهم منهجية الأفكار النمطية، وإلقاء الضوء على الجوانب النفسية للصراع بين الجماعات المختلفة[4].

مما سبق يتضح أن الدراسات النفسية والاجتماعية قد تنوعت في نظرتها وتفسيرها لمصطلح الآخر بين الإيجابية والسلبية، مع اتفاقها على التلازم بين الأنا والآخر، وربطها كلا المفهومين ببعضهما، مع ملاحظة أن مصطلح الآخر يقوم نفسه في كل مرة في كينونة مختلفة تبعاً للزاوية التي ينظر منها الدارس أو الباحث، ونسبية الآخر لا تقتصر على التفاوت في المستويات بل إنها تتوغل في المدلولات والمضامين التي قد تتعرض إلى التغيير والتبديل.

وإذا أردنا الاستعانة بما سبق من مضامين حول المعنيين اللغوي والاصطلاحي في الدراسات الفلسفية والاجتماعية والنفسية، والهدف الذي تنشده هذه الدراسة فيمكن القول إن **الآخر هو كيان مستقل خارج دائرة الأنا أو الذات، ويكون مغايراً لها في الدين أو العرق أو اللغة أو الجنس.**

ونظراً لاتساع مدلول لفظة الآخر وتلازمها مع الأنا، وشمولها لكل من هو خارج الأنا أو الذات، كان لا بد من حصرها وتحديدها في هذه الدراسة، التي ستتطرق إلى الآخر في الأديان الثلاثة (اليهودية، والمسيحية، والإسلام).

---

(١) ميشيل فوكو (١٩٢٦-١٩٨٤م) فيلسوف فرنسي، اهتم بمسألة السلطة ، يتحدر من عائلة برجوازية، كان ينتمي فكرياً إلى تيار البنيوية وهمه قلب طرق المعرفة للإنسان بإسقاط مملكة الذات (الأنا، الوعي، الروح) وإمكاناتها على التحرر وتجاوز نفسها، من مؤلفاته كتاب تاريخ الجنون.انظر: الكيالي ،**الموسوعة السياسية**، ج٤، ص٦٣٨-٦٣٩

(٢) بتصرف بسيط، فيلهو هارلي، مقالة **بعنوان مفهوم ومواريث العدو في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوروبية**، من كتاب صورة الآخر، تحرير الطاهر لبيب، ص٥٤-٥٥

(٣) بتصرف، البزري، دلال، **الآخر المفارق الضروري**، مقال من كتاب صورة الآخر، تحرير الطاهر لبيب، ص١٠٣

(٤) ياسين، السيد ،**الشخصية العربية بين مفهوم الذات وصورة الآخر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٨٩

أما الآخر في اليهودية فهو كل من كان خارج العرق اليهودي، وذلك بعد أن التحم الدين بالقومية اليهودية؛ فكل من لا ينتمي للعرق اليهودي هو آخر، وهذا ما يتشربه اليهودي منذ طفولته حيث "يغذى دائماً وقبل كل شيء سواء في المدرسة الدينية أو البيت بأنه شيء ما أكثر من كونه مؤمناً بشيء ما، وبأنه يعتز بكونه يهودياً، أكثر من اعتقاده باليهودية وهو منذ الصغر يشرب التحدث بالأفكار عن عالم فيه نحن وهم"[(١)] ، وقد ظهرت مرادفات عدة للآخر في اليهودية من خلال مصادرها، ومنها: الأغيار **(جوييم)**[(٢)]، وأممي، والأجنبي، والوثني، وغير اليهودي.

أما بالنسبة للمسيحية فستقتصر هذه الدراسة على الآخر المختلف في الدين من اليهود والمسلمين، وقد ظهرت لهم تسميات عدة خلال التاريخ المسيحي منها: السارزان **(السراسنة)**[(٣)]، المورسكيون[(٤)].

وفي الإسلام فإن الآخر المقصود فيه المخالف في الدين، وقد قسم الشهرستاني المخالف في الدين إلى ثلاثة أقسام؛ فإما أن يكون "ممن لديه كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى، وممن له شبهة كتاب مثل: المجوس[(٥)] والمانوية[(٦)]، وممن له حدود وأحكام دون كتاب مثل الفلاسفة الأولى، والدهرية[(٧)]، وعبدة الكواكب والأوثان، والبراهمة[(٨)]"[(١)].

---

(١) لينتال، الفريد، **إسرائيل ذلك الدولار الزائف**، ط١، (تعريب عمر الديراوي)، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥، ص٨٣-٨٤

(٢) الأغيار هي المقابل العربي للكلمة العبرية جوييم، وهي صيغة الجمع للكلمة (جوي) التي تعني شعب أو قوم وكانت الكلمة تنطبق في البداية على اليهود وغير اليهود ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية وقد اكتسبت الكلمة إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها الغريب أو الآخر. المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** ، م٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٤٠

(٣) لفظة يونانية الأصل استعملت للدلالة على العرب الذين أقاموا في بادية الشام وطور سيناء وفي الصحراء وقد توسع مدلولها بعد الميلاد ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس حتى أطلقت على العرب عامة وقد أستخدمها مؤرخو الكنيسة بكثرة بدلا من كلمة عرب، وأقدم من ذكرها هو ديوسقريدوس. بتصرف، علي، جواد (ت ١٤٠٨هـ)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، ج١، دار الساقي ،٢٠٠١م، ص٢٦-٢٧، وقد اكتسبت اللفظة إيحاءات الذم بعد انتشار الإسلام وخصوصاً في فترة الحروب الصليبية.

(٤) مصطلح أطلق على المسلمين الذين أبطنوا الإسلام وأظهروا المسيحية، وذلك بعد دخول الإسبان المسيحيين إلى الأندلس وتعقبهم وإبادتهم لكل من يدين بغير المسيحية من خلال محاكم التفتيش وغيرها. انظر: السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، ٢٠٠٠، ص٣٠٤

(٥) كلمة يونانية الأصل، أطلقها اليونانيون على كهنة زارادشت عندما دخلوا فارس بقيادة الاسكندر الأكبر. وتقوم عقيدتهم على تقديس الكواكب والنار. انظر: سعفان، كامل، **موسوعة الاديان القديمة**، ط١، دار الندى، مدينة نصر، ١٩٩٩م، ص٩٠، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، ص٨٥٥

(٦) ديانة أسسها ماني، وهو مذهب يقول بإلهين اثنين: إله للخير وإله للشر. ويرمز لهما بالنور والظلام. بتصرف: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص١٠٢ ، انظر: سعفان، **موسوعة الأديان القديمة**، ص١٣٨، ١٤١

(٧) فِرقة من فرق الجاهلية، يقولون بقدم العالم وإنه مركب من العناصر الأربعة. قال أكثرهم: وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. واختلفوا في الصانع فنفاه بعضهم وأثبته بعضهم. الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني (ت٥٧٣هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ط١، ج٤، (تحقيق د حسين بن عبد الله العمري، وآخرون)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٩م، ص٢١٧٦

(٨) هم الذين يقولون: إنّ العالم محدَث وله محدِث قديم بخلافه، كمثل مقالة المسلمين. إلا أنهم أبطلوا الكتب والرُّسُل وقالوا: ليس بين الله تعالى وبين خلقه واسطة غير العقل، به يستحسن الحسن ويستقبح القبيح. ويقال: إنهم نسبوا إلى رئيس لهم يقال له: بَرْهَم الهندي. الحميرى، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ج١، ص٥١٠

وستقتصر الدراسة المتعلقة بالآخر في الإسلام على اليهود والنصارى. وقد ظهرت لهم تسميات عدة منها: أهل الكتاب[٢]، وأهل الذمة[٣]، ولا بد من الإشارة إلى وجود مرادفات أخرى ظهرت في المجتمع الإسلامي، ومنها المستأمن[٤] والمعاهد[٥].

---

(١) الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم، **الملل والنحل**، (تحقيق عبد العزيز الوكيل) ، دار الفكر ، بيروت، ص٣٦

(٢) هم أهل التوراة والإنجيل. قال الله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ [الأنعام: ١٥٦] . وأهل التوراة اليهود والسامرة، وأهل الإنجيل النصارى، ومن وافقهم في أصل دينهم. انظر: ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله (ت ٦٢٠هـ)، **المغني لابن قدامة**، ج٧، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٣٠

(٣) الذمة هي العهد. ومنه سميت الذمة للآدمي فإنه محل الالتزام بالعهد. وأهل الذِّمَّة: المعاهَدون من النصارى واليهود، ممَّن يُقيمون في دار الإسلام، وسُمُّوا بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم. انظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ج١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص٨٢١ ، السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ)، **شرح السير الكبير**، ج١، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م، ص٣٩

(٤) هو الحربي الذي دخل دار الإسلام بأمان. انظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، **تحرير ألفاظ التنبيه**، ط١، (تحقيق عبد الغني الدقر)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ، ص٣٢٥

(٥) المعاهد من العهد وهو الموثق وجمعه عهود، والمعاهد: الذمي لأنه معاهد ومبايع على ما عليه من إعطاء الجزية والكف عنه.وهم أهل العهد فإذا أسلم، ذهب عنه اسم المعاهد. انظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، **العين**، ج١، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي)، دار ومكتبة الهلال، ص١٠٢-١٠٣

المبحث الثاني

نظرة في التاريخ الإنساني لمصطلح الآخر

بما أن التعريفات السابقة قد اتفقت بشكل عام على أن الآخر هو من كان خارج دائرة الأنا، فهذا يعني أن الآخر قد ظهر منذ أن خلق الله آدم ﷺ، فمنذ ذلك الحين بدأ البحث عن الآخر، وجرت محاولة سبر أغواره ومعرفة مكنوناته؛ لتشكيل صورته وبلورة النظرة إليه ومنذ بدء الخلق ونحن نريد أن نعرف الآخر في الوقت الذي نحاول فيه أن نعرف ذواتنا واستمرت هذه المحاولات إلى الآن.

وتعد المعتقدات الدينية أهم الروافد لمعرفة أول ظهور للآخر في التاريخ الإنساني على الإطلاق في مقابل الأنا، فقد أجمعت الديانات السماوية جميعاً على وجود آدم وحواء، ثم قابيل وهابيل، فبالنسبة لآدم وحواء فإن كلاً منهما يعد الأنا في مقابل الآخر، بينما يكون إبليس الذي وقف موقف العناد والاستكبار والعصيان هو الآخر المخالف(١).

أما في قصة قابيل وهابيل، فإن النصوص القرآنية تعرض قصتهما مع الإشارة إلى أول وجود لمفردة الآخر في التاريخ الإنساني، يقول تعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**﴾ [المائدة: ٢٧] وتعد هذه الإشارة دالة صريحة على وجود الآخر وعلامة من علاماته البارزة.

ويمكن النظر إلى استخدام النص السابق للفظة الآخر بمعنى المخالف في الفكر والرأي والنتيجة، وقد جاء النص القرآني بعد عرض الفساد والمخالفة الواقعة من بني إسرائيل لنبي الله موسى(٢).

يقول صاحب تفسير المنار موضحاً الاختلاف والتباين الوارد في اللفظة: "واتل أيها الرسول على أهل الكتاب وسائر الناس ذلك النبأ العظيم ، نبأ ابني آدم (...) بأن تذكره كما وقع مبيناً ما فيه من الحكمة والكشف عن غريزة البشر، وهو ما جبلوا عليه من التباين والاختلاف الذي

---

(١) انظر: السليماني، أحمد ياسين، **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في النقد الأدبي، إشراف جابر عصفور، جامعة القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٧٦-٧٧

(٢) يقول ابن عاشور: "المناسبة بينها وبين القصة التي قبلها مناسبة تماثل ومناسبة تضاد، فأما التماثل فإن في كلتيهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى؛ فإن بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة، وأحد ابني آدم عصى حكم الله بعدم قبول قربانه لأنه لم يكن من المتقين، وفي كلتيهما جرأة على الله بعد المعصية، فبنو إسرائيل قالو اذهب أنت وربك فقاتلا وابن آدم قال لأقتلن الذي تقبل الله منه، وأما التضاد فإن في إحداهما إقداماً مذموماً من ابن آدم، وإحجاماً مذموماً من بني إسرائيل" ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج٦، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤، ص١٦٨

يفضي إلى التحاسد والبغي والقتل؛ ليعلموا حكمة الله فيما شرعه في الدنيا من عقاب الباغين من الأفراد والجماعات (...) فهم في هذا كابني آدم إذ حسد شرهما خيرهما فبغى عليه فقتله"(١).

ومما يذكر في هذا المقام أن القرآن الكريم في معرض ذكره للآخر المختلف في الفكر أو الرأي، لم يؤسسه على فكرة السلبية أو النفي والإقصاء، فسنة الاختلاف علامة واضحة على حكمة الخالق وكمال قدرته، ولا تصلح لتكون موضوعاً للتفاخر والتفاضل أو الإقصاء "فالاختلاف في العلم والرأي والشعور والوجدان طبيعي في البشر، ومن لوازمه النافعة اشتغال كل فريق منهم بنوع من أنواع الأعمال، وبذلك يظهرون أسرار الله وحكمه في الكائنات، وينتفعون بما سخره لهم من أنواع المخلوقات، ومن لوازمه الضارة التخاصم والتقاتل"(٢) يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم:٢٢].

وقد ظهر الآخر فيما بعد عبر العصور والحضارات المتعاقبة؛ كالبابلية، والفرعونية والإغريقية، والرومانية بصور وأشكال مختلفة، كان الغالب فيها التقسيم الطبقي على أساس أسياد وعبيد، وأغنياء وفقراء، فصار الآخر لكليهما هو نقيضه، وقد ظهر ذلك في كتابات مفكريهم، فعلى سبيل المثال تعرض أرسطو للفظة الآخر في كتاباته، فقصد بها الغريب والمستبعد، وهو في نظره كل من لم يتمكن من استخدام اللغة المشتركة (اليونانية) وفهمها(٣).

وفي ظل تلك الحقب والحضارات المتتالية كان الآخر حاضراً في صلب دعوة الرسل والأنبياء جميعاً؛ فجوهر دعوتهم تقنين العلاقة مع الآخر، وضبطها وفق المنهج الرباني الذي ارتضاه الله تعالى؛ ليحقق الخير للبشرية جمعاء، ومقابل هذه الدعوة ظهر الرافضون والمحرفون، فدعوة موسى وعيسى عليهما السلام جاءت لتحقيق العدل والمساواة من خلال الدين والعقيدة الصحيحة؛ فلا معبود إلا الله، وهو إله العالمين جميعاً، وليس إله فئة أو شعب فقط، والناس أمامه متساوون فلا فرق بين ذكر و أنثى، أو أبيض وأسود، وقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في مواضع عديدة، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥] ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [النساء: ١] وتقر بعض أسفار التوراة بعدد من الوصايا التي وضعها موسى لضبط العلاقة مع الآخر وفق منظومة متكاملة تضمن السلام والأمن للجميع، ففي سفر الخروج يقول موسى

(١) رضا، محمد رشيد علي، **تفسير المنار**، ج٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص٢٨٢
(٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨١
(٣) انظر: طرابيشي، **صورة الآخر**، ص٨١٣

مخاطباً بني إسرائيل " **أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَقْتُلْ، لاَ تَزْنِ، لاَ تَسْرِقْ، لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ، لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ، لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ**"[١] وفي المسيحية يكمل عيسى عليه السلام دعوة موسى عليه السلام قائلاً: "**لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ**"[٢] ثم يشدد الأحكام في التعامل مع الآخر بسبب غلظة بني إسرائيل فيقول: "**قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ** "[٣]. ولكن هذه النظرة ما لبثت أن تغيرت وتبدلت بعد أن طالت يد التحريف كلتا الديانتين، التي لم تقتصر على فترة واحدة بل مرت بمراحل وفترات.

مما سبق يلاحظ أن الآخر ككيان مستقل خارج دائرة الأنا كان موجوداً وحاضراً منذ فجر البشرية مروراً بالحقب والعصور المختلفة والحضارات المتعاقبة، مع حضور بارز لدور الدين والعقيدة الصحيحة في تقنين العلاقة مع الآخر وضبطها، مع التأكيد على عدم ظهور الآخر قديماً كمصطلح ذي دلالات محددة، وهذا يقود إلى الحديث عن تاريخ الآخر وظهوره كمصطلح بارز في النهضة الأوروبية الحديثة وما يحمل في طياته من أفكار وأهداف ستكون محور هذه الدراسة.

المطلب الأول: الآخر في العصر الحديثة

تعددت الآراء حول النشأة التاريخية لظهور الآخر كمصطلح ذي دلالات وأهداف ومضامين في العصور الحديثة ويمكن تقسيمها كالآتي:

أولاً: الآخر والفلسفة الحديثة

ذكرت سابقاً في معرض الحديث عن اصطلاح الآخر في الدراسات الفلسفية أن معظمها قد خلصت إلى وجود تلازم واضح ومتين بين الأنا والآخر، فلا يمكن فهم الآخر وتاريخه إلا بعد العبور على جسر الذات، أو ما سمي عند فلاسفة العصر الحديث بـــ (**فلسفة الذات**) وتعد مقولة ديكارت "أنا أفكر إذن أنا موجود" بداية نظرة جديدة في الفلسفة الحديثة، ومنذ ذلك الوقت

---

(١) سفر الخروج ٢٠: ١٣-١٧

(٢) متى ٥: ١٧

(٣) متى ٥: ٢١-٢٤

والفلاسفة يحاولون فتح ثغرة في جدار الذات؛ علّهم يقفون على صيغة تبلور النظرة إلى الآخر فقد "كان ديكارت بفلسفته بشكل عام، وما تضمنته من تأملات فلسفية في الميتافيزيقا[(١)] إنما يعبر تعبيراً حقيقياً عن الحالة الفكرية التي سادت أوروبا بشكل عام في الفترة السابقة على ظهوره"[(٢)].

وقد أثبت ديكارت من خلال مقولته الشهيرة القائمة على الشك الذي يعد دعامة منهجه الفلسفي وجود نفسه كموجود مفكر، ووجود نفسه كجسم حي مادي[(٣)]. فحين قال ديكارت: "أنا أشك فأنا موجود إنما كان يعبر بطريقة التأمل المنهجي المتسلسل عن أحد المبادئ المعروفة في الميتافيزيقيا، وهو بتعبير أرسطو أن فساد الجسم لا يؤدي إلى فساد النفس ومن ثم فإنكار الجسم لا يتضمن إنكار النفس وهذا هو البرهان التقليدي على أولوية الذات، وأسبقيتها على الموضوع (الآخر)"[(٤)].

أما مضامين هذه المقولة وعلاقتها المباشرة مع الأنا والآخر فتشير إلى "أن وجود الأنا سابق ومستقل عن وجود العالم، وعن أي وجود آخر ومن هنا كان كل وجود غير وجود الأنا هو (آخر) بالنسبة لها"[(٥)].

ومما لا شك فيه أن الفكر اليوناني قد لعب دوراً كبيراً في صقل الفكر الفلسفي الأوروبي إبان النهضة الأوروبية، حيث ساد العقل الأوروبي آنذاك، وما زال قاعدة الإثبات من خلال النفي، وبالتالي فهو لا يتعرف إلى الأنا، ولا يستطيع بناءها إلا عبر الآخر، وهذا جوهر الفكر اليوناني فقد " أنبنت رؤيته للعالم على ثنائية الإنسان والطبيعة؛ باعتبار أن الإنسان مركز الكون، ومقياس الأشياء، وأن حقيقته أنه عقل أو صورة في مقابل الطبيعة أوالمادة"[(٦)].

أما الأمثلة على ذلك فهي كثيرة في الفلسفة اليونانية **فبارمينيدس**[(٧)] مثلاً لم يستطع الكلام على الوجود إلا من خلال طرح "اللاوجود"، ولا الحديث عن "المتناهي" إلا من خلال "اللامتناهي"[(١)].

---

(١) الميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة): أحد أقسام الفلسفة وقد اختلف مدلوله باختلاف العصور تبعاً لقصره على مشكلة الوجود أو المعرفة. حيث كان عند ديكارت، معرفة الله والنفس. انظر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، **المعجم الفلسفي**، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٩٧

(٢) رافع، ساهر، **التأملات لديكارت**، ط١، الدار العالمية للكتب والنشر، مصر، ٢٠١١م، ص٥٥

(٣) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٠٣

(٤) المهدوي، إسماعيل، **سارتر مفكراً وإنساناً**، بدون ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٦٦

(٥) الجابري، محمد عابد، **مقالة بعنوان "مفهوم الأنا والآخر"** www. Aljabriabed.net

(٦) المصدر نفسه

(٧) بارمنيدس: فيلسوف يوناني، عاش في أرجح الظن في نهاية القرن السادس ق.م. طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة**، ط٣، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٣٨

ومن هنا اقتحم النفي التقليدي الفلسفي الأوروبي عموماً، فالإثبات لا يقوم إلا عبر النفي، والأنا لا تتحدد إلا عبر الآخر.

وفي فلسفة سارتر تسير وجوديته مع الآخر في الاتجاه نفسه، فقد تناولت آراؤه الآخر في عدد من كتبه مثل: الوجود والعدم، وغيرها وفيها يؤكد أن الجحيم هو (الآخر) الغير؛ لأنه يسرق منه وجوده وحريته، وتحلل نصوص سارتر العلاقة بالآخر على أنها إفناء للذات[٢] حيث يقول: "فبين ذاتي والغير (الآخر) وبواسطة النظرة والخجل تقوم علاقة مزدوجة على أساس النفي والإبعاد؛ فالكائن الذي يرى من طرف الغير هو حقيقة رؤية الغير، وفي أصل قضية وجود الغير ثمة فرضية أساسية مسبقة تتمثل في كون الغير هو الآخر أي الذات التي ليست أنا"[٣].

أما وجود الذات عند سارتر[٤] فلا يمكن أن تتم إلا من خلال الآخر، وفي ذلك يقول: "الآخر ضروري لوجودي، كما أنه ضروري للمعرفة التي لديّ عن نفسي. وعلى هذا فإن اكتشافي لذاتي يكشف لي في الوقت نفسه عن (الآخر) الغير بوصفه حرية موضوعة في مواجهتي، ولا يفكر ولا يريد إلا من أجلي أو ضدي، وهكذا نكشف في التو عالماً نسميه ما بين الذوات، وفي هذا العالم يقرر الإنسان ماذا يكون هو وماذا يكون الآخرون"[٥].

من هنا يتضح أن مفهوم الآخر والنظرة إليه عند سارتر مؤسسة على فكرة السلب والنفي؛ فالسلب محيط بالإنسان وكامن في وجوده وفي جميع مواقفه، وبعبارة أخرى فإن ظهور الآخر في الفلسفة الأوروبية الحديثة لم يكن مؤسساً على فكرة الاختلاف بإطلاقها إنما تؤسسه النظرة الثنائية الضدية؛ فالأنا لا يفهم إلا بوصفه سلباً أو نفياً للآخر مع التأكيد على أن الآخر كان حاضراً وموجوداً في الفكر الأوروبي عموماً؛ ولكن وجوده كان مرهوناً بمصالح أوروبا وشئونها وبقائها؛ ففلاسفتهم ومفكروهم كانوا مؤمنين بوجود الآخر سواء كان عدواً أو صديقاً؛ ولكنه أوجد ووجد لخدمتهم وتحقيق مصالحهم وأهدافهم، وتأسيساً على ما سبق فإن ظهور الآخر في النهضة الأوروبية قام على هذا الأساس.

---

(١) بتصرف، الجابري، محمد عابد، **مسألة الهوية**، ط٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٨٤

(٢) بتصرف، عبد الحليم، أحمد، **سارتر والفكر العربي المعاصر**، ط١، دار الفارابي ، بيروت، ٢٠١١م، ص٢٨-٢٩

(٣) المصدر نفسه، ٢٩

(٤) سارتر، جان بول (١٩٠٥-١٩٨٠) كاتب وفيلسوف فرنسي، ولد في باريس، كانت أمه كاثوليكية و جده لأمه بروتستانتي، وله مؤلفات منها الوجود والعدم وغير ذلك. انظر: طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، ص٣٤٨

(٥) بدوي، عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، ط١، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ص٥٦٧

ثانياً: الآخر والنهضة الأوروبية

مما لا شك فيه أن ظهور مصطلح الآخر في الفكر الأوربي قد سبق عصر النهضة بكثير، حيث كان حضوره بارزاً في **العصور الوسطى**(١)، وقد ظهر الآخر في تلك العصور بصورة سوداوية قاتمة ومظلمة نتيجة أسباب عدة أهمها: العدوانية، وإبطان الشر لكل مخالف أو مهرطق للفكر الديني الكنسي، سواء من داخل المسيحية أو خارجها، فقد: "كانت الكنيسة ترى أن الكتاب المقدس يضم الحقائق كلها، وأنها تحتكر تأويل آياته وبالتالي فهي مصدر الحقائق كلها، وكل من ادعى بأن للحقائق مصدراً آخر اعتبرته الكنيسة مارقاً، وقد تسلمه إلى ديوان التحقيق (...) ليقوم بمحاكمة المارقين والهراطقة وإحراقهم أحياءً"(٢).

بالإضافة إلى ذلك فقد راجت في العصور الوسطى نظرية انقسام العالم إلى منطقتين: تنتمي إحداها إلى الحضارة والتقدم، أما الثانية فتمثل البربرية والتخلف، وتعد هذه النظرية القائمة على الضدية والثنائية الأساس والقاعدة الثانية التي انطلقت منها معظم الأفكار والكتابات السلبية حول الآخر في العصور الوسطى الذي قصد به في تلك الفترة المغاير في الدين؛ فالكاتب يتخيل العالم مقسماً إلى شطرين متقابلين أحدهما يمثل الخير، والآخر الشر(٣).

ومما يجدر ذكره أن هذا التوزيع الحضاري، والثنائية الضدية في فكر العصور الوسطى يجد أساسه الفعلي في الذهن الأوروبي في الانتماء الديني بالحضارة الأوروبية الحديثة وهي وليدة المسيحية؛ أما البربرية المستشرية في الشرق فسببها الإسلام(٤)، وتظهر هذه الحقيقة واضحة جلية خلال الكتابات الفكرية والأدبية في ذلك الوقت فــ(أنشودة رولان) مثلاً تعد من أقدم أغنيات المآثر الفرنسية حيث تعود إلى نهاية القرن الحادي عشر، وتعد أول عمل أدبي متكامل في أوروبا في القرون الوسطى، وهي مهمة لا من حيث دقة الأحداث وسرد الوقائع، إنما من حيث ظهور (الآخر) فيها محاطاً بنظرة سلبية عدائية نابعة من فكر أيديولوجي متعصب؛ فأول أبياتها تقول: "إن الكفار على خطأ، والمسيحيين على صواب"(٥). ولا شك أن هذه النظرة كانت وليدة

---

(١) وهي العصور التي امتدت حتى عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وقد استغرقت نحو عشرة قرون من الزمان سمي نصفها الأول بعصر الآباء، وكان عصر ظلام وجهالة ... وسميت القرون التالية بالعصر المدرسي(١)، انظر: الطويل، توفيق، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية**، بدون ط، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص٢٩

(٢) انظر: قطب، محمد، **المستشرقون والإسلام، ط١**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٥-٢٧

(٣) انظر: جبور، جان، **النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي**، ط١، دار النهار، بيروت٢٠٠١م، ص٢٦ ، قطب، **المستشرقون والإسلام**، ص٢٢٢

(٤) بتصرف، قطب، **المستشرقون والإسلام**، ص٢٢٢

(٥) جبور، **النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي**، ص٢٦

الحروب الصليبية، ودور الكنيسة الريادي في ذلك، فقد أظهرت الآخر الديني كعدو تجب محاربته والقضاء عليه.

ويذكر أن عصر النهضة الأوروبية قد مر بعدة مراحل استمرت منذ القرن الرابع عشر حيث تم القضاء على الروح الدينية التي سادت العصور الوسطى، ثم القرن الثامن عشر حيث قامت الثورة الصناعية[١]، وظهور أعلام عصر التنوير[٢]، والثورة الفرنسية[٣] حتى القرن التاسع عشر الذي توّج بانقلابات صناعية وسياسية واجتماعية ضخمة[٤]، وقد امتازت هذه العصور بالريادة والكشف. ويعزو بعض الباحثين أسباب تلك النهضة إلى الآخر غير الأوروبي حيث تؤكد الدراسات اعتماد أوروبا على أعمال الريادة العربية والإسلامية كالخرائط والرياضيات والملاحة[٥]، وتتجه بعض الدراسات إلى أن اختراع الآخر وظهوره قد ارتبط بسياق ما يسمى الاكتشافات الأوروبية وبما وفرته من شروط الخطاب حول الاختلاف الثقافي[٦].

وبناءً على ما سبق يمكن القول إن الآخر كان اختراعاً أوروبياً ؛ فقد أوجدته أوروبا مرتين بما يتناسب وأحوالها وظروفها التي مرت بها؛ فالظهور الأول للآخر كان رغبة جامحة لدى الكنيسة في وقف الزحف الإسلامي خوفاً على وجودها وضياع هيبتها وأمجادها فكانت الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين، انطلاقاً من فكر عقدي إقصائي يسيطر عليه الغفران والخطيئة.

---

(١) الثورة الصناعية: هي تغيير جذري وانقلاب في طريقة الإنتاج في أوروبا تمخض عن الاكتشافات العلمية لا سيما المحرك البخاري والتطور التقني في القرن الثامن عشر. حيث أدت إلى نقل مركز النظام السياسي من الإقطاعي مالك الأرضي إلى مالك المصنع: أي طبقة البورجوازية الحاكمة، وأوجد طبقة جديدة هي الطبقة العاملة أو البروليتاريا وما يتمخض عنها من مؤسسات وعقائد واتجاهات فلسفية وفكرية (ليبرالية- اشتراكية- شيوعية- فاشية – نازية) ثم نشوء الدولة القومية والنقابات والأحزاب المتصارعة. انظر: الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج١، ص٩٠٣

(٢) التنوير: اتجاه فلسفي اجتماعي، حاول ممثلوه أن يصححوا نقائض المجتمع القائم، وأن يغيروا أخلاقياته وأساليبه وأسلوبه في الحياة، ويكمن أساس التنوير في الزعم المثالي بأن الوعي يلعب الدور الحاسم في تطور المجتمع، وكان مفكرو التنوير يوجهون مواعظهم إلى الممسكين في السلطة، وكان التنوير ينتشر في فترة الإعداد للثورات البورجوازية، وكان من مفكري التنوير (فولتر، وروسو، مونتسكيو، هيردر، ليسنج، شيلر، غوته). انظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص١٤٥

(٣) الثورة الفرنسية حدث تاريخي بدأ على شكل انقلاب سياسي في فرنسا عام ١٧٨٩م وأثر في العالم كله. ويختلف المؤرخون كثيراً في أسبابها، فيرى بعضهم أنها حركة عقلية نشأت من حركة الاستنارة الحرة في القرن الثامن عشر، ويرى آخرون أنها ثورة الطبقات المحرومة من الامتيازات ضد الطغيان الإقطاعي، ويرى غيرهم أنها توطيد لسلطة البورجوازية الرأسمالية الحديثة ضد نظام اقتصادي واجتماعي مقيد وعتيق، ورأي آخر في هذا العصر أن السبب المباشر للثورة كان الإفلاس الذي كانت عليه خزانة الدولة. انظر: الكيالي، **الموسوعة السياسية**، ج١، ص٩١٣

(٤) انظر: الطويل، **الحضارة الإسلامية**، ص٣٢-٣٣

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٣٧-٣٨

(٦) انظر: الطاهر، لبيب، **صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه**، ط١، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢١

أما بعد عصر النهضة والقضاء على الدين وتنحيته (العلمانية) وإحلال النظرة المادية البحتة فقد بدأت أوروبا في البحث عن كل ما عساه يغنيها أو يمدها بالثروة والمال، وأصبح الكسب شعارهم وغايتهم، فاختلق الآخر ليظهر بثوب جديد حيث يحيطه الجهل والتخلف من كل اتجاه، وأصبح وجوده ذريعة للاستيلاء على أرضه وممتلكاته، وسرقة تاريخه، بحجة إنقاذه من الانحطاط والجهل؛ فكان الاستعمار الوسيلة المناسبة لذلك، حيث لبس الاعتداء على الآخر ثوباً حضارياً من خلال تصويره على أنه هدف سام ونبيل. يقول ولفنجستون وهو من كبار المبعوثين إلى الشعوب المستعمرة سنة ١٨٥٠م "نأتي إليها لكوننا أعضاء في عرق متفوق وخدماً لحكومة ترغب في تنشئة الأطراف الأكثر انحطاطاً في العائلة الإنسانية، ونحن أصحاب دين مقدس ومسالم ونستطيع بفضل سلوكنا المحدد ومساعينا الحكيمة الصبورة أن نصبح رواد السلام لجنس لا يزال هائجاً ومسحوقاً[١].

ومما ساعد على ظهور هذا النوع من التفكير ما ظهر من تمجيد للعقل والتقدم أثناء عصر التنوير حيث ترسخت مقولة: "التمحور على الذات" التي أعطت زخماً لنزعة الهيمنة الأوروبية على سائر البلدان، وبخاصة الشرق بهدف تمدينها وإدخالها إلى الحضارة [٢]، من هنا برزت المقولة الأشهر لعصر التنوير"احتلال الشرق للأخذ بيده على طريق التقدم"[٣]، ولذلك ظهرت الدراسات الاستشراقية كوسيلة ناجعة لفهم الآخر، ودراسة تاريخه وحياته وفكره، حتى إن بعض الآراء قد ربطت بين ظهور مصطلح الآخر والاستشراق، وأهمها تلك التي قام بها إدوارد سعيد في كتابه (الاستشراق) فجوهر موضوعه تاريخ ظهور الآخر في مرادفة (الشرق)؛ حيث يكشف العقل الأوروبي وإشكالاته الفكرية، والخلخلة الجوهرية في ثقافته، والمفارقات الضدية القائمة فيه بين المبادئ التي يؤمن بها لتطوره الحضاري والعلمي، والطريقة التي يعاين بها الآخر (الشرق) التي تتم في إطار من الفوقية والقوة والسلطة[٤].

---

(١) الرفاعي، عبد الجبار، **نحن و الغرب**، ط١، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٢٧
(٢) انظر: جبور، **النظرة إلى الآخر**، ص٣٤٨-٣٤٩
(٣) المصدر نفسه، ص٣٤٤
(٤) انظر: سعيد، إدوارد، **الاستشراق**، (ترجمة كمال أبو ديب)، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٦

الفصل الثاني

التعريف باليهودية وأهم عقائدها ومصادرها

المبحث الأول:التعريف باليهودية

اليهودية اسم يطلق على مجموعة العقائد والشرائع والطقوس، وقواعد السلوك التي يؤمن بها اليهود، وتستقى من مصادر عدة أهمها التوراة والتلمود[١]، وقد تراكمت هذه الديانة وتبلورت على مدى آلاف السنين، إلى الحد الذي يمكن الحكم معه على أنها ديانة تاريخية، تتحكم فيها مسيرة التاريخ اليهودي قديماً وحديثاً، حيث لعب العامل التاريخي دوراً أساسياً في بنائها؛ مما جعلها عرضة للتحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، وأصلها ديانة توحيدية بعث بها موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، وكتابها التوراة.

أما سبب تسميتها بذلك فيعود إلى كلمة (يهود)[٢]، وقد تعددت الآراء حول إطلاق هذه اللفظة على النحو الآتي:

١. نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، وهو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام[٣]، ويذكر أن سبب نسبة اليهود ليهوذا؛ وصية يعقوب قبل موته لأبنائه بأن يخلفه يهوذا في السيادة والقيادة لإخوته؛ ولكن موقف الإخوة لم يكن واحداً، فبعد موت يعقوب دان بعض منهم بالولاء ليهوذا فسموا باليهود، وبذلك كانت هذه اللفظة تعني أولئك الذين رضوا بأن يكونوا تحت لواء يهوذا، وعندما نطق العرب الكلمة أبدلوا الذال بالدال؛ وأما من لم يعلن الولاء ليهوذا فقد حافظ على تداول لفظة إسرائيل بدلاً من يهود[٤].

٢. نسبة إلى (الهود) وهو التوبة والرجوع[٥] ، وهذا ما جعل الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) يعرف اليهودية بأنها دين ينسب إليه بعض بني إسرائيل في عصر موسى

---

(١) سيتم التعريف بهذه المصادر في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله.

(٢) اشتهر اليهود بأسماء مختلفة منها: بنو إسرائيل وذلك نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام ، وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من إسرا بمعنى عبد أو صفوة وإيل وهو الله. كما سموا أيضاً بالعبرانيين نسبة إلى إبراهيم عليه السلام نفسه فقد ذكر في سفر التكوين باسم (إبراهيم العبراني)؛ لأنه عبر الفرات وأنهاراً أخرى أو نسبة إلى عبر هو الجد الخامس لإبراهيم عليه السلام، طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م ، ص ١٧- ١٨

(٣) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٩

(٤) انظر: طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام**، ط٣، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص٣٣-٣٥

(٥) بتصرف، طنطاوي، سيد، **بنو إسرائيل في الكتاب والسنة**، ص١٩

الكلية، وأن هذا الاسم (اليهود) لزمهم لدعاء موسى الكلية ﴿إنا هدنا إليك ...﴾ [الأعراف:١٥٦] أي رجعنا وتضرعنا، وهم أمة موسى وكتابهم التوراة[(١)].

٣. وقيل إنها لفظة ذات دلالة سياسية، وتعود إلى مملكة يهوذا التي حكمت فلسطين حتى عام(٥٨٦ ق.م)، وقد رجح بعض الباحثين هذه النسبة؛ لأن هذا الاسم وهو اليهود لم يذكره اليهود في كتابهم (العهد القديم) إلا في سفر عزرا، الذي يتحدث عن فترة السبي البابلي، وقد كانت الأسفار تطلق قبله لفظة الشعب أو إسرائيل؛ ولكن بعد السبي صاروا يلقبون باليهود، ويظهر أن تلقيبهم بهذا الاسم كان من قبل ملوك الفرس الذين صار اليهود تحت حكمهم تلك الفترة[(٢)(٣)].

وترتكز الديانة اليهودية في جوهرها على جملة من العقائد والتشريعات العنصرية الصارمة التي صيغت وفق العوامل والظروف التاريخية لأتباعها واختلاطهم بشعوب مختلفة[(٤)]، ووقوعهم تحت حكم دول وامبراطوريات متعددة أثرت في عقائد هذه الديانة وتشريعاتها؛ كالمصرية، والآشورية، والبابلية، والفرس، واليونان، والرومان، وربما تعد المرحلة البابلية أشدها خطراً وفتكاً، حيث اتصفت اليهودية بطابع القومية، ففيها تم صياغة العقائد اليهودية المبنية على العنصرية والغطرسة، كما وضعت الأحكام والتشريعات التي حددت أسس التعامل مع الآخر والنظرة إليه، وقد تم ذلك على يدي عزرا ومجموعة من الأحبار والكهنة بعد عودتهم من السبي البابلي، وبأمر من الملك الفارسي أرتحشيش الأول [(٥)].

وتعد هذه التشريعات عصب العنصرية اليهودية، والمحرك الأساسي للشخصية اليهودية في نظرتها لنفسها وللآخر؛ فمجمل العقائد والتشريعات اليهودية ما وضعت إلا لأجل اليهود

---

(١) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص٢١١

(٢) بتصرف، الخلف، سعود بن عبد العزيز، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط٤، أضواء السلف، الرياض، ٢٠٠٤، ص٤٥ ، انظر: السحمراني، اسعد، **الإسلام بين المذاهب والإديان**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٠٣

(٣) أرجح وأميل إلى الرأي الثالث؛ وذلك لقوة الدليل والحجة وخصوصاً إذا كنا نعتمد في دراستنا على النصوص المقدسة من التوراة والتلمود.

(٤) تؤكد المراحل التاريخية لليهود على عدم ثبات عقيدة التوحيد واستقرارها في نفوسهم، فبعد خروجهم من مصر ونجاتهم من قبضة فرعون في معجزة فلق البحر طلبوا من موسى الكلية أن يصنع لهم أصناماً، وبعد ذهاب موسى للقاء الله في طور سيناء عبد بنو إسرائيل عجل الذهب الذي صنعه لهم السامري، وعندما طلب منهم موسى الكلية بأمر من الله تعالى أن يدخلوا الأرض المقدسة رفضوا أوامر الله تعالى على الرغم من بشرى الله لهم بالنصر، وبعد انتهاء التيه ودخولهم مع يوشع إلى الأرض المقدسة واستقرارهم في فلسطين تأثروا بعبادة الكنعانيين فعبدوا البعل والعشتاروت وعند انقسام مملكتهم إلى جنوبية وشمالية صنعوا العجل وعبدوه وقدموا له القرابين، وهذا إن دل فإنما يدل على عدم استقرار عقيدة التوحيد عند القوم.

(٥) سيتم الحديث عن المراحل التاريخية التي عصفت باليهودية في الباب الأخير من هذه الدراسة إن شاء الله باعتبارها نماذج تاريخية و تطبيقية لنظرة اليهود إلى الآخر.

ولصالحهم، أو بما يحقق لهم الرفعة والسيادة؛ لزعمهم بأنهم شعب الله المختار وصفوته وابناؤه وأحباؤه، فاستحقوا بذلك تشريعات خاصة تنظم شؤونهم وعلاقتهم مع الآخر.

وقد أدى ذلك إلى اتصاف اليهودية بالطابع القومي؛ أي أن معتقداتها ومفاهيمها قد فسرت تفسيراً قومياً. أما نتيجة هذا الالتحام العضوي في اليهودية بين ما هو دين وما هو قومية فيخبرنا به د. حسن ظاظا قائلاً: "وقد كان نتيجة ذلك (الالتحام بين الدين والقومية) إبقاء تلك الطائفة من الناس معزولة عن الإنسانية المحيطة بها، وراء أسوار ومتاريس من العادات والتقاليد، والأشكال الخاصة لفهم الحياة والتعامل مع البشر (الآخرين)"(١).

وخلال تلك الحقب التاريخية التي عصفت بالديانة اليهودية، وأدت إلى تطور عقائدها وشرائعها أصيب اليهود خلالها بداء الخلاف، ولعل ذلك يعود إلى الاختلاف في المصادر والينابيع الأولى لتراثهم الفكري، مما أدى إلى ظهور فرق متعددة قديمة وحديثة(٢).

ومما يجدر ذكره في سياق التعريف باليهودية أنها حوت طقوساً وشعائر؛ كالصلاة والصيام والحج، كما تضمنت شرائع خاصة تنظم أمورهم في الزواج، والطلاق، والميراث ، والطعام والشراب، واللباس، وغيرها.

مما سبق يمكن القول إن اليهودية ديانة تألفت من جملة عقائد وشرائع صاغها تاريخ اليهود وأحوالهم، حتى وصل الأمر إلى التحامها بالقومية اليهودية التي غدت توجه وتوضح عقائد هذه الديانة، وطريقة حياتها وتعاملها مع الآخر.

---

(١) ظاظا، حسن، **الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه)**، ط٢، دار القلم، دمشق ودار العلوم، بيروت، ١٩٨٧م، ص٦

(٢) لليهود فرق متعددة؛ أما القديمة فهي: الفريسيون، الصدوقيون، السامريون، الأسينيون،القراءون؛ وأما الحديثة فهي: الإصلاحيون، المحافظون، الأرثوذكس، للمزيد، إرجع الى: عبد الحميد، عرفان، **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية**، ط١، دارعمار، عمان، ١٩٩٧م ، ص٩١-١١٩ ، الفاروقي، إسماعيل راجي، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م ، ظاظا، حسن، **الفكر الديني اليهودي**، ص٢٠١ وما بعد

المبحث الثاني

أهم العقائد اليهودية

المطلب الأول: عقيدة اليهود في الله

تتفق دعوة موسى عليه السلام وجميع أنبياء بني إسرائيل مع العقيدة الإسلامية؛ حيث تؤمن بوجود إله واحد، فرد صمد، منزه عن النقائص والعيوب، متصف بكل صفات الكمال المطلق، وأنه سبحانه وتعالى إله العالمين جميعاً، وليس إله فئة أو شعب بعينه، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥] كما أكدت بعض نصوص التوراة على ذلك، وحثت على توحيد الله، والابتعاد عن الشرك به، يقول سفر الخروج: "**لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء تحت الأرض، لا تسجد لهن، ولا تعبدهن؛ لأني أنا الرب إلهك إله غيور**"(١).

ولكن تاريخ اليهود ومراحل حياتهم تظهر أنهم لم يستطيعوا أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا إليه الأنبياء، فاتجاههم إلى التعدد، والتجسيم، والنفعية كان واضحاً؛ بل إن كثرة الأنبياء فيهم لتدل على تجدد الشرك فيهم"(٢)، وقد بقيت مسألة التوحيد والإيمان بإله واحد في حالة تطور دائم عند اليهود، تبعاً لتأثرهم بالأمم التي يختلطون بها، فتارة يعبدون الأوثان والكواكب وظواهر الطبيعة، وأخرى يعبدون الطواطم والأشجار والحيوان، واستمرت عندهم عبادة الأوثان بعد ظهور الأنبياء فعبدوا عجل الذهب في سيناء بعد خروجهم من مصر(٣).

ويعتقد اليهود بأن هناك إلهاً خاصاً بهم، وأن للشعوب الأخرى آلهتهم ويرى د. عبد الواحد وافي أن اليهود قد بقي لديهم الاعتقاد بأن لهم إلهاً خاصاً هو إله إسرائيل، وأنهم أولاد الله وأحباؤه وأن لغيرهم من الأمم آلهة أخرى، ويؤكد أيضاً أن عقيدة التوحيد عندهم انتكست مرة أخرى انتكاساً كبيراً في العصر الذي ألف فيه التلمود، الذي يظهر الله متصفاً بصفات الحوادث والنقص(٤).

---

(١) الخروج ٢٠: ٣-٥

(٢) بتصرف بسيط، شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان (اليهودية)**، ط١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٨٦

(٣) انظر: العقاد، عباس محمود، **الله**، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١١١-١١٢ ، الخروج٣٢ : ١-٦

(٤) بتصرف، وافي ، علي عبد الواحد، **الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ط١، دار النهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، ١٩٦٤م، ص٢٧-٢٨

ولم يكتف اليهود بذلك بل تطاولوا على الذات الإلهية ووصفوا الله بصفات لا تليق بجلاله، وكان ذلك من ابرز الأدلة التي استند إليها ابن حزم لكشف تحريف اليهود للتوراة، حيث صوروا الله بصورة البشر فهو– تعالى عن ذلك – سريع الغضب ، كثير النسيان يبكي، ويحزن ويخادع، ويخاتل، ويحب الدماء والشر، كما نسبوا إليه البنوة والمصاهرة كقولهم في سفر التكوين: " **وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا**"(١).

كما نسبوا الكذب إلى الله تعالى عندما أخبر بخلاف الواقع يقول سفر التكوين: "**كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه**"(٢) وهذا بطبيعة الحال لم يحدث وحاشا لله أن يخلف وعده(٣).

وهذا يعني أن اليهود قد ظلوا طوال مراحل حياتهم المختلفة بمنأى عن عقيدة التوحيد كما يدل على اضطراب فهمهم، وضعف عقولهم عن إدراك حقيقة التوحيد وبلوغ مراميه، فوقعوا في التعدد والتجسيم، ووصفوا الله بصفات البشر، بعد أن جعلوا من أنفسهم أبناء له وأحباء؛ فزعموا أنهم شعبه المختار؛ لذلك وجب أن يغضب لغضبهم – تعالى عن ذلك – ويرضى لرضاهم، ويأمر بقتل مخالفيهم، ومن هنا تشكلت النظرة اليهودية للآخر؛ حيث بنيت على أساس عقدي بحت؛ فالآخر هو غير اليهودي الخارج من دائرة الشعب المختار؛ لذلك وجب قتله، ونهبه، وسرقته، واستلاب ممتلكاته بأمر من إلههم الذي يحابي عن أبنائه وأحبائه، ويقف بصرامة في وجه من يخالفهم، ويعطل مصالحهم، ويحرمهم من أهوائهم وملذاتهم – كما يزعمون.

المطلب الثاني: عقيدة النبوة عند اليهود

أولاً: مفهوم النبوة عند اليهود وتطورها

ظهرت كلمة نبي عند اليهود بمعنى "من يتحدث باسم الله، أو من يتحدث الله من خلاله"(٤) وثمة تطور أكسب اللفظة دلالة أوسع حيث أطلقت بعد عصر صموئيل على ذلك الشخص القادر على التنبؤ والرؤيا الذي سُمِّيَ بـ (الرائي)(٥)، واتسع مفهوم النبي ووظيفته حتى أضحت شبيهة

---

(١) سفر التكوين ٦: ١-٣

(٢) سفر التكوين ٤: ١٥

(٣) انظر: ابن حزم، أبو محمد علي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج١، ط١، **مكتبة الخانجي، القاهرة** ، ص ٩٧-٩٨ ، البار، محمد علي، **الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)**، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٣

(٤) المسيري، عبد الوهاب، **الإيدولوجية الصهيونية**، ج١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢م، ص٢٣٤

(٥) بتصرف بسيط، مبروك، علي ، **النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التايخ**، ط١، دار التنوير، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤٢

بوظيفة المنجمين؛ ولذلك كان لكل ملك من ملوك يهوذا وإسرائيل مجموعة كبيرة من الأنبياء ينبئون الملك بما يجب أن يفعله أو لا يفعله(١).

وقد يكون السبب في اتساع دلالة لفظة النبوة ظهور الأنبياء الكذبة مما أدى إلى الخلط والتشويش في النظرة إلى وظيفة الأنبياء، ويستثنى من ذلك على وجه التأكيد الأنبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم وأعلن نبوتهم.

أما مفهوم النبوة المعاصر عند اليهود فيشمل كل يهودي مخلص لقوميته اليهودية، أو أظهر شجاعة فريدة في مواجهة الآخر(٢)؛ فمفهوم النبوة على هذا الوجه له عواقب وخيمة على غير اليهود، أي الآخر؛ بل يعد دافعاً قوياً لليهود يحثهم على مزيد من القتل، والسلب والنهب، واحتقار الآخر، وامتهانه، سعياً وراء النبوة والظفر بها، فكان من يخدم قوميته اليهودية حتى ولو كان بالقتل، وسفك الدماء والنهب للآخر هو نبي شجاع.

ثانياً: صفات الأنبياء عند اليهود

أما صفات الأنبياء عند اليهود فلا ينبغي للقارئ أن يفاجأ عندما يقرأ صفحات كتبهم المقدسة كالتوراة مثلاً، فإذا كانوا قد ألصقوا بالله تعالى جميع صفات النقص، وجعلوا غاية وجوده خدمة لهم، ولمصالحهم، ومطامعهم، فكيف سيكون حال الأنبياء عندهم حيث وجد اليهود في ذلك ضالتهم عندما نسبوا إليهم جميع النقائص والعيوب التي يتنزه عنها عامة الناس، كما ألصقوا بهم جميع المعاصي: الصغائر منها والكبائر، و يتفقون على جواز وقوع المعصية في حق النبي؛ لأنه غير معصوم عن الخطأ والخطيئة؛ ولذلك نسبوا إليهم القتل، والكفر، والزنا؛ تبريراً لجرائمهم وانتهاكاتهم في حق أنفسهم، وحق الآخر، وهذا ما يفسر حال اليهود في نظرتهم، وتعاملهم مع الآخر فإذا كان الأنبياء قد قتلوا، وسرقوا، وزنوا، ونهبوا الآخر، إذاً فلا تثريب عليهم، ولا لوم، وسننتطرق إلى ذلك لاحقاً بمزيد من الشرح والاستدلال والتفصيل.

المطلب الثالث: عقيدة المسيح المنتظر عند اليهود

برزت فكرة المسيح المنتظر في عقائد اليهود بعد السبي البابلي، وزوال مملكتهم في فلسطين أي قبل الميلاد بنيف وخمسة قرون(٣)، وذلك بعد تعرضهم للمحن والابتلاءات والنكبات؛ فتطلعوا إلى مسيح مخلص يجمع شملهم، ويوحد صفوفهم، وينصرهم على أعدائهم ومخالفيهم .

---

(١) بتصرف، البار، محمد علي، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٢٢-٢٢٣

(٢) انظر: المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية**، ج١، ص٢٣٥-٢٣٦ ، الخطيب، محمد، **مقارنة الأديان**، ط٢، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩م، ص١٦٣-١٦٤

(٣) بتصرف، **العقاد**، الله ، ص١١٤

وتعني كلمة المسيح: الممسوح بزيت البركة؛ لأنهم كانوا يمسحون به الملوك والأنبياء والبطاريق[١]، وتعد عقيدة المسيح المنتظر من أهم القضايا التي تشغل بال التفكير التوراتي والتلمودي، يقول جوزيف باركلي: "إن قضية المسيح هي أهم قضايا اليهود على الإطلاق"[٢].

وقد تعرضت هذه العقيدة إلى تطورات مختلفة تبعاً لتغير الظروف والأحوال؛ ففي بادئ أمرهم نظر اليهود إلى المسيح ملكاً فاتحاً من نسل داود يعيد لهم مجدهم، ويجمع شتاتهم، ويجعل أحكام التوراة نافذة، يقول سفر التكوين: "**لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ**"[٣]، ثم أطلق لفظ المسيح بعد ذلك على كل من يعاقب أعدائهم، ويحقق مصالحهم وأهدافهم، حتى لو كان من غير نسل داود، كما كان حالهم مع قورش ملك الفرس[٤]، ثم أخذت فكرة المسيح المخلص تقترن بفكرة تجديد العهد مع الرب حيث تتجدد أمة الله، وتصير أورشليم[٥] مدينة لا مثيل لها بين المدائن، ويقيم الرب؛ على جبل صهيون، ويتجمع المشردون من اليهود[٦]. ومما يجدر ذكره أن مصادر اليهود كالتوراة والتلمود قد بالغت في تصوير أحوال المسيح وصورته، حيث يعيش الناس في عهده بسلام حتى يعم ذلك الحيوانات فالذئب يسالم الحمل، والعجل يداعب الأسد[٧]، و تطرح الأرض فطيراً، وملابس من الصوف وقمحاً يبلغ حجمه كلاوي الثيران الكبيرة، كما ستكون الغلبة والسيادة لليهود على الآخرين[٨]، حيث سيتخلص المسيح من كل الشعوب والأمم من غير اليهود، لتدوم الحياة الفضلى، والسيادة لليهود على جميع البشر، وبناء على ذلك يربط اليهود وبشكل واضح بين مصيرهم ومصير الآخر، ومجيء المسيح المنتظر؛ فمجيؤه يعني ملك اليهود، ورفعتهم، وعلو شأنهم، كما يعني إذلال الآخر، واستعباده وإخضاعه؛ ليتحقق لليهود مجدهم وعزتهم.

---

(١) بتصرف، **شلبي**، اليهودية، ص٢١٩-٢٢٠

(٢) البار، محمد علي، **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٨٧م، ص١٠٥

(٣) سفر التكوين ٤٩: ١٠

(٤) شلبي، **اليهودية**، ص٢٢٠-٢٢١

(٥) أورشليم: (ملك السلام أو ميراث السلام) وتسمى أيضاً ساليم والقدس الشريف وبيت المقدس، مبنية بقرب قمة سلسلة الجبال الفاصلة بين البحر المتوسط والبحر الميت التي هي ظهر فلسطين. انظر: بوست، جورج، **قاموس الكتاب المقدس**، ج١، المطبعة الأميركانية، بيروت ، ١٨٩٤م ، ص ١٥٦-١٥٧

(٦) بتصرف، ظاظا، حسن، **الفكر الديني اليهودي**، ص٩٨ ، إشعياء ٢٥: ١-٦

(٧) انظر: شلبي، **اليهودية** ، ص٢٢٢ ، إشعيا١٥ : ٧ ، ٦: ٩-٧ ، ١: ١١-١٢

(٨) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، (ترجمة يوسف نصر الله)، ط١، مطبعة المعارف، مصر، ١٨٩٩م، ص٤٨-٥١

المطلب الرابع: عقيدة البعث واليوم الآخر عند اليهود

لا تعنى اليهودية بالإيمان؛ فجوهرها أسلوب حياة وعمل وليس عقيدة تعتقد، من هنا كان مجال اليهودية الحياة الدنيا، والعالم الحاضر؛ أما عالم الغيب فلا يعنيها، ولا يخصها[١].

ولذلك نجد أن مصادرهم وكتبهم المقدسة قد خلت من ذكر البعث واليوم الآخر "فالأرض السفلى أو الجب، أو شيول هي الهاوية التي تأوي إليها الأجسام بعد الموت، ولا نجاة منها لميت، وإن الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد"[٢].

أما الثواب والعقاب وكيفية حصوله فإنه يدور في فلك وعود دنيوية؛ فالثواب يتحقق في الانتصار على الأعداء، وكثرة الأولاد، ونماء الزروع، وفي المقابل ينحصر العقاب في انتصار الأعداء عليهم، وسبي ذراريهم، وموت زروعهم ومواشيهم[٣]، وهذا يعني أن الحياة الدنيا هي ميدانهم؛ ففيها ثوابهم وعقابهم، وهي جنتهم ونارهم، ولذلك كان حديثهم عن اليوم الآخر قاصراً ومضطرباً.

ويرى أحمد شلبي أن اليهود في نظر الباحثين قسمان: قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً، وبذلك يكون قد حصّل لذته ومتعته فلا يعود إلى الحياة مرة أخرى، وقسم عاش تحت سلطة الآخر مشردين ومنفيين، وهؤلاء لا بد أن يعودوا مرة أخرى لينالوا نصيبهم، وهذا يؤكد أن فكرة البعث لم تجد لها أرضاً خصبة في عالم اليهود وعقائدهم[٤].

ويذكر عبد الواحد وافي أن فرق اليهود اختلفت في نظرتها وإيمانها بهذه العقيدة حيث يقول: "ثم لا تجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر؛ ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم، وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمان"[٥]، فهم ينكرون على هذا البعث يوم القيامة.

مما سبق يلاحظ مدى التخبط والاضطراب في عقيدة البعث واليوم الآخر عند اليهود حتى وصل بهم الأمر إلى إنكارها ورفضها، وكما هو معلوم فإن إنكار هذا الجزء الهام من العقائد أمر خطير وعواقبه جسيمة؛ لما يترتب عليه من إطلاقٍ لعنان الشهوات والأهواء، كما أن

---

(١) بتصرف، شلبي، **اليهودية**، ص٢٠٥
(٢) العقاد، **الله** ، ص١٦٢
(٣) بتصرف، الخلف، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ص١١٨
(٤) بتصرف، شلبي، **اليهودية**، ص٢٠٦-٢٠٧
(٥) وافي، علي عبد الواحد، **اليهودية واليهود**، مكتبة غريب، القاهرة ، ١٩٧٠، ص٤٩-٥٠

إنكارها يعني أن الدنيا هي الميدان، وهي الغاية والمآل فيجب على الإنسان أن يحقق فيها كل أنواع اللذة والمنافع، حتى لو أدى ذلك إلى ظلم الآخرين، وهضم حقوقهم، وبذلك يفسح إنكار هذه العقيدة المجال واسعاً أمام أبنائها لارتكاب الجرائم كافة ضد الآخر، من النهب، والسرقة، والغش والقتل، والتدمير، والإبادة فالمهم هو اغتنام الدنيا فهي عندهم (دار الثواب والعقاب).

المبحث الثالث

مصادر العقائد اليهودية

المطلب الأول: التوراة

تعد التوراة المصدر الكتابي الأول عند اليهود وتعرف بالعهد القديم أو التناخ، والتوراة كلمة عبرية تعني الهداية والإرشاد[(١)]، أو الشريعة والتعاليم الدينية[(٢)]، وتطلق هذه التسمية عند اليهود والنصارى على الأسفار الخمسة الأولى من التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهي: التكوين، والخروج، والعدد، والتثنية، واللاويين[(٣)].

أما في اصطلاح المسلمين "فهي الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على رسوله موسى عليه السلام فيه الهدى والنور للناس؛ ولكن اليهود حرفوه وبدلوه، وقد نسخه الله بالقرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ"[(٤)]، وللتوراة ثلاث نسخ، وهي العبرية و تشتمل على تسعة وثلاثين سفراً[(٥)]، واليونانية وهي ستة وأربعون سفراً، وقد كتبت باللغة اليونانية، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد[(٦)]، والنسخة السامرية وهي التي تؤمن بها طائفة السامريين، وتحتوي على الأسفار الخمسة فقط؛ لأنهم لا يؤمنون بسواها[(٧)].

ويذكر أن التوارة الحالية قد تعرضت لسلسلة من الانتقادات سواء ما يتعلق بثبوت نسبتها إلى موسى عليه السلام، وتأخر تدوينها، أو اختلاف لغتها عن لغة موسى، والتناقضات التي تتخلل نصوصها، وما حوته من أوصاف لا تليق بالله تعالى وأنبيائه، بحيث يستحيل معها التصديق بأنها كتاب سماوي منزل من عند الله تعالى، إذ كيف يصف الله تعالى نفسه وأنبياءه بهذه الأوصاف التي لا تليق بالعوام من الناس. كما اشتملت التوارة على جملة من الاعتقادات والتشريعات والأحكام التي حددت أسس نظرة اليهودي إلى الآخر، وكيفية التعامل معه من خلال تشجيعها على قتل الآخر، والتنكيل به، وطرده واستلاب خيراته وممتلكاته، وهذا ما

---

(١) انظر: مهران، محمد بيومي، **بنو إسرائيل**، ج٣، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية، ١٩٩٩م، ص١١
(٢) انظر: شلبي، **مقارنة الأديان اليهودية**، ص٢٨٣
(٣) انظر: الطهطاوي، محمد عزت، **الميزان في مقارنة الاديان**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م، ص١٤، الخطيب، **مقارنة الأديان**، ص٨٧
(٤) قدح، محمود، الأسفار **المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم (عرض ونقد)**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد١١، ص٣٣٣
(٥) انظر: محمود، مصطفى، **التوراة**، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٤
(٦) انظر: بوكاي، موريس، **القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**، تقديم الحسيني معدي، ط١، دار الحرم للتراث، القاهرة، ص٦٨
(٧) بتصرف، محمود، **التوراة**، ص٣٣

يجعلها بمنأى عن رسالة موسى عليه السلام السماوية بعد ضياعها وتحريفها؛ أما التوراة الحالية فقد كتبها اليهود "انعكاساً لأخلاقهم وتاريخهم وآمالهم وآلامهم، وكان مقصدهم الأول من وراء ذلك؛ إظهارهم الشعب الإسرائيلي بمظهر الشعب المقرب إلى الله تعالى والمفضل على غيره من الشعوب، ولكثرة الأشخاص الذين اشتركوا في كتابتها، امتلأت بالأخطاء والمفتريات والمتناقضات"[1]، وقد شهد القرآن الكريم بذلك، يقول تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾ [المائدة:١٣]، كما يؤكد سفر إرميا وقوع التحريف حيث يقول مخاطباً: "**أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ، لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِنَا**"[2].

المطلب الثاني: التلمود

يطلق التلمود على "الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه"[3]، ويضم مجموعة القواعد والوصايا العشر، والشرائع والتعاليم الدينية والتفاسير والروايات المتناقلة شفهياً ، تنفيذاً لمصالح اليهود الطارئة[4]،

وللتلمود ستة أجزاء رئيسية وهي: زرائيم (الخاص بالبذور)، موائيد (للأعياد)، ناشيم (للنساء) ، نزيكين (للأضرار)، كوداشيم (للقداسة) ، توهوروت(للطهارة)٥.

ويقسم التلمود إلى قسمين رئيسيين هما: **المشنا**، وهي أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، وقد جمعها يهوذا هاناسي بعد تدمير الهيكل المزعوم بقرن، وتهدف إلى توضيح شريعة موسى وتكملتها[6]. أما القسم الثاني فهو (الجمارا) وتعني: الإكمال وهي شروحات وتعليقات على المشنا (المتن)، وقد دونها إبنا الحاخام يهوذا هاناسي، وهما جمالائيل وسيمون[7]، ويذكر أن شرح المشناه والجمارا قد تم في بيئتين مختلفتين، وهما فلسطين والعراق

---

(١) طنطاوي، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، ص٧٤

(٢) إرميا٢٣ : ٣٦

(٣) برانايتس، الأب أي .بي، **فضح التلمود**، (إعداد زهدي الفاتح)، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤م، ص٢١

(٤) بتصرف بسيط، أبو الرواس، ايليا، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ط١،منشورات دار الاتحاد، بيروت، ١٩٦٤م، ص٦٠

٥ براناتيس، **فضح التلمود**، ص٢٦-٢٧

(٦) انظر: مصالحة، عمر أمين، **التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية**، ط١، دار الخليل، عمان، ٢٠٠٦م، ص٣١

(٧) المصدر نفسه، ص٥٩

مما أدى إلى ظهور تلمودين اثنين، وهما التلمود الأورشليمي، والتلمود البابلي الذي يعد مصدراً رئيسياً للتشريع اليهودي؛ لذلك يكثر تداوله بين اليهود، وقد دوّن بالآرامية الشرقية[١].

ومما يجدر ذكره أن للتلمود مكانة بارزة عند اليهود، ومنزلة تفوق منزلة التوراة؛ ولذلك يحاط دائماً بهالة من القداسة والسرية، فهو يحوي خلاصة فكر اليهود، وحقيقة عقائدهم وتشريعاتهم، كما يعد المنبع الأساسي الذي يستقي منه اليهود أسس نظرتهم لأنفسهم وللآخر، فهو يحتوي على وصايا وتعاليم تظهر اليهود بأنهم ملح الأرض، وصفوة الخلق، والغاية التي من أجلها خلق العالم، وفي المقابل تظهر الآخر بأنه خادم وعبد خلقه الله على شكل البشر وهيئتهم ؛ ليستأنس اليهود بهم فلا تصيبهم رعبة أو خوف، ولذلك يتيح قتل الآخر وسرقته، وغشه ورباه، لأنها تعتبر أن حياة الآخرين بما فيها من أرواح وأموال ملك لليهود، وفي ذلك يقول: **يباح لليهود بل ويفرض عليهم قتل من أمكنهم من الجوييم؛ فأملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذي يحق لليهود امتلاكه، وغير اليهود كالكلاب والخنازير، وبيوتهم كحظائر البهائم**[٢]؛ ولأجل ما ورد في التلمود من نصوص وتعاليم توضح حقيقة نظرة اليهود للآخر، فقد قام اليهود عبر تاريخهم بحرق التلمود وجمعه من الأسواق والمكتبات؛ لعلمهم بما تحويه من شر وفساد وتدمير للإنسانية، وهم لا يحرقونه حباً في الإنسانية؛ بل خوفاً من فضح أساليبهم وكشف نفسياتهم[٣]، وهذا ما حصل فقد افتضح أمر التلمود في أوروبا، وكشفت نظرة الازدراء والاحتقار للآخر؛ ولكل من هو خارج العرق اليهودي فصدر القرار بتحريم قراءته وحيازته وحرقه[٤].

---

(١) انظر: صبري، محمد، **التلمود وشريعة بني إسرائيل** ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٩، خان، ظفر الإسلام، **التلمود تاريخه وتعاليمه**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧١م، ص٢٥-٢٧

(٢) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٥١-٦٦

(٣) صبري، **التلمود وشريعة بني إسرائيل** ، ص٦

(٤) انظر: أبو الرواس، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ص ٥٨-٦٠ ، و صبري ، **التلمود شريعه بني إسرائيل**، ص١٢

الفصل الثالث

التعريف بالمسيحية وأهم عقائدها ومصادرها

المبحث الأول: التعريف بالمسيحية

المسيحية اسم للديانة التي تنسب إلى المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، ظهرت بعد وفاة موسى عليه السلام بنحو ثلاثة عشر قرناً، وقد اختلفت التعليلات حول تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح، ولعل أهمها أن "كلمة المسيح مشتقة في العربية والعبرية من الفعل مسح، والمقصود أنهم كانوا يمسحون الكاهن أو الملك بالزيت كناية عن تعيينه في المنصب، وتحميله مسؤولية الحكم، فيصبح بذلك مسيحاً، ثم صار المسيح لقباً للشخص المختار لمنصب المسؤولية دون أن يتم مسحه بالزيت بالضرورة"[١]، ويرى العقاد أن مرجع التسمية نفسها إلى الشعائر الواردة في سفري التكوين والخروج وما يليهما من أسفار الأنبياء؛ فالمسح بالزيت المبارك شعيرة من شعائر التقديس والتكريم[٢]، ويعود أول ظهور لهذه الشعيرة في سفر التكوين حيث يقول: "**وَبَكَّرَ يَعْقُوبُ فِي الصَّبَاحِ وَأَخَذَ الْحَجَرَ الَّذِي وَضَعَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَأَقَامَهُ عَمُودًا، وَصَبَّ زَيْتًا عَلَى رَأْسِهِ. وَدَعَا اسْمَ ذلِكَ الْمَكَانِ بَيْتَ إِيلَ**"[٣].

ويذكر أن المسيح عليه السلام سمي مسيحاً بمعنى "أن الله تعالى اختاره للبعثة، وهو المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه"[٤]؛ أما تعبير (مسيحي) فقد أطلق على أتباع عيسى لأول مرة في مدينة أنطاكية في سوريا، وكان المسيحيون يومئذ كلهم من اليهود الذين اعتبروا أنفسهم بني إسرائيل، والبقية المخلصة، وشعب الله الذي أوتي الحكمة والنبوة وإيضاح معالم النواميس؛ ولذلك لم يعتبروا أنفسهم أتباع دين جديد؛ بل مفسرين وموضحين للديانة الموسوية[٥].

والمسيحية كدعوة جاءت مكملة لما جاء به سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل، وبذلك تكون دعوة إلهية إلى التوحيد، وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده، وتربية البشر على الأخلاق

---

(١) الزين، محمد فاروق، **المسيحية والإسلام والاستشراق**، ط١، دار الفكر ، دمشق، ٢٠٠٠م،ص١٥٩، انظر: شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان (اليهودية)**، ص٢١٩-٢٢٠ وانظر: زاهر، رفقي، **قصة الأديان (دراسة تاريخية مقارنة)**، ط١، دار المطبوعات الدولية، ١٩٨٠م، ص١٢٨-١٢٩

(٢) بتصرف، العقاد، عباس محمود، **عبقرية المسيح**، بدون ط، ، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٦-٧

(٣) سفر التكوين: ٢٨: ١٨-١٩

(٤) الزين، **المسيحية والإسلام والاستشراق**، ص١٥٩

(٥) كاير، جوزيف، **حكمة الأديان الحية**، (ترجمة حسين الكيلاني)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م، ص٥٥

الفاضلة[١] يقول تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إسرائيل اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [المائدة: ٧٢] وقد سجلت الأناجيل الكثير من أقواله عليه السلام التي التزمت بعقيدة التوحيد[٢]، وكذلك سار الحواريون على دربه وعلى عقيدته، حيث أثنى القرآن الكريم عليهم، وأمر بالاقتداء بهم في نصرة دين الله. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إسرائيل وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾ [الصف:١٤].

وقد بَعُدت المسيحية بعد المسيح بعداً كبيراً؛ وذلك بعد أن دخلها بولس[٣] أو ادعى دخولها فحطم اتجاهاتها الصحيحة، وقال بالتثليث، وألوهية المسيح، وغيّر الشريعة حتى يمكن القول أن بولس هو واضع الديانة المسيحية المعروفة اليوم، وأن المسيح منها براء[٤]، حيث دخلت المسيحية في أطوار ومراحل تضمن كل منها فكراً وعقيدة جديدة، بعيدة كل البعد عما جاء به عيسى عليه السلام، وبناءً على ذلك كان على الشخصية المسيحية أن تتبدل وتتغير وتصاغ في أشكال مختلفة تبعاً للمرحلة التي تعيشها، وكذلك كان حال الآخر بالنسبة لها، حيث كانت النظرة إليه تتغير وتتبدل وفقاً للعقيدة المتبناة، والمصالح المرجوة في كل مرحلة.

مما سبق يمكن القول إن المسيحية إحدى مراحل الرسالة الإلهية التي أنيط تبليغها إلى نبي الله عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وهي رسالة خاصة ببني إسرائيل ليعبدوا الله وحده ويطيعوه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إسرائيل أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [آل عمران:٤٩].

وقد واجهت هذه الدعوة مقاومة واضطهاداً أدى إلى فقدان أصولها وامتداد يد التحريف إليها بعد مزجها بمعتقدات وفلسفات وثنية أبعدتها عن أصولها الأولى، وحولتها إلى دعوة جديدة لا

---

(١) شلبي، متولي يوسف، **أضواء على المسيحية**، بدون ط، الدار الكويتية للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٦٨م، ص١٦

(٢) في أنجيل مرقس سأل أحد الكتبة عيسى عن أول وصية هي أول الكل فيجيبه: "... إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إسرائيل. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى" مرقس ١٢: ٢٩-٣٠

(٣)"هو يهودي ينتمي لطائفة الفريسيين من مواليد مدينة طرسوس، واسمه الأصلي شاؤول ولد في أوائل القرن المسيحي الأول ومات عام ٦٣م" ، عبد الحميد، عرفان، **النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها**، ط١، دار عمار، عمان، ٢٠٠٠م/ ص٤٧

(٤) بتصرف، شلبي، **المسيحية مقارنة الأديان**، ص٤٤

تمت للأصل بصلة، وذلك بعد أن مرت بمراحل وأطوار تاريخية مختلفة، أهمها مرحلة بولس والاضطهادات، والمجامع، والبابوية، وقد كان لها تأثير بالغ في صلب العقيدة التي جاء بها المسيح ﷺ، وما تبعها من قوانين وتشريعات تجاوزت حدود الورق لتعبر إلى الفكر والسلوك والآخر[١].

(١) ستتم مناقشة تلك التطورات، والمراحل التاريخية التي أثرت في صلب العقيدة المسيحية، وساهمت في إخراجها من ثوبها ، وأثر ذلك في نظرة المسيحية للآخر بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الأول تحت عنوان الآخر في العقائد المسيحية.

المبحث الثاني

أهم العقائد المسيحية

على الرغم من أن المسيحية في جوهرها تعنى بالتهذيب الوجداني، وشريعتها هي شريعة موسى عليه السلام، وأصل اعتقادها هو دين الإسلام، فما من نبي إلا كان أساس دعوته التوحيد، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]؛ إلا أن المسيحية انحرفت عن هذا الأصل؛ فبعد ضياع الإنجيل، ودخول بولس في المسيحية، وظهور العشرات من الأناجيل والمجامع والدعاوى دخلت المسيحية في طور جديد؛ فتعددت طوائفها وكنائسها.

ورغم اختلاف المسيحية اليوم؛ إلا أن أتباعها متفقون على ما يسمونه بقانون الأمانة الذي صيغت أحرفه الأولى في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م(١)، وينص هذا القانون على: "الإيمان بإله واحد آب واحد، ضابط الكل، خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لايرى، وبرب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء والذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس (...) وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث (...) وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب (...) ليدين الأحياء والأموت"(٢).

وبناءً على ذلك فإن العقائد المسيحية تقوم على ثلاث قواعد: التثليث ، وألوهية المسيح، والصلب، و محاسبة الناس من قبل المسيح.

المطلب الأول: عقيدة التثليث

نشأت عقيدة التثليث وتبلورت عند المسيحيين في القرن الرابع الميلادي فقد وضع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م أساسها، وأكمل مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م بناءها ، ومع أن التثليث يعتبر أهم أركان المسيحية، ولا يعتبر الشخص مسيحياً إلا إذا آمن بالثالوث فإن الكتاب المقدس

---

(١) بتصرف، الحاج، محمد أحمد، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، ط٢، دار القلم، دمشق،٢٠٠٢م،ص١٩٥-١٩٦

(٢) أبو زهرة ، **محاضرات في النصرانية** ، ط٣، مطبعة المدني، ١٩٦٦م، ص١٠٨

لا يشتمل لفظ الثالوث، أو الأقانيم؛ ولكن النصارى يحتجون لذلك بأن تعليم الثالوث مطابق لنصوص في الكتاب المقدس[١].

وتنص هذه العقيدة على أن الإله وإن كان واحداً؛ لكنه مؤلف من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة أشخاص هم: الآب والابن والروح القدس، وتعد الأقانيم الأصل الأول من أصول المسيحية وأعظم أسرارها، فالأقانيم الثلاثة هي ظواهر لحقيقة واحدة ، أي واحد في ثلاثة، وثلاثة في واحد؛ فالله هو الآب وهو الخالق والناسوت والروح القدس، وهو لاهوت محض وهو مظهر منبثق من الآب عند الكنائس الشرقية، أو منبثق من الآب والابن عند الكنائس الغربية[٢]، وقد أثارت هذه العقيدة سلسلة من الخصومات، والخلافات والافتراقات منذ أيام أفلوطين[٣] (٢٧٠م) الذي أرسى دعائمها من خلال نظريته الثلاثية، وتقوم على ثلاثة: أولها المنشئ الأول الذي صدرعنه العقل وليس صدوره كالولادة ولكنه انبثاق ، ومن العقل انبثقت الروح، وهذه الثلاثة: المنشئ الأول، والعقل والروح أساس توالد العالم وتوحده وتكوينه[٤]، واستمر الخلاف بعد ذلك ليشمل الفلاسفة، ورجال الدين، والكنيسة ولاهوتييها من أجل وضع تفسير مقنع ومقبول للتثليث يرفع التعارض ويحاول الجمع بين التوحيد والتثليث، أو ما صار يطلق عليه في المسيحية المعاصرة "التوحيد الثلاثي"[٥]، وذلك من خلال المجامع الدينية المتتابعة؛ كمجمع نيقية والقسطنطينية الأول، وأفسس، وخلقيدونية وغيرها، حيث تم من خلالها إسكات الآخر الموحد، واضطهاده، وإحراق الكتب المخالفة، وانتهت أخيراً إلى القول الجامع بأن الله واحد في جوهره وثلاثة في أشخاصه وأقانيمه، وأن كل واحد من الثلاثة قديماً لم يزل قائماً بذاته، ولم يسبق بعضها بعضاً[٦]، وبذلك تقرر التثليث في الديانة المسيحية، وأصبح العقيدة الرسمية التي يجب أن يعتنقها كل مسيحي، ويحكم بكفر من يقول بغيرها، وأخذت المذاهب المسيحية الأخرى

---

(١) بتصرف، الطهطاوي، محمد عزت، **الميزان في مقارنة الأديان**، ١٤٨-١٤٩ ، انظر: وجدي، محمد فريد، **دائرة معارف القرن العشرين**، ط٢، ج١، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢هـ، ص١٩٨

(٢)، بتصرف، شلبي، **أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)** ، ص٣١ ، انظر: وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام**، ص١٢٩

(٣) أفلوطين: فيلسوف يوناني ولد في الأرجح عام ٢٠٣م ومات عام ٢٧٠م في كامبانيا. وتتضمن فلسفته الصوفيه عزوفاً أبعد غوراً وأكثر واقعية بكثير من عزوف الأبيقوريين. حيث كان يتأبى للمشاركة في الطقوس المقدسة بعبارات بدت مترفعة ولم تفهم على حقيقتها: "على الآلهة أن تأتي إلي، وليس علي أنا أن أصعد إليها". ذلك أن الألوهية كانت، في نظر أفلوطين، مبثوثة في كل شيء. أنظر: طرابيشي، **المعجم الفلسفي**، ص٧٦-٧٧

(٤) بتصرف، عبد الحميد، **النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها**، ص٦٩-٧٠

(٥) بتصرف، المصادر نفسه، ص٧٠

(٦) وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام**، ص١٢٨

الموحِدة تتلاشى شيئاً فشيئاً، ويتضاءل عدد أتباعها حتى انقرضت كل الانقراض (...) ولا نجد الآن أية كنيسة مسيحية، ولا أية فرقة منهم إلا و تقول بالتثليث[(١)].

وقد جرت محاولات عدة لفك أحجية الثالوث في المسيحية حتى قال بعض مفكريهم، ومؤرخيهم أمثال شارل جينيبير: إن القول بالتثليث لا يفهمه المسيحيون أنفسهم ، ولا يفهمه كل من له عقل[(٢)].

مما سبق يظهر أن عقيدة التثليث أمر طارئ على المسيحية، فقد نشأت أساساً في ظل الاتجاه إلى تلقيح المسيحية بعقائد الشعوب؛ ضماناً لانتشارها، وحرصاً على عالميتها، ثم فرضت استمرارها قوة السلطان السياسي مما أدى إلى خلق إشكال فكري في المسيحية من خلال محاولة التوفيق بين الوحدانية التي هي سمة الأديان السماوية، والقول بعبادة الثالوث، ولم يزل المسيحيون حتى اليوم عاجزين تماماً عن فهم هذه العقيدة، أو تصورها وإن كانوا يعدون الخروج عليها إلحاداً صريحاً يستوجب الطرد واللعنة للآخر.

المطلب الثاني: ألوهية المسيح وعقيدة الصلب

على الرغم من إيمان المسيحيين بالأقانيم الثلاثة؛ إلا أنهم يعظمون الأقنوم الثاني (أقنوم الابن) أكثر من غيره، وعليه تدور معظم معتقداتهم؛ فالمسيح "كلمة الله التي خرجت من الذات، فصارت كل من الذات والكلمة أقنوم قائماً بذاته يدعى الأول (الله الآب)، ويدعى الثاني (الله الابن)[(٣)].

ويستدلون على ذلك بقول يوحنا " **فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. (...) وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا**"[(٤)]، وكذلك يروي متى أن رئيس الكهنة سأل المسيح مرة وقال له: "**أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنْتَ قُلْتَ!**"[(٥)].

---

(١) بتصرف، الساموك، **سعدون، مقارنة الأديان**، ط١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٤م، ص١٢٨
(٢) بتصرف، جنيبير، شارل ، **المسيحية نشأتها وتطورها**، (ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود)، المكتبة العصرية، بيروت، ص٩
(٣) الحاج، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، ص ٢٢٧
(٤) إنجيل يوحنا ١: ١-١٤
(٥) إنجيل متى ٢٦: ٦٣-٦٤

ويذكر أن بولس كان أول من وضع بذرة ألوهية المسيح، كما أراد من شخصية المسيح أن تتنافس وتتفوق على الكثير من الشخصيات الهلينستية المؤلهة، ففي العصر الهلينستي كان شائعاً إسباغ الألوهية على الملوك والأبطال، وفي مثل هذا الوسط لم يجد بولس أية صعوبة في تأليه عيسى، جاعلاً منه مخلصاً بعد أن أسبغ عليه اسم (كرستيوس)، الذي يعني باليونانية الخير[(١)]، وقد صادفت البذرة أيضاً أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية، كما ساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأوائل من الاضطهادات المدمرة، التي استمرت زهاء ثلاثة قرون فقدت المسيحية خلالها طابعها وأصالتها[(٢)] ، وخلال القرنين الثاني والثالث تم القبول بعيسى تدريجياً ضمن مصاف الآلهة، حتى كان عام ٣٢٥م عندما عقد الإمبراطور قسطنطين الكبير مجمع نيقية، وصدر القرار الإمبراطوري باعتماد ألوهية عيسى رسمياً، وهكذا اكتسبت مسيحية بولس شكلها القانوني المعتمد من خلال قرارات نيقية، ثم من قرارات المجامع المسكونية المتتابعة بعد ذلك.

وترتكز عقيدة ألوهية المسيح على "فكرة الخطيئة الموروثة، ومحبة الله تعالى للإنسان؛ فأبو البشر ارتكب الخطيئة فبقي الذنب على ذريته من بعده، ومحبة الله لهذا الإنسان شاءت أن تخلصه من أرجاس هذه الخطيئة فأرسل ابنه الوحيد؛ ليتحمل عناء الألم والصلب، وبذلك يكون قد فداهم بنفسه"[(٣)].

ويفسر بولس سبب هذه العقيدة في إحدى رسائله إلى العبرانيين بقوله: "**وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!**"[(٤)]، ولا بد أن يكون هذا الدم نقياً طاهراً، وليس مدنساً بخطيئة آدم: أي دماً إلهياً؛ ولذلك تجسد الابن الالهي في هيئة المسيح، ومكث في أحشاء مريم، وعاش حياة البشر حتى جاءت اللحظة الحاسمة هي أن يصلب ويسفك دمه ليكفرعن خطايا البشرية؛ ولذلك يؤمن النصارى بالصلب كنتيجة حتمية لألوهية المسيح، وقد جاء في إنجيل مرقس: "**لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**"[(٥)].

وعلى الرغم من ذكر بعض الأناجيل أسباب الصلب وقصته؛ إلا أنها لم تختلف في مسألة من المسائل كاختلافها في مسألة الصلب – المزعومة – فلا تكاد جزئية من الجزئيات في إحدها تتحد مع الجزئية نفسها في إنجيل آخر، ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعي المسيحيون

---

(١) بتصرف، الزين ، **المسيحية والإسلام والاستشراق**، ص٩٠-٩١
(٢) انظر: شلبي، **المسيحية**، ص١٠٣-١٠٦
(٣) الحاج، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث** ، ص٢٢٧
(٤) رسالة بولس إلى العبرانيين ٩ : ٢٢
(٥) إنجيل مرقس ١٠ : ٤٥، وانظر: إنجيل يوحنا ٣: ١٦-١٧

لهم الإلهام، ويعتقدون عصمتهم من الخطأ، كان ينبغي أن تكون كتاباتهم في الحادثة أكثر دقة وتوافقاً، فهذه العقيدة مناط النجاة ودعامة الإيمان، أما مدى التفاوت والاختلاف بين الأناجيل فيوضحه الأستاذ عبد الوهاب النجار حيث يعدد أربعة وثلاثين وجهاً من أوجه التضاد بين هذه النصوص[١].

المطلب الثالث: محاسبة الآخر من قبل المسيح

تعد قضية محاسبة المسيح للناس الأساس الثالث من أسس العقيدة المسيحية، ويقصدون بها أن المسيح بعد قيامته مكث في الأرض أربعين يوماً، ثم ارتفع بعدها إلى السماء، وجلس بجوار الآب، حيث سيحاسب الناس ويدينهم يوم القيامة ويحاسب كل إنسان على ما فعل وقال، إن خيراً فخير وإن شراً فشر[٢]، "ويرى المسيحيون أن الآب أعطى سلطان الحساب للابن، وذلك لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته ابن الإنسان أيضاً فهو أولى بمحاسبة الإنسان"[٣].

---

(١) انظر: النجار، عبد الوهاب، **قصص الأنبياء**، ط٢، مؤسسة الحلبي مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٦م ص٤٣٤-٤٤٨، وانظر: متى : ٢٦، مرقس: ١٤ ، لوقا: ٢٢ ، يوحنا: ١٨

(٢) بتصرف، أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص١٢٠ ، وانظر: الخلف، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ص١٧٥

(٣) شلبي، **مقارنة الأديان** المسيحية، ص١٢٤

المبحث الثالث

مصادر المسيحية

تستقي المسيحية عقائدها وشرائعها من ثلاثة مصادر رئيسة وهي: العهد القديم، والعهد الجديد، والمجامع، وفيما يلي توضيح كل منها:

المطلب الأول: العهد القديم

تقر المسيحية بالعهد القديم، ويعني "العهد بين الله وبين بني إسرائيل في الزمان القديم، وهو كتاب عهد الجنس اليهودي"[١]، ويحتوي عندهم على الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وأسفار الأنبياء الأولين، والأسفار التاريخية التي تتحدث عن أحوال بني إسرائيل عبر تاريخهم، والأسفار الشعرية، وتضيف الكنيسة إلى هذه الأسفار التسعة والثلاثين سبعة أسفار أخرى لتصبح أسفار العهد القديم عندهم ستة وأربعين سفراً؛ وذلك لاعتمادهم على الترجمة اللاتينية للترجمة السبعينية التي زادت على أسفار العهد القديم سبعة أسفار، بينما زادت الترجمة السبعينية أربعة عشر سفراً[٢].

أما أهمية العهد القديم بالنسبة للمسيحيين فتكمن في كونه يشكل مجموعة هامة من الشهادات التنبؤية لمجيء عيسى[٣]، كما يمكن من خلاله معرفة أخبار العالم في العصور الأولى والأجيال القديمة، والنبوات والبشارات السابقة، والأدعية المتوارثة التي تعين على أداء العبادات والطقوس الدينية [٤].

المطلب الثاني: العهد الجديد

ويعني "ميثاق الله بواسطة يسوع حسب تصور المسيحيين، وهذا العهد مرفق مع العهد القديم على أنه يوضح ويفسر العهد القديم"[٥]؛ ولكن الحقيقة أن العهد الجديد غيّر وبدل كثيراً في أحكام العهد القديم، وقد فسر ذلك على أنه تدقيق وتسهيل لأحكام العهد القديم.

ويطلق العهد الجديد على مجموعة الأسفار التي يقدسها المسيحيون، وقد سمي بذلك تمييزاً عن العهد القديم الذي كان في زمن موسى عليه السلام، وبذلك يكون الكتاب المقدس عند النصارى كتابين الأول هو (العهد القديم)، والثاني العهد الجديد[١].

---

(١) بحر الدين، اورانج كاي رحمات بن دانو ، **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام**، (عرض وترجمة وتعليق رؤوف شلبي)، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٣م، ص٤٧٦

(٢) بتصرف، الخطيب، **مقارنة الأديان**، ص٢٦٣

(٣) بتصرف، براون، بربارا، **نظرة عن قرب في المسيحية**، شركة التوحيد للنشر، ١٩٩٥م، ص٦١

(٤) بتصرف، أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص٤٢

(٥) شلبي، **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام**، ص٤٧٦

وعدد أسفار العهد الجديد سبعة وعشرون سفراً أقرها رجال اللاهوت من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها في القرن الخامس الميلادي، وهو وقت متأخر جداً عن بعثة عيسى ﷺ، وتنقسم أسفاره إلى ثلاث مجموعات ورسالتين، وقد جاءت على النحو التالي:

المجموعة الأولى: الأناجيل الأربعة

وهي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا؛ أما لفظة الإنجيل فتعني الخبر السعيد أو البشارة، أي بشرى الخلاص في شخص يسوع المسيح [٢].

ويرى العلامة رحمة الله الهندي أن لفظة الإنجيل مختصة بالكتب الأربعة، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد، ويعني البشرى بموت المسيح على الصليب عن المذنبين والخطاة[٣].

أما كيفية ظهورها واعتمادها كمصادر للمسيحية فيرى المسيحيون أن "مجموعة كبيرة من الأسفار والكتب والأشعار التي كتبت على مدار ١٥٠٠ عام بدأت بتعاليم موسى ﷺ في الوصايا العشر في اللوحين اللذين أعطيهما في سيناء، وانتهت بكتابة الأناجيل والأسفار والرؤى والرسائل التي كتبت في القرن الثاني للميلاد"[٤].

وتتفق آراء الباحثين على وجود عدد كبير من الأناجيل حتى انعقاد مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وأن اختيار هذه الأناجيل الأربعة واعتبارها مقدسة كان على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها، فقد ردّ المجمع وألغاها جميع الأناجيل الأخرى التي لا تتفق مع قرارات ألوهية المسيح واعتبرها هراء وكفراً [٥].

أما تدوين الأناجيل بصورة عامة فقد تم في عصور اضطهاد المسيحية الأولى وهذا ما أدى إلى حدوث اضطراب وخلل فيها، كما فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة[٦]، ويعد إنجيل مرقس أقدم الإنجيل، وقد كتب بعد رحيل المسيح بنحو ٣٥ عاماً، وأحدثها (إنجيل يوحنا) حيث كتب بعد المسيح بفترة تتراوح ما بين ٧٠-٩٠ عاماً، وكان ذلك في عهود اشتهرت بالقسوة

---

(١) انظر: زاهر، **قصة الأديان**، ص١٥٣، الخطيب، **مقارنة الأديان**، ص٢٦٤ ، كاير، جوزيف ، **حكمة الأديان الحية**، (ترجمة حسين الكيلاني)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م، ص٥٦

(٢) انظر: العقاد، **عبقرية المسيح**، ص١٤٧ ، انظر: البار، محمد علي، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية**، دار القلم ، دمشق، ط٢، ٢٠١١، ص٨٢

(٣) بتصرف، الهندي، رحمة الله، **إظهار الحق**، ج١، طبعة عمر الدسوقي، ١٨٩١م، ص٩٧

(٤) البار، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية** ، ص٣٤

(٥) بتصرف، شلبي، **المسيحية**، ص١٥٤-١٥٥

(٦) بتصرف، أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص٣٥

والوثنية[١] وقد كتبت جميعها باليونانية العامة كما يقرر جميع الباحثين من رجال الكنيسة في العصور الحديثة[٢].

المجموعة الثانية: رسائل بولس

وتنسب إلى بولس الذي قام بدور خطير في تحريف المسيحية، وإخراجها عن مسارها الصحيح، وقد بدأ نشاطه بعد رفع المسيح بأربع سنين، واستمر قرابة ثلاثين سنة كتب فيها رسائله إلى عدد من الجهات يدعوها إلى اعتناق المسيحية، ويشرح فيها عقائده، ومجمل أفكاره[٣]، وعددها أربع عشرة رسالة، أما الرسالة الرابعة عشر، وهي الرسالة إلى العبرانيين فإن بعض اللاهوتيين لا يقرون بصحتها[٤].

المجموعة الثالثة: الرسائل الكاثوليكية

وهي الرسائل السبع الباقية، وتنسب إلى يعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا، وقد كتبت كلها بين سنتي خمسين وتسعين بعد الميلاد، وتدور موضوعاتها حول نفس الموضوعات التي تضمنتها رسائل بولس[٥]، إلا أنها عرفت بالرسائل العامة؛ لأنها ليست كرسائل بولس التي كانت موجهة إلى كنائس خاصة، أو أشخاص معينين[٦].

رابعاً: رسالتا أعمال الرسل ورؤيا يوحنا

أما الأولى فتنسب إلى القديس لوقا صاحب الإنجيل الثالث، وقد كتبها حوالي سنة ثلاث وستين، وموضوعها تاريخ حياة الحواريين وأثرها في المسيحية والتلاميذ والتابعين[٧] ، وأما الثانية فهي رؤيا يوحنا، سميت بذلك؛ لأنها أشبه بالأحلام إلا أن يوحنا رآها في اليقظة، ويزعم أن المسيح أوحى إليه بكثير من حقائق الديانة المسيحية، وأحداث المستقبل[٨].

وبناءً على ما سبق يظهر ضعف الأناجيل كمصدر موثوق للمسيحية؛ لفقدان سندها والظروف الغامضة لتدوينها، وخضوعها للقرارات والاضطرابات والتناقضات التي حوتها، مما يجعل القارئ يعتقد أن احتمال الزيادة فيها، أو النقصان منها أمر وارد حتى الآن، وخصوصاً

---

(١) عبد الوهاب، أحمد، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٣١

(٢) انظر: العقاد، **عبقرية المسيح**، ص٤٧، عبد الوهاب، أحمد، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، ص٢٠-٢١ ، انظر: البار، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية**، ص٨٣

(٣) بتصرف، زاهر، **قصة الأديان**، ص٥٥

(٤) بتصرف، أحمد، إبراهيم خليل، **محاضرات في مقارنة الأديان**، ط١، دار المنار، ١٩٨٩م، ص١٢

(٥) انظر: المصدر نفسه، ١٢ ، زاهر، **قصة الأديان**، ص١٥٥

(٦) بتصرف، عبد الوهاب، **المسيح في مصادر العقائد اليهودية**، ص١٧-١٨

(٧) بتصرف، زاهر، **قصة الأديان**، ص١٥٥

(٨) انظر: المصدر نفسه، ص١٥٢-١٥٣

بعد إثبات عصمة البابا الذي يعد المصدر والمنبع لاستقاء المسيحية وعقائدها، وتقرير الأحكام والشرائع.

المطلب الثالث : المجامع

تعد المجامع أهم المصادر المسيحية؛ وذلك لخطورة ما بني على قراراتها من عقائد غيّرت مسار المسيحية وفكرها، والمجامع في المسيحية "جماعات شورية (...) رسم رسلهم نظامها في حياتهم، حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة، وقرر ذلك المجمع عدم التمسك بمسألة الختان، بل زاد فقرر عدم التمسك بشرائع التوراة ، وما وليها من سائر أسفار العهد القديم المقدس عندهم فيما يتعلق بالتحريم إلا تحريم الزنا، وأكل المخنوق، وأكل الدم ، وأكل ذبائح الأوثان"(١)

ويرى علماؤهم أن انعقاد المجامع لدراسة ما يتعلق بأمور العقيدة والشريعة المسيحية وبحثها سُنّة متبعة وضعها تلاميذ المسيح بعد عقدهم لذلك المجمع، الذي بينه سفر أعمال الرسل في إصحاحه الخامس عشر(٢).

والمجامع قسمان:

الأول: مجامع عامة، وتسمى المجامع المسكونية: وهي التي تجمع كل الكنائس والطوائف والمذاهب من كل أنحاء المعمورة المسكونة(٣). وقد عقدت المجامع المسكونية بسبب ظهور مذاهب دينية تتطلب فحصها وإصدار قرارات بشأنها، وتعد أخطر أنواع المجامع لأنها تدخلت في أمور العقيدة وكان لها سلطان التشريع، وخضوعها للأهواء والمصالح، وإنكارها وإقصاؤها للآخر المخالف لقراراتها بما يحمله من فكر وعقيدة، حيث استخدم فيها أسلوب القمع والجبر، والموافقة القسرية على القرارات والعقائد التي كانت تخدم بعض المصالح والأهداف، وهذا ما يتنافى مع القول بأنها هيئات شورية، فالتشاور يعني احترام رأي الآخر، وقبول الأغلبية حتى لو خالفت قراراتهم مصالح الطرف الآخر. وتذكر المصادر عقد عدد من المجامع المسكونية؛ ولكن

---

(١) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص١٣٣

(٢) انظر: يوسف، محمد حسني ، **موسوعة الفرق والمذاهب المسيحية**، ط١، الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، مصر، ٢٠١١م ، ص١٥٧ ، أعمال الرسل : ١٥

(٣) بتصرف، أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص١٣٣ ، يوسف، **موسوعة الفرق والمذاهب المسيحية**، ص١٥٧، انظر: الخطيب، **مقارنة الأديان**، ٢٨٧ ، انظر: البار، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية** ، ص٤٢٧

أخطرها وأبعدها أثراً تلك التي عقدت في القرون الأولى للمسيحية حيث ابتدعت العقيدة ورسمت مظاهر الشريعة وحددت أسس التعامل مع الآخر، وهي: [١]

- مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م.
- مجمع القسطنطينية الأول المنعقد سنة ٣٨١م.
- مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٣١م.
- مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م.

الثاني: المجامع الخاصة وتسمى أيضاً بالمجامع المكانية وهي "التي تعقدها كنائس مذهب، أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها؛ إما لإقرار عقيدة، أو لرفض عقائد أخرى"[٢].

مما سبق يتبين أن المجامع عبارة عن اجتماعات شورية إلزامية عقدها رجال الدين المسيحي؛ لمناقشة مسائل هامة في أصول الدين المسيحي وشرائعه وإقرارها ، وقد كانت أهدافها في الغالب إسكات الآخر وقمعه تحقيقاً لمصالح وأهواء معينة، فكانت الخطر الأكبر المؤثر في حياة المسيحية كعقيدة وشريعة، فقد صنعت الآلهة، وتحدثت عن طبيعتها، ومنحت الكنيسة سلطة الغفران، وقررت عصمة البابا وإطلاق صلاحياته، مما جعلها تتخذ سلطة قوية لم تعرفها أكثر الأديان.

---

(١) بتصرف، شلبي، رؤوف، **أضواء على المسيحية (دراسات في أصول المسيحية)**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٥م، ص٩٥

(٢) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص١٣٣

الفصل الرابع

التعريف بالإسلام وأهم عقائده ومصادره

المبحث الأول: التعريف بالإسلام

الإسلام اسمٌ يطلق على الدين الذي بُعث به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؛ رحمة وهداية للناس كافة، ولم تكن هذه التسمية عن اجتهاد من الرسول محمد ﷺ؛ وإنما كانت من الله تعالى حيث يقول: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣][١].

والإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعاً من لدن آدم عليه السلام حتى الرسالة الخاتمة التي جاء بها محمد ﷺ، وقد أقر بذلك جميع الأنبياء والمرسلين في مواضع عدة يحكيها القرآن الكريم عنهم، فنوح عليه السلام يقول: ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [يونس:٧٢] وكذلك يتوجه إبراهيم الخليل، وابنه إسماعيل عليهما السلام إلى الله تعالى بالدعاء قائلين: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾ [البقرة:١٢٨] وفي وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة:١٣٢]. والأدلة على ذلك كثيرة فيما لا مجال لحصرها، من هنا يمكن القول إن الإسلام يعد الإطار العام لدين السماء؛ وأما إطلاقه على الرسالة الخاتمة فما هو إلا من باب إطلاق الشيء على أكمل صوره؛ فهو جوهر الأديان السماوية كلها، والمصحح لمسارها بعد أن ضاعت أصولها وحرفت نصوصها[٢]، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران:١٩].

أما معناه فإن لفظة الإسلام في اللغة مشتقة من الفعل (سلم) وهي تعني: الخلوص والتعري من الآفات الظاهرة أو الباطنة، والصلح والأمان، والطاعة والإذعان[٣].

وقد ورد معناه الشرعي في مواضع عدة من القرآن الكريم منها:

١. الاستسلام لله في أمره ونهيه على لسان الوحي، فكل من أسلم وجهه لله في كل أمر فهو مسلم، ولمّا كان النبيون والمرسلون أكثر الناس لله استسلاماً، فقد كانوا بذلك أول المسلمين[٤]،

---

(١) بتصرف، طبّاره، عفيف عبد الفتاح، **روح الدين الإسلامي**، ط٢٢، ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٣

(٢) بتصرف، زاهر، **قصة الأديان**، ص٢٣-٢٤

(٣) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، حرف الميم، فصل السين المهملة، ص٢٨٩-٢٩٠ ، طبّارة، **روح الدين الاسلامي**، ص١٣

(٤) بتصرف بسيط، حوى، سعيد، **الإسلام**، ج١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص٦

يقول تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الانعام:١٦٢-١٦٣].

٢. "توحيد الله، والانقياد والخضوع، وإخلاص الضمير له، والإيمان بالأصول الدينية التي جاءت من عند الله تعالى"[١]، وقد ورد هذا المعنى في مواضع عدة من القرآن الكريم[٢]، ولا تعارض بين المعنيين اللغوي والشرعي فكلاهما يكمل الآخر ويوضحه، فلا يكون الاستسلام لله تعالى في جميع ما أمر به ونهى عنه إلا بعد الاعتقاد بوحدانيته، وأنه واحد لا شريك له مستحقٌ للعبادة والخضوع له وحده، والإيمان بجميع ما أرسله إلينا من أنبياء ومرسلين، وكتب سماوية، وما فيها من عقائد وتشريعات وأحكام تحمل أوامر الله تعالى ونواهيه.

والإسلام الذي دعا إليه رسول الله ﷺ يعرف من خلال معجزته الخالدة الخاتمة وهي القرآن الكريم الذي يعد دستور الإسلام، والسنة النبوية التي تشتمل على كل ما ورد عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير، فهو رسول الله ومبلغ شريعته فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد وضح هذان المصدران جميع القضايا والأسس التي جاء بها الإسلام، من العقيدة، والشريعة، والاقتصاد، والاجتماع، والحرب، والسلم، والقضاء، والثقافة، والعلم والحكم وغيرها...

وتعدُ العقيدة اللبنة الأساسية في بناء الإسلام، وهي التي تمد باقي أجزائه بالحياة، وتحدد اتجاهاتها، ومعالمها، وتتضمن الحقائق الكبرى التي دعا إليها، من تصور الوجود، ووجود الخالق، والكون، والإنسان، والصلة بين الله والكون والإنسان، وكذلك الحياة وما وراءها من مصير وجزاء، والنبوة التي هي طريق معرفة هذه الحقائق الكبرى[٣].

وقد عني الإسلام بذلك عناية تامة؛ لأن جوهره قائم على "تحرير الإنسان من الخضوع للأساطير، وتقديس ما لا يستحق التقديس، وتحريره من الخضوع لأمثاله من البشر، وجعله خليفة الله في الأرض، حيث أطلق عقاله، وفسح له أفق الوجود، وفتح أمامه مجالات الفكر والعمل..."[٤].

ولذلك كانت قضية التوحيد أهم قضايا الإسلام، وأساس جميع عقائده؛ فالإيمان بأن هناك إلهاً خالقاً، ورباً معبوداً لا يوجد سواه، يحرر الإنسان من أي سلطة أو قوة، فيتوجه الإنسان إلى الله

---

(١) طبّارة، **روح الدين الإسلامي،** ص١٤
(٢) انظر: الأنعام: ١٤، آل عمران: ٨٠، النساء: ١٢٥، الزمر: ٥٤
(٣) بتصرف، المبارك، محمد، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة** ، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥، ص٢٨
(٤) المبارك، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة** ، ص٤

تعالى بالعبادة له وحده دون وسيط أو شفيع، ويجعل الناس جميعاً متساوين أمام خالقهم، ولا ميزة لأحدهم على الآخر إلا بالعمل الصالح.

كما أن توحيد الله تعالى والإيمان به يوحد العقيدة والمنهج، ويوحد المنطلقات والغايات، عندما يجعل وحدة العقيدة جامعاً مشتركاً يلتقي عليه جميع الناس بكل أطيافهم واتجاهاتهم فالتوحيد جامع مشترك ومانع للتفرقة؛ ولذلك يقول تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:٦٤] وفي هذه الآيات دعوة صريحة للوحدة بين أبناء المجتمع الواحد من مسلمين وكتابيين؛ لأن الجامع هو توحيد الله وعدم الإشراك به، ووحدة أبناء المجتمع الواحد وانصهارهم فيه يحقق الخير لهم جميعاً، كما تؤكد أن دعوة التوحيد هي رسالة الأنبياء والمرسلين جميعاً، وغير التوحيد أمر دخيل على الأديان[١].

ولأن رسالة الإسلام جاءت من أجل الإنسان؛ فهو جوهرها وأساسها فمن البديهي إذاً أن نجد التوحيد أساسها وبوابتها، فالدخول فيه يبتدئ بالشهادة بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وتعني: "أنه لا معبود بحق إلا الله الواحد الأحد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه يتصرف في ملكه كما يشاء، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه أرسل سيدنا محمداً ... وأنزل عليه كتاباً أحكمت آياته، وأنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وصبر حتى صارت كلمة الله هي العليا" [٢]. وقد اشتمل الإسلام على طرق عدة لإذكاء هذه العقيدة وهذا الإيمان، ونقله إلى حيز الأعمال الحسية، والمشاعر القلبية؛ لإشعار الإنسان بموقعه من الله الخالق، ومصيره ومسؤوليته، وقد تمثل ذلك في جملة من العبادات التي تتنوع بين الفعل والترك؛ أما العبادات التي يتوجب القيام بها فهي، الصلاة ويلتزم المسلم بأدائها خمس مرات في اليوم، والصيام عن الطعام والشراب من الفجر حتى غروب الشمس في شهر واحد من كل سنة، وهو شهر رمضان، والزكاة وهي مقدار محدد من المال يخرجه المسلم من ماله للفقراء والمحتاجين، وفق شروط وضوابط معينة، وأخيراً الحج وهو مؤتمر شعبي عام يعقد في كل سنة، حيث

---

(١) انظر: السحمراني،**الإسلام بين المذاهب والأديان**، ص ١٧

(٢) الإسفراييني، أبو المظفر (ت ٤٧١)، **التبصير في الدين**، (تحقيق كمال الحوت) ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ص٥

يتجمع المسلمون من كل أصقاع الأرض؛ لأداء أركانه وفروضه على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم متساوون أمام الله، ويكلف المسلم به مرة واحدة في العمر(١).

كما تشمل العبادة أيضاً الكف والترك عن كل ما نهى الله تعالى عنه، وفيها تنظيم لحياة المسلم مع الآخر، وكيفية التعامل معه، كالنهي عن القتل، والسرقة، والغش، والغدر، والكذب، وشهادة الزور، والتعدي على الناس، وإيذائهم وظلمهم سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، كما يوجب الإسلام في المقابل على المسلم الالتزام بالأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة، والإخلاص، والكرم، والشجاعة وغيرها الكثير، وهي أخلاق عامة يلتزم بها المسلم أيضاً مع جميع الناس، وليست مقتصرة على ملة أو قوم بعينهم(٢).

ولم يقتصر الإسلام على عقيدة، وشعائر، وعبادات، وقواعد للسلوك والأخلاق فقط؛ بل تجاوز ذلك وبنى على هذا كله بناءً اجتماعياً كاملاً قدم للناس أسسه وهيكله العام، وخطوطه الكبرى واتجاهاته العامة، ويشتمل على تشريع للأسرة ووظائفها، وعلاقات أفرادها ببعضهم، كما يشتمل على نظام اقتصادي مالي يحدد طرق الكسب والإنفاق، وعلاقات الناس مع بعضهم البعض من الوجهة المالية، وأسس التكافل والتضامن، ومفهوم الملكية وقيودها، وكذلك احتوى نظاماً سياسياً متكاملاً، يتضمن مبادئ عامة للحكم والسياسة حدد فيها علاقة الحاكم بالمحكوم، وحقوق المواطنين في الدولة الإسلامية من المسلمين وغير المسلمين(٣).

مما سبق يمكن القول إن الإسلام هو الدين الذي ختم الله تعالى به جميع الأديان والرسالات السابقة بعد أن ضاعت وحرّفت، وقد عهد الله تبليغه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وأيده بمعجزته الخالدة الخاتمة التي اشتملت جميع قضايا الإسلام وأحكامه، وهي القرآن الكريم، وأعطاه شريعة نسخت ما قبلها من الشرائع مظهراً فيها كنه الدين الحق وجاءت موافقة لأحوال الإنسان كلها، ومناسبة لكل زمان ومكان، وقد احتوى الإسلام جملة من الأسس الفكرية التي يكون بها الإنسان مسلماً، وهي التصديق المطلق بالله تعالى، وتوحيده وتنزيهه عن الشريك والوسيط، والإيمان بكل ما أخبر به وأمر وأنزله؛ كالإيمان بالملائكة والرسل، والكتب، والحياة الآخرة، والقدر، والفرائض، والعبادات، والشرائع ، والأخلاق، واشتماله على ذلك كله جعل منه رسالة الرحمة والهداية والعدل والوحدة والاتفاق فكان بحق رسالة إنسانية عالمية، تبغي خير الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: الطنطاوي، علي، **تعريف عام بدين الإسلام**، وزارة الثقافة، ٢٠١٦م، ص٣٥-٣٨

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٣٧-٤٠

(٣) انظر: المبارك، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة** ، ص٢٩-٣٠

لمبحث الثاني

أهم العقائد الإسلامية

يرتكز الإسلام على قاعدة عقدية متينة ومترابطة، أوضحها القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥] ويقول أيضاً: ﴿**... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١٣٦]، كما وردت في حديث عمر بن الخطاب ﷺ عند سؤال جبريل عن الإيمان فأجابه رسول الله ﷺ: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**" (١).

المطلب الأول: الإيمان بالله تعالى

يعد الإيمان بالله عز وجل أساس عقائد الإسلام كلها، وعليه بنيت، وعنه تتفرع بقية الأمور العقدية، كما يعد الأصل الذي تترتب عليه العبادات والأخلاق والأحكام، ويقصد به "الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة: من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها، المنزه عن كل نقص"(٢).

والإيمان بالله تعالى يتضمن الاعتقاد بوجود الله(٣)، والإقرار بأنه رب الكون وخالقه ومدبره، وهو المستحق وحده للطاعة والعبادة، المتصف بجميع صفات الكمال والمنزه عن صفات النقص، وتوحيده، أما أدلة وجوده تعالى فهي متعددة لا حصر لها؛ فكل ذرة من ذرات الكون تنطق بأن وراءها خالقاً قادراً متقناً، ولا يملك كل ذي عقل سليم إلا الإيمان والتسليم لذلك.

---

(١) مسلم، بن الحجاج أبو الحسين (ت: ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ج١، رقم: ٨، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٣٦

(٢) انظر: ياسين، محمد نعيم، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه** ، دار عمربن الخطاب ، الاسكندرية، ص٤-٧

(٣) تناول العلماء مسألة وجود الله بالبحث والشرح وقد استندوا في إثباتها إلى أدلة عديدة من القرآن الكريم : دليل الفطرة ، دليل السببية، دليل الكونية، دليل الغاية والحكمة، الدليل الأخلاقي، ارجع للمزيد: الاشقر، عمر، العقيدة في الله، ط١٢، دار النفائس، عمان، ١٩٩٩م، ص٦٩-٩٤ ، الخطيب، محمد والهزايمة، محمد، **دراسات في العقيدة الإسلامية**، ط١ دار عمار، عمان، الأردن، ١٩٩٠م ، ص٥٨-٦٨، إبراهيم ، مجدي، **العقيدة علم**، ط٢، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٨٦-٩١

والتوحيد قضية شاملة، لذلك يعد قاعدة الإسلام الأصيلة التي لا تتغير مع الزمان أو المكان، وهو الحقيقة الواحدة التي لا يأتيها الباطل من قريب أو بعيد مهما تحداها الناس بالإنكار أوالنفي؛ ففي التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، و إثبات الوحدة لله في الذات، والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد(١)، كما عرفه بعض العلماء بأنه "نفي الكفء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته عز وجل"(٢).

وقد ركز الإسلام على غرس عقيدة التوحيد كما هو حال الرسالات السماوية الأخرى كاليهودية والمسيحية قبل أن تخضعا للتحريف والتبديل؛ لأن سنة الله في خلقه أن يكون للعقائد سلطان على الأعمال البدنية ، فما يكون من صلاح أو فساد في التعامل مع الذات أو الآخر إنما مرجعه إلى فساد العقيدة أو صلاحها، فعقيدة التوحيد تؤدي إلى استقرار الإيمان بالقلب مما يؤدي إلى نتائج إيجابية نحو الآخر من كون وإنسان وحياة، والتوحيد الخالص من الشوائب، الصادر من القلب تتبعه حتماً جميع الفضائل؛ لأن كلمة التوحيد ترسخ في ذهن قائلها ومعتقدها أن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا نافع إلا الله، وبذلك ترفع من قيمة الإنسان وتحترمه ، فمنها يستمد الإنسان الأنفة والعزة والحرية والشجاعة، إذ لا مالك ولا معطي ولا مانع إلا الله(٣).

ولذلك تصدى القرآن الكريم في مواضع عدة لتوضيح هذه العقيدة ومحاربة الإشراك وتحرير الإنسان من الخضوع لأي مخلوق على هذه الأرض، كما تصدى لمن قالوا بالثنائية في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾ [النحل: ٥١-٥٢] ويرد أيضاً على القائلين بالتثليث ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [المائدة:٧٣] مما سبق يلاحظ أن التوحيد جل الإسلام وجوهره، ولا يمكن أن يستقيم أمر الإنسان إلا به ليتحقق له السمو والرفعة والخير في الدنيا والآخرة.

---

(١) عبده، محمد، **رسالة التوحيد**، (تعليق محمد رشيد رضا)، ط ١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٦٢، وانظر: الجندي، أنور، **دراسات في الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية**، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٠ وما بعدها

(٢) عبيدات، محمود سالم، **العقيدة الإسلامية**، عمان، الأردن، ١٩٩٨م، ص١٨٤

(٣) انظر: طبّارة، **روح الدين الاسلامي**، ص ٩٣-٩٤

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة

وهو الركن الثاني من عقائد الإسلام، قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَسولُ بِما أُنزِل إليهِ مِن رَبِهِ وَالمُؤمِنونَ كُلٌ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ويقصد به الاعتقاد الجازم بوجود مخلوقات نورانية(١)، دائمة الطاعة لله تعالى، لكل منها وظائف ومهام: فمنهم من هو موكل بالدعاء للغائب (الآخر) "أخرج ابن سعد في طبقاته عن أم الدرداء قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلثمائة خليل في الله، يدعو لهم في الصلاة، قالت أم الدرداء: فقلت له في ذلك فقال: إنه ليس رجل يدعو لأخيه في الغيب إلا وكل الله به ملكين يقولان: ولك بمثل ذلك، أفلا أرغب أن تدعو لي الملائكة؟"(٢) ، ولا يكتمل إيمان العبد حتى يؤمن بوجود الملائكة، وما ورد في حقهم من صفات وأعمال مما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه، من غير تحريف أو زيادة أونقصان، وقد تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن الملائكة وأوصافهم وأعمالهم وأحوالهم. أما حقيقة الملائكة وتفصيل خلقهم وأحوالهم فقد استأثر الله تعالى بها، وحسب العبد أن يقتصر على ما وردت به النصوص القاطعة من القرآن والسنة(٣).

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب السماوية

ويتضمن الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله، سواء ما يشمل الصحف والألواح، وجميع أنواع الوحي اللفظي أو الكتابي التي ينزلها الله تعالى على أي رسول من رسله ليبلغها للناس، وبأية لغة من اللغات نزلت، صغيرة كانت أم كبيرة، مدونة أو غير مدونة، فيها صفة الإعجاز اللفظي للناس أو ليس فيها ذلك(٤).

وهذا ما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ**﴾ [الشورى:١٥] يقول **ابن باديس:** من الواجب أن نؤمن بجميع كتب الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام، ومنها التوراة كتاب موسى عليه السلام، والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام، والزبور كتاب داود عليه السلام، والقرآن الكريم أو الفرقان كتاب محمد ﷺ لأن القرآن هو الذي يفرق بين الحق والباطل(٥).

---

(١) أخرج مسلم عن عائشة أن رسول الله قال: "خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم" صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة،ج٤، رقم: ٢٩٩٦، ص٢٢٩٤

(٢) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ن٩١١هـ)، **الحبائك في أخبار الملائك**، ط١، (تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول)، ١٩٨٥م، ص١٢٧

(٣) انظر: البقرة:٣٠، التحريم:٦، الذاريات:٢٤- ٢٧، مريم: ١٦- ١٧، النازعات:١-٥، وانظر: الأشقر، عمر سليمان، **عالم الملائكة الأبرار**، ط٣، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٥م، ص٢٩-٣٠

(٤) بتصرف، الميداني، حسن حبنكة، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط١١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٤٦٦

(٥) بتصرف، ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ)،**العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية**، ط٢، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤه، الجزائر، ص١٠١

وتظهر حاجة الناس الماسة إلى الرسالات والكتب السماوية عندما يضلوا الطريق ويبتعدوا عن الحق فيقعوا في شباك الحيرة والشك، ولا يرون طريقاً للهداية أو سبيلاً للنجاة فيرسل الله تعالى لهم الكتب هداية ورحمة لما فيها من الحكمة والعلم يقول تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة:١٢٩]، والفضل، والبيان لكل شيء والحجة على الخلق يقول تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام:٣٨] والتعليم والتذكير والموعظة والتحذير يقول تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [القلم:٥٢][(١)].

من هنا يظهر تصديق الإسلام للرسالات، والكتب السماوية الأخرى وقبولها، ولكن كما أنزلها الله تعالى، لا كما حرفها أصحابها، فإيمان المسلم بالكتب السماوية دلالة على اعترافه بالآخر رغم مخالفته له.

المطلب الرابع: الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

يعد الإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً ركناً أساسياً من أركان العقيدة الإسلامية؛ فبدونه لا يتم إيمان المسلم ولا يستقيم، وهذا دليل على أن قبول الآخر أمر إيماني، يقول تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٥]، والنبوة تعني اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي إليه دون أن يؤمر بالتبليغ، أما الرسالة فتعني تكليف الله نبياً من أنبيائه تبليغ شريعته للمكلفين من الناس[(٢)].

وقد أسهبت الكتب المختصة في العقيدة الإسلامية في توضيح معنى النبوة والرسالة والفرق بينهما[(٣)].

ويجب الإيمان بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً وأنبياء كثيرين؛ هداية للناس وإرشاداً لهم، يقول تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر:٧٨] والذين ثبت تعينهم من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، والواجب الإيمان بهم جميعاً، وأنهم أكمل الناس خلقاً وخُلُقاً فقد خصهم الله بفضائل لم يلحقهم فيها أحد،

---

(١) بتصرف، درويش، عبد الحميد، **إثبات الرسالة وصفات الرسل**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٨٢-٨٤

(٢) انظر: الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٢٦٦-٢٦٧ ، الفرت، محمد أبو الغيط، وقلعجي، محمد رواس، **العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة**، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٣م، ص١٤٤

(٣) انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، (تحقيق جماعة من العلماء)، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الإلباني، المكتب الإسلامي، ط٨، بيروت، ١٩٨٤م، ص٨٢ ، الصابوني، محمد علي، **النبوة والأنبياء**، ط٣، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٩٨٥م، ص٧ وما بعدها، الاسفراييني، **التبصير في الدين** ، ص١٧١

وعصمهم عن كل ما يقدح فيهم من المعاصي، كما أيدهم بالمعجزات، مما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من خوارق العادات الدالة على صدق دعوتهم للمحاججة والتحدي، ولا نغفل في الوقت ذاته عن الإيمان ببشريتهم، وأنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع والضر(١)، ولكنهم خصوا بصفات وجب الإيمان بها مثل الفطانة والصدق والاستقامة، والتبليغ والأمانة والعصمة وقد أشار إليها القرآن الكريم في مواضع عدة(٢).

والأنبياء والرسل لم يرسلوا إلا من أجل الآخر وهدايته، وقد تعددت وظائفهم ويكاد جلها يدور في صالح الإنسان لتنظيم حياته وشؤونه. ومن أهم الظائف تبليغ الشريعة الربانية للناس، وهدايتهم إلى الخير، وتربيتهم على منهج الشريعة الربانية وتأديبهم بآدابها وغيرها، وقد بين القرآن الكريم أهمية هذه العقيدة، وحاجة الناس إليها، والمصلحة المترتبة على ذلك، يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الحديد:٥٧] يقول تعالى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:١٦٥](٣).

يقول الشيخ محمد عبده: "النبوة تحدد أنواع الأعمال التي تناط بها سعادة الإنسان في الدارين، وتطالبه عن الله بالوقوف عند الحدود التي حددتها، وكثيراً ما تبين له مع ذلك وجوه الحسن أو القبح فيما أمر به أو نهى عنه"(٤).

من هنا يتبين أن عقيدة الإيمان بالأنبياء والرسل جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية والإيمان بالله؛ إذ إن الإيمان بالله يقتضي تصديق المؤيدين من عنده وكل ما أخبرنا به، كما أن الإيمان بواحد من الرسل لا ينفك عن الإيمان بجميعهم؛ فموجب الإيمان في الكل واحد ولذلك يتوجب عدم التفريق بين أحد من رسل الله وأنبيائه في الإيمان.

المطلب الخامس: الإيمان باليوم الآخر

يعد الإيمان باليوم الآخر في الإسلام جزءاً لا يتجزأ من الإيمان بالدين الإسلامي، ذلك أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر تشكل ركناً أساسياً من أركان الإيمان بالإسلام، وأصلاً قوياً من الأصول التي تستند إليها العقيدة الإسلامية.

---

(١) انظر: ياسين، محمد نعيم، **الإيمان**، ص٤٣-٤٩ ، الفرت، **العقيدة الإسلامية**، ص١٥٩

(٢) انظر: التونجي، عبد السلام، **الإيمان بالأنبياء والرسل**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١، طرابلس، ١٩٨٦م، ص٥٠-٥١

(٣) انظر: الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٢٧٧-٢٨٢

(٤) عبده، محمد، **رسالة التوحيد**، ط١، ص١٣٩

وقد جاء ذكر اليوم الآخر في القرآن الكريم بأسماء مختلفة؛ إلا أن المعنى واحد فإذا عرف المؤمن أن الله عادل، وأن الدنيا تموج بالمظالم والمآثم، أدرك أن عدل الله يستحيل عليه أن يفلت منه ظالم، أو ينجو منه آثم إلا بعفو منه، وصفح عنه، وقد أخبرنا الله بالدار الآخرة فلا بد من المصير إليها والحياة فيها(١).

" يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا، فيموت كل من فيه من الأحياء، وتتبدل الأرض غير الأرض والسموات، ثم ينشئ الله النشأة الآخرة، فيبعث الله الناس جميعا، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى، وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر، فمن غلب خيره شره أدخله الله الجنة، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار"(٢).

وقد اعتنى القرآن الكريم بترسيخ هذه العقيدة في ذهن الإنسان وتوضيحها لأهميتها وأثرها في حياة الإنسان بشكل عام. يقول تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٤] وقال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

ويشتمل الإيمان باليوم الآخر على مجموعة من الحقائق التي وردت في الكتاب والسنة، فلزم الإيمان بها جميعاً، وهي: فتنة القبر وعذابه ونعيمه، يقول الشيخ الطحاوي: "ونؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم والقبر روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران"(٣)، وقد كان رسول الله ﷺ يتعوذ في دعائه منه، يقول تعالى: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٥-٤٦]

والإيمان بالساعة وأشراطها من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، والساعة هي التي تنتهي فيها الحياة الدنيا بجميع أوضاعها، وتبدأ القيامة بكل أحوالها، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ [الحج:١-٢]، ولاقتراب الساعة إمارات صغرى وكبرى، وتبتدئ أحداثها بنفختين في الصور؛ أما الأولى فيصعق فيها كل من بقي حياً في السماوات والأرض، وأما الثانية فيقوم فيها الناس من أجداثهم

---

(١) بتصرف بسيط، عبد القادر، محمد احمد، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي**، ص٣٧

(٢) سابق، سيد، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت ص٢٦٠

(٣) انظر: **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٣٩٦

ليوم الحشر، ومن حقائق الآخرة أيضاً البعث، وقد أشار إليه القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** ﴾ [الحج:٥-٧]، والحشر الذي يتم بعد أن يبعث الله الموتى جميعاً؛ ليقضوا بين يدي مولاهم يسائلهم عن أعمالهم، ويصف القرآن هول الحشر يقول تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس:٣٤-٣٧] ويصف رسول الله ذلك الموقف بقوله: **يحشر الناس يوم القيامة مشاة حفاة غرلا، قيل: يا رسول الله، تنظر النساء إلى الرجال؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** (١).

ثم يأتي العرض والحساب يقول تعالى: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا**﴾ [الكهف:٤٨] فلا يملكون إلا الاعتراف بذنوبهم أن يشهدوا على أنفسهم، فتوضع الموازين وتوزن الأعمال، وبعد انتهاء العرض والسؤال ووزن الأعمال وتقرير المصير يؤخذ كل إلى مصيره فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير، فيمرون في طريقهم على الصراط فمن كان مصيره إلى النار يهوي فيها، ومن كان مصيره إلى الجنة يكتب الله له النجاة ليصلوا في نهاية المطاف إما الجنة أو النار(٢).

وللإيمان باليوم الآخر أثر واضح في حياة الإنسان بشكل عام؛ إذ إنه "يمد في وجود الإنسان ويملؤه إحساساً بأنه خالد، وأن خلوده يقتضي ضريبة العمل الصالح، والسعي الحميد، واستثمار كل ما يملك من جهد ووقت فيما ينفع ويفيد"(٣)، فالإنسان كلما زاد عمله الصالح لنفسه ولمن حوله من كائنات ومخلوقات كلما زاد أجره في الآخرة، وكلما تأصل في الإنسان الاعتقاد بهذا اليوم ازداد جنوحه إلى الفضيلة والخير، والابتعاد عن الشرور والآثام، وبذلك يكون الإيمان

---

(١) أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، **المعجم الأوسط**، باب الالف، من أسمه أحمد،ج١، رقم:٢٩٤، (تحقيق طارق بن عوض الله)، دار الحرمين، القاهرة، ص٩٦ ، انظر:مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها أهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ج٤، رقم: ٢٨٥٩ ، ص ٢١٩٤

(٢) انظر: قطب، محمد، **ركائز الإيمان**، ط١، مركز الدراسات والإعلام (دار شبيليا)، الرياض، ١٩٩٧م، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٤١١-٤١٨

(٣) عبد القادر، محمد أحمد، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٥م، ص٣٧

باليوم الآخر عقيدة وسلوكاً تهدف إلى سمو الإنسان ورفع قيمته، وإعلاء غرائزه، والتحكم في شهواته وأهوائه في حياته الدنيا، وأما في الآخرة فبقاؤه وخلوده في النعيم هو خير الجزاء، وللمرء أن يدرك مدى انعكاس الإيمان بهذه العقيدة على حياة الإنسان، ونظرته لذاته وتعامله مع الآخر، وفي المقابل يستشعر خطورة إنكار هذا اليوم، والكفر به وانعكاس ذلك على حياة الإنسان والآخر.

المطلب السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

جاء القضاء في اللغة على وجوه عدة منها: حكم أو قدر وخلق(1)، وفي معجم مقاييس اللغة فإن القضاء بمعنى إحكام الأمر، وإتقانه وإنفاذه لجهته؛ ولذلك سمي القاضي قاضياً لأنه يحكم الأحكام وينفذها، وسميت المنية قضاءً؛ لأنه أمر ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق(2).

كما وردت كلمة القضاء في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة: ١١٧]، أما في الاصطلاح فقد عرف القضاء بأنه: "حكم الله تعالى في الأشياء على حد علمه بها وفيها"(3).

أما القدر فقد جاء في اللغة بمعنى مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، وهو قضاء الله الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها(4)، وقد تناول القرآن الكريم لفظة القدر في عدد من المواطن منها قوله تعالى: ﴿**...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**﴾ [الأحزاب:٣٨]

وفي الاصطلاح عرف القدر بأنه: "تقدم علم الله سبحانه بما يكون من إكساب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها"(5).

وقد اختلف أقوال العلماء في معنى القضاء والقدر معاً، وأسهبوا في ذلك، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرّف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر، وعلى الرغم من تعدد الآراء في ذلك

---

(١) انظر: الفراهيدي، **العين**، ص١٨٥، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، ج١، ط٥، ، (تحقيق يوسف محمد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص٢٥٥

(٢) انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٩٩

(٣) الحفني، إبراهيم (ت ٩٥٦هـ)، ط١، **نعمة الذريعة في نصرة الشريعة**، (تحقيق علي الرضا)، دار المسير الرياض، ١٤١٩هـ، ص١٠٨-١٠٩، وانظر: السفاريني، شمس الدين (ت ١١٨٨هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، ط٢، ج١، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ١٩٨٢م، ص٣٤٥

(٤) انظر: الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص١١٢-١١٤ ، الأزهري، محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ج٩، ط١، (تحقيق محمد عوض)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣٧، وابن فارس، أحمد بن الحسين (ت ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة**، ط٢، ج٢، (تحقيق زهير سلطان)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص٧٤٥

(٥) البيهقي، أبو بكر (ت٤٥٨)، **الاعتقاد**، ط١، ج١، (تحقيق احمد الكاتب)، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١هـ، ص١٣٢

إلا أن العلاقة واضحة بين اللفظتين: يقول ابن الأثير "القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه"(١)، من وقد عرف ابن حزم القضاء والقدر بأنهما: "حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه، وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا"(٢).

ويعد الإيمان بالقدر الركن السادس من أركان الإيمان، حيث لا يكتمل إيمان العبد ولا يتم إلا به، وهو أصل من أصول العقيدة الإسلامية، كما أنه جوهر التوحيد، فلا يتم التوحيد إلا من خلاله، يقول ابن عباس ﷺ: "القدر نظام التوحيد فمن وحّد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده"(٣).

ومعنى ذلك أن الإيمان بالقدر هو اعتراف بالسيادة الكاملة لله تعالى التي تجعل المسلم قابلاً لكل ما يجري عليه، ولذلك تجعله إيجابياً نحو الحياة والآخر، والإيمان بعموم علم الله عز وجل، وإثبات المشيئة والإرادة له سبحانه وتعالى، وما يقتضيه من إثبات للربوبية والسيادة الكاملة، والمباشرة على الخلق وأعمالهم، يقول البغوي: "الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها ، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم"(٤)، يقول تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦].

مما سبق تظهر أهمية الإيمان بالقضاء والقدر(٥) كأصل من أصول العقيدة والتوحيد، وما يترتب عليه من التسليم المطلق، والتوحيد الكامل والطمأنينة والسكينة في الأمور كلها، فلا يتم شيء إلا وفق علم الله وإرادته ومشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج ٤، (تحقيق طاهر الزاوي)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص٧٨

(٢) ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج٣، ص٣١

(٣) ابن بطه، بو عبد الله عبيد الله بن محمد (٣٨٧هـ)، **الإبانة الكبرى لابن بطة**، ج3،(تحقيق رضا معطي وآخرون)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ص١٦٣.

(٤) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الشافعي (ت ٥١٦هـ)، **شرح السنة** ، ط٢، ج١، (تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد زهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص١٤٣

(٥) ولأهمية هذه العقيدة في حياة الإنسان فقد أسهبت الدراسات في شرحها وتوضيحها وظهرت الخلافات بين الفرق فمنهم من أنكر القدر كالقدرية ومنهم من غالى في إثبات القدر حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل أوحرية واختيار كالجبرية، وذهب السلف إلى أن الله هو الخالق لكل شيء والإيمان بأن كل شيء يتم وفق علمه وإرادته، وما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ وقال الأشاعرة بالكسب.

المبحث الثالث

مصادر الإسلام

المطلب الأول: القرآن الكريم

أولاً: تعريفه

جاءت لفظة القرآن في معاجم اللغة بمعنى الجمع والضم وهي من الفعل (قرأ)، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، ومعنى القرآن معنى الجمع، ويسمى قرآناً؛ لأنه يجمع السور، فيضمها وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ**﴾ [القيامة:١٧] أي جمعه وقراءته، قال ابن عباس. وقرأت الشيء قرآناً أي جمعته، وضممت بعضه إلى بعض[١].

وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، فصار له كالعلم الشخصي، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، وقد سمي بذلك من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه وجميع العلوم[٢]، يقول تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الانعام:٣٨].

وللقرآن أسماء عدة منها: الكتاب يقول تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾ [الأنبياء:١٠]، والفرقان يقول تعالى: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان:١].

والقرآن بأي اسم سمي فهو: "المنزل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة (...) وعند أهل الحق وهو العلم اللدني الاجمالي الجامع للحقائق كلها"[٣]، وهو عند الأصوليين والفقهاء وعلماء اللغة: "الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[٤].

ثانياً: نزوله

تعددت مذاهب العلماء والمفسرين في نزول القرآن الكريم، والراجح أن للقرآن الكريم تنزلان:

الأول: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

---

(١) بتصرف، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٢٨ ، وانظر: الزبيري، **تاج العروس من جواهر القاموس**،ج١ ، ص٣٦٣

(٢) بتصرف، بسيط، القطان، مناع بن خليل (ت١٤٢٠هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص١٥-١٦

(٣) الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١، ضبطه وحققه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٧٤

(٤) الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٤، دار العلم للملايين، بيروت، ص٢٦

الثاني: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة(١)، يقول تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]، ولنزول القرآن مفرقاً حكم وفوائد جمة، أهمها: التدرج الفطري في إصلاح النفس الإنسانية، واستقامة سلوكها، وبناء شخصيتها وتكامل كيانها، وفي نزوله متدرجاً صلاح الإنسان، ومعالجة قضاياه بحكمة؛ فالقرآن يقدم الدواء الناجع في جرعات يمكن من خلالها القضاء على الشر والفساد والرذيلة من خلال تنظيم علاقة الإنسان مع ربه ونفسه، وعلاقته الإنسانية بالآخرين؛ ليكون التآخي العام، أو يكون تنازع البقاء تحت ظل الفضيلة الحاكمة لا تحت ظل الغايات والأحكام، كما وضع لهم أصول التشريع حسب المقتضيات أصلاً بعد آخر فكان ذلك طباً لقلوبهم(٢).

ثالثاً: جمعه

يطلق جمع القرآن الكريم تارة على حفظه في الصدور ، وتارة على كتابته، أما المعنى الأول فقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة:١٧]، وأما المعنى الثاني المختص بكتابته، فإن القرآن جمع في ثلاث مراحل: أما الأولى: فقد كتب كله في عهد النبي ﷺ حيث اتخذ كتاباً للوحي منهم الخلفاء الأربعة ومعاوية وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهم، إلا أنه كان مفرق الآيات والسور في العسب، واللخاف، والرقاع. وأما المرحلة الثانية: فهي جمع المصحف مرتب الآيات في عهد أبي بكر الصديق، وكان ذلك بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة، بعد أن استشهد فيها سبعون من حفظة القرآن، وأما الثالثة فقد تمت في عهد عثمان بن عفان وذلك بمشورة من الصحابي حذيفة بن اليمان بعد فتح أرمينية فأمر عثمان بن عفان عدداً من الصحابة، وعلى رأسهم زيد بن ثابت بنسخ المصحف، وأحرق ما سواه من مصاحف(٣).

وتتعلق مسألة جمع القرآن الكريم بكفالة حفظ الله له، وصيانته من التحريف والتبديل والعبث، يقول تعالى: ﴿إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] .

رابعاً: إعجازه

القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ، المتلو والمشتمل على الشريعة المحكمة، وهو باقٍ يقرأ ويتلى إلى يوم القيامة، وقد تحدى الله به الإنس والج. والناس في كل الأجيال يرون معجزاته رأي العين، يقول ابن تيمية : "فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا

(١) بتصرف بسيط، القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص١٠٣

(٢) انظر: القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص١١١-١١٧، أبو زهرة، محمد بن احمد (ت١٣٩٤هـ)، **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، دار العروبة، القاهرة، ١٩٦١م، ص٥٣-٥٧

(٣) انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦، رقم:٤٩٨٧، ص١٨٣، الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، ص٦٩-٧٨ ، الكردي، محمد طاهر المكي (١٤٠٠هـ)، **تاريخ القرآن الكريم**، جدة، ١٩٤٦م، ص٢٠-٢٩

يقدرون على ذلك، بل ولا يقدر محمد ﷺ نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر"[١]، يقول تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** [الإسراء:٨٨].

وقد تكلم العلماء قديماً وحديثاً في موضع الإعجاز في القرآن الكريم؛ فمن قائل أنه معجز لما اشتمل عليه من قصص صادقة لم يعلمها النبي الأمي إلا عن طريق الوحي، ومن قائل أن الإعجاز في اشتماله على حقائق علمية كونية، وقال آخرون أن الإعجاز يكمن في إسلوب القرآن ونسقه وعلى ذلك الأكثرون وهذا ما تشير إليه عبارات القرآن الكريم[٢]، "فنظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحدٌ بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق"[٣].

وبناءً على ما سبق يمكن القول أن القرآن الكريم يعد المصدر الأساسي والمنبع الذي يستقى منه الإسلام عقيدة وشريعة، حيث قرر العقائد الصادقة في الله ورسله واليوم الآخر، وأثبت ربوبية الخالق ووحدانيته وتنزيهه عن الشريك والند، وأوجب الكمال له المطلق كما أوجب الإيمان بالرسل وبما جاءوا به من عند الله تعالى، وأمسك بزمام الحياة كلها: فنظم للعقل تفكيره وتأملاته من أجل معرفة الله عن حقيقة ويقين، لا عن وهم وتقليد، وحفظ توازن الفكر أيضاً عن أن يضل في الخيال، يقول تعالى **﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [المائدة:١٥-١٦].

المطلب الثاني: السنة النبوية

السنة في اللغة على وزن فعلة، وجمعها السنن، وتعني الطريقة، يقول ابن الأثير في معناها: "والأصل فيها الطريقة والسيرة، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ، ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً"[٤].

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ط٢، ج٥، (تحقيق علي بن حسن وآخرون)، دار العاصمة، السعودية، ١٩٩٩م ، ص٤٣١

(٢) بتصرف، أبو زهرة، **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، ص٨-٩

(٣) ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ،ج٥، ص٤٣٣

(٤) ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج١، ص١٨

والسنة تطلق على الطريقة محمودة كانت أو مذمومة، فعن جرير بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء"(١)، وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"(٢).

أما معنى السنة اصطلاحاً عند علماء الإسلام فقد تعدد، واختُلف فيه باختلاف أغراضهم وفنونهم، فهناك تعريف لكل من الأصوليين والفقهاء والمحدثين. أما السنة في اصطلاح علماء الحديث فهي تعني: " ما أثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها ..."(٣).

وقد كانت السنة موضع اهتمام من الصحابة والتابعين، ومن تلاهم من العلماء بحفظ أحاديث النبي ﷺ وتناقلها جيلاً بعد جيل لما لها من أثر بالغ في الدين؛ فتفاصيل حياة النبي ﷺ وملامح شخصيته وشمائله وسيرته ذات أهمية كبيرة في حياة المسلمين العملية؛ لأنهم مأمورون بالاقتداء به في حياتهم الخاصة والعامة(٤)، يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الاحزاب:٢١] .

وللسنة النبوية أهمية كبيرة في حياة المسلمين إذ تعد المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فهي تبين القرآن، وتفصل الأحكام المجملة فيه، وتقيد المطلق، وتخصص العام، وتقرر أحكاماً لم ينص عليها الكتاب، ولا يمكن أن يتكامل التصور الإسلامي وفهمه بدونها، يقول عبد الحليم محمود: "سنة رسول الله لها مكانتها بالنسبة إلى القرآن، ولها مكانتها بالنسبة إلى التشريع، إنها المصدر الثاني – بعد القرآن – للإسلام، باعتباره عقيدة، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره تشريعاً، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره أخلاقاً وإنه من الواضح أن رسول الله كان

---

(١) **صحيح مسلم**، كتاب العلم، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة، ج٤، رقم: ١٠١٧، ص٢٠٥٩،

(٢) **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٤، رقم: ٣٤٥٦، ص١٦٩

(٣) القاسمي، محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، **قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦١ ، وانظر: السندي، عبد القادر بن حبيب، **حجية السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي** ، ط٨، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٩٧٥م، ص٩٠-٩١، وانظر: السباعي، مصطفى (ت١٣٨٤هـ)، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**،ط٣، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٧ ، السمعوني، طاهر بن صالح (ت١٣٣٨هـ)، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، ط١، ج١، (تحقيق عبد الفتاح أبو غدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٩٥م، ص٧

(٤) العمري، أكرم ضياء، **بحوث في تاريخ السنة المشرفة** ، بساط، بيروت، ط٤، ص١٩

يبين القرآن عقيدة وشريعة وأخلاقاً على وجوه شتى، وعلى أساليب تختلف في الإيجاز والإسهاب بحسب حالة المخاطب"[١].

ولأهمية السنة النبوية وعلو مكانتها كمصدر أساسي من مصادر الإسلام فقد حرص المسلمون على حفظها من الضياع، وتدوينها، وخصوصاً بعدما تعرضت إليه من محاولات قوية للتلاعب فيها والدس عليها، فقد سعى البعض إلى استغلالها لمآربهم السياسية أو المذهبية أو الشخصية، وعلى الرغم من المخاطر التي حفت بالسنة النبوية نتيجة حركة الوضع، إلا أن لذلك نتائج إيجابية أثرت على إشادة صرح السنة، وبناء علوم الحديث؛ حيث بذل العلماء جهوداً جبارة في تمحيص الحديث ونقده، وتمييز الصحيح من الموضوع، وقد ظهرت قواعد نقد الحديث ثم تبلورت على مر الزمان، حيث ظهرت بشكل منسق ودقيق في كتب مصطلح الحديث[٢]، وتذكر الكتب والمصادر المختصة أن السنة دونت في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، وبالتحديد في عهد عمر بن عبد العزيز، حيث أمر بتدوين السنة على يدي محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)[٣].

يقول ابن حجر العسقلاني: "وأول من دوّن الحديث ابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز"[٤]، ويقول السيوطي: "وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز"[٥].

وهذا إن دل فإنما يدل على حفظ الله تعالى لسنة نبيه ﷺ فقد حفظت في الصدور، ثم كتب أن تحفظ في السطور لما لها من مكانة وفضل، وما تشتمل عليه من عقيدة، وأحكام، وتشريعات وأخلاق، وتضمن الاستقرار والثبات والتنظيم لحياة الناس سواء في علاقاتهم مع خالقهم أومع ذواتهم ومع الآخرين.

---

(١) بتصرف، محمود، عبد الحليم (ت١٣٩٧هـ)، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، المكتبة العصرية، ص٢٦-٢٧

(٢) بتصرف بسيط، العمري، **بحوث في تاريخ السنة المشرفة**، ص٢٠

(٣) عبد المطلب، رفعت، **كتابة السنة في عهد النبي محمد ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية**، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ص٢

(٤) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ص٢٠٨

(٥) السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، ج١، (تحقيق محمد الفاريابي أبو قتيبة)، دار طيبة، ص٩٤

الباب الأول

الآخر في عقائد الأديان الثلاثة ومصادرها المقدسة

الفصل الأول

الآخر في العقيدة اليهودية ومصادرها المقدسة.

المبحث الأول: قيمة الإنسان في اليهودية

لا يمكن الحديث عن الإنسان في اليهودية بصورة عامة دون الرجوع إلى مصادرها المقدسة وخصوصاً نصوص التوراة، حيث أورد سفر التكوين سلسلة من الأحداث التي اعتمدها اليهود في نظرتهم للإنسان بشكل عام، ثم اليهودي والآخر بصورة خاصة؛ إلا أنه ينبغي التنبيه على أن اليهود لم يسجلوا ما عندهم من مأثورات عن موسى عليه السلام إلا بعد أن أذلهم نبوخذ نصر، وخرّب مساكنهم وشرّدهم، فأرادوا أن يجعلوا من موسى عليه السلام ستاراً يدّسون خلفه ما شاءوا من عقائد وأحكام وتشريعات، وخصوصاً ما يتعلق بنظرتهم إلى الإنسان من حيث أصله وطبيعته وتكوينه، حيث ستكون الأساس الذي ينطلقون منه في قضاياهم العقدية جميعها وأهمها قضية الألوهية وصولاً إلى مكانتهم في الكون.

المطلب الأول: العلاقة بين الإله والإنسان في اليهودية

بدأت التوراة في سفر التكوين بإثبات وجود خالق للكون بما فيه من سماء وأرض وبحار وأنفس حية، ووحوش وبهائم وغيرها[1]، ويتصور القارئ كما يملي عليه منطقه وعقله أن الإله الخالق في التوراة هو الإله المتسامي الذي ليس كمثله شيء في القدرة والإيجاد والعلم والقوة؛ ولكن لا يلبث إلا قليلاً جداً حتى يصدم بواقع جديد وصورة جديدة للإله يبدأ تشكلها مع خلق الإنسان وقصة وجوده، ففي نهاية الإصحاح الأول من سفر التكوين يبدأ أول تهاوٍ لمكانة الإله وقدره في اليهودية، ويبدأ على النقيض منه أول علو للإنسان وارتفاع لشأنه، يقول النص: "**وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ،(...) فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ**"[2].

---

(١) انظر: سفر التكوين١: ١-٢٦

(٢) سفر تكوين١: ٢٦-٢٧

والنص السابق يؤكد أن الإله قد خلق الإنسان على صورته وشبهه، وهذا يعني بضرورة الحال تساوي الإنسان؛ وتكافئه مع الإله في الصورة والشكل وهو أول سقوط لليهودية في تصوير العلاقة بين الله والإنسان فهي قائمة على التكافؤ والتشابه، وتستمر نصوص التكوين بعد ذلك في دعم هذه الحقيقة وتأكيدها بكل مبالغة وإسفاف؛ ففي بداية الإصحاح الثاني من سفر التكوين يقول: **" وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ... "**[١] ، وهنا يتوضح ما خفي سابقاً ، فالعلاقة بين الله والإنسان لم تكن قائمة على التكافؤ والتشابه في الصورة والشكل، بل وفي الصفات والطبيعة، فالإله يعمل ثم يعتريه التعب فيرتاح، وهذه من صفات الإنسان وطبيعته التي تتجلى في عجزه واحتياجه، وتستمر رحلة التكافؤ بين الإله والإنسان في سفر التكوين فبعد أن جبل الرب آدم من تراب الأرض ونفخ فيه نسمة الحياة[٢] وصنع له مُعيناً نظيره وهي حواء بعد أن أوقع عليه نوما عميقاً[٣]، تخبر النصوص أن الإله نهى آدم عن الأكل من شجرة المعرفة؛ بحجة أن الأكل منها سيؤدي إلى موته[٤]؛ ولكن الإنسان الطامع للمراتب العليا كما تصوره التوراة لا يبالي بأمر النهي فيأكل من الشجرة وعندها فتحت عيناه وتفتق علمه، ولم يمت؛ بل أصبح أقوى وأفضل مما سبق[٥]. وهنا تتأكد للقارئ حقيقة أن التكافؤ والتساوي بين الإله والإنسان بدأ يتأرجح ويتحول إلى صراع بين الطرفين نحو القمة، فالإله – تعالى عن ذلك – يخدع آدم ويخبره أن أكله من الشجرة سيميته، بينما آدم – الإنسان- في قمة شجاعته وكبريائه يعصي الإله ويأكل؛ فيتفتق ذهنه علماً ومعرفة، كما يوحي النص أيضا بداية صعود آدم نحو سلم الألوهية، وذلك بعد اجتيازه أول الحواجز- حاجز المعرفة -.

ويتمادى كتبة التوراة في تحجيم قدرة الإله وعلمه، ورفع قدر الإنسان ومكانته؛ فبعد أكل آدم وحواء من الشجرة، واختبائهما من الإله تزعم التوراة جهل الإله بمكان آدم، وعدم علمه بقضية الأكل من الشجرة يقول النص: **"وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ**

---

(١) سفرالتكوين٢: ٢-٤
(٢) انظر: سفر التكوين٢: ٧-٨
(٣) أنظر: سفر التكوين٢: ١٨-٢٥
(٤) انظر: سفر التكوين٢: ١٧-١٨ ، وانظر : التكوين٣: ٣-٦
(٥) انظر: سفر التكوين٣: ١-٧

أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»"[١].

وتستمر النصوص في عرض الصراع بين الإله والإنسان؛ فبعد أكل آدم من الشجرة، وإلصاقه التهمة بحواء يكتفي الإله بوضع قيود صارمة على آدم وحواء تلفها المتاعب والأوجاع ولا يظهر النص أو يشير إلى طرد آدم أو إخراجه من الجنة بسبب تلك الفعلة؛ بل كافأهما بعد أن صنع لهما أقمصة الجلد[٢].

ويصل الصراع أوجه بين الإله – تعالى عن ذلك – والإنسان في اليهودية عند حاجز الحياة الأبدية، فيتدخل الإله ليوقف المد الهائل للإنسان في سعيه للألوهية عندما أراد الإنسان أن يأكل من شجرة الحياة، يقول النص: **"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ"**[٣].

إذن عند الحاجز الثاني وهو شجرة الحياة تصور التوراة الإله بحالة من الضعف والوهن والعجز – تعالى الله عن ذلك – عندما يقف للإنسان بالمرصاد كوقوف الند للند خوفاً من أن يصبح إلهاً دائم الحياة فيقرر طرده من الجنة؛ ولا يعني ذلك تفوق الإله وانتصاره على آدم بل تبقى التوراة تحط من الإله وقدرته فتجعله في حالة توجس وتخوف من الإنسان خصوصاً بعد أن وضع الكروبيم، ولهيب سيف متقلب حرساً على شجرة الحياة؛ خوفاً من أن يعود الإنسان فيأكل منها.

وقد علق ابن حزم – رحمه الله – على هذا النص بقوله: " حكايتهم عن الله تعالى أنه قال: "آدم قد صار كواحد منا" مصيبة من مصائب الدهر، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد، ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم، وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم، فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة"[٤].

ولا يقف إساءة الأدب مع الله تعالى في صراعه مع الإنسان عند كتبة التوراة إلى هذا الحد؛ بل يستمر إلصاق النقائص والعجز والصفات البشرية بالإله بصورة متكررة على طول السفر،

---

(١) سفر التكوين٣: ٨-١٢

(٢) انظر: سفر التكوين٣: ١٣-٢١

(٣) سفر التكوين٣: ٢٢-٢٤

(٤) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج١، ص٩٧

وذلك مما تمنعه العقول، ويستحيل معه التنزيه لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ومن ذلك:

١. الزعم بأن للإله - حاشاه تعالى - أبناء وقد أعجبوا ببنات الناس فاتخذوهن نساءً لهم فأنجبوا الجبابرة(١).
٢. وصف الإله بالندم والأسف والحزن، وقد ظهر ذلك في مواضع عدة حتى في السفر نفسه؛ كندمه على خلق الإنسان، وندمه بعد ذلك على الطوفان (٢).
٣. وصف الإله بالنسيان وذلك عندما وضع القوس في السحاب ليكون علامة يذكره بوعده ألا يهلك الإنسان بعد حادثة الطوفان(٣).

وتختتم مشاهد الصراع المزعوم بين الإله والإنسان كما يصف كتبة التوراة ومحرفوها حتى تأتي لحظة النصر الموعودة، حيث يزعم سفر التكوين أن الصراع تحول من منافسة في السمو والرفعة نحو الألوهية إلى صراع مادي وتشابك بالأيدي، وذلك في قصة صراع يعقوب مع الإله، يقول النص: الزعم بأن الإله يصارع ويقاتل، وهذا ما تحكيه التوراة من صراع الله مع يعقوب حتى بزغ الفجر وقد أبى يعقوب أن يطلق الإله حتى يباركه وهذا ما حدث كما يزعم كتبة التوراة(٤).ويعلق ابن حزم على هذا الافتراء قائلاً: "تعالى الله عن كل ذلك عن كل شبه لخلقه، فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة"(٥).

وأمام هذه النصوص وأخرى كثيرة يقف القارئ عاجزاً حائراً من هذا التصور للعلاقة بين الإله والإنسان في اليهودية، وخصوصاً مسألة الحط من قدر الإله ومكانته، وهذا ما دفع ول ديورانت أن يقول: "إنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا"(٦).

ولم يقف حد تحجيم الإله وإلصاق النقص والعجز عند حدود التوراة فقط؛ بل تنتشر هذه الأساطير في التلمود أيضاً ، حيث يزعم أن في النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلاثة الأولى منها يجلس الإله ليطالع الشريعة، وفي الثانية ليحكم، وفي الثالثة يطعم العالم، وفي الأخيرة يلعب مع الحوت ملك الأسماك، ولكنه بعد تدمير الهيكل لم يعد له جلد على اللعب أو الرقص مع حواء واكتفى بالبكاء لتشريده بني إسرائيل(٧).

---

(١) التكوين٦: ١-٥
(٢) انظر: التكوين٦: ٦-٧، التكوين٨: ٢٠-٢٢
(٣) انظر: التكوين٩: ١٣-١٧
(٤) انظر: التكوين٣٢: ٢٤-٣٠
(٥) بتصرف، ابن حزم، **الفصل في الملل والاهواء والنحل**، ج١، ص١١٠
(٦) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، (ترجمة زكي نجيب محمود)، ج٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٤٠
(٧) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٣٦-٣٧

ويسير التلمود أيضاً على منوال التوراة حين يؤكد حيازة الإنسان على المعرفة الكاملة، وهي الحاجز الأول في سلم الألوهية، وتفوقه على الإله في المعرفة حين يزعم أن "الله يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء"(١)، ولذلك يحرم على اليهودي مخالفة الحاخامات ومجادلتهم؛ لأن ذلك يعني مجادلة العزة الإلهية ، حتى وصل بهم الأمر إلى القول بأن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها ولو بأمر من الله – تعالى الله عما يصفون- (٢).

مما سبق ومن خلال تحليل النصوص الواردة في سفر التكوين، يظهر أن الجدل في العلاقة بين الله والإنسان في اليهودية قد برز بعد خلق الإنسان، فقد أظهرت النصوص مرور الإنسان بمراحل وحواجز عديدة رغبة منه في بلوغ مقام الألوهية، وذلك بعد أن حطت من قدر الإله ومكانته، ووصفه بصفات لا تليق بجلاله فضلاً عن أن يصدقها عاقل؛ فحكمت بالتكافؤ بين الإله والإنسان في الصورة والشكل أولاً، ثم في الصفات والطبائع و المعرفة حتى كاد الإنسان أن يصل إلى الحاجز الأخير وهو حاجز الحياة الأبدية؛ لولا طرده من الجنة.

كما يتوضح للقارئ أن المبالغة في تحجيم قدرة الرب، ووصفه بصفات النقص والعجز أدى إلى تسهيل مهمة التكافؤ، ثم العلو للإنسان، كما تظهر النصوص السابقة أن أكل آدم من الشجرة لم يترتب عليه سوى التوبيخ والتقييد بمتاعب الحياة ومشاقها، ولم تصرح النصوص بطرده جراء ذلك إلا بعد محاولة الأكل من شجرة الحياة، وهذا يعني أن الخطيئة في التوراة ليست مقتصرة على أكل آدم من الشجرة، بل لا بد من جذور أخرى لها توضحها النصوص اللاحقة من سفر التكوين؛ لنصل في نهاية المطاف إلى القيمة الحقيقية للإنسان في اليهودية سواء الإنسان اليهودي أو الآخر من غير اليهود.

المطلب الثاني: الخطيئة والإنسان في اليهودية

تدارك كتبة التوراة ما حوته النصوص السابقة حول علو الإنسان وشأنه، فعمدوا إلى تخصيص هوية الإنسان الذي استحق ذلك العلو وتلك الرفعة من خلال قصة الخطيئة، وكما ظهر سابقاً فإن أكل آدم من شجرة المعرفة لم يترتب عليه الطرد من الجنة؛ بل تعلق الأمر بتوجس الإله وتخوفه – حاشاه تعالى عن ذلك – من إقدام الإنسان على الأكل من شجرة الحياة والحقيقة أنه لم يفعل؛ ولكنه طرد لأجل ذلك.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٣٣-٣٤

وتتوضح حقيقة الخطيئة في اليهودية ودورها البارز في الكشف عن هوية الإنسان المكرم وما رافقها من ويلات ولعنات في الإصحاح السادس من سفر التكوين حيث يقول : **"وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة (...) وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم. ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته (...) لأني حزنت أني عملتهم، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب..."**[١].

من خلال النص السابق يمكن ملاحظة ما يلي:

١. يقسم النص الناس إلى قسمين هما: أبناء الله، وبنات الناس، ويخبر بوقوع الإنسان في الشر وانغماسه فيه نتيجة زواج أبناء الله من بنات الناس وإنجابهم للجبابرة، ويوضح التلمود حقيقة أبناء الله وبنات الناس الواردة في النص السابق حيث يقول: إن آدم اتخذ لنفسه خليلة من الشياطين واسمها ليليت، فولدت له أبناء وبنات، وأن حواء اتخذت لها مجموعة من الشياطين وولدت منهم أبناء وبنات؛ ولكنها انجبت من آدم أبناء وبنات أيضاً[٢]، وهذا يفسر وجود مجموعتين من البشر كما ذكر سفر التكوين ، فأبناء آدم وحواء هم أبناء الله ، ومنهم نوح، أما أبناء آدم وحواء من الشياطين التي اقترنوا بها فيسمون أبناء الناس، وزواج أبناء الله (آدم ، حواء) ببنات الناس أي زواج العرق الطاهر من غير الطاهر أدى إلى ظهور الجبابرة.

٢. يوضح النص أن الإله غضب وحزن وتأسف لذلك الانحراف وتلك الخطيئة العظمى التي حدثت بعد زواج أبناء الله من بنات الناس، وتنجست السلالة الطاهرة، وأن ذلك أحدث شراً عظيماً لا يمكن تجاوزه أو السكوت عنه؛ ولذلك يقرر أن يمحو الإنسان من على وجه الأرض. وهنا يتساءل القارئ ما هو سبب غضب الإله الشديد، ولماذا قرر محو الإنسان من وجه الأرض؟ ألم يكن أكل آدم من الشجرة ومخالفته لأوامر الإله خطأً يستحق الغضب والسحق، ثم إذا كان أكل آدم من الشجرة خطيئة عظمى فلماذا يبقى مستمراً في عصيانه للإله فبدايةً فكر في الأكل من شجرة الحياة، ثم الآن يقترن بشيطانة ليلوث دمه الطاهر وينجب الجبابرة، ألم يتعظ ويتوب؟ كل تلك التساؤلات تؤكد أن

---

(١) سفر التكوين٦: ١-٨

(٢) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود**، ص٤١-٤٢

الخطيئة في اليهودية قد نجمت بعد زواج أبناء الله ببنات الناس؛ فاستحق الإنسان بذلك المحو والسحق من على وجه الأرض، ويستثنى من ذلك نوح؛ لأنه من ذرية آدم وحواء (أبناء الله)، ولأنه لم ينحرف ويزغ قلبه نحو بنات الناس؛ بل حافظ على نقاء عرقه وطهارة دمائه.

٣. يؤكد النص أن الشر الذي نتج عن زواج أبناء الله ببنات الناس قد أثر في طبيعة الإنسان فأصبحت كل تصوراته وأفكاره شريره[١] ، ويؤكد التلمود تلك الحقيقة؛ ولكن حاخامات اليهود يرجعونها إلى الله؛ فهو كما يزعمون مصدر جميع الشرور، وقد أعطى الإنسان تلك الطبيعة الرديئة – حاشاه عن ذلك - [٢].

وبناءً على ما سبق تذكر التوراة أن الله أحدث في الأرض طوفاناً محا من خلاله كل قائم كان على وجه الأرض، من الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء، وأبقى نوحاً وقلة معه في الفلك الذي أمره الله بصنعه لنجاته وأهله[٣]، وانحصر وجود الإنسان على وجه الأرض في سفينة نوح، ذلك الإنسان الطاهر الذي لم يزغ قلبه ويتزوج من بنات الناس، وبقي محافظاً على مكانته وقيمته التي سما بها وعلا، حتى جاء الإصحاح التاسع إذ يزعم أن نوح غرس كرماً وشرب الخمر، حتى سكر وذهب عقله وتعرى، فأبصره ابنه حام (أبو كنعان) ولم يغطه، وجاء سام ويافث فأحضرا رداءً ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة ابيهما، وعندما أفاق نوح من سكرته عرف ما فعله ابنه حام ، فقرر لعنه ولعن ابنه الذي لم يولد بعد وهو كنعان، وحكم عليه بأن يكون عبداً لإخوته، ويكون سام سيداً ومباركاً على إخوته جميعاً[٤].

وهنا يظهر أن تقسيماً جديداً ابتدعه كتبة التوراة؛ لتقتصر السلالة الطاهرة والمباركة للإنسان على نسل سام فقط ، أما حام وبنوه فوقعوا تحت العبودية والاحتقار والرفض[٥]. أي أنهم باختصار خرجوا من دائرة السمو والتكريم الإنساني، يقول الباحث ألبيرتو دانزول: "تبدو نصوص العهد القديم وكأنها تقدم عالماً تحتل فيه السلالة مكاناً بارزاً وسائداً ومقرراً لمصير

---

(١) يزعم سفر التكوين٨: ٢٠-٢٢ أن الله - تعالى عن ذلك - قد ندم على تدمير الأرض لأجل الإنسان وذلك بعد أن قدم له نوح القرابين فتنسم رائحة الرضا لأنه يحب القرابين المشوية. وبعد ذلك لما شم رائحة الشواء ندم على أنه خرب الأرض لأجل الإنسان وهو يعلم أن الإنسان لا فائدة منه ولا خير فيه فطبيعته أصلاً شريرة يقول: " وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ". سفر التكوين٨: ٢١

(٢) انظر: روهلنج، **الكنز الرصود**، ص٣٨

(٣) انظر: سفر التكوين٧: ١-٢٤

(٤) انظر: سفر التكوين٩: ٢٠-٢٧

(٥) وليس المجال لمناقشة النص وما ورد فيه من افتراءات وخزعبلات على نبي الله نوح والسبب الذي دعا الكتبة على ذلك.

الأفراد والشعوب، فإذا كانت فكرة النشوء الآدمي الواحد لمجموع البشرية قد ثبتت، فإن نصوص سفر التكوين تعرض **نوعاً بشرياً جذرياً** بدأ تشكله اعتباراً من نوح"(١).

وبناءً على نص الإصحاح التاسع وقصة نوح مع أبنائه يرى بعض اليهود أن الجنس البشري يقسّم إلى ثلاثة أصناف سلالية كبيرة: صنف المؤتمنين على الشريعة وهم اليهود، وصنف رفضوا الشريعة مع أن بإمكانهم أن يخضعوا لها، وصنف مدنسوّن بشدة ورجسون ولا يعرفون إلا الخطيئة وهم الكنعانيون(٢).

ويؤكد الزوهار ذلك حيث يقول في أولاد نوح: "الأول فاضل أو مليء بالفضيلة وهو سام، والثاني مليء بالرذائل وهو حام، والثالث بين الاثنين وهو يافث"(٣).

وعلى أثر هذه الخطيئة ودور العامل الوراثي فيها فإن اليهود هم ذرية الفاضل سام، والكنعانيون ذرية الرذيل حام، وبما أن الفضيلة يجب أن تدحر الرذيلة فيجب على اليهود إبادة الكنعانيين؛ وهنا يتوضح الآخر بالنسبة لليهود؛ ففي كل تقسيم طبقي تحدثه الخطيئة تضيّق الدائرة ويظهر الآخر بشكل أوضح، ولذلك يرى الكثيرون من اليهود أنه لا ينبغي للكنعانيين المنحدرين من نسل حام إلا وظيفة الاستعباد، وإذا تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على اليهود أن يردوهم بحد السيف؛ لأن هذا الوضع الذي فرض عليهم كان تشريعاً صريحاً ينسبونه إلى نوح(٤).

وتستمر نصوص التوراة في تضييق دائرة الإنسانية، وحصر التكريم والبركة والسيادة في جنس بعينه؛ ففي قصة إبراهيم وهو الجد الأكبر الذي يزعم اليهود انتسابهم إليه، يتزوج إبراهيم من سارة ابنة تارح؛ ليحافظ على صفاء سلالته؛ ولكن سارة كانت عقيمة، وبناءً على رغبة سارة تزوج إبراهيم من جارية سارة المصرية هاجر، وولد منها ابنه البكر **إسماعيل**، وبعد ثلاث عشرة سنة ولدت سارة لإبراهيم **إسحاق**، ثم أمرته أن يطرد إسماعيل وأمه إلى صحراء برساية حتى لا يرث مع إسحاق، وعاش إسماعيل وأصبح جداً لأمة كبيرة؛ أما إسحاق فقد ورث أباه، ونال بركته؛ لنقاء سلالته وطهارته، فاستحق التكريم والسيادة، وتزوج من رفقة وهي البنت الصغرى لناحور، وصار له ولدان عيسو وهو البكر، ويعقوب، وقد كان من المفترض أن يبقى عيسو الوريث الشرعي لأبيه؛ لولا زواجه من نساء حيثيات، ومساهمته في تلويث سلالة إبراهيم الطاهرة، وبذلك يكون عيسو قد ارتكب عاراً وخطيئة كبرى تشبه خطيئة زواج أبناء الله من بنات الناس، ومن

---

(١) دانزول، البيرتو، **اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية** ، ط١، (تعريب ماري شهر ستان)، الأوائل، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٣٩
(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص٦١
(٣) المصدر نفسه، ص٦٢
(٤) بتصرف، احمد، إبراهيم، **إسرائيل والتلمود**، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٤٧

الجدير بالذكر أن عيسو حاول تصحيح خطئه، وإنقاذ السلالة؛ فعمد إلى الزواج من بنات عمه إسماعيل معتقداً أن أباه سيفرح بذلك، ولم يكن يعلم أن الإسماعيليات أيضاً ممن يحرم الزواج منهن، فسبب بذلك غضباً فظيعاً لإسحاق ورفقة ؛ ولكن يعقوب ينقذ السلالة والبركة بعد زواجه من إبنة لابان شقيق والدته، وإنجابه لذرية طاهرة، ونقية السلالة(١)؛ فاستحق بذلك البركة والسيادة والتكريم، الذي انتقل إلى أبنائه، ثم إلى اليهود بعد ذلك كما يزعمون.

مما سبق نلاحظ أن كتبة التوراة قد أوردوا تقسيماً جديداً متذرعين بقصة الخطيئة؛ فبعد أن انحصرت البركة والتكريم الإنساني في نوح، ثم في سلالة ابنه سام، خرج إسماعيل وذريته بحجة أنه ابن جارية مصرية ، وحصر التكريم والسيادة في إسحاق فقط ،ثم في ابنه يعقوب بعد أن طرد عيسو؛ لأنه نجّس سلالة الدم الطاهر بزواجه من الحيثيات والإسماعيليات؛ لتغلق دائرة التكريم الإنساني على سلالة نقية تحمل في طياتها ذلك الإنسان المكرم الذي خلقه الله على صورته وشكله وطبيعته، كما صرحت بذلك النصوص الأولى من سفر التكوين، وهي يعقوب، ووصلت نصوص التوراة بذلك إلى حصر قيمة الإنسان، ومدى كرامته وعلوه في عرق ونسب محدد هم اليهود، وأخرج بذلك كل من هم من غير اليهود أي **الآخر**.

المطلب الثالث: الإنسان في اليهودية بين الخطيئة والطبقية

تسلسلت التوراة في عرض قصة الخطيئة، وأثرها في تشكيل صورة الإنسان وقيمته ومكانته، وظهر من خلال ذلك تدرج النصوص في حصر الإنسان المكرم والمبارك الذي يتمتع بالسلالة الطاهرة والنقية في حلقات متتابعة من نوح إلى سام، ثم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه بعد ذلك؛ ولذلك يحرص اليهود الذين أثبتت الدراسات الحالية أنهم لا يمتون إلى تلك السلالة بصلة على إرجاع أنفسهم إلى تلك الشخصيات، وسموهم الآباء الكبار، فخرجوا بعد ذلك بتقسيم طبقي مفاده أن اليهود يعدون الممثل الحقيقي لذلك الجنس النقي الطاهر؛ وأما الآخرون ممن هم خارج عرقهم وجنسهم، فليسوا سوى كائنات حية أدنى من البشر، وأعلى من القردة؛ ولكنهم يمتلكون وجه الإنسان وملامحه ، يقول موسى بن ميمون: " لقد نفخ الله في كل كائن بشري نفخة الحياة، أي الروح التي نسميها النفس؛ أما فيما يخص الشعب اليهودي فلقد أودعت فيه نفس إضافية أي النفس الإلهية، وبالنتيجة كل واحد منا أي اليهود يمتلك نفسين تحت تصرفه"(٢).

---

(١) انظر: سفر التكوين٢٤: ١-٦٧

(٢) دانزول، **اليهودية والغيرية**، ص١١

وبذلك يكون اليهودي مصنفاً في الأعلى ، وهو مجهز بروح إلهية قادرة على أن تربطه بالخالق، وفي درجة أدنى يكون الآخر الذي لا يملك تلك الروح الإلهية في الأسفل أي في حدود الحيوانية، فهو كائن غير عاقل تحركه رغبات جسده فقط[(١)].

وقد ظهرت التقسيمات الطبقية في السلالة الإنسانية عند اليهود نتيجة حتمية للخطيئة التي اكتسبت الطابع الوراثي، وبذلك تشكلت نظرة اليهودي إلى نفسه وإلى الآخر، ويرى **أندرية نيهير** أحد كبار المفكرين المعاصرين في اليهودية أن تقسيم البشرية إلى شعوب نوعية هو أحد المبادئ الأساسية لنظرة اليهود للعالم ، فالإنسان اليهودي هو إنسان ليس كالآخرين، إنها النظرة الإلهية التي تجعل من اليهودي شيئاً غير عادي ليس إنساناً بالمعنى الأرضي أو التقني، أو بالمعنى التافه للكلمة، إنها تكلله بقداسة مثالية وبالنسبة لـ (نيهير) فاليهود شعب يقع على حدود الإلهي والإنساني؛ فهو كاهن ومربٍ، ونموذج يقع في قمة الهرم الإنساني[(٢)].

وتلاحق التقسيمات الطبقية الناجمة عن الخطيئة القارئ لكتب اليهود ومصادرهم ففي التوراة والتلمود قسم البشر إلى قسمين: **الأول:** اليهود وهم الشعب المختار، **والثاني:** الآخرون من غير اليهود: وهم الشعب غير المختار، يقول سفر التثنية: **"لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"**[(٣)]، والتوراة تعج بالنصوص التي تؤكد هذا التقسيم مما جعل الكاتبة الأمريكية جريس هالسل تؤكد أن هذا التقسيم اتبع عند بعض المسيحيين الذين وقعوا تحت التأثير اليهودي، فمن يختار مفهوم الشعب المختار عليه أن يختار في الوقت نفسه مفهوم الشعب غير المختار[(٤)].

وكذلك يقسم الزوهار البشر إلى طبقتين فيقول: **"**ثمة يمين، وثمة يسار. اليمين هو إسرائيل واليسار هو باقي الأمم الوثنية، واليمين جنة، واليسار جحيم**"**[(٥)]، ويرى الزوهار أيضاً أن كل ما هو جيد في عالمنا فإنه ينتمي إلى جانب اليمين المقدس، وهذا هو حال اليهود**!** وأما الآخر في اليسار ففيه تحتشد قوى الشر والأغيار[(٦)].

مما سبق يظهر أثر الخطيئة في تقسيم البشرية بين اليهود والآخرين، وقد استغلت التوراة ذلك فعملت على توظيف الانتقال الوراثي لبعض التصرفات؛ ففي قضية نوح وابنيه سام وحام

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢
(٢) المصدر نفسه، ص٣٩-٤٠
(٣) التثنية١٤: ٢
(٤) انظر: هالسل، جريس، **النبوءة والسياسة**، ط٢، (ترجمة محمد السماك)، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م، ٥٦-٥٧
(٥) رخلافسكي، تسفي، **حمار المسيح**، (ترجمة إسماعيل درج)، ط١، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٢٤١-٢٤٢
(٦) بتصرف، المصدر نفسه، ص٢٤١-٢٤٢

انتقلت الطبيعة الشائنة من حام إلى ذريته جيلاً بعد جيل، فكان الكنعانيون ذوي طبيعة عاطلة وخبثهم غريزياً؛ أما قداسة يهود فهي استمرار لفضيلة سام، كما انتقلت العبودية من إسماعيل ابن الجارية على حد قول التوراة إلى ذريته من بعده، فاستحقوا بذلك الخروج من دائرة التكريم الإنساني إلى العبودية. ويبدو أن الشعوب تمتلك طبيعة ثابتة تتحكم بالعلاقات بين الأمم، وتوجه أفعالهم ومصيرهم، وبما أن اليهود قد ثبتت طبيعتهم ورسخت بالبرهان السلالي فهي وحدها من تستطيع أن تقوم بالإبادة الكاملة للشعوب الأخرى على طريقة استئصال الشر وبكل ضمير مرتاح(١).

كما يتبين أن قصة الخطيئة في سفر التكوين قد تدرجت في رسم صورة اليهودي وموقعه الرفيع من الجنس البشري، وكيف استحق بذلك فضيلة الوصول إلى السيادة، وما نجم عن ذلك من تقسيم البشر إلى طبقات، مما يؤكد أن النظرة اليهودية إلى الإنسان مختلفة تماماً حيث يشوبها الكثير من التعقيد والخرافة والأساطير، فليس كل البشر منضوين تحت لواء الإنسان المكرم بخلق الله له واستخلافه في الأرض، وليس البشر جميعاً متساوين في الخلقة أو التكريم والدور والطبيعة وهذا ما يلاحظه القارئ لنصوص الكتب المقدسة عند اليهود.

المطلب الرابع: حقيقة الإنسان في اليهودية

تؤكد نصوص التوراة والكتب المقدسة عند اليهود أن نظرة اليهودية للإنسان مختلفة تماماً عن غيرها من الشرائع والفلسفات والحضارات، ويشوبها الكثير من التعقيد والغموض؛ فليس كل البشر منضوين تحت لواء الإنسان الذي أحاطه الله بالتكريم والاستخلاف والسيادة في الأرض، فالتقسيم الطبقي السابق ذكره، أظهر البشر في قسمين:

الأول : قسم لا خطيئة عليه (خال من الخطيئة) وهم اليهود، وذلك بحكم نقاء الدم وطهارته، والانطواء تحت عرق معين، أثبته كتبة التوراة في سلسلة من الحلقات التي ابتدأت بقصة أبناء الله وصولاً إلى يعقوب والأسباط.

الثاني: قسم كله خطيئة (مغموس في الخطيئة) وهم كل من لا يحمل عرق اليهود، ونقاء دمائهم.

من هنا اعتنى الحاخامات والأحبار في اليهودية بضبط المصطلحات والتعابير التي تطلق على غير اليهود، خشية أن يحدث الاختلاط بين بني الإنس ، فلا يعرف الإنسان الحقيقي الذي

---

(١) انظر: دانزول، **اليهودية والغيرية**، ص٦٢

استحق السيادة والتكريم من صاحب الخطيئة، ومن هذه المصطلحات كلمة **جوييم** ومفردها **(جوي)**، وهي لفظة تدل على أي شعب من الأمم الأخرى من غير اليهود[١].

وقد اقترنت هذه اللفظة في عقول اليهود بالزراية والاحتقار، وإذا أطلقت على شخص ما فإنها تعني همجي وبربري، أو العدو العالمي المكروه، أو السعادين الحليقة المحتقرة والحبيبات البشرية، أو الشيء الذي يجمع القذارة والنجاسة والحقارة[٢]. وقد تعني لفظة جوي أيضاً جثة أو جسد أو رمّة، كما تستعمل للدلالة على الحيوانات المتجمعة في قطيع، أو الطيور والحشرات والهوام التي تتحرك في أسراب[٣]، وقد استخدمت التوراة هذا المصطلح، فصفنيا يقول: **"فَتَرْبُضُ فِي وَسَطِهَا الْقُطْعَانُ، كُلُّ طَوَائِفِ الْحَيَوَانِ (جوي)"**[٤]. ثم سلكت جوي في العبرية طريق التطور من إفادة معنى الهوام والحشرات، إلى سفلة الناس وشرارهم، ثم خصصتها العنصرية اليهودية منذ القدم للدلالة على الناس جميعاً من غير اليهود، وقد توسع أحبار اليهود في مدلول الجوييم، فأضافوا إلى الكلمة معنى القذارة المادية والروحية والفكرية، إلى درجة أن أصبحت كلمة جوي سبة أو شتيمة على كل مخالف يتعدى حدود الدين[٥].

ولم يقف شغف اليهود في إبعاد الآخر عن إطار الإنسانية عند لفظة جوييم فقط؛ فهناك ألفاظ عديدة سنتطرق إليها عند الحديث عن العنصرية في التنظيم الاجتماعي ،فمثلاً كلمة الأغيار استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، واكتسبت إيحاءات بالذم والقدح وأصبح معناها الغريب أو الآخر[٦].

وفي مقابل هذا الازدراء والاحتقار للآخر من خارج العرق اليهودي، توضح مصادر اليهود وكتبهم مكانة اليهودي في الكون ، وهي على النحو الآتي:

١. **علو مكانة اليهودي، وتكافؤه مع الإله:** فلم تقتصر محاولات كتبة التوراة على المقاربة بين الإنسان اليهودي وإظهار تكافئه مع الإله؛ بل حاولت إظهار تفوقه وتميزه عليه، وحول التكافؤ بين الشعب اليهودي والإله يقول الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر: إن وجود حوار بين الإله والشعب في التوراة يقضي بأن الإله والشعب طرفان متساويان[٧]. ولم يقف حد إظهار عظمة اليهود وعلو مكانتهم عند ذلك، بل تظهر مكانة اليهود في التأثير

---

(١) ظاظا، حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ط١، دمشق، دار القلم، ١٩٨٧، ص١٠٩

(٢) انظر: ديب، سهيل ، **التوراة تاريخها وغاياتها**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٢،ص٢٤ ، ظاظا، حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ص١٠٩

(٣) بتصرف، ظاظ، حسن، **الشخصية الإسرائيلية**، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠م، ص٤٧-٤٩

(٤) صفنيا٢: ١٤

(٥) بتصرف، ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٤٧-٤٩

(٦) بتصرف، المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية** ، م٥، ص٢٤٠

(٧) المسيري، **المصدر نفسه**، م٥، ص٦٧

بالإله، وارتباط مصيره بهم "فلا يمكن للإله أن يحقق ذاته ويستعيد كماله إلا من خلال شعبه اليهودي، فاليهود بآثامهم يؤخرون عملية الخلاص التي تؤدي إلى خلاص العالم وإلى اكتمال الإله، وهم بأفعالهم الخيرة يعجلون بها ، لذا فالأغيار والإله يعتمدون على أفعال اليهود الذين يشغلون مكانة مركزية في العملية التاريخية والكونية للخلاص"[١].

٢. **مكانة اليهود من الكون:** تصرح مصادر اليهود وكتبهم بموقع اليهودي ومكانته من الكون، حيث يتوقف بقاؤه ووجوده على الشعب اليهودي يقول التلمود: "كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء ، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل" [٢]، وفي موضع آخر يؤكد التلمود حقيقة مكانة اليهود من الكون حيث يقول: "لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، لأنهم بحسب التلمود جزء من الله"[٣].

٣. **مكانة اليهود في سلم الإنسانية:** يزعم اليهود من خلال مصادرهم اختصاصهم بالتكريم الإنساني في السمو والسيادة، واستحقاقهم لكمال الخِلقة والقوامة، حيث يزعمون أن الله منحهم الصورة البشرية على سبيل الاستحقاق الذاتي لها، والتكريم لهم؛ أما الأمم الأخرى فقد خلقوا من طينة حيوانية، ونفوسهم نجسة، وإذا كانوا قد منحوا الصورة البشرية فلم يكن ذلك على سبيل الاستحقاق الذاتي أي لا يعني إنهم مندرجون في سلم الإنسانية؛ بل كانت الغاية من تصويرهم بهيئات البشر أن يأنس اليهود بهم فلا يفزعون أو يخافون، الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل مهمتهم المقدسة في الحياة، وليسهل تسخيرهم واستعبادهم إذ بغير التشابه الصوري لا يسهل التفاهم بين السادة المختارين والعبيد المُحَقَّرين لذلك فهم بحسب عقيدتهم أصلاء في الإنسانية وأطهار بحكم عنصرهم المستمد من عنصر الله، أما الآخر فهو من الحيوانات نجس في عنصره، بشرٌ في صورته[٤].

ويؤكد التلمود قداسة الجنس اليهودي وسموه الإنساني، وإخراج الآخر من حظيرة الإنسانية حيث يقول: كما يسمو الإنسان على الحيوان، كذلك يسمو اليهودي على باقي أهل الأرض ذوي الطبيعة البهيمية[٥].

---

(١) المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية** ، م٥، ص٦٦

(٢) ظاظا، **أبحاث في الفكر الديني اليهودي**، ص١٠١

(٣) روهلنج، **الكنز المرصود**، ص٥١

(٤) بتصرف، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **مكايد يهودية عبر التاريخ**، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٩٨٢م، ص١٢-١٣

(٥) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٥١-٥٣
تُفسر هذه النصوص وغيرها، الأسباب التي تقف خلف موقف داروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء من قضية أصل الإنسان وتكوينه، محاولته الحثيثة لإثبات تطوره من سلالة القرد نافياً أي تكريم رباني للإنسان مساوياً بينه وبين الحيوانات، وعلى الأغلب فإن داروين ما كان ليضع هذه النظرية لولا تأثره بالعقائد العنصرية التي ينضح بها تراث اليهود وفكرهم.

كما يصرح التلمود أيضاً أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هي بقدر الفرق بين اليهودي والآخر، فاليهودي يتنجس إذا لمس القبور إلا قبور الأمم الأخرى فإنه لا يتنجس؛ لأنهم بهائم وليسو من أبناء آدم(١).

ويعتبر التلمود أن الآخر من الكلاب استناداً لما ورد في سفر الخروج من أن الأعياد المقدسة لم تُجعل للأجانب ولا للكلاب، ومع ذلك فهم يعتقدون أن الكلب أفضل لأنه مصرح لهم في أعيادهم أن يطعموا الكلب وليس مصرحاً لهم أن يطعموا الآخر(٢).

كما يعتقدون بسموهم الفكري على الآخر وذلك ناجم عن اعتقادهم بأن الله يُجدد روحهم كل يوم سبت، ولذلك يتجدد نشاطهم الفكري والمادي كل أسبوع، وهو ما يجعلهم متفوقين على الآخرين، أما الشعوب الأخرى فإنها تلد من مخزون الرب العمومي غير المتجدد؛ لأن أرواحهم كما هي أجسادهم تدفن فور مماتهم، أما روح اليهودي فتخرج بأحفاده لأن أرواح اليهود كما يزعمون لا تسعها القبور(٣).

ولذلك يردد اليهود في الأجزاء الأولى من صلوات الصباح اليومية شكرهم وحمدهم لله تعالى لأنه لم يخلقهم مثل الآخرين فيقولون: "فلنشكر إله الجميع لأنه لم يخلقنا مثل كل أمم الأرض"(٤).

وليست هذه العبارات والأدعية من وحي خيال اليهود أو بنات أفكارهم؛ بل هذا ما تعلموه من خلال مصادرهم ، تقول التوراة: " **وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا، كَمَا قَالَ لَكَ، وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ**"(٥).

وفي نهاية هذا المبحث ومن خلال ما صرّحت به نصوص اليهود في مصادرهم المقدسة يثبت لدى القارئ أن اليهودي يتربع على عرش الكمال الإنساني، فهو من سلالة مقدسة في أصلها لخلوه من الخطيئة فاستحق بذلك السمو والرفعة والسيادة، بينما يقبع الآخر وهو كل من كان خارج دائرة العرق اليهودي خارج دائرة التكريم الإنساني، فاستحق بذلك أن يكون عبداً مسخراً لخدمة اليهود، وبذلك تظهر خطورة ما يمكن أن تحققه هذه الأفكار والمعتقدات في نفسية اليهودي وشخصيته وسلوكه تجاه الآخر، ومما يجدر التنبيه عليه أن هذه الافتراءات كانت لبنة أساسية في انبثاق اعتقادات متعددة ساهمت في إقصاء الآخر وتهميشه وأهمها:

- عقيدة الاختيار الإلهي.

---

(١) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٥١

(٢) المصدر نفسه، ص٥٢

(٣) بتصرف، الزعبي، **حقائق عن اليهودية**، ط١، الدار المتحدة للطباعة، ١٩٩٠م، ص٦٠-٦١

(٤) يوسف، يوسف، **الأغيار في الثقافة اليهودية**، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٣٧

(٥) سفر التثنية٢٦: ١٨-١٩

- عقيدة الميثاق الإلهي.
- قيادة ركب الخلاص للبشرية خلف راية المسيح المنتظر.

المبحث الثاني

الآخر وعقيدة الاختيار الإلهي

المطلب الأول: معنى الاختيار الإلهي عند اليهود

هو اعتقاد اليهود بأن الله اختارهم من بين جميع شعوب الأرض؛ ليكونوا شعبه الخاص ويكون إلهاً لهم، وقد نالوا في زعمهم ذلك بعد أن أصبحوا شعباً مقدساً وأزلياً ، ولذلك أطلقوا على أنفسهم (الشعب المختار) وهي ترجمة للعبارة العبرية (هايم هنفخار) و (أنا بحرناتو) والتي تعني اخترتنا أنت، وكذلك (عم سيحولا) أي شعب الإرث، أو (عام عولام) أي الشعب الأزلي والتي تشير إلى أن اختيارهم كان برنامجاً إلهياً[١].

وتظهر هذه التعابير تطاولاً على الإله؛ لأنها تشير إلى مشاركته في أزليته وأبديته ، ويذكر حسن ظاظا أن بعض اليهود قد أحس بفداحة هذه التعابير ففسرها على أنهم أقدم شعوب العالم؛ ولكن التاريخ يخبر بخرافية هذا التفسيرلأن اليهود ليسوا أقدم من الفراعنة، ولا سومر وبابل وأشور، أو الهنود والصينيين والعرب[٢].

ويذكر أن عقيدة الاختيار الإلهي قد تبلورت على يد فقهاء الدين وأحبار اليهود، مستخدمين بذلك كل الوسائل، مُلقين بالحقائق والأسانيد وأدوات الجدل والمنطق خلف ظهورهم لدعم الأسطورة التي تولدت في نفوسهم خلال فترة السبي البابلي؛ ولذلك لم يجد الأحبار ورجال الدين وعلى رأسهم عزرا خيراً من التوراة؛ ليفرغوا فيها كل تلك الأسانيد، ويجعلوا منها فقرات لاهوتية مقدسة يتعبد بها المؤمنون من الديانتين اليهودية والمسيحية أيضاً على حدٍ سواء[٣]، ومن النصوص التي يستدلون بها على صحة هذا الاعتقاد وثبوته:

- **" لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"**[٤].
- **"أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب (...) وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي"**[٥].

وفي التلمود نصوص كثيرة تؤكد هذا الاعتقاد منها قوله: "خمسة من الأملاك كانت للرب المبارك أخذها لنفسه وهي القانون، الأرض، إسرائيل، المعبد"[١].

(١) انظر: الشامي، رشاد، **الشخصية اليهودية والروح العدوانية** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ١٩٨٦م، ص٢٩ ، ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٣٨

(٢) بتصرف، ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٣٨

(٣) بتصرف، عامر، عبد العزيز، **بنو إسرائيل الشعب الذي كان مختاراً**، ط١، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٢٣

(٤) سفر التثنية٧: ٦-٨

(٥) سفر اللاويين٢٠: ٢٤-٢٦

مما سبق يظهر أن عقيدة الاختيار الإلهي بمثابة عقد احتكار بين طرفين حيث اختار الإله اليهود شعباً خاصاً له ، وأصبح هو إلههم الخاص. ولكي تأخذ هذه العقيدة مكانها في قلوب أتباعها فقد ضمنها كتبة التوراة والأحبار في المصادر المقدسة التي يؤمن بها اليهود.

المطلب الثاني: أسباب الاختيار الإلهي عند اليهود

لعقيدة الاختيار الإلهي عند اليهود أسباب ودوافع متعددة كان لها أثر واضح في حياة اليهود ونظرتهم للآخر، وأهمها:

أولاً: النقاء العرقي المزعوم

يؤكد اعتقاد اليهود باختيارهم الأساس الذي بني عليه هذا الاعتقاد، وهو النقاء العرقي وطهارة الجنس اليهودي، وقد تناول المبحث السابق هذه القضية بالتحليل والمناقشة من خلال سفرهم الأول التكوين، ونصوص كتبهم ؛ فالشعب المختار هو الشعب اليهودي الأصل، الذي تميز بالتكريم الإنساني، والخلو من الخطيئة المتمثلة في الاختلاط بالشعوب الأخرى، مما حافظ على نقاء دمائهم وطهارة عروقهم، حتى استحقوا شرف اختيار الله لهم ، وسعيه لأجلهم دون الالتفات إلى الشعوب والأمم الأخرى التي تنجست دماؤهم بفعل الخطيئة ، يقول البروتوكول الخامس عشر إن: "وعقل الأممي **(الآخر)** لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته (...) وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية"[٢].

كما يؤكد البروتوكول الرابع عشر ذلك أيضاً حيث يقول: "ويظهر هذا التمييز بين الأغيار وبين أنفسنا في القدرة على التفكير والمناقشة المنطقية في الحقيقة القائلة بانتخابنا شعب الله المختار، لنمثل مخلوقات بشرية أرفع من الأغيار الذين يحملون عقولاً حيوانية وغريزية، فهم يلاحظون، ولكنهم لا يتنبئون بالأمور قبل وقوعها؛ لهذا قُدِر لنا أن نحكم العالم ونوجهه"[٣] ولا تقتصر هذه الخرافة على النصوص فقط؛ بل اقتحمت كتب علماء اليهود ومؤرخيهم حيث يذكر المؤرخ اليهودي جوزف تصنيفاً للإنسانية يقدم فيه وبتحيز كبير سلماً إنسانياً يقع فيه الشعب اليهودي في القمة وخلفه الرومان، ويضع المصريين والكنعانيين في أسفله[٤].

---

(١) التلمود البابلي، سفر الآباء، م١٣، ص٣٢٤-٣٢٤

(٢) التونسي، محمد خليفة، **الخطر اليهودي (بروتوكولات) حكماء صهيون**، ط٣، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ص١٩٤

(٣) فورد، هنري، **اليهودي العالمي**، (تعريب خيري جماد)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٨٤

(٤) بتصرف، دانزول، **اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية** ، ص١٤٧

وقد كان لهذا الاعتقاد أثر في صبغ الشخصية اليهودية بالعنصرية والاستعلاء، كما انعكس ذلك في نظرتها إلى الآخر، يقول حسن ظاظا : "الخرافة قد تكون أقوى أثراً في خلق النفسية العنصرية من الحقيقة التاريخية نفسها، خصوصاً إذا اصطبغت مع الزمن بقدسية الدين، وهذا ما كان من أمر الشخصية الإسرائيلية"[١].

ومما يجدر ذكره أن عقيدة الاختيار الإلهي لا ترتبط باعتناق الدين اليهودي أو الخروج منه؛ بل يتعلق الأمر بالعرق فقط لذلك "فإن اليهودي الذي يولد يهودياً يظل كذلك حتى ولو أبدل دينه بدين آخر"[٢]، والأمر كذلك بالنسبة للآخر من خارج العرق اليهودي؛ فالآخر يبقى آخراً حتى لو اعتنق اليهودية وبذلك يبقى خارج دائرة القداسة والاختيار الإلهي، وهذا ما يفسر سبب إحكام اليهود الإغلاق على ديانتهم وأنفسهم، وإذا أراد أحد الدخول فيها فإنهم يسعون جاهدين ليثنوه عن ذلك، وإذا لم ينجحوا عرضوه لامتحانات صعبة، فإذا اجتازها وتم قبوله يطلقون عليه اسماً خاصاً ليميزونه عن غيره وهو **(جير)** كما يسنّون له أحكاماً عنصرية خاصة به [٣].

ثانياً: الانتساب للأنبياء الكبار

يزعم اليهود أن انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام أحد أهم الأسباب التي أدت إلى اختيار الله لهم وتفضيلهم على الآخرين؛ فنقاء دم إبراهيم وسارة أدى إلى حفظهم من الاختلاط بالآخرين من أصحاب الخطيئة وعصمهم من التنجس، يقول المؤرخ اليهودي جوزف فلافيوس: " نحن نعتبر إبراهيم هو مؤلف جنسنا وسارة أم جنسنا، ولحفظ هذا الجنس من الاختلاط مع الآخر أراد إبراهيم تطبيق الختان، وبالنسبة لله فإن هذا الجنس هو الأثمن والأنبل من البشرية جمعاء"[٤].

كما يعتقدون أن الرب قد اختص جدهم إبراهيم ببركاته، وقد نالوا هذه البركة بالانتقال الوراثي، كما اختصه وابنه إسحاق وذريتهم بالأرض الموعودة والسيادة على الآخر ولذلك استحقوا فضيلة الاختيار.

ويربط اليهود أنفسهم بيعقوب، ويفسرون اختيار الله لهم بأنه تفضيل للأقوى والأصلح ويعللون ذلك بليلة المصارعة العجيبة التي أدى فيها يعقوب امتحان القوة والصبر على المكاره بنجاح باهر[٥]؛ ولذلك يرون ضرورة تسلطهم على الآخر وتسخيره لخدمتهم ولأجلهم، يقول سفر إشعياء: **"لأَنَّ الرَّبَّ سَيَرْحَمُ يَعْقُوبَ وَيَخْتَارُ أَيْضًا إِسْرَائِيلَ، وَيُرِيحُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ، فَتَقْتَرِنُ بِهِمِ**

(١) ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٣٦
(٢) فورد، **اليهودي العالمي**، ، ص٥٩
(٣) انظر: ظاظا، حسن، **أبحاث في الفكر الديني اليهودي**، ص١٠٩
(٤) دانزول، **اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية** ، ص١٣٩-١٤٠
(٥) بتصرف، ظاظا، حسن، **الشخصية اليهودية**، ص٣٧

الْغُرَبَاءُ (ويقصدون بها الآخر) وَيَنْضَمُّونَ إِلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ. وَيَأْخُذُهُمْ شُعُوبٌ وَيَأْتُونَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِهِمْ، وَيَمْتَلِكُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ عَبِيدًا وَإِمَاءً، وَيَسْبُونَ الَّذِينَ سَبَوْهُمْ وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى ظَالِمِيهِمْ"(١).

ثالثاً: الزعم ببنوتهم لله ومحبته لهم

تظهر بعض نصوص التوراة أن سبب اختيار الله لليهود نابع عن حبه لهم باعتبارهم أبناءه وأحباءه، يقول سفر التثنية: **" أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ (...) لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"**(٢)، ويقول أيضاً: **"إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ"**(٣)، ويؤكد التلمود ذلك فالرابي حوسيا يخاطب الإله ويجادله بعد أن قرر معاقبة اليهود قائلاً :"إنهم ابناؤك، إنهم أبناء فضيلتك وهم أبناء إبراهيم ويعقوب اشملهم برحمتك يا رب"(٤)، ويقول الرابي عقيبا: "بنو إسرائيل أحباء الله؛ لأنهم يدعون أبناءه، بل هناك برهان أعظم على هذا الحب وهو أن الله نفسه قد سماهم بهذا الاسم في قوله في التوراة " أنتم أولاد للرب إلهكم"(٥).

وكما ذكر سابقاً فلا تقتصر المحبة والبنوة عند اليهود على الجانب المعنوي فقط بل يؤكد التلمود الجانب المادي حيث يزعم أن أرواح اليهود جزء من ذات الله؛ لأنهم الممثلون حقيقة لنسل آدم وحواء في نقائه، وبما أن آدم كما يزعمون خلق على صورة الله وشبهه تماماً، فإن اليهود أبناء الله الحقيقيون حساً ومعنىً، يقول التلمود: " تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أروح اليهود هي عزيزة عند الله؛ أما باقي الأمم فأرواحهم شيطانية"(٦).

المطلب الثالث: أثر عقيدة الاختيار الإلهي على الآخر، وموقعه منها

كان لعقيدة الاختيار الإلهي وما تضمنته من أمور أثر واضح في نظرة اليهود للآخر، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

---

(١) اشعيا١٤: ١-٢
(٢) سفر التثنية١٤: ١-٢
(٣) سفر التتنية٧: ٦-٨
(٤) التلمود البابلي، القسم الرابع (نزيقين)، ط١، مركز دراسات الشرق الأوسط، م١٣، ٢٠١١م، ص٢٣
(٥) المشنا، وصايا الآباء١٨/٣، نقلاً عن، ظاظا، حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ص١١٠
(٦) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود** ، ص٤٦

أولاً: رفع مكانة اليهود وإعلاء شأنهم واستحقاقهم للسيادة على جميع البشر، وفي المقابل الحط من قدر الآخر ومكانته، واستحقاقه للعبودية وتعد هذه الأسس نتيجة طبيعية لنظرة اليهودية إلى الإنسان بشكل عام حيث أسهبت مصادر اليهود في التقسيمات الطبقية الناجمة عن الخطيئة، وحددت شروط القبول في حظيرة الإنسانية أو عدمها، وقد يتساءل القارئ بما أن الآخر قد أخرج من حظيرة الإنسانية أو كاد فلماذا يؤمن اليهود بخلق الله له؟ ويجيب التلمود عن ذلك حيث يقول: سأل إسرائيل ربه: "لمَ خلقت سوى شعبك المختار؟ فأجابه: لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم"[١]، وهذا يؤكد أن أمر القداسة لا يقف عند حد اختيار الإله لهم ؛ بل يتعداه إلى الآخر دمه وماله وأرضه وعرضه، ومن هنا كانت هذه العقيدة وبالاً على الآخر؛ فكل من يقع خارج دائرة الاختيار الإلهي يستحق الإبادة والسرقة والإفناء، ، يقول حسن ظاظا : هذه ليست مفخرة يتشدقون، بها بل هو برنامج، فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون في آخر الزمان متسلطين على رقاب الآخر، وهم باختصار الذين يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل: مسرح التاريخ، والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصاً ثانوية خلقها الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها على نحو تظل فيه البطولة لليهود فقط[٢].

من هنا تبرز خطورة هذا الاعتقاد حيث أفرز جملة من الوصايا العنصرية الصارمة في حق الآخر، التي ما كانت لتكون لولا أن الإله قد اختار اليهود على جميع الأمم الأخرى وكلها تدور في حلقة التسخير والاستعباد والقتل والإبادة؛ فلأن الآخرين شوكة في حلوق اليهود إن بقوا فمدنهم وثرواتهم وأطفالهم ونسائهم حرام عليهم[٣].

والوصايا التي تدعو إليها كتب اليهود المقدسة ضد الآخر بحجة الاختيار الإلهي عديدة أذكر منها:

١. **قتل الآخر وإبادته،** حيث تعتبر المصادر اليهودية أن قتل الآخر سبب رئيسي في رفعة أي يهودي يُقدم على ذلك، يقول الزوهار: "في قصور الجنة الأربعة يعيش أولئك الذين تفجعوا على صهيون القدس، وجميع الذين أبادوا شعوباً وثنية، والذين قتلوا شعباً يعبد الأوثان، ارتدوا أثواباً أرجوانية ليتميزوا فيها ويفخروا"[٤] ، ويعللون ذلك بأن اختيار الله لهم منذ البداية اقتضى القضاء على الآخر؛ فالزوهار يزعم أن موسى أمر بتحرير أول مولود حمار مقابل قربان ذبح حمل. "والمراد بالحمار كل من هو غير يهودي، الذي

---

(١) طويلة، عبد السلام، **مغالطات اليهودية من واقع أسفارهم،** ط١، دار القلم، دمشق ، ٢٠٠٧م، ص٢٣
(٢) بتصرف بسيط، ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية،** ص٣٨
(٣) انظر: صموئيل الأول١٥: ٢-٣ ، يشوع١١: ١-٢٢ ، أخبار الأيام الأول٢١: ٢٤ ، القضاة٩: ٥، التثنية٣: ٣-٦
(٤) براناتيس، الأب آي، بي، **فضح التلمود،** ص١٤٧

افتدى بذبح حمل، وهو من خراف إسرائيل المشتتة لكن إذا رفض غير اليهودي (الآخر) أن يفتدى به (...) أكسر جمجمته عندئذ يجب إزالتهم من سجل الأحياء"[١]، ولا تقع مهمة إبادة الآخر وقتله على عاتق اليهود أنفسهم، بل يزعمون أن الإله له الدور الأكبر في ذلك: فبعد اختياره لهم واختصاصهم به دون غيره من الآلهة فقد نذر نفسه لخدمتهم، وتسخير كل شيء لنفعهم حتى لو كان ذلك على أشلاء الآخر وجميع شعوب الأرض، يقول سفر الخروج: "**أمر الإله موسى بقوله: فَإِنَّ مَلاَكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأُبِيدُهُمْ.... أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم ... فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك. لا تقطع لهم عهداً ولا مع آلهتهم عهداً ولا يسكنوا أرضك**"[٢]، ويقول سفر إشعياء أيضاً مهدداً الآخر إذا لم يقبل بسيادة اليهود: "**وَأَنَا أُخَاصِمُ مُخَاصِمَكِ، وَأُخَلِّصُ أَوْلاَدَكِ، وَأُطْعِمُ ظَالِمِيكِ لَحْمَ أَنْفُسِهِمْ، وَيَسْكَرُونَ بِدَمِهِمْ كَمَا مِنْ سُلاَفٍ، فَيَعْلَمُ كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُخَلِّصُكِ، وَفَادِيكِ**[٣].

٢. تحريم الشفقة على الآخر والتعامل معه أومصاهرته؛ لأن ذلك من كمال الاختيار يقول سفر التثنية "**لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ (...) لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**"[٤] ويقول الحاخام (اباربانيل) في التلمود: "ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم، وجائز لبني إسرائيل على حسب تعاليم التلمود أن يغشوا الكفار؛ لأنه مكتوب يقول: "يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ودنساً مع المدنسين"[٥] وهذا ما حدث ويحدث فعلاً؛ فسلوك اليهودي مع الآخر قائم على الغش والخيانة والاحتكار والربا والسرقة والكذب خلافاً لتعامله مع أبناء جنسه، حيث يحرم عليه التعامل معهم على هذا النحو.

---

(١) براناتيس، **فضح التلمود**، ص١٤٧
(٢) سفر الخروج ٢٣: ٢٣-٣٣
(٣) سفر اشعيا٤٩: ٢٤-٢٦
(٤) سفر التثنية٧: ٢-٨
(٥) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٤٥

المبحث الثالث

الآخر وعقيدة الميثاق الإلهي

المطلب الأول: معنى الميثاق الإلهي عند اليهود

تداخلت عناصر اختيار الرب لبني إسرائيل ليكونوا له شعباً ويكون لهم إلهاً مع اعتقادهم بوجود ميثاق إلهي مع جدهم الأكبر إبراهيم عليه السلام كما يزعمون.

والميثاق الإلهي كما يعتقده اليهود هو "العهد الذي قطعه الإله على نفسه لإبراهيم بأن يصطفيه دون العالمين، وأن يورث نسله أرض كنعان (فلسطين) ، وقد تم تأكيد العهد لإسحاق ويعقوب ثم جُدِّدّ هذا العهد مع الشعب ككل أي: مع (جماعة إسرائيل) في سيناء وذلك بعد الخروج من مصر"[١].

وقد تضمن الميثاق الإلهي حسب إيمان اليهود ثلاث مراحل أساسية هي: ميثاق الإله مع إبراهيم، ثم ميثاق الإله مع إسحاق ويعقوب، وميثاق الإله مع موسى ومن جاء بعده، وقد تضمنت كل مرحلة من هذه المراحل بنوداً خاصة انتهكت فيها حقوق الآخر، وظلت تتسع شيئاً فشيئاً حتى أتت على كل مكان تدوسه بطون أقدام اليهود على حد تعبير كتبة التوراة .

وليحقق اليهود مصالحهم على أكتاف الآخر وممتلكاته وأرضه فقد كان العهد متسعاً ومستمراً في أجيال اليهود، وسخاؤه لا حدود له، ولا شهود عليه، كما أن بنوده ومضامينه أضفت على الشعب قداسة خاصة، وحجبها عن الآخرين كان دافعاً لإهدار حقوقهم، وسلب أرضهم، وممتلكاتهم، واستباحة أعراضهم.

المطلب الثاني: مراحل الميثاق الإلهي مضامينها وأثرها على الآخر

المرحلة الأولى: ميثاق الإله مع إبراهيم

وهو الوعد الذي قطعه الرب مع إبراهيم بشروط العهد الأبدي بين الرب وإبراهيم ونسله من بعده، وكمقابل للوعد الأبدي فيما بين الرب وإبراهيم المتمثل في (الختان) أعطى الرب لإبراهيم ولنسله من بعده أرض غربته، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً، وذلك بعد أن قصره على ذريته من إسحاق فقط[٢] .

وقد ورد في سفر التكوين أربعة مواثيق بين الرب وإبراهيم، جاءت على النحو الآتي:

---

(١) المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية** ، م٥، ص٧٦

(٢) بتصرف بسيط، عامر، **بنو إسرائيل الشعب الذي كان مختاراً**، ص٢١٣

الأول: " ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ"(١).

الثاني: " فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"(٢).

الثالث: "وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ. وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم: وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"(٣).

الرابع: "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!. فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ "(٤).

مما سبق يلاحظ أن النص الأول أو الميثاق الأول مع إبراهيم كان يتضمن وعداً بإعطاء إبراهيم الأرض التي يراها بعينيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وقد جاء الوعد قبل أن تكون لإبراهيم ذرية أي وعداً شخصياً غير مورث، فتصرف إبراهيم كما تذكر التوراة على إثره بأن نقل خيامه من (بيت إيل) إلى (بلوطات ممرا) عند حبرون، ويزعم كتبة التوراة أن إبراهيم أكد وعد الرب ووثقه طبقاً للأحكام الدنيوية؛ حيث طلب من أحد ملاك الأراضي شراء قطعة الأرض التي يضرب فيها خيامه، ودفع ثمنها للمالك(٥).

أما الميثاق الثاني فقد اقترن بوعد الرب لإبراهيم بإكثار ذريته، وقد شمل الوعد ذريته كافة كما شملت الأرض الموعودة جميع المناطق الجغرافية بالشرق الأوسط ومصر بما فيها كنعان، ثم توسع الميثاق في الوعد الثالث بين الرب وإبراهيم كما يزعم كتبة التوراة ليشمل نسله من بعده، وتضمن اختيار الإله لهم واختصاصه بهم على أن يكون الختان علامة وشرطاً لتحقيق الوعد؛ أما أثر هذه الميثاق على الآخر فيظهر من خلال البنود والمضامين التي احتوتها النصوص السابقة؛

---

(١) سفر التكوين١٣: ١٤-١٥
(٢) سفرالتكوين١٥: ١٨
(٣) سفر التكوين ١٧: ٧-١١
(٤) سفر التكوين١٧: ١٨-٢٢
(٥) انظر سفر التكوين٢٣: ١٧-١٨

فما هو مصير الآخر صاحب الأرض التي وعد الرب إبراهيم ونسله بتملكها؟ وهل يجوز اقتلاعه واجتثاثه من أرضه لأجل أن تمتلكها جماعة معينة؟.

كما يلاحظ أن العهد بدأ مشتملاً ومتسعاً لجميع نسل إبراهيم، ثم انتهى محصوراً بإسحاق وذريته فقط، وقد مر في المباحث السابقة كيف أن كتبة التوراة يتعمدون توسيع دائرة أي اعتقاد أو عهد، ثم يقصرونها في النهاية على جماعة أو شعب بعينه، ولعل المتفكر في هذا الأمر يدرك سبب اتباع هذا النهج الذي من شأنه أن يرفع مكانة اليهود واستحقاقهم للسيادة، بينما يخرج الآخر منها بعد أن يثبت فشله وخطأه، وهذا ما حدث في هذه المرحلة من الميثاق: فالنصوص السابقة تؤكد أن الوعود التي قطعها الإله مع إبراهيم كانت مع جميع نسله، وهذا يعني ضرورة أن يشمل جميع المنحدرين من نسله وخصوصاً إسماعيل عليه السلام، وطبقاً لأسفار اليهود فإن تجدد الوعد من قبل الرب لإبراهيم حصل بعد ولادة إسماعيل عليه السلام، وقبل ولادة إسحاق كما أن إسماعيل قد طبق شرط العهد واختتن[1].

ولكن النص الأخير يفاجئ القارئ بخروج إسماعيل وذريته من الميثاق بحجة أنه ابن جارية، وابن الجارية لا يرث؛ لأنه من سلالة غير نقية، ويمكن القول إن هذا النص الجديد الذي أدخله كتبة التوراة لتضييق الحلقة حول جنس بعينه يعد وبالاً على الآخر وهو إسماعيل وذريته من عدة وجوه أهمها: إظهار روح التعالي والفوقية، والحكم بطهارة وقداسته نسل إبراهيم من إسحاق وتنجسه من إسماعيل.

كما يظهر النص أيضاً وجود تقسيم طبقي جديد ينحصر بين ابن الجسد (إسماعيل)، وابن الجسد والعهد (إسحاق)، الذي أدى في النهاية إلى توريث ابن الجسد والعهد، وتمليكه وإعطائه كل الحقوق، وحرمان الآخر ابن الجسد وطرده والحكم عليه بالعبودية؛ لأنه ابن جارية على حد تعبير كتبة التوراة.

ومما يجدر التنبيه عليه أن أحبار اليهود وحاخاماتهم قد انتهزوا فرصة خروج إسماعيل من الميثاق، فقرروا أن الأمر لا يقتصر على حرمانه فقط؛ بل ضرورة الفتك به والتخلص منه: ففي التلمود وفي سفر (سوكاه) يقول الرابي حانا بن آبا: "هناك أربعة أشياء يندم الواحد القدوس تبارك اسمه على خلقه إياها وهي التالية: النفي، الكلدانيون، الإسماعيليون، ونزعة الشر"[2].

---

(١) انظر: آل عمر، محمد بن علي، **عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين**، ط١، مجلة البيان، الرياض، ٢٠٠٣م، ص٢١٧-٢١٩

(٢) رؤوف، اسعد ، **التلمود والصهيونية**، ط٢، الناشر للطباعة والتوزيع ، ١٩٩٩، ص٢٥٣

لذلك يعلق رئيس حزب شاس اليهودي فيقول: بما أن الله قد تأسف حينما خلق إسماعيل وأبناءه، إذاً فعلينا أن نزيل أسف الله، ومعنى ذلك أن عليه أن يفني ويدمر العرب وذرية إسماعيل كلهم حتى لا يبقى الإله آسفاً[١].

ولا يقف أمر الميثاق عند حرمان الآخر والقول بإبادته بل يتعدى ذلك إلى استخدام الالفاظ النابية غير اللائقة. ويذكر حسن ظاظا أن اليهود يتوجهون في كلامهم إلى احتقار إسماعيل وذريته إلى حد اللفظ؛ حيث يطلقون عليه اسم (ممريز) وتعني (ابن الزنا) وذلك لأن إسماعيل في فكر هؤلاء وإن كان ابناً لإبراهيم؛ ولكنه قد جاء بطريق غير صحيح فأمه جارية وهي أجنبية ولا تنتمي إلى العرق اليهودي، وهذا النوع من الزواج حسب اعتقادهم لا يعتد به أصلاً[٢].

المرحلة الثانية: ميثاق الإله مع إسحاق ويعقوب

يقول سفر التكوين: **"وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ "**[٣].

شملت المرحلة الأولى ميثاق الرب مع إبراهيم، ثم انتهت بضم إسحاق وإبرام العهد معه وإخراج إسماعيل وذريته منه، وفي هذه المرحلة يؤكد الرب كما تزعم التوراة منح إسحاق الأرض الموعودة ولنسله من بعده؛ إلا أنها على حين غفلة تخاطب طرفاً جديداً وهو يعقوب؛ حيث يعقد الإله ميثاقاً أبدياً معه يستوجب منحه الأرض المقدسة له ولنسله من بعده، ومرة أخرى يتعدى الميثاق على حقوق الآخر بعد إخراج عيسو وحرمانه منه، وذلك بعد إقدامه على الزواج من الحيثيات والإسماعيليات، فكان ذلك سبباً كافياً لطرده من الميثاق وحرمانه من حقوقه، واقتصار الميثاق على يعقوب فقط تكراراً لما حدث بين إسحاق وإسماعيل.

المرحلة الثالثة: ميثاق الإله مع موسى ومن بعده

تجدد العهد مع موسى بمواثيق وبنود جديدة في نصوص عديدة وقد جاءت على النحو الآتي:

النص الأول: **"أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا**

---

(١) بتصرف، همو، عبد المجيد، **الله أم يهوه أيهما إله اليهود**، الأوائل، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٧٠

(٢) انظر: ظاظا، **أبحاث في الفكر اليهودي**، ص٤٩

(٣) سفر التكوين٣٥: ١٢

الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. ٨وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ"(١).

النص الثاني: **"وَلأَجْلِ أَنَّهُ أَحَبَّ آبَاءَكَ وَاخْتَارَ نَسْلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، أَخْرَجَكَ بِحَضْرَتِهِ بِقُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ مِصْرَ، لِكَيْ يَطْرُدَ مِنْ أَمَامِكَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَيَأْتِيَ بِكَ وَيُعْطِيَكَ أَرْضَهُمْ"**(٢).

النص الثالث: **" مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ... سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ...لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ"**(٣).

النص الرابع: **"يَطْرُدُ الرَّبُّ جَمِيعَ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ مِنْ أَمَامِكُمْ...كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ...لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكُمْ "**(٤).

مما سبق يظهر **النص الأول** عقد مساومة واحتكار بين الإله وشعبه، فهو يخرجهم من أرض العبودية ويسلمهم الأرض المقدسة، وهم يكونون له شعباً، ويكون هو إلهاً خاصاً بهم، كما يؤكد النص على إخراج إسماعيل وعيسو من الميثاق واقتصاره على إسحاق ويعقوب.

أما **النص الثاني** فقد تضمن بنوداً جديدة وانتهاكات صريحة في حق الآخر، فالأمر لا يتضمن تسليم الأرض إلى أشخاص جدد، واغتصابها من أهلها الأصليين؛ بل تضمن طرد أصحابها، وسحق حقوقهم. وفي **النص الثالث** إشارة واضحة إلى أن الميثاق لم يقتصر فقط على الحرمان وطرد الآخر من الأرض، بل الأمر بقتله و إبادته كما يوضح كيف تشكلت نظرة اليهود إلى الآخر وكيفية التعامل معه؛ فالإله كما تزعم التوراة يأمر بقتل الآخر، ويؤكد أن الميثاق لا يكتمل ولا يتم إلا من خلال الالتزام بشروط معينة أهمها: تحريم الاختلاط مع الآخر والتعامل معه، والشفقة عليه أو مصاهرته؛ حتى لا يتنجس الشعب وسلالته المقدسة، ويزداد شطط الميثاق وتطرفه مع الآخر، ففي **النص الرابع** يتفاقم انتهاك الميثاق للآخر ولحقوق البشرية قاطبة، فلم تعد القضية متعلقة بأرض معينة، بل أصبحت الأرض بكاملها ملكاً للجماعة المختارة، فكل مكان تدوسه بطون أقدامهم يكون لهم حتى لو كان الأرض جميعها، وفي المقابل ليس للآخر الحق في الاعتراض، بل الطرد والنفي بأمر الرب على حد زعمهم.

---

(١) سفر الخروج٦: ٦-٩

(٢) سفر التثنية٤: ٣٧-٣٩

(٣) سفر التثنية٧: ١-٦

(٤) سفر التثنية١١: ٢٣ – ٢٥، وانظر: يوشع١: ٢-٦ ، واللويين ٤٥: ٤٦

أما الأثر البالغ الذي خلفته المرحلة الثالثة من الميثاق في حياة الآخر فيمكن ملاحظة ذلك من خلال البنود والمواثيق التي أظهرتها النصوص السابقة حيث تأمر بطرد الشعوب الأخرى المالكة للأرض وتشريدها ، وسلبهم حقوقهم وممتلكاتهم وأموالهم، كما تحرم التعامل معهم أو الشفقة عليهم، وتمنع التعامل معهم بأي نوع من المعاملات، ولم تكن تلك البنود مجموعة من الوصايا فقط؛ بل تزعم التوراة أن موسى قد بدأ تنفيذها حال خروجه من مصر، انطلاقاً من الاعتقاد ببنود الميثاق، وتملك الأرض التي تدوسها بطون أقدامهم، وذلك ما حدث في قصة أهل مدين حيث تزعم التوراة أن موسى أمر الجيش بقتل أهل مدين ونهب أموالهم وحرق بيوتهم، ويصف سفر العدد تلك المجزرة التي ارتكبت في حق الآخر انطلاقاً من الميثاق الأبدي بتملك الأرض حيث يقول: "**وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: ٢«اِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ... فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ... فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ... وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ... وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ ... فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ ...فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ... وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. ١٧فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ** "(١)

ويستمر أثر الميثاق وبنوده وانتهاكه للآخر حتى بعد موسى، ففي سعي يوشع لتحقيق بنود الميثاق تصف التوراة سلوك يوشع وجنوده حال دخولهم إلى الأرض الموعودة وذلك بعد أن أمره الرب قائلاً: " **قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ** "(٢). وباسم هذا الميثاق تصف التوراة الأثر المدمر الذي أحدثه دخول يوشع إلى أرض كنعان على الآخر؛ حيث تم قتله وإبادته، واغتصاب أمواله وأملاكه، حتى حيواناته لم تسلم من ذلك ، يقول سفر يشوع: "**اهْتِفُوا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمُ الْمَدِينَةَ. ١٧فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ... وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ... وَأَحْرَقُوا**

---

(١) انظر: سفر العدد٣١: ١-١٨

(٢) سفر يشوع١: ٢

الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ "[١].

كما ينسب السفر مجازر أخرى ليوشع في حق الآخر في مدينة عاي، وباسم الميثاق حيث يقول: " **فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: ...خُذْ مَعَكَ جَمِيعَ رِجَالِ الْحَرْبِ، وَقُمِ اصْعَدْ إِلَى عَايَ. انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ مَلِكَ عَايٍ وَشَعْبَهُ وَمَدِينَتَهُ وَأَرْضَهُ، فَتَفْعَلُ بِعَايٍ وَمَلِكِهَا كَمَا فَعَلْتَ بِأَرِيحَا وَمَلِكِهَا. غَيْرَ أَنَّ غَنِيمَتَهَا وَبَهَائِمَهَا تَنْهَبُونَهَا لِنُفُوسِكُمْ...وَتَمْلِكُونَ الْمَدِينَةَ، وَيَدْفَعُهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ بِيَدِكُمْ. وَيَكُونُ عِنْدَ أَخْذِكُمُ الْمَدِينَةَ أَنَّكُمْ تُضْرِمُونَ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. كَقَوْلِ الرَّبِّ تَفْعَلُونَ. انْظُرُوا. قَدْ أَوْصَيْتُكُمْ**"[٢]. ويستمر السفر في البشاعة والهمجية ضد الآخر"**وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايٍ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ. وَيَشُوعُ لَمْ يَرُدَّ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايٍ... وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاًّ أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ** "[٣].

وتذكر التوراة أن المصير ذاته قد حلّ بمدن أخرى كمقيدة وليتة ولخيش وجازر وحاصور، ويعلق ول ديورانت على ذلك بقوله: " كما أن هزيمتهم للكنعانيين ليست إلا مثلاً آخر لانقضاض جموع جياع على جماعة مستقرين آمنين. وقتل المهاجمون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم وسبوا من بقي من نسائهم، وجرت دماء القتلى أنهاراً، وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى، وزكاة للرب. ولما استولوا على مدينتين من المدن قتلوا من أهلهما ١٢,٠٠٠ رجل. ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به"[٤]. ومن الواضح أن بني إسرائيل قد اخضعوا تصرفاتهم لقانون الطبيعة الذي يقول أكثر الناس قتلاً أطولهم بقاءً وبهذه الطريقة الوحشية الفاشية استولى بنو إسرائيل على الأرض الموعودة[٥]. ومن الواضح أنهم امتطوا ظهر وعد الرب لينتقموا من الآخر أشد انتقام عرفه تاريخ البشرية، ولم يكن الغزو والقمعُ بإرادة الرب بل بحد السيف وخوضاً في لجج الدماء البشرية[٦].

---

(١) سفر يشوع٦: ١٦-٢٤
(٢) سفر يشوع٨: ١-٨
(٣) سفر يشوع٨: ٢٤-٢٨
(٤) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج٢، ص٣٢٦-٣٢٧
(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٧
(٦) عامر، **بنو إسرائيل الشعب الذي كان مختاراً**، ص٢١٦-٢١٧

ويجدر التنبيه في هذا المقام إلى أن وصف الأنبياء بالإرهاب والوحشية مع الآخر، والقيام بمجازر ومذابح تحقيقاً للميثاق والعهد، دون الالتفات إلى حرمة النفس والدم، يتنافى مع مهمة الأنبياء والغاية التي بعثوا لأجلها، وحاشا أن تكون هذه صفات أنبياء الله ورسله؛ فما بعثوا إلا رحمة للناس؛ ولكن قسوة كتبة التوراة وتعطشهم إلى دماء الآخر منذ القدم هي التي دفعتهم إلى وضع هذه الافتراءات؛ لتكون دافعاً لليهود، وتبريراً لجرائمهم ومجازرهم، وحجة لهم في استلاب أرض الآخر وممتلكاته، أما موضوع دخول الأرض فإذا كان الأنبياء والمرسلون قد دخلوا مدناً فما كان ذلك إلا من باب الجهاد باعتباره وسيلة لردع الطغاة، وإزاحة العقبات وتحقيق العدل وهداية الناس، وهو وسيلة وليس غاية، فليس القتل والتدمير والتحريق مطلباً؛ لأن المجاهد لا يقصد سلب الناس وقتلهم؛ وإنما هو الذي يضحي بماله ونفسه لهداية الناس.

ولم تنتهِ بنود الميثاق عند اليهود في تلك الأحداث والأزمنة؛ فمع بداية القرن العشرين اقتحم اليهود أرض فلسطين، وتم اغتصابها من أهلها استناداً إلى ميثاق جديد أصدره بلفور وزير خارجية بريطانيا سنة ١٩١٧م، بعد أن استمد بنوده وشرعيته من نصوص التوراة القاضية بأن تمنح الحكومة البريطانية لليهود حق إنشاء وطن قومي في فلسطين، وكان هذا الميثاق وعداً ممن لا يملك لمن لا يستحق، ويؤكد حاييم وايزمان ذلك من خلال مذكراته إذ يقول: " إن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة ، وتدّين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات"[(١)].

---

(١) آل عمر، محمد، **عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين** ، ط١، مجلة، الرياض، ص١١٢

المبحث الرابع

الآخر وعقيدة المسيح المنتظر

يعدُ الإيمان بمجيء المسيح المنتظر ركناً أساسياً في العقيدة اليهودية، وجزءاً لا يتجزأ من فكر اليهودي، ومكوناً هاماً يستقي منه ملامح شخصيته ونظرته إلى الآخر.

وعقيدة المسيح المنتظر تعني: إيمان اليهود بمجيء ملك من سلالة داود، محاطٍ بهالة من القداسة والجبروت، تكون أورشليم قاعدة ملكه؛ فيرفع اليهود إلى سدة الحكم والسيادة على العالم، بعد أن يقتل الآخر من النصارى والمسلمين، ويدمر ممالكهم.

وقد علق اليهود آمالهم و أحلامهم على ذلك الملك المنتظر، حتى لا تكاد تخلو من ذكره أدعيتهم وصلواتهم اليومية. لذلك يقولون بخشوع وابتهال: "نؤمن إيماناً مطلقاً بقدوم المسيح، وسنبقى ننتظره كل يوم حتى لو تأخر"(١).

ومما يجدر التنبيه عليه في بداية الحديث عن هذه العقيدة البالغة الأهمية، أن هذا الاعتقاد قائمٌ في صلبه وأساسه على الآخر، دمه وماله وأملاكه وأرضه وحقوقه ، لأن اليهود ينصّبون أنفسهم مركز الكون وأساس حركته؛ فالتاريخ وأحداثه معهم ولأجلهم، والآخر لأجلهم، حتى الإله - تعالى عن ذلك - يسير ويدافع ويقتل ويطرد لأجلهم، وكذلك الأنبياء وصولاً إلى المسيح المنتظر المخلص. وفي نهاية المطاف يكون الرابح الأكبر من ذلك اليهود، والخاسر الأكبر الآخر.

من هنا ربط اليهود بحيلتهم ودهائهم قضية المسيح المنتظر بالآخر؛ فلا عودة للمسيح المخلص؛ إلا بعد المرور على جسر الآخر: فبسرقته ونهبه وقتله يتحقق مجيئه، وكان الآخر وأملاكه شرطاً للتعجيل بذلك، ويمكن تقسيم الشروط التي يتحقق بها مجيء المسيح المنتظر كما يؤمن بها اليهود على النحو الآتي:

المطلب الأول: أرض الآخر شرط لمجيء المسيح المنتظر عند اليهود

يعتقد اليهود أن أرض فلسطين وتحديداً منطقة القدس هي مكان ظهور المسيح المنتظر وقاعدة ملكه؛ ولذلك لا بد من تهيئتها وإعدادها لتكون جاهزة لاستقبال ذلك اليوم العظيم دون الالتفات إلى وجود الشعوب والأقوام الأخرى التي تسكنها، واستناداً إلى إيمان اليهود بأنهم شعب الله المختار وصفوته المقدسة، وارتكازاً على عقيدة الميثاق والوعد الإلهي التي تقضي بتمليكهم الأرض خطط

---

(١) الحوالي، سفر، **الوعد الحق والوعد المفترى**، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ص٢٥

اليهود بمكر ودهاء لتحقيق مآربهم، وقيام دولتهم، من خلال ربط مسألة مجيء المسيح المنتظر بشرط هام وهو أرض الآخر وهي فلسطين وتفريغ شعبها منها، والتعدي على مقدساتها، وهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم[١] مكانه؛ ليتسنى للمسيح تقديم القربان المقدس على مذبحه، وهو أول عمل يقوم به فور ظهوره. ولذلك خطط اليهود لحروب سبقت ولحروب لاحقة، وهيأوا الظروف مستعينين بأصدقائهم الظاهرين والمتخفيين، ومنذ أكثر من مئتي سنة قام اليهود بوضع مخطط طويل الأمد جمعوا فيه بين مطامع أرباب المال اليهودي في السيطرة الاقتصادية، وبين أحلام الحاخامات التوراتية في فلسطين[٢].

ويستند اليهود في ربط عقيدة المسيح المنتظر بأرض الآخر إلى نصوص أسفارهم التي تؤكد أن تجمعهم في أرض فلسطين، واغتصابها من أهلها حق شرعي وتعبير عن إرادة الله ووعده لهم بتجميعهم من أطراف الأرض الأربعة؛ لامتلاك أرض فلسطين، وإقامة مملكتهم تحت راية المسيح المخلص؛ يقول سفر حزقيال: **" هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية، وآتي بهم إلى أرضهم وأصيرهم أمةً واحدة في الأرض على جبال إسرائيل وملك واحد يكون ملكاً عليهم كلهم"**[٣].

وفي التلمود يقول الرابي يوحنان: "أن جمع شمل المنفيين يُضاهي من حيث الأهمية والعظمة ذلك اليوم عندما تم خلق السماء والأرض"[٤]، وفي المجموعة التي تضم الأقوال الحكمية للرابي اليعازر يقول: " بأن الواحد القدوس هو المقدر له أن يجمع بني إسرائيل من زوايا الأرض الأربع، وكما ينقل البستاني غرساته من تربة إلى أخرى، فإن الواحد القدوس تبارك أسمه سوف ينقلهم من أرضٍ وسخة إلى أخرى طاهرة"[٥].

ولتطهير الأرض وتجهيزها لتكون لائقة بمجيء المسيح المخلص عمد اليهود إلى الوسائل كافة التي تضمن لهم تحقيق ذلك متجاهلين الآخر صاحب الأرض ومالكها، وبناءً على شعار **"أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض"** الذي يحمل في طياته كل مضامين الاعتداء والتهميش

---

(١) تنسب أسفار التوراة قصة بناء الهيكل المزعوم إلى سيدنا سليمان ﷺ، وذلك بعد أن طلب إليه الرب أن يبني له بيتاً ويصير له ابناً. انظر: أخبار الأيام الأول ٢٨ وتصف التوراة هذا الهيكل وصفاً دقيقاً من حيث بناؤه ومساحته ومكوناته، ويصفه (ول ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) ،ج٢، ص ٣٣٥ ــ ٣٣٨) بأنه شبيه بمعابد الفينيقيين من حيث الطراز وأشوري وبابلي من حيث التزيين، وتزعم التوراة أن سليمان ﷺ نقل إليه تابوت عهد الرب. وفي الهيكل تقدم جميع القرابين، ولا يسمح بدخوله إلا للكهنة، ولكن إذا كان سليمان قد بنى معبداً فإنما بناه مسجداً ومكاناً لعبادة الله عز وجل وليس كما يصوره اليهود. انظر: **ديورانت**، قصة الحضارة، ج١ ، ص ٣٣١ ــ ٣٣٥ ، شلبي، **اليهودية**، ص٢١٠-٢١٢.

(٢) بتصرف، طويلة، عبد السلام، **مغالطات اليهود**، ص٣٦٤

(٣) حزقيال٣٧: ٢١-٢٢

(٤) انظر: سنهدرين، التلمود البابلي، م١٣، ص٢٥ ، رزوق، اسعد، التلمود والصهيونية، ص٢٣٣

(٥) انظر: سنهدرين، التلمود البابلي، م١٣، ص٢٥ ، رزوق، اسعد، التلمود والصهيونية، ص٢٣٣

والإقصاء للآخر، استخدم اليهود كل أساليب العنف والقتل الممنهج في فلسطين من خلال المجازر والمذابح والاغتيالات، والسطو المسلح وقنابل الغاز النووي ضد الآخر لتحقيق الآمال والتطلعات كما جاء في سفر التثنية : " **وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا**"[١] ويقول أيضاً: "**ولكن الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلاً قَلِيلاً. لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِئَلاَّ تَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. وَيَدْفَعُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَيُوقِعُ بِهِمِ اضْطِرَابًا عَظِيمًا حَتَّى يَفْنَوْا**"[٢].

ولم تقتصر مكيدة تهيئة الأرض للمسيح المخلص على دماء الآخر فقط؛ بل تعدت نحو مقدساته وخصوصاً المسجد الأقصى ووجوب هدمه لإقامة الهيكل المزعوم، يقول أحد حاخامات اليهود: "يجب ألا ننسى أن السبب الرئيس للعودة من المهاجر، ولإقامة دولتنا هو بناء الهيكل إن الهيكل هو قمةُ الهرم"[٣]، كما جاء في قاموس الكتاب المقدس المطبوع عام ١٩٨٩م عن الهيكل أنه : " مسجد إسلامي مع قبة الصخرة بني على موقع هيكل سليمان، وسيكون مركز حكم المسيح الألفي"[٤]، ولتحقيق الهدف المنشود في بناء الهيكل المزعوم يسعى اليهود جاهدين بكل وسائل العنف لهدم المسجد الأقصى من خلال عمل حفريات وأنفاق عميقة تحت المسجد الأقصى يمتد أحدها إلى ألف قدم، كما قامت بتهجير جميع المواطنين المحيطين بالحرم القدسي[٥].

ولإضفاء الصبغة الشرعية لأفعالهم بحق أرض الآخر ربط اليهود قضية الأرض وظهور المسيح المخلص في هذه الأرض تحديداً وبناء الهيكل المزعوم بقضية عقدية خطيرة وهي زعمهم أن الإله اختار جبل صهيون سكناً وراحة له، ولذلك قام سليمان ببناء الهيكل كما يزعمون ليكون سكناً وراحة للرب. وليربطوا قضيتهم ومصالحهم بذلك زعموا أن تشردهم من أرضهم أدى إلى تشرد الإله وأن عودتهم ضرورية؛ ليسكن الإله ويرتاح ، فبعد خراب الهيكل ودماره انتقل الرب إلى السماء، ولكنه يعاود زيارته لجبل صهيون، وسيعود مرة أخرى للسكن في الهيكل المزعوم عندما يأتي المسيح فيسكن فيه إلى الأبد مع شعبه الحبيب وابنه البكر إسرائيل بعد أن يبيد كل الأمم التي تحارب ابنه وتعاديه[٦].

---

(١) التثنية٢٠: ١٦-١٧

(٢) التثنية٧: ٢٢-٢٣

(٣) هالسل، **النبوءة والسياسة**، ص٨٢

(٤) طويلة، **مغالطات اليهود**، ص٣٩٠

(٥)هالسل، جريس، **النبوءة والسياسة**، ص٨٢

(٦) بتصرف، البار، محمد علي، **الله والأنبياء في التوارة والعهد القديم**، ص٣٠ ، انظر، سفر الخروج٤٠،٣٠،٢٩،٢٠، وصموئيل الأول ٥، ٦، ٧ والملوك الأول ٥، ٦، ٧، أخبار الأيام الأول ٢٣، ٢٥، التثنية١: ٣٠-٣٤

وهذا يفسر تشبثهم بالقدس فالتفريط فيها هو تفريط في مسكن الرب كما أنه عاصمة المسيح المنتظر، يقول سفر المزمور: " **قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ، أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ. كَهَنَتُكَ يَلْبَسُونَ الْبِرَّ، وَأَتْقِيَاؤُكَ يَهْتِفُونَ. مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ لاَ تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ. أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ: مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ. إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا، فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ. لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ. اشْتَهَاهَا مَسْكَنًا لَهُ: هذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ. ههُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا. طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً. مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزًا. كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصًا، وَأَتْقِيَاؤُهَا يَهْتِفُونَ هُتَافًا. هُنَاكَ أُنْبِتُ قَرْنًا لِدَاوُدَ. رَتَّبْتُ سِرَاجًا لِمَسِيحِي. أَعْدَاءَهُ أُلْبِسُ خِزْيًا، وَعَلَيْهِ يُزْهِرُ إِكْلِيلُهُ**"[١].

كما جاء في سفر يوئيل: "**وَالرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ يُزَمْجِرُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ يُعْطِي صَوْتَهُ، فَتَرْجُفُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ. وَلكِنَّ الرَّبَّ مَلْجَأٌ لِشَعْبِهِ، وَحِصْنٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. فَتَعْرِفُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ، سَاكِنًا فِي صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي. وَتَكُونُ أُورُشَلِيمُ مُقَدَّسَةً وَلاَ يَجْتَازُ فِيهَا الأَعَاجِمُ فِي مَا بَعْدُ**"[٢] .

ومما يجدر ذكره هنا انسياق بعض النصارى وخصوصاً ممن دخلوا حركة الأصولية المسيحية[٣] لهذا الاعتقاد الزائف، والعمل من أجل تحقيقه وذلك بعد أن تشبعوا بحيل اليهود؛ فالنبوءة الإنجيلية تقضي بضرورة هدم المسجد الأقصى، وبناء هيكل يهودي مكانه حتى لو أدى ذلك إلى قتل الأبرياء، وتدمير أحلامهم وتطلعاتهم ولم يكتفوا بذلك بل ساهموا بإنشاء مؤسسة خاصة لأجل تدمير الأقصى، وبناء الهيكل، وقد ذكر بأنهم أرسلوا ٥٠٠٠٠ دولار لمنظمة الدفاع اليهودي لأجل تحقيق ذلك[٤]، وتؤكد أقوال مفكريهم ذلك ففي كتابه **مجد وخلاص اليهود** عبّر **هنري جيسي** وهو أحد الإنجيليين ذوي النفوذ عن نشوته الروحية التي يبعثها فيه **حلم أورشليم السماوية** حيث يستبدل شعب بشعب، وثقافة بأخرى وفي كتابه دعا إلى مساعدة الرب في تجميع اليهود في فلسطين، وقيام دولة لهم؛ لأن ذلك شرط للعودة الثانية للمسيح[٥][٦].

---

(١) سفر المزامير ١٣٢: ٨-١٨

(٢) سفر يوئيل٣: ١٦-١٧

(٣) الأصولية المسيحية، حركة تقوم على دعائم أربع، تؤمن بها، وتجتهد في نشرها وهي:
- أن اليهود شعب الله المختار .
- أن الله أعطى لليهود الأرض المقدسة.
- أن قيام دولة إسرائيل شرط لا بد منه لتحقيق العودة الثانية للمسيح.
- قيام دولة إسرائيل شرط لتجمع قوى الشر في سهل (مجدو) حيث ستقوم معركة كونية تدعى (هرمجدون) يقتل فيها الأشرار ويعود المسيح.
- أن مشروع السلام تأخير لوعد الله. انظر: المبارك، **التطرف خبزعالمي**، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٦م، ص٤١-٤٢ والحوالي، سفر، **يوم الغضب**، ط١، مكة المكرمة،١٤٢١هـ، ص١٢

(٤) بتصرف، هالسل، **النبوءة والسياسة**، ص٢١

(٥) بتصرف، المبارك، راشد، **التطرف خبز عالمي**، ص ٤٠-٤١

(٦) لقد قامت في بريطانيا أولاً، ثم الولايات المتحدة حركات دينية مسيحية إنجيلية انطلاقاً من هذه المعتقدات ولعل أقواها الحركة التدبيرية التي تؤمن بالله مدبراً لكل شيء وأن في الكتاب المقدس نبوءات واضحة حول وصايا

ولذلك يؤيد الإنجيليون اليهود في طرح برنامج سياسي يركز على بسط السيادة اليهودية على أرض الآخر، ويعتبرون ذلك خطوة حاسمة في تعجيل عملية الخلاص الكونية وتفسير التاريخ، يقول القس هال ليندسي في كتابه **كوكب الأرض العظيم الراحل**: إن دولة إسرائيل هي الخط الفاصل لكل الحوادث التاريخية في الحاضر والمستقبل، وأن ميلاد إسرائيل عام ١٩٤٨م في فلسطين هو تأكيد لصحة النبوءات، وعلامة اقتراب العودة الثانية للمسيح(١)، ويقول الرئيس الأربعون للولايات المتحدة الأمريكية ريجان: "إنني أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود وبإقامة دولة إسرائيل تمكّن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي، ليحققوا بذلك حلماً عمره ألفا عام"(٢) وبطبيعة الحال سعى اليهود لتحقيق تلك الآمال والتطلعات بقدوم المسيح المنتظر فوق جثة الآخر وممتلكاته ومقدساته، وبالمكر اليهودي المعروف والتعاون الإنجيلي السابق ذكره قلبت الحقائق وانتهكت حقوق الآخر.

المطلب الثاني: دماء الآخر شرط لمجيء المسيح المنتظر عند اليهود

يدّعي اليهود بأن المسيح لن يظهر إلى الوجود إلا بعد قيام حرب عالمية يهلك فيها ثلثا سكان العالم؛ حيث يعم الخراب والدمار، وتنتشر رائحة الدماء في كل مكان؛ ليجبر المسيح على التدخل لإنهاء الكوارث والقتل، وإنقاذ أتباعه وأعوانه وشعب مملكته المقدسة من اليهود، ويفتك بالآخرين، وقد ارتبطت عقيدة المسيح المنتظر بدماء الآخر في الذهن اليهودي على مدار تاريخهم، ومثال ذلك ما أورده ابن هشام في سيرته عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: " إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا، وكانت ولا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم"(٣).

وكما هو معلوم فإن هذا النص يؤكد تبشير اليهود بسيدنا محمد ﷺ . وبعد مجيئه كفروا بدعوته حسداً من أنفسهم، وربما يشير أيضاً إلى وجود صلة وثيقة بين مجيء المسيح المخلص

إلهية تعمل على تدبير شؤون الكون ونهايته وهي : عودة اليهود إلى فلسطين وقيام إسرائيل وهجوم أعداء الله على إسرائيل ثم وقوع معركة هرمجدون النووية وانتشار الخراب والدمار وقتل الملايين وظهور المسيح المخلص، وتضم هذه الحركة أكثر من أربعين مليون أميركي، انظر: هالسل، **النبوءة والسياسة**، ص١٢ .

(١) انظر: كنعان، جورجي، **الأصول المسيحية في نصف الكرة الغربي**، ط١، بيسان للنشر للتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٣٥-١٤٣

(٢) الحولي، سفر، **الوعد الحق والوعد المفترى**، ص٣٨

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، (تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري)، دار الخير، دمشق، ١٩٩٦م، ص١٧١

وقتل الآخر والفتك به ، ويذكر الكاتب اليهودي العلماني **تسفي خلافسكي** في كتابه **"حمار المسيح"** أن المسيح المخلص يهودي حقيقي ينزل إلى الأرض على حمارين صغير وكبير؛ لإقامة مملكة مقدسة من النيل إلى الفرات، ومركزها القدس، وأن ذلك لا يكون إلا بعد أن ينتشر سفك الدماء في كل مكان، وليتحقق ذلك على عجل عمدت بعض العصابات اليهودية في أواخر السبعينيات كعصابة غوش ايمونيم[١] للتخطيط لهدم المسجد الأقصى؛ لأن ذلك باعتقادهم سيشعل حرباً عظيمة تسفك فيها الدماء، فيتعجل قدوم المخلص وهو السبب ذاته الذي دفع اليهود إلى إحراق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م[٢].

ويستندون في اعتقادهم هذا إلى نصوص عديدة منها ما ورد في سفر إشعياء " **وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أَصْلَ يَسَّى الْقَائِمَ رَايَةً لِلشُّعُوبِ، إِيَّاهُ تَطْلُبُ الأُمَمُ، وَيَكُونُ مَحَلُّهُ مَجْدًا. وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ السَّيِّدَ يُعِيدُ يَدَهُ ثَانِيَةً، لِيَقْتَنِيَ بَقِيَّةَ شَعْبِهِ، الَّتِي بَقِيَتْ، مِنْ أَشُّورَ، وَمِنْ مِصْرَ، ... وَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ، وَيَجْمَعُ مَنْفِيِّي إِسْرَائِيلَ، وَيَضُمُّ مُشَتَّتِي يَهُوذَا مِنْ أَرْبَعَةِ أَطْرَافِ الأَرْضِ. فَيَزُولُ حَسَدُ أَفْرَايِمَ، وَيَنْقَرِضُ الْمُضَايِقُونَ مِنْ يَهُوذَا. أَفْرَايِمُ لاَ يَحْسِدُ يَهُوذَا، وَيَهُوذَا لاَ يُضَايِقُ أَفْرَايِمَ. وَيَنْقَضَّانِ عَلَى أَكْتَافِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ غَرْبًا، وَيَنْهَبُونَ بَنِي الْمَشْرِقِ مَعًا. يَكُونُ عَلَى أَدُومَ وَمُوآبَ امْتِدَادُ يَدِهِمَا، وَبَنُو عَمُّونَ فِي طَاعَتِهِمَا. وَيُبِيدُ الرَّبُّ لِسَانَ بَحْرِ مِصْرَ، وَيَهُزُّ يَدَهُ عَلَى النَّهْرِ بِقُوَّةِ رِيحِهِ، ....**"[٣] وفي سفر يوئيل مشاهد مرعبة لذلك اليوم حيث يقول: " **وَأُعْطِي عَجَائِبَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، دَمًا وَنَارًا وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ. تَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظُلْمَةٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ**"[٤].

كما جاء في التلمود: " يجب على كل يهودي أن يسعى إلى أن تكون السلطة على الأرض لليهود دون سواهم وقبل أن يحكموا سائر الأمم نهائياً يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم"[٥]، ويصور التلمود أيضاً أن الحرب هي بداية الخلاص؛ بل ويصور المسيح الذي يترقب اليهود ظهوره بصورة مُضَطهِدٍ ينزل النكبات والفواجع والكوارث بغير اليهود[٦].

---

(١) حركة سياسية صهيونية تدعو إلى استيطان اليهود في أنحاء الضفة الغربية كافة وقطاع غزة وسائر الأراضي المحتلة. من أبرز مؤسسيها الحاخام دوركمان وليفنغز، وكانوا يتميزون بعتمار القبعات الدينية وهم الرافد الذي اعطى دفعة قوية لعمليات الإرهاب في فلسطين وغزة والتي تركزت ضد القيادات السياسية وقد شكلت تنظيماً يعرف بـ (إرهاب ضد إرهاب) كما أنها تعارض بصورة قطعية فكرة الأرض مقابل السلام. انظر: الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج٤، ص ٣٧٩-٣٨٠

(٢) انظر: كنعان، جورجي، **الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي**، ص١٣٨ ، طويلة، عبد السلام، **مغالطات اليهود**، ص٣٦٣-٣٦٤

(٣) اشعيا١١: ١٠-١٦

(٤) يوئيل٢: ٣١-٣٢

(٥) طويلة، عبد السلام، **مغالطات اليهود**، ص٣٦٨

(٦) انظر، براناتيس، **فضح التلمود**، ص١٤٩-١٥٠ ، رزوق، **التلمود والصهيونية**، ص٢٣٠

ويذكر أن بعض النصارى قد ساروا وراء هذا الاعتقاد، خصوصاً وأنه يتوافق مع اعتقادهم بالعودة الثانية للمسيح، وتخبر الكاتبة الأمريكية **جريس هالسل** في كتابها **"المؤامرة على الأقصى"** أن اليهود استطاعوا إقناع الملايين من الشعب الأمريكي أن المسيح سيظهر في أورشليم، وسيتم بناء الهيكل؛ ولكن بعد قيام حرب عالمية مدمرة يقتل فيها عدد لا يحصى من البشر، وتكون نهايتها خراب الأرض وهي المعركة الأخيرة بين الشر والخير ويسمونها المحرقة أو (هرمجدون)(١) ويكون معظم ضحايا هذه المعركة من أعداء الله أو قوى الشر من العرب والمسلمين وغيرهم من الوثنين(٢).

ويزعم أصحاب هذا الاعتقاد أن هذه المعركة النووية المدمرة لا مفر منها، وأنها تسير وفق خطة إلهية محكمة تؤدي إلى محرقة أشد وحشية من أي مجزرة يمكن تصورها(٣)، وهذا ما أخبر به التلمود وأكد عليه ونفثه سماً قاتلاً للآخر في نفوس أتباعه حيث يصف الأحداث التي تسبق مجيء المسيح قائلاً: سوف تنشب حرب طويلة يشيب لهولها الأطفال فتزهق ثلثي العالم، ويمكث اليهود بعدها سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها، وعند ذلك تتضخم أسنان أعداء إسرائيل وتبتعد عن أفواههم بعرض اثنتين وعشرين قدماً وفي انتظار ذلك يعيش اليهود في حرب مستمرة مع الشعوب الغريبة(٤).

وهذا يفسر لنا سبب هوس اليهود في إيقاد الحروب، فلا تكاد تخلو فتنة أو مكيدة أو ثورة أو حرب إلا وكانوا يقفون خلفها؛ إما بالمال أو الرجال، وتاريخ الحروب والإرهاب يؤكد ذلك وهذا ما أخبر به القرآن الكريم " **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** " [المائدة:٦٤].

المطلب الثالث: أملاك الآخر وأمواله شرط لمجيء المسيح المنتظر عند اليهود

---

(١) هرمجدون: وهي كلمة عبرية مكونة من مقطعين أو لفظين (هَرْ) ومعناه تل أو جبل، و(مجّدو) وهو اسم واد أوسهل صغير ، يقع شمال فلسطين ويطلق اليوم أحياناً على ذلك المكان اسم (تل المتسلم) ويزعمون أن ساحة المعركة ستكون في مكان يمتد من (هجدو) في الشمال إلى (إيدوم) في الجنوب، قرابة مائتي ميل، ومن البحر المتوسط غرباً إلى تلالة (مؤاب) شرقاً، مسافة مائة ميل، ويقولون إن تلك المعركة العالمية بجيوش جرارة يصل مقدارها إلى أربعمائة مليون جندي، انظر: طويلة، عبد السلام، **المسيح المنتظر ونهاية العالم**، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٦٣.

(٢) انظر: البار، **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، ص١٢٥ ، طويلة، عبد السلام، **مغالطات اليهود من واقع اسفارهم**، ط١، دار القلم، دمشق، ص٣٩١

(٣) بتصرف، الحوالي، **الوعد الحق والوعد المفترى**، ص٣٣ ، انظر: رؤيا يوحنا١٦: ١٣-١٦ ، ١٧: ١١-١٤ ، ١٩: ٩-٢٠

(٤) بتصرف، روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٤٩، مسعد، بولس حنا **همجية التعاليم الصهيونية**، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص٥٨

لا يمكن أن يتحقق مجيء المسيح المنتظر في الفكر اليهودي إلا بعد امتلاك اليهود أموال الآخر، وحيازتها بأية وسيلة: فالعقيدة والغاية تبررها، وبدون امتلاك اليهود للكنوز والثروة لن يأتي المسيح، من هنا عمد اليهود بنشاط ومنذ سالف أزمانهم إلى جمع المال بكل الطرق والوسائل والحيل ، ويؤكد التلمود هذه العقيدة فيقول: لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار. ويجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض، أو وصولهم إلى السيادة والسلطة، فالسلطة لليهود وكل الأمم تخدم المسيح وتخضع له وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي الفان وثمانمائة عبد يخدمونه، وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته وسوف تكون الأمة والشعب في غاية الثروة؛ لأنها حصلت على جميع أموال الناس[١]، يقول أيضاً: تكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة، لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم، وسيكون لها كنوز تملأ قصوراً واسعة، حتى إن أقل من ثلاثمائة دابة لا تكفي لحمل مفاتيح الأبواب والخزائن وسيبادر مسيحهم إلى جميع ذهب العالم وفضته؛ ليوزعها على جميع اليهود بالتساوي[٢].

ولعل نظرة فاحصة للوضع الاقتصادي العالمي تكشف الصلة الوثيقة بين مجيىء المسيح المنتظر وأملاك الآخر على حد زعمهم؛ فالبنوك العالمية الكبرى وبيوت المال، وتجارة الذهب تحت سيطرة حفنة من اليهود، ولذلك يسعى اليهودي جاهداً في جمع المال وتحصيله بكافة الحيل والوسائل، فمن حيلهم مثلاً وهي كثيرة كنز الذهب وتحديد أسعاره، ثم القيام ببيعه للناس بعد رفع سعره بالأوراق والسندات، والذهب لم يغادر مخازنهم. وقد حدث ذلك فعلاً، ففي عام ١٩٨٠م تم رفع الذهب إلى قرابة ألف دولار للأوقية الواحدة، واشترى المخدوعون كميات كبيرة من الذهب على الورق دون أن يستلموه ، ثم قام اليهود بخفض الأسعار إلى ثلاثمائة دولار فانهارت بذلك المؤسسات وخسر أناس كثر في هذه العملية آلاف الملايين من الدولارات، ثم تبعها خدعة الفضة والألماس وهكذا[٣].

وعند الحديث في هذا الموضوع ينبغي التركيز على أمور تتعلق بالأحكام والشرائع اليهودية التي تهدف في أساسها إلى جمع أموال العالم، وتأسيس مملكة الذهب العالمية ليتعجل المسيح في القدوم؛ أهمها إباحة الشريعة اليهودية للربا، والاحتكار، والغش، وكل أنواع الفساد المالي مع الآخر، وتحريم ذلك بين اليهود أنفسهم، يقول التلمود: "غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي

---

(١) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٤٨-٤٩ ، مسعد، بولس حنا، **همجية التعاليم الصهيونية**، ص٥٧-٥٩ ، صبري، **التلمود شريعة بني إسرائيل**، ص٢٤

(٢) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٤٩ ، وسعد، **همجية التعاليم**، ص٥٩ ، وصبري، **التلمود شريعة بني إسرائيل**، ص٢٤

(٣) بتصرف، البار، محمد علي، **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، ص١٢١-١٢٢

إلا بالربا، "ويبرر ذلك بقوله: إن حياته بين أيديكم فكيف بأمواله"[١]؛ ولذلك ارتبط التعامل بالربا باليهود وفي جميع تعاملاتهم الاقتصادية؛ فتسببوا بذلك بأزمات اقتصادية على صعيد الأفراد، وعلى الصعيد الدولي مما جعل حتى كتّاب الروايات والقصص يجسدون ذلك في شخصيات رواياتهم، كما فعل شكسبير في قصة **تاجر البندقية**، ومن الأمثلة على الدور الحقيقي للاحتكار والربا في حياة اليهود ما يتعلق بآل روتشيلد: وهم خمسة أبناء لرجل واحد تحكموا في اقتصاد أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل التاسع عشر ولم يكن ربح هذه العائلة من الزراعة والتجارة؛ بل من تجارة النقود، وإنشاء المصارف الربوية والسيطرة عليها، وقد كانت أهم أهدافهم تأسيس احتكار عالمي يضم جميع أرباب المال العالميين؛ ليبسطوا سيطرتهم على أوروبا، ولذلك أبدعوا في افتعال الأزمات وإشعال الحروب وإيقاد الفتن[٢].

ويعد هذا جوهر ما تنطوي عليه خطة اليهود في جمع المال واكتنازه والقائم على افتعال الحروب والأزمات الاقتصادية، بل يعد جمع المال هدفاً وعبادة وغاية مقدسة كيف لا يكون ذلك وهو السبيل للعودة إلى فلسطين وقدوم المسيح، وقد ربطت التوراة المحرفة عهود الله لشعبه بثروة الآخر وأمواله بقولهم على لسان الرب : "هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يفي بعهده الذي أقسم لآبائك"[٣]، ويفسر التلموديون كلمة القوة باستخدام الرياء والاحتكار والسرقة وافتعال الحروب للحصول على أموال الآخر[٤]؛ فالأموال في اعتقادهم "أمضى الأسلحة لإثارة الرأي العام والقضاء على الأخلاق، وفضح مساوئ الأديان والقوميات، حتى تستنزف قوى الأعداء، فلا يجدون بعد ذلك مفراً من الركوع تحت أقدامهم"[٥].

مما سبق يمكن القول أن اعتقاد اليهود بقدوم المسيح المنتظر لا يمكن أن يتم إلا بعد السيطرة على الآخر في كل شيء دمه وماله وممتلكاته وأرضه، وبذلك شكلت عقائد اليهود وأحكامهم وتشريعاتهم حلقات متشابكة معقدة كلها تكيد للآخر وتتآمر على وجوده وحياته.

---

(١) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٦٣

(٢) انظر: كار، وليم، **اليهود وراء كل جريمة**، (ترجمة خير الله) ، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، ص٨٥

(٣) سفر التثنية٨: ١٨

(٤) بتصرف، الزعبي، **حقائق عن اليهودية**، ص٤٠

(٥) مظهر، سليمان، **قصة الديانات**، ط١، الوطن العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص٣٤٨

الفصل الثاني

الآخر في العقيدة المسيحية ومصادرها المقدسة

المبحث الأول

قيمة الإنسان في العقيدة المسيحية ومصادرها

تشكلت نظرة المسيحية إلى الإنسان بشكل عام والآخر بشكل خاص من خلال عقيدة الخطيئة[١] التي تحدثت عنها الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، والتي تتلخص في عصيان آدم لله وأكله من شجرة المعرفة ، وقد اعتمد المسيحيون على هذه الحادثة في تحديد موقفهم من الإنسان ومكانته ؛ كما صيغت على إثرها عقائد المسيحية وشرائعها؛ من هنا كان لا بد من توضيحٍ لمعنى الخطيئة، ومضمونها وأثرها في النظرة إلى الإنسان والآخر في المسيحية.

المطلب الأول: الخطيئة في المسيحية وعلاقتها بالإنسان

أولاً: معنى الخطيئة وأصلها

جاء في لسان العرب أن الخطأ والخطاء ضد الصواب، وأخطأ الطريق أي عدل عنه، وأخطأ الرامي الغرض أي لم يصبه، وخطيء الرجل أي أذنب[٢] .

وقد جاءت كلمة الخطيئة في الكتاب المقدس بمثل هذه المعاني، يقول القس إلياس مقار[٣]: إن الخطيئة ومشتقاتها في الأصل اللغوي تعني القصور، أو عدم بلوغ الهدف، أو الانحراف، يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "**إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ**"[٤]. ويضيف القس مقار للخطيئة معان أُخرى مثل: الباطل والمرض أو الذنب أو الخراب أو الضيق

---

(١) على الرغم من اعتماد الديانتين اليهودية والمسيحية على قصة الخطيئة الواردة في أول أسفار التوراة (سفر التكوين) إلا أن أثرها في عقائد الديانتين والنظرة إليها وتوظيف أحداثها مختلف عند كل منهما؛ فانعكاسها على اليهودية كان على شكل صراع بين الإله والإنسان، ورغبة الإنسان في الصعود إلى مدارج الكمال، والوصول إلى الألوهية، فارتفعت بذلك قيمة الإنسان ومكانته؛ ولكن اليهودية ضيقت الدائرة فيما بعد لتشمل الجنس اليهودي فقط وعليه كانت عقائدهم وتاريخهم ونظرتهم للإله والأنبياء تدور في فلك رفعة الجنس اليهودي وعلو مجدهم، أما المسيحية فقد كان لقصة الخطيئة فيها أثر وأضح ومباشر في صياغة عقائدها؛ فعقيدة بنوة المسيح تنبع من الخطيئة؛ لأنها تتضمن إرسال الله ابنه الوحيد لفداء البشرية، ثم الثالوث، ثم الصلب أي صلب الابن وهو المسيح فداء للبشرية من الخطيئة الموروثة ثم موته على الصليب، وقيامته في اليوم الثالث ليجلس على يمين الرب يدين الناس. إذاً فقد كان لقصة الخطيئة دور واضح في العقائد المسيحية والنظرة إلى الإنسان جسداً وروحاً.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٦٥

(٣) مقار، الياس، **قضايا المسيحية الكبرى**، ط٢،القاهرة، دار الثقافة المسيحية ، ص٣٧٢-٣٧٣

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية ٣: ٢٣

أو التعب، وتُعد هذه الألفاظ في نظره وصفٌ للحالةِ التي وجد فيها آدم بعد سقوطه في الخطيئة، إذ لم يعد الإنسان البار السليم الصحيح؛ بل الإنسان المريض المنحرف، الخائن المتمرد القاصر...[١].

أما الخطيئة في الاصطلاح المسيحي فتعني: "موقف تمرد إرادي ضد وصايا الله المعلنة"[٢]، يقول صموئيل الأول: "**هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ ... لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ، وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ. لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ رَفَضَكَ مِنَ الْمُلْكِ**"[٣]، كما تعني أيضاً: " التعدي على شريعة الله وأحكامه، أو عدم الامتثال لشريعة الله"[٤] ، يقول يوحنا "كل من يفعل الخطية[٥] يفعل التعدي أيضاً والخطية هي التعدي"[٦].

وتعود فكرة الخطيئة في المسيحية إلى مؤسسها بولس أو شاؤل اليهودي الذي اعتنق المسيحية بعد أن كان من أشد مضطهدي أتباعها، وقد نجم عنها الاعتقاد بسفك دم المسيح، وصلبه كفارة عن خطايا البشر، وتظهر هذه العقيدة في جميع رسائل بولس ومنها قوله: "**وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلاَّ إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ**"[٧].

ويؤكد المؤرخ (ول ديورانت) دور بولس في وجود هذه العقيدة حيث يقول: "لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح (...) ولعله قد تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شراً وخبثاً، ولعله تذكر السُنة اليهودية[٨] والوثنية سُنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس، أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل

---

(١) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٣٧٢-٣٧٣
(٢) موريس، القس سامح، **الإنسان**، ص١٧
(٣) سفر صموئيل الأول ١٥:٢٢-٢٣
(٤) واطسون، اندرواس، **شرح أصول الإيمان**، ط٤، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة، ص١٠٣
(٥) كلمة الخطية: الأصل أن يقال الخطيئة أما كلمة الخطية فهي خطأ لغوي ولكن حرصاً على أمانة النقل نقلتها كما هي من مصدرها حتى إنها وردت في الكتاب المقدس هكذا . انظر: مزامير ٥١: ٥ ، وكذلك في رسائل بولس.
(٦) رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ٤
(٧) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ١-٣
(٨) يذكر ول ديورانت أن اليهود القدماء اشتركوا مع الكنعانيين والمؤابيين والفينيقيين في عادة تقديم الضحايا البشرية تكفيراً عن الخطايا إذ كانوا يقدمون على جلب طفل وتقديمه تضحية واسترضاء للسماء ثم استبدال الطفل مع الأيام بأي مجرم محكوم عليه بالإعدام. ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج١١، ص٢٦٤

ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته"[١].

ومن هنا احتلت الخطيئة مكانة بارزة في المسيحية، كما أسست موقف المسيحية من الإنسان، وأضحت ضرورة حتمية لكل مؤمن حقيقي بالمسيحية، يقول لويس ايفلي : " وأنت لن تكون مسيحياً حقيقياً إلا حين تحسب نفسك خاطئاً حقيقياً"[٢]، وهذا ما أكده بولس في رسالته إلى أهل رومية حيث يقول: " **مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ، وَهكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.**"[٣].

ثانياً: أقسام الخطيئة في المسيحية

للخطيئة قسمان: أصلية ، وفعلية؛ أما **الأصلية** فهي التي حددت موقف المسيحية من الإنسان وهي الأهم، ومعناها: "الفساد الأصلي لكل أحوال وقوى النفس بمعنى أن هذه القوى قد أصابها الفساد نتيجة للخطيئة الأولى، وهذا الفساد عبارة عن خلو النفس من البرِّ الأصلي التي خُلق الإنسان على صورة الله فيها"[٤].

ويذكر كتاب علم اللاهوت النظامي أن الخطيئة الأصلية لا تعني فساد جوهر النفس وذاتها بل تغير أحوالها وأميالها؛ ففسادها الأصلي لا يمس جوهرها بل أخلاقها وطبائعها، وميل الإرادة فيها؛ لأنها حادت وانحرفت عن الحق، كما يتضمن فساد طبيعة الإنسان الأدبية فساداً تاماً يشمل الحيدان عن الله وعن كل خير روحي، والميل إلى كل شر، والخطيئة الأصلية في التصور المسيحي خطيئة بالطبع لا مجرد بلية، أو حادثة مخزية[٥] .

أما **الخطيئة الفعلية** فهي ما يفعله المرء من ذنوب بعد ولادته، أي يكتسبها بعد ولادته وهي ناتجة عن الخطيئة الأصلية؛ بل تعد من إفرازاتها ونتيجة لحالة الفساد الذاتي لكل أحول النفس وقواها ، يقول القس صموئيل حبيب: "إن الخطية ليست مجرد الأعمال الخاطئة التي

(١) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، ج١١، ص٢٦٣-٢٦٤

(٢) محمد، أنمار أحمد، **اللاهوت المسيحي (نشأته وطبيعته)**، ط١، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠م، ص٥٩

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ٥: ١٢

(٤) عجيبة، أحمد علي، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام**، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٧٥-١٧٦

(٥) بتصرف، **جيمس انس، علم اللاهوت النظامي**، راجعه وأضاف إليه: منيس عبد النور، ص٣٢٩

تصدر عن الإنسان؛ بل هي حالة الفساد التي في الإنسان والتي بسببها تصدر الخطايا الأخرى"[١].

وبناءً على ذلك ترى المسيحية أن الخطيئة الأصلية أمر متأصلٌ في الطبيعة البشرية حيث يولد الإنسان متلبساً بها، وهي أصل جميع الخطايا والذنوب التي سيقع فيها الإنسان فيما بعد؛ لأنها عملت على إحداث حالة من الفساد العام في أحوال النفس وقواها وأخلاقها وطبائعها، أما الخطيئة الفعلية والتي يصح تسميتها بالفردية فهي الذنوب والأفعال التي يقع بها الإنسان بعد ولادته نتيجة ما اكتسبه من أسرته ومجتمعه، ولكنها تعود إلى الخطيئة الأصلية وتُعد من إفرازاتها.

ثالثاً:علاقة الإنسان بالخطيئة في المسيحية

ربطت المسيحية مسألة الإنسان بخطيئة آدم الأولى، والتي تتلخص في عصيان آدم لله وأكله من شجرة المعرفة بعد أن خلقه الله على صورته، ورفع قدره على جميع مخلوقاته؛ ولكن خطيئته أفسدت طبيعته وأحواله، فانتقل فساده إلى جميع البشر؛ وتعلل المسيحية ذلك بأن آدم هو أصل الجنس البشري، والمخلوق الأول وبصدور الخطيئة منه فقد أفسد الطبيعة البشرية بعد أن توارثها الإنسان عنه جيلاً عن جيل، يقول كتاب **علم اللاهوت النظامي:** "والكتاب المقدس يعلم أن هذا الفساد الأصلي موروث، أي خاص بالطبيعة البشرية لا مكتسب من معاشرة الأشرار بعد الولادة"[٢]، وبذلك التصقت خطيئة آدم بكل إنسان، وأصبحت أحوال آدم بعد سقوطه بالخطيئة وما ترتب على ذلك من آثار ومحن هي أحوال كل إنسان، ويؤكد الباحثون المسيحيون هذه الحقيقة التي لا مفر منها في نظرهم، ومن هذه الأقوال ما يذكره د. ندرة اليازجي في كتابه "**رد على اليهودية واليهودية المسيحية"** حيث يقول: آدم هو الخليقة الأولى، والإنسان الأول، وبكر كل خليقة من الوجهة المادية[٣]، ورمز الإنسان ومثاله [٤]، ذلك الإنسان الذي وجد في حالة النعمة وسقط، إذن سقوط آدم من النعمة هو سقوط كل إنسان، و خطيئة آدم هي خطيئة كل

---

(١) حبيب، القس صموئيل، **الخلاص في مفهومه الكتابي والتطبيقي،** دار الثقافة المسيحية، القاهرة ، ص٢١ ، نقلا عن عجيبة، محمد علي، كتاب **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه** ،ص١٧٦

(٢) **اللاهوت النظامي،** ص٦٧٤

(٣) خصص اليازجي أسبقية آدم بالوجود على جميع الخلق من الوجهة المادية وذلك لاعتقادهم أن المسيح هو بكر كل خليقة من الوجهة الروحية ، أي أن آدم مصدر الغرائز والشهوات ولذلك كتب له الفناء؛ أما المسيح فهو الروح والطهارة والقداسة والبقاء.

(٤) اليازجي، ندرة، **رد على اليهود واليهودية المسيحية،** دار الأجيال، دمشق، ١٩٦٩م، ص٨٧

إنسان[١]، وفي رأي آخر يؤكد القس إبراهيم لوقا شمول الخطيئة كل بني الإنسان، ويعتبر ذلك صيرورة حتمية، وسُنة كونية حيث يقول: إن الإنسان الأول سقط في عثرة العصيان، وبسقوطه هذا وقع تحت حكم الموت الذي أنذره به الله عندما وضعه في جنة عدن، وقضى به عليه، كما أنه قد خسر حالة الكمال الأخلاقي التي خلقه الله عليها، وأصبح خاضعاً لناموس الفساد وسلطان الخطية؛ ولما كان الشوك لا يثمر تيناً فقد صار جميع نسل هذا الإنسان الأول فاسداً كفساده واقعاً مثله تحت حكم الموت"[٢].

ويلاحظ من النص السابق أنه لا مفر للإنسان من الخطيئة الأولى ونتائجها عليه كالموت والفساد الآدمي والأخلاقي، ويستشهد بعض علماء اللاهوت المسيحي بقانون الوراثة للتأكيد على الصلة المباشرة بين خطيئة آدم والإنسان، واستحقاق الإنسان لهذه الخطيئة، وما ترتب عليها من نتائج مدمرة، يقول عوض سمعان: "بما أنه بناءً على قانون الوراثة لا يمكن لكائن أن يلد آخراً مغايراً له، كما يقول علماء الأحياء وعلى رأسهم ماندل؛ فالخنزيرة[٣] مثلاً لا يمكن أن تلد حملاً، والشوك لا يمكن أن ينتج عنباً، وبما أن آدم الذي ولد منه البشر جميعاً كان قد فقد بعصيانه حياة الاستقامة التي خلقه الله عليها، وأصبح خاطئاً قبل أن ينجب نسلاً، إذا كان أمراً بديهياً أن يولد أبناؤه جميعاً خطاة بطبيعتهم نظيره؛ لأننا مهما جلنا بأبصارنا في الكون لا نجد لسُنة الله تبديلاً أو تحويلاً"[٤].

مما سبق يظهر اعتقاد المسيحية بوجود صلة وثيقة بين خطيئة آدم والإنسان، فبما أن آدم هو أول البشر والخلق، فقد لزم انتقال الخطيئة منه إلى جميع البشر بموجب قانون الانتقال الوراثي، ولأن آدم سقط في الخطيئة فقد سقط الإنسان أيضا وفسدت أحواله وقواه؛ ولكن المسيحية في الوقت ذاته تفرق بين الإنسان قبل السقوط في الخطيئة، وبعد السقوط فيها، لهذا يمكن القول إن قيمة الإنسان في المسيحية يضبطها حد فاصل **وهو السقوط في الخطيئة**.

---

(١) اليازجي، **رد على اليهود واليهودية المسيحية**، ص٦٤

(٢) لوقا، إبراهيم، **المسيحية في الإسلام**، ط٥، ١٩٩٥م، ص١٥٧

(٣) لا يحسب القارئ أن نظرة المسيحية إلى النبوة والأنبياء مختلفة عن اليهودية بل تزيد المسيحية في امتهانها وحطها من قدر أنبياء الله تعالى؛ ففضلاً عن إيمانها بكل الأوصاف والقصص المشينة التي نعتت بها التوراة الأنبياء، فإنها أيضا ترى أنهم فشلوا في تحقيق المهمة الإلهية بتخليص البشرية من ربقة الخطيئة، فاستحقوا بذلك أن يكونوا تحت أسرها وبين أنيابها؛ ولما كانت شرائعهم قد فشلت أيضاً فلا حاجة لها ويجب تركها وهذا ما أكده بولس ورسائله في أكثر من موضع. بالإضافة إلى ذلك لا يغفل القارئ عن هذه النظرة المشينة إلى آدم فبعد تحميله ذنب الإنسانية والإقرار بعصيانه وفساده، ينعته علماء اللاهوت بالشوك والخنزير! ألم يجدوا أمثلة أخرى من واقع الحياة يستطيعون الاستشهاد بها على الانتقال الوراثي للخطيئة غير هذه الأوصاف.

(٤) سمعان، عوض، **غفران الذنوب ـ فلسفة الغفران في المسيحية**، دار الإخوة للنشر، القاهرة، ص١٧

المطلب الثاني: قيمة الإنسان في المسيحية قبل السقوط[١]

يعتقد المسيحيون أن آدم عاش في الجنة قبل السقوط وهو على صورة الله في المعرفة والقداسة والبرِّ والطهارة، وقد أعطي من النعم ما يضمن له السعادة والابتهاج وكان عليه أن يحافظ على صورته التي خلقه الله عليها، و النعم التي حباه الله بها؛ ولكن آدم لم يحفظ وصايا الله، وسقط في الخطيئة بعد أكله من شجرة المعرفة التي يعرف بها الخير والشر[٢]، وهذا يعني أن الخطيئة الأصلية في نظر المسيحيين لا تعني أن الإنسان الأول خلق بها، فقد خلق الإنسان طاهراً بريئاً مقدساً على صورة الله وشبهه كما تزعم الإصحاحات الأولى من سفر التكوين؛ ولكن دخول الخطيئة إلى حياته وفكره عن طريق آدم وحواء أدت إلى توارث الخطيئة وتوالدها بعد آدم حتى سقطت على الجنس البشري، فأسقطت الإنسان من عليائه وتحول من حالة السعادة والراحة إلى الشقاء والتعاسة والتعب.

ويؤكد بولس هذا السقوط الذي حاق بالبشرية بأسرها حيث يقول: " **أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ**"[٣].

وتتجلى قيمة الإنسان ومكانته في المسيحية قبل مرحلة السقوط في أمرين هامين تذكرها سطور سفر التكوين وهما:

١. خلق الإنسان على صورة الله وشبهه.
٢. الغاية التي خلق الإنسان لأجلها.

وفيما يلي تفصيل ذلك من خلال النصوص، وأقوال علماء اللاهوت المسيحي.

أولاً: خلق الإنسان على صورة الله وشبهه

---

(١) استخدمت كلمة السقوط في هذا الجزء من الدراسة لعدة أمور أهمها أن المسيحيين يعبرون عن معصية آدم بلفظة السقوط، وثانياً لأن لفظة السقوط تعبير مسيحي يصور موقفهم من الإنسان بشكل عام بعد حدوث المعصية؛ فالسقوط يعني الانتقال من حال الرفعة إلى الدونية .
السقوط في اللغة:
يقول ابن منظور: سقط السقطة، الوقعة الشديدة، وسقط يسقط سقوطاً فهو ساقط وسقط وقع. ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص٣١٦
أما السقوط في الاصطلاح المسيحي فهو: "الوقوع في الخطيئة نتيجة أكل آدم من الشجرة المحرمة" عجيبة، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام** ، ص١٦٩ ، ويعرف د. ندرة اليازجي السقوط بأنه "عدم الإذعان والامتهان لقوى الروح وعصيانها والتمرد عليها، وعدم تحقيق ملكوت الله والخضوع لقوى المادة والتمرغ فيها". اليازجي، **رد على اليهودية واليهودية المسيحية**، ص٩٠
(٢) بتصرف، عجيبة، علي، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام** ، ص١٦٩
(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ٣: ١٠-١٢

تعددت الآراء[١] في تفسير النص الذي صرح به سفر التكوين حيث يقول: " **وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا**" [٢] ، يقول القس إلياس مقار مفسراً نوع التماثل: "أن التماثل قائم أولاً بين الإنسان كشخص، وبين الله كشخص، وأن للإنسانية مقومات الشخصية الثلاثية: الفكر والشعور والإرادة، مع هذا الفارق الحاسم أن الله له هذه المقومات في كمالها اللانهائي (...) بينما يحوزها الإنسان في المعنى الجزئي المحدود، ويكفي الإنسان مجداً أن يكون على صورة الله وشبهه في هذه كلها مهما يكن الفرق بينهما كالفرق بين شعاعة النور والشمس الكاملة. على أن التماثل قائم أكثر من ذلك بين الإنسان من الوجهة الروحية وبين الله"[٣]؛ فالكاتب السابق يرى أن خلق الإنسان على صورة الله وشبهه، كان في منحه الفكر والشعور والإرادة وأن ذلك في حد ذاته يعد مجداً ورفعة للإنسان.

ويؤكد القس د. سامح موريس التماثل بين الإله والإنسان في الطبيعة الروحية حيث يرى أن الله كرم الإنسان قبل سقوطه فكان على صورة الله عندما خلقه نفساً حية[٤] وجعله في حالة صلاح أدبي في البر والقداسة[٥]، ويستند في ذلك إلى ما أكده بولس في رسائله حيث يقول: "**وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ**"[٦].

مما سبق يظهر اتفاق الآراء على أن الله رفع من قدر الإنسان ومكانته حينما خلقه على صورته وشبهه في الطبيعة الروحانية أو امتلاكه للإرادة والفكر والشعور.

وقد حاول علماء اللاهوت المسيحي الابتعاد عن تفسير الصورة والشبه في الجانب المادي، وتنزيه الله عن اللحم والدم؛ ولكن النص القائل (كصورتنا كشبهنا) يؤكد وجود الشبه المادي، وينفي ما وصلوا إليه من استبعاد الجانب المادي فإيمانهم بتجسد الإله في شخص المسيح الذي هو الصورة والابن يقضي بالتصور والشبه المادي، ويعلق ابن حزم على إضافة (كشبهنا) إلى مقولة (كصورتنا) حيث يقول: "لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة المُلك والخلق، كما تقول: هذا عمل الله، وتقول: القرد والقبيح والحسن هذه صورة الله، أي: تصوير الله والصفة التي انفرد بملكها وخلقها، لكن

---

(١) اختلفت الكنائس المسيحية في تفسير "صورتنا كشبهنا" حيث ترى الكنيسة البابوية الكاثوليكية أن لفظة (صورتنا) تدل على أن الإنسان خلق عاقلاً مختاراً، ولفظة (شبهنا) تعني ما ناله الإنسان من الإله من موهبة القداسة؛ أما الكنيسة الإنجيلية (البروتستانتية) فترى أن اللفظتين تعنيان حصول الإنسان على موهبة القداسة والبر. بتصرف، عجيبة، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام** ، ص١٢٨

(٢) التكوين ١: ٢٦

(٣) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص١٩٤

(٤) انظر: سفر التكوين ٢: ٧

(٥) بتصرف، موريس، القس سامح، **الإنسان**، ص٣

(٦) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٤: ٢٣-٢٤

قوله (كشبهنا) منع التأويلات وسدّ المخارج وقطع السبل، وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولا بد ضرورة. وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشا لله تعالى ان يكون له مثل أو شبه"(١).

ويعلق الباجي على من فسر الصورة والمثل بخلق الله الإنسان حراً مختاراً ذا قدرة وإرادة حيث يقول: "فإن قيل المراد خلق إنسان له قدرة على الخير والشر وإرادة لهما يفعل بقدرته ما يريده كما لله قدرة وإرادة. قلت: هذا أن سلم فلفظ الصورة لا يدل عليه لأن لفظ الصورة مدلوله الهيئة والشكل كما يقال فلان صورة حسنة والصورة في الحائط مليحة، واللفظ الدال على هذا أن يقال صفاته كصفاتنا، فلم عدل عن اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إيهام للباطل إلى ما يوهمه"(٢).

ثانياً: غاية خلق الإنسان في المسيحية

تعد مسألة الغاية من خلق الإنسان في المسيحية رفعة للإنسان وإعلاءً لمجده وخصوصاً بعد أن خلقه الله على صورته وشبهه ومنحه روحه، ووهبه طهارة وقداسة استحق بها أن يوكل الإله إليه مسئوليات عدة، وأن يجعله شريكاً له في أعماله، ووكيلاً عنه، ومنها أنه أوكل له مهمة العناية بالجنة وحفظها(٣)، وهذا يعني أن الله لم يخلق الإنسان دون هدف أو غاية، يقول الباحث المسيحي كلايد تارنر في كتابه هذه عقائدنا: "لم يكن للبطالة محل في برنامج لله للإنسان"(٤)، ويستدلون على ذلك بما أورده سفر التكوين: "**وَأَخَذَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا**"(٥).

أما المسئولية الثانية التي أوكل الإله الإنسان بها قبل سقوطه في الخطيئة وهي أن الله أحضر لآدم جميع الحيوانات والوحوش والطيور ليضع لها أسماً(٦)، يقول سفر التكوين: "**وَجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا**

---

(١) ابن حزم الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ص٩٥

(٢) الباجي، **علاء الدين بن محمد (ت٧١٤هـ)**، **على التوراة**، ط١، **(تحقيق السيد يوسف أحمد)**، **دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م**، ، ص٢٥-٢٦

(٣) بتصرف، الخضري، القس حينا جرجس، **تاريخ الفكر المسيحي**، م١، ج٣، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢٦

(٤) كلايد تارنر، **هذه عقائدنا**، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل (www.arabicbible.com)، ص٤٦

(٥) تكوين ٢: ١٥

(٦) بتصرف، الخضري، **تاريخ الفكر المسيحي**، م١، ص٢٦، وانظر: مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص١٩٥-١٩٦

يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا"[١]، كما جعل الله لآدم السلطة والسيادة على جميع المخلوقات الأرضية ليكون حاكم الأرض وسيدها ووكيل الله عنها[٢]، أما أدلتهم في ذلك فقد وردت أيضاً في أسفار التوراة، يقول سفر التكوين: "**وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ**"[٣].

مما سبق يظهر أن المسيحية قد حددت نظرتها إلى الإنسان وضبطتها على ضوء الخطيئة والسقوط فيها؛ فقبل السقوط كان الإنسان على صورة الله وشبهه في الطبيعة الروحانية والقدرة والتصرف والإرادة، كما أنه كان شريكاً للإله في أعماله ووكيلاً عنه، وسيداً متسلطاً على جميع المخلوقات الأخرى، وقد أهله لذلك ما امتلكه من القداسة والطهارة الروحانية والإدراك العقلي.

المطلب الثالث: قيمة الإنسان في المسيحية بعد السقوط

ساد في الديانة المسيحية أن خطيئة آدم وسقوطه لم تضر به وحده بل شملت جميع نسله وذريته من بعده، يقول كتاب اللاهوت النظامي: "أجمع[٤] المسيحيون على أن خطية آدم لم تضربه فقط بل بجميع نسله"[٥].

ولذلك يولد كل إنسان مكبلاً بقيود الخطيئة، إلا مريم العذراء ، يقول القس جروت: "إن الكتب المقدسة تعلمنا بأن خطيئة آدم اجتازت إلى جميع الناس ما عدا سيدتنا العذراء المباركة، وذلك في كلمات بولس إلى أهل رومية (٥: ١٧–١٩) هذه الكلمات التي تجعل جميع الناس قد ورثوا خطيئة آدم"[٦]. وحسب هذا الاعتقاد المتطرف لا يستثنى من وبال السقوط أي إنسان، حتى

---

(١) سفر التكوين ٢: ١٩

(٢) بتصرف، مقار، **قضايا المسيحية الكبرى** ، ص١٩٦

(٣) سفر التكوين ١: ٢٦

(٤) في الحقيقة لم تتفق جميع أقوال علماء اللاهوت المسيحي على القول بشمول خطيئة آدم الجنس البشري كله فهناك ثلاثة مذاهب أو أنظمة اشتهرت في الكنيسة على الدوام وهي: المذهب الأوغسطيني نسبة إلى أوغسطينوس اسقف شمال إفريقيا وتتبنى آراءه الكنيسة الغربية والإنجيلية. وأهم ما يميزه القول بوراثة الجنس البشري لخطيئة آدم، ولذلك استحقوا الموت لفساد طبيعتهم وفقدانهم الصورة الإلهية. وهناك النظام البيلاجي نسبة لبيلاجيوس وهو راهب بريطاني، وأهم ما يميزه نفي وجود خطيئة أصلية في البشر وعدم إمكانية ولادة البشر في الخطيئة، وحصر الخطيئة في الأعمال الاختيارية للإنسان؛ فكل إنسان مسئول عن عمله، وأن الإنسان لا يتحمل خطيئة آدم. وهناك مذهب النصف البيلاجي وينسب إلى تلميذ بيلاجيوس واسمه بوليانوس فهو يخالف البيلاجي بالقول بوقوع خطيئة آدم على الجنس البشري كافة ويوافقه في قدرة الإنسان على تخليص نفسه من الخطيئة. جيمس أنس، **علم اللاهوت النظامي**، ص٣٣٧

(٥) جيمس أنس، **علم اللاهوت النظامي**، ص٣١٨

(٦) أحمد، إبراهيم خليل، **الغفران بين الإسلام والمسيحية**، ط١، دار المنار، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٠٧

لو كان طفلاً رضيعاً، وهذا ما يؤكده جان كالوين أحد زعماء البروتستانتية، حيث يرى أن الخطيئة تسري إلى الطفل الرضيع بالولادة والوراثة؛ فوباء الخطيئة مستقر في أعماق الإنسان، وكذلك الطفل الرضيع تضعه أمه مستحقاً للعقاب، وهذا العقاب يرجع إلى ذنبه هو وليس من ذنب أحد غيره[١].

وعلى الرغم من أن الإنسان في منظور المسيحية يولد وبه ميل إلى الخطيئة إلا أنهم يزعمون أن هذا الميل لا يمكن أن يبدو بوضوح في الصغر؛ ولكنه يأخذ في الظهور كلما شب الإنسان ونما، فهو مثل السم الكامن في الثعبان فإنه لا يرد إليه من الخارج؛ بل أن الثعبان يولد وفي جسمه استعداد لتكوينه وكل ما في الأمر أن السم لا يظهر بنتائجه المميتة إلا إذا بلغ الثعبان سناً معيناً[٢].

وقد حاول بعض الباحثين الاستناد إلى أدلة تؤيد السقوط الوراثي للإنسان، سواء من العهد القديم أو الجديد معتبرين أن قضية السقوط واضحة في الكتاب المقدس، ولا لبس فيها يقول كلايدتارنر: "إن الإنسان بسقوطه لم يجلب الدمار على نفسه فحسب بل على ذريته أيضاً، وبما أن آدم هو أبو الجنس البشري فتأثير خطيته قد تعداه إلى نسله؛ لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعته الساقطة. هذه الحقيقة ظاهرة بوضوح في العهدين القديم والجديد، فقد قال داود:" **هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي**"[٣]. لم يتهم داود أمه بالخطية، ولكنه يُعلن أنه قد ولد بطبيعة فاسدة"[٤]. وبعد سنين عديدة قال يسوع: "**هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا ٱلشَّجَرَةُ ٱلرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لَا تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلَا شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً**"[٥].

ولا يمكن الجزم بأقوال كلايد تارنر؛ فالواقع والعقل وكذلك الكتاب المقدس يناقضها، فقوله إن حقيقة الخطيئة واضحة في الكتاب المقدس ليس صائباً لأن الكتاب المقدس في مواضع عدة يوضح أنه لا يؤخذ الأبناء بجريرة الآباء، يقول سفر حزقيال: "**النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ .بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ**"[٦] .

---

(١) بتصرف، السقار، منقذ، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ط١، دار الإسلام، مكة، ٢٠٠٧م ص١٦٥
(٢) بتصرف، سمعان، عوض، **غفران الذنوب - فلسفة الغفران في المسيحية** ، ص١٦
(٣) سفر المزامير ٥١: ٥
(٤) كلايد تارنر، **هذه عقائدنا**، www.arabicbible.com الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل، ص٥٠-٥١
(٥) سفر متى ٧: ١٧-١٨ ، انظر: كلايد تاريز، **هذه عقائدنا**، ص٥١
(٦) سفر حزقيال ١٨: ٢٠

أما أحوال الإنسان وقيمته في المسيحية بعد أن شملته خطيئة آدم وثبت عليه السقوط، فقد أسهب علماء اللاهوت المسيحي في بيانها وتوضيحها، فلم يقتصر أثر خطيئة آدم على جسد الإنسان فقط؛ بل شمل كل ما يتعلق بالإنسان: جسده، نفسه، حريته، وإرادته، وفكره، وسلوكه مع الآخر؛ أما الجسد فقد كان نصيبه من الخطيئة أن أصبح تحت طائلة الموت(١) والمرض والألم(٢)، ويستدلون على ذلك بما أورده سفر التكوين حيث يقول: "**وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ(٣)**"(٤).

ويعد الموت في نظر المسيحيين عيب وانتقاص في حق الإنسان، فلولا خطيئة آدم لكان من نصيب الإنسان الخلود وهو من صفات الكمال؛ لذلك تعتبر المسيحية الموت ليس من صنع الله لأن الله خالد كما أنه منذ البداية خلق الإنسان على صورته ذاته خالداً أيضاً(٥)، يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "**لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ**"(٦).

وبما أن الخطيئة سادت واستحكمت في الجسد الإنساني، فقد نظرت المسيحية إلى الجسد نظرة امتهان واحتقار، واعتبرته موطن الشرور والآثام، فلا يجب الاعتداد به أو الاهتمام لأمره بل لا بد من إهانته وتعذيبه لكبح نوازعه وشهواته؛ فهو مصدر الآثام والخطايا(٧)؛ ولذلك دعت أتباعها إلى الرهبنة وكبت النوازع الفطرية والانقطاع عن الدنيا(٨). أما النفس و أحوالها، فيعتقد

---

(١) يعلل د. ندرة اليازجي وقوع الموت على الجسد الإنساني حيث يقول:" لما كان الإنسان الأول (آدم) قد سقط من عليائه فإنه خضع لمملكته الجديدة وهي مملكة الموت والمادة، فلو أن آدم ظل في عليائه ولم يسقط لما مات ولظل حياً، أي أن حياته كانت حياة في الله ولكنه سقط فخضع للموت وخضوعه للموت يعني خضوعه لعالم المادة وقوانينها. الانحلال والفساد والموت هو ثمن الخطيئة". اليازجي، **رد على اليهود واليهودية المسيحية** ، ص٩٢

(٢) بتصرف، عجيبة، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام** ، ص٢٤١

(٣) الموت المقصود هنا هو الموت الجسدي، والموت الروحي والموت الأبدي؛ أما الموت الجسدي فيراد به موت الجسد وكل ما يسبقه، ويقصد بالموت الروحي فقدان البرّ الأصلي، وابتعاد الله عن الإنسان بسبب الخطيئة، أما الموت الأبدي فهو العذاب الواقع على الإنسان جسداً وروحاً في جهنم إلى الأبد. واطسون، **شرح أصول الأيمان**، ص٩٦-٩٧

(٤) سفر التكوين ٢: ١٧

(٥) بتصرف، العدد السادس عشر، ١٩٩٨م، حولية كلية الشريعة القانون والدراسات الإسلامية، محمد الخطيب، جامعة قطر، عنوان: "الخطيئة والتوبة في المسيحية"، ص٢٦٢

(٦) بولس رسالته إلى أهل رومية ٦: ٢٣

(٧) اليازجي، **الرد على اليهود واليهودية المسيحية**، ص١٠٥

(٨) أهدرت المسيحية قيمة الإنسان عندما نظرت إليه بأنه كائن دنس؛ فكبحت شهواته وغرائزه ونوازعه الفطرية، وقد فشلت في تحقيق ذلك لأنها تتطلب من البشر فوق ما يطيقون احتماله؛ لأن كبت النوازع الفطرية على هذه الصورة أمر مستحيل، فيقع الإنسان بين خيارين أحدهما: نداء العقيدة وهو الرهبانية أو الاستجابة لرغبة الجسد العنيفة الملحة، ولكنه مع هذا لا ينجو من العذاب؛ فهناك صراع داخلي عنيف بين الجسد والروح تنتهي بالعقد النفسية. بتصرف، قطب، محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام**، ط٤، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٦٥م، ص١٠

المسيحيون أن الخطيئة قد أدت إلى إضعافها حتى صارت مائلة إلى الشر، وعاجزة بدون المعرفة الإلهية عن تكميل شيء مما هو محسوب عند الله من الصلاح والخير[١].

وقد سادت الأنانية في النفس الإنسانية، وأحاط الإنسان نفسه بأسوار عالية مما أدى إلى حدوث انفصال رهيب بين الإنسان والآخر من خلال تفشي حب النفس والغيرة والحسد والحقد[٢]، يقول بولس: " **لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون**"[٣] ويعلق القس سامح موريس على ذلك فيقول: "طبيعة الميل الأناني وسيطرة الذات في الإنسان، لقد دفعت هذه الطبيعة الإنسان في طريق الأنانية فأصبح يعيش لذاته، وفي طريق الكبرياء أي يحس بذاته ويعتمد عليها"[٤].

ويثبت القس إلياس مقار سقوط النفس الإنسانية بعد وقوعها تحت سيطرة الأهواء والشهوات بفعل الخطيئة من خلال استشهاده بكلام العالم الإنجليزي **هكسلي** الذي يقول: "لا أعلم أن هناك دراسة انتهت إلى نتيجة تعسة للنفس كدراسة تطور الإنسانية (...) من وراء ظلام التاريخ إلى اليوم بين الإنسان أنه خاضعٌ لعنصر وضيع فيه مسيطر عليه بقوة هائلة، إنه وحش ولكنه وحش أذكى فقط من الوحوش الأخرى، إنه فريسة واهنة عمياء لدوافع تقوده إلى الخراب وضحية لأوهام لانهائية، جعلت كيانه العقلي هماً وحملاً. وأفنت جسده بالهموم والمتاعب والصراع..."[٥] ، ولم تغفل الخطيئة في المسيحية إرادة الإنسان وحريته. بل سلبته ذلك بعد أن أصبحت تحكمه دوافعه النفسية من الأنانية والكبرياء، أو الدوافع الجسدية من الشهوات والرغبات، فأصبح ذا إرادة منحرفة وفكر فاسد، ويعلل العالم اللاهوتي سانت أوغسطينوس (٤٣٠م) الذي يعد من أوائل علماء المسيحية في تفسير مسألة الخطيئة والكفارة سبب سلب الإنسان إرادته وحريته قائلاً: بعد أن هزم الإنسان من قبل ذنبه أصبح حراً في إتيان الفواحش والآثام، ومقيداً وغير حر في إتيان المعروف[٦].

ولا شك أن ذلك قد انعكس على سلوك الإنسان ونشاطاته بشكل عام؛ سواء مع نفسه أو مع الآخرين، حيث سيطرت عليه ميوله وأهواؤه، وأصبح الشر والفواحش والآثام طريقاً يحقق به شؤونه ومصالحه، وهو في ذلك غير مذنب؛ لأن ما يفعله خارج عن حريته وإرادته.

---

(١) بتصرف، عجيبة، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام** ، ص٢٤١
(٢) بتصرف، موريس، سامح، **الإنسان**، ص٢٣
(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٥: ١٧
(٤) مريس، القس سامح، **الإنسان**، ص١٨
(٥) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٢٠١
(٦) بتصرف، السقار، منقذ، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٦٤

ولذلك يرى أوغسطينوس أن كل الأخطار والآثام التي يقع فيها الإنسان ناجمة عن وقوعه تحت نير الخطيئة الأولى، وليس نابعاً من إرادةٍ حرة مختارة :" والحق إنك مهما أمعنت في حقيقة أي إثم فستجد له انعكاساً في هذه الخطيئة الواحدة"[١] ومن الملاحظ أن القس أوغسطينوس قد ضخم الخطيئة إلى حد كبير تمهيداً لإشاعة عقيدة الخلاص بالمسيح وإيجاد سند عقلي يقود الإنسان إلى تصديق نتائج الخطيئة وأثرها على الإنسان.

وقد أكدت بعض نصوص الإنجيل والرسائل وقوع الإنسان عبداً للخطيئة، يقول إنجيل يوحنا على لسان المسيح: "**الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ**"[٢] وفي رسالة بولس إلى رومية يقول: " **وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ. لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ أَفْعَلُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ، فَإِنِّي أُصَادِقُ النَّامُوسَ أَنَّهُ حَسَنٌ. فَالآنَ لَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُ ذلِكَ أَنَا، بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ. فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ. لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ، بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ. فَإِنْ كُنْتُ مَا لَسْتُ أُرِيدُهُ إِيَّاهُ أَفْعَلُ، فَلَسْتُ بَعْدُ أَفْعَلُهُ أَنَا، بَلِ الْخَطِيَّةُ السَّاكِنَةُ فِيَّ**[٣]، ويقول أيضاً: " **لأَنَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ عَبِيدَ الْخَطِيَّةِ، كُنْتُمْ أَحْرَارًا مِنَ الْبِرِّ**"[٤].

مما سبق يتبين أن اعتقاد المسيحيين في خطيئة آدم أدى إلى نتائج خطيرة، فلو وقفت الخطيئة عند شخص آدم لهان الأمر؛ ولكنهم رتبوا على هذا الذنب مسألة خطيرة حاقت بالإنسانية جمعاء، حيث أصبحت النظرة إلى الإنسان سلبية جداً؛ فجسده موطن الشهوات والخطايا والآثام، ونفسه تحكمها الشر، وهو مسلوب الإرادة والحرية والاختيار، وطبيعته فاسدة. ولا يخفى أن سلب الإرادة والاختيار ومسؤولية كل إنسان عن عمله يعني امتهان الإنسان والحط من شأنه وكرامته، فهو مرهون بإرادة غيره وعمله، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه لا يستطيع التوبة وهو أمر طبيعي، إذ لا أرادة له أصلاً؛ لذلك يؤمن المسيحيون بالخلاص؛ لأن الإنسان لا يقدر على تخليص نفسه من الآثام أياً كان نوعها؛ ففي الخطيئة الأصلية بعث الله ابنه الوحيد ليصلب ويخلص الإنسان كما يزعمون، وفي الخطايا الفردية يلجأ المسيحي إلى الكنيسة لتخلصه من آثامه عبر كرسي الاعتراف وصكوك الغفران.

---

(١) السقار، **المصدر نفسه**، ص١٦٤

(٢) إنجيل يوحنا ٨: ٣٤

(٣) رسالة بولس إلى أهل رومية ٧: ١٤-٢٠

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية ٦: ٢٠

وبذلك يبقى الإنسان أسيراً للشعور بالإثم، والذنب يطارده ويلاحقه منذ ولادته حتى وفاته، وهو ما يجعله يشعر بالدونية والاحتقار لنفسه ولغيره، يقول براتد اندراسل في كتابه **الفوز بالسعادة** حول تأثير الشعور بالإثم على الإنسان: "إن الشعور بالإثم (...) يجعل الإنسان تعيساً ويشعره بالدونية"[١].

ويصور الباحث المسيحي الدكتور نظمي لوقا الأثر البالغ الذي خلفته الخطيئة في الإنسان، وأثرها السلبي على نفسه وذلك من خلال تجربته الشخصية، فيقول: "أما الإنسان فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفاً لا يحسد عليه كثيراً بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم، ذلك الوزر الذي اعتبر خطيئة أولى وخطيئة باقية موروثة (...) وإن أنس لا أنسى ما ركبني صغيراً من الفزع والهول من جزاء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم"[٢]، ويقول أيضاً: "والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القائمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء فيمضي حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث. إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظيمى بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً، ورد اعتبار لا شك فيه. إنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه"[٣].

وإذا لجأنا إلى أفواه علماء المسيحية فسنجدهم يؤكدون ذلك، يقول القس إلياس مقار حول أثر الخطيئة على الإنسان: "كلمة الخطيئة على الدوام مُقَارنة وملاحقة للعار والخزي، إذ إنها تُهدر في الإنسان كل ما هو آدمي وإلهي حيث تقتل فيه المروءة والشرف والكرامة والنبل والإنسانية، وتسفل به إلى الحيوانية القذرة"[٤].

وتحاول المسيحية تخليص الإنسان من ربقة الخطيئة، لتعيده إلى حالته الأولى التي خلقه الله عليها من خلال عقيدة الخلاص والفداء – سنتحدث عنها لا حقاً بالتفصيل – حيث يؤمنون بأن المسيح هو ابن الله الخالي من الآثام والمعاصي، أرسله الله ليفتدي البشرية من خطيئة آدم، وذلك بعد أن عجز الأنبياء ونواميسهم عن ذلك، فاستحقوا بذلك إحاطتهم بالخطيئة، ووقوعهم بالذنوب والمعاصي، واستحق الناموس أن يهمل ويترك؛ إذ لا حاجة تدعو إليه .

---

(١) رسل، براتراند، **الفوز بالسعادة**، (ترجمة سمير عبده)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٩٤

(٢) لوقا، نظمي، **محمد الرسالة والرسول**، الشركة العربية، القاهرة، ص٧٥

(٣) المصدر نفسه، ص٧٨

(٤) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٢٠٢

وقد سعت رسائل بولس لتأكيد هذا الاعتقاد واختلاق التعابير لذلك من خلال التمييز بين مرحلة آدم، ومرحلة المسيح، فأطلقت على آدم الإنسان الأول والعتيق، وأطلقت على المسيح آدم الأخير أو الإنسان الثاني يقول القس **حنا الخضري:** "لقد أعطى بولس ألقاباً أخرى للمسيح مثل آدم الأخير والإنسان الثاني"[١] ويقول بولس في رسالته إلى أهل كونثوس: " **صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا**"[٢].

وقد رتب الباحثون المسيحيون على ذلك التفصيل بين آدم الأول و آدم الأخير نتائج عدة فآدم الأول يمثل السقوط والموت والآثام، وآدم الأخير يمثل الارتفاع والصعود والبر والقداسة، وآدم الأول يمثل الشر، والأخير الذي حقق الروح يمثل الخير[٣]. وقد فصّل د. ندرة اليازجي في دور المسيح وصلبه تخليصاً للبشرية في استرداد قيمة الإنسان ورفعته من خلال عدد من الأمور[٤]:

١. أعاد المسيح الإنسان إلى الله مرة أخرى، بعد أن انقطعت الصلة بينه وبين الله بفعل الخطيئة.
٢. أعيدت للإنسان قيمته بعد تجسد الإله في شخص المسيح وحلول الروح فيه.
٣. منح المسيح الإنسان حياة جديدة بعد أن خلصه من الآثام والذنوب.
٤. تمكن الإنسان من تحقيق انتصاره على قوى الشر والخطيئة والموت، فقد ملكت هذه القوى على الإنسان وسيطرت عليه فأصبح الإنسان الخاطئ عتيقاً، وأصبح الإنسان الذي تبرر بالمسيح وانتصر معه على الخطيئة والناموس والموت إنسان جديداً.
٥. حرر المسيح الإنسان من الناموس والشريعة التي كان لها الدور الأكبر في الانفصال بين الله والإنسان.

ولكن السؤال الذي يلح هنا هل النظرة إلى الإنسان بعد الخلاص المزعوم تشمل جميع الناس أم أنها خاصة بفئة معينة؟

الحقيقة أن علو شأن الإنسان ووصوله إلى الكمال في نظر المسيحية لا يكون إلا بعد معرفة المسيح والإيمان بصلبه، تخلصاً من الخطيئة، لذلك فهو لا يشمل كل الناس بل من

---

(١) الخضري، القس حنا جرجس ، **تاريخ الفكر المسيحي**، م١، ج٣، ص٣٨٨
(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كونثوس ١٥: ٤٥
(٣) انظر: اليازجي، **رد على اليهود واليهودية المسيحية**، ص٩٢
(٤) انظر: اليازجي، **رد على اليهود واليهودية المسيحية**، ص٥٧، ٥٨، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٥، ١٠٦

يؤمنون بذلك فقط؛ أما من لا يؤمنون بذلك فقد ظلوا يرزحون تحت الخطيئة غارقين في الشرور والآثام.

المبحث الثاني

عقيدة الخلاص في المسيحية والآخر

ارتبطت عقيدة الخلاص في المسيحية بقضية الخطيئة الأولى الواردة في العهد القديم، والتي نجمت عن أكل آدم من الشجرة التي نهاه الله عنها؛ فبفعل هذه الخطيئة وقع آدم في الفساد والشر، وفقد أوجه التكريم والامتياز التي خلقه الله عليها؛ ولأن آدم أصل الجنس البشري فقد ورثت ذريته جميعها تلك الخطيئة وذلك الفساد، ويعتقد المسيحيون أن فقدان القدرة على الاختيار والإرادة من أخطر الامتيازات التى فقدها الإنسان بفعل الخطيئة الموروثة، حيث أصبح مكبلاً ومقيداً، ولا يملك حق التوبة أو التكفير عن خطيئته الأولى، أو خطاياه اللاحقة، وقد كان لذلك أثر واضح على موقف المسيحية من الآخر.

من هنا جاءت هذه الدراسة؛ لتوضح دور عقيدة الخلاص في تخليص الإنسان من الخطيئة في ظل إرادته المسلوبة، وبيان الأثر الذي خلفته هذه العقيدة على الآخر، والذي سيتضح في معظم مضامينها ابتداءً من مفهومها وحدودها وصولاً إلى طرقها .

المطلب الأول: الخلاص لغةً

ورد في معاجم اللغة أن الخلاص من خلص الشيء بالفتح يخلص خُلوصاً وخَلاصاً إذا كَانَ قَدْ نَشِبَ ثُمَّ نَجا وسَلِم، والمُخْلَص: الَّذِي أَخْلَصه اللهُ، أي جَعَلَهُ مُختاراً خَالِصًا مِنَ الدَّنَس أي صار خالِصاً، وخَلَصَ إليه الشئ: وصل، وخلصته من كذا تَخْلِيصاً، أي نجّيته تَنْجِيَة فتَخَلَّص[(١)].
من هنا يظهر أن لفظة (خلص) تعني التخليص والتنجية، والخلاص مصدر يقصد به السلامة والنجاة.

وفي كتابات المسيحيين ترد كلمة الخلاص بمعانٍ متعددة؛ ولكنها تشترك مع المعاني اللغوية السابقة، ففي **دائرة المعارف الكتابية** جاء الخلاص في معنيين: **الأول** في العهد القديم حيث اعتُبِرَ الخلاص أهم الكلمات العبرية المترجمة، وتعني يوسع أو يخرج إلى الرحب؛ ولكنها منذ البداية تحمل المعنى المجازي، والذي يعني التحرر من المحدوديات، ويشمل ذلك الخلاص

---

(١) بتصرف، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٧، ص ٢٦، والفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٣، ص١٠٣٧

من العوامل التي تحصر وتقيد، فتستخدم في الخلاص من المرض[(١)] أو من الضيق[(٢)] أو من الأعداء[(٣)(٤)].

أما في العهد الجديد فقد استخدمت كلمة الخلاص في معناها الديني للتعبير عن فكرة الخلاص الأدبي والروحي، ويقصد به الخلاص من الخطية وعواقبها من الإحساس بالذنب[(٥)] ومن الناموس ولعنته[(٦)]، ومن الموت[(٧)]، والخلاص من الدينونة[(٨)]والخوف والعبودية[(٩)].

إذاً فالخلاص لغة مصدر يقصد به النجاة والسلامة؛ إما من الخطر أو العدو أو المرض أو الضيق، كما جاء ذلك في العهد القديم، أو النجاة من الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من فساد وذنب وموت، وخوف وعبودية كما ورد في العهد الجديد، ويتضح من كلمة الخلاص أيضاً أنها لا تقتصر على تخليص النفس وحسب؛ بل تخليص الجسد أيضاً لكونها وردت بمعنى النجاة من المرض، والخطر والاضطهاد وغير ذلك.

المطلب الثاني: مفهوم الخلاص في المسيحية

ارتكز الكُتّاب المسيحيون في تعريفهم للخلاص على ما ورد في العهد الجديد، حيث حُمل الخلاص على النجاة من الخطيئة وعواقبها، فأصبح ذلك أساس الخلاص وأهم مضامينه وأسسه، يقول القس الياس مقار: "إن الخلاص كما هو واضح من رسالة المسيح والمسيحية هو خلاص الإنسان من الخطية"[(١٠)]، ويستدل على ذلك بقول الملاك لمريم العذراء: "**فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ**"[(١١)].

---

(١) سفر إشعيا٣٨: ٥،٢٠
(٢) سفر إرميا٣٠: ٧
(٣) سفر صموئيل الثاني٣: ١٨
(٤) بتصرف،حبيب، القس صموئيل، وآخرون، دائرة المعارفة الكتابية، م٣، ط٢، دار الثقافة، القاهرة، ص٣١٧-٣٢٢
(٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية١:٥
(٦) رسالة بولس إلى أهل غلاطية٣: ١٣ ، رسالة بولس الرسول إلى كورنثوس٢: ١٤
(٧) رسالة بولس الرسول إلى كورنثوس الأول ١٥: ٥١-٥٦
(٨) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية٩:٥
(٩) حبيب، القس صموئيل، وآخرون، دائرة المعارفة الكتابية، م٣، ص٣١٧-٣٢٢
(١٠) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٢٠٧
(١١) إنجيل متى١: ٢١

وبما أن الخلاص في المسيحية يرتكز على الخطيئة؛ فلا يمكن الوصول إلى توضيح مفهومه إلا بعد العبور بثلاث مراحل تستند في أساسها إلى التقسيم السابق للخطيئة بين الأصلية والفعلية، وهي[١]:

أولاً: مرحلة التجديد: وهي مختصة بالزمن الماضي، ويقصد بها تخليص الإنسان من الخطيئة التي ولد بها، وغفران خطايا الإنسان السابقة، وترد صيغته في الكتاب المقدس (تخلصنا).

ثانياً: مرحلة التقديس: وتتعلق بالزمن الحاضر، وتعني التطهير اليومي مما يقع به الإنسان من آثام وزلات، وقد وردت في لفظة (نحن نخلص).

ثالثاً: مرحلة التمجيد: وتعني الحصول على الحياة الأبدية عن طريق الحصول على جسد ممجد، وإرث السماء مع المسيح، وقد وردت في الكتاب المقدس بصيغة (سنخلص).

وعلى هذا يتبين أن مفهوم الخلاص في المسيحية يشمل النجاة من الخطيئة بنوعيها، فهناك النجاة من الخطيئة الأصلية التي نتجت عن آدم كما يزعمون التي تظهر من خلال مرحلة التجديد، وتسمى عندهم الخلاص من دَيْن الخطيئة، يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "**لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ**"[٢]، وهذا الخلاص يحصل في الحال على اعتبار أن الخطيئة دين سقط بعد صلب المسيح وتكفيره للخطايا[٣][٤].

كما يشتمل هذا النوع من الخلاص على الخطايا الفعلية السابقة التي يرتكبها الإنسان بشكل فردي وهو المقصود مما جاء في رسالة أعمال الرسل حيث تقول: "**لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ**"[٥].

ويرتكز مفهوم الخلاص أيضاً على ضرورة النجاة من سلطان الخطيئة أي تسلطها على الإنسان في ملاحقتها وإلحاحها، وهي هنا أشبه بحالة مرضية تحتاج إلى علاج من خلال

---

(١) انظر، عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٥٠-٥٢
(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية١٠: ٩
(٣) يذكر القس الياس مقار أن استخدام كلمة دَين للتدليل على خطيئة آدم التي ورثها الجنس البشري من بعده تعبير استخدمه المسيح في أكثر من موضع منها قوله في مثل العبد الشرير: "**فَلَمَّا ابْتَدَأَ فِي الْمُحَاسَبَةِ قُدِّمَ إِلَيْهِ وَاحِدٌ مَدْيُونٌ بِعَشْرَةِ آلاَفِ وَزْنَةٍ**". مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٢٠٨
(٤) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٢٠٨
(٥) أعمال الرسل٢٦: ١٨

الخلاص؛ أما سبب سلطانها فهو التغير والفساد الذي لحق بالطبيعة الإنسانية جراء توارثها خطيئة آدم، يقول القس عوض سمعان في كتابه **"طريق الخلاص"**: "المسيح لم يخلصنا في الماضي من عقوبة الخطيئة الأبدية، ويخلصنا في الوقت الحاضر من سلطة الخطية وتأثيرها على نفوسنا فحسب؛ ولكنه وعد أيضاً أنه سيخلصنا من الطبيعة الخاطئة نفسها أو بالحري يغير أجسادنا إلى صورة جسد مجده"(١).

مما سبق يمكن القول إن مفهوم الخلاص اصطلاحاً ارتكز على تخليص الإنسان من خطيئته الأصلية التي اعتبرت في اصطلاح المسيحيين دَيناً، وتخليصه من خطاياه الفعلية الأخرى دون التقيد بزمن محدد، كما أن الخلاص حسب اعتقادهم يشمل تخليص الإنسان من تلك الطبيعة الفاسدة الشائنة التي جعلت الإنسان أسيراً ومكبلاً بقيود الشهوات والغرائز الفاسدة، وهي من عواقب الخطيئة الأولى وتابعة لها، وقد عبر عنها بولس بقوله: "**فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ. لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ...**"(٢).

وعلى هذا يظهر أن مفهوم الخلاص شامل لكل الخطايا والذنوب، وعليه يمكن القول إن **الخلاص في المسيحية:** هو نجاة عامة وشاملة من جميع الذنوب والخطايا والآثام مهما كانت أسبابها، كما أنه نجاة مطلقة(٣) لا يحدها زمن؛ لأنها تتضمن التخلص من خطايا الماضي والحاضر والمستقبل. ويؤكد القس اندرواس واطسون هذه الشمولية للخلاص حيث يعرفه بأنه: "نجاة كلية من كل خطية وقوتها ونتائجها، ونوال كمال السعادة والراحة الأبديتين"(٤).

وقد كان لمفهوم الخلاص دور واضح في صياغة سلوك المسيحي نحو الآخر حال استسلامه لمضامين هذه العقيدة، كما عمل أيضاً على رسم صورة الآخر في المسيحية، وتحديد

---

(١) عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٥٥

(٢) انظر: رسالة بولس الرسول لأهل رومية٧: ١٤-١٦

(٣) يمكن القول أن **مفهوم الخلاص** على هذا النحو يعد فكرة خيالية إذا ما تم إخضاعها للواقع، أو لنصوص الكتاب المقدس نفسه؛ أما الواقع فهو مليء بصور الشر والفساد والرذيلة الناجمة عن فساد الطبيعة البشرية حتى من الأتباع المؤمنين بعقيدة الخلاص، والأمثلة على ذلك كثيرة من الماضي والحاضر؛ وأما نصوص الكتاب المقدس فتخبر بأدعية عدة يقرأها المؤمن في الصلاة لمغفرة ذنوبه والتخلص منها فعلى سبيل المثال يقول إنجيل متى: " **وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا**"(٣) فلو كان الإنسان قد خلُصَ من كل ذنوبه الماضية والحاضرة والمستقبلة لما احتاج إلى أي نوع من الدعاء، ولما كانت هناك حاجة إلى طرق للخلاص كالتعميد والعشاء الرباني وصكوك الغفران وغيرها.

(٤) واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص٤٥١

معالمه؛ فقد أدى اتساع دلالة الخلاص وشموله جميع الخطايا والذنوب أياً كان نوعها أو زمنها إلى منح إذن مسبق بغفران الذنوب والخطايا لكل من أراد إيذاء الآخر بشتى أنواع الأذى مهما كانت دوافعه وأسبابه؛ مما يريح صاحبه من تأنيب الضمير، كما يمنحه الطاقة والحماس ليفعل ما يمليه عليه هواه، أو تتطلبه مصالحه دون رادع أو خوف.

وبالإضافة إلى ذلك فإن عدم تحديد نوع الخطايا التي يشملها الخلاص وزمنها يجعل من هذه العقيدة سيفاً مسلطاً على رقبة الآخر، وسيتضح هذا لاحقاً من خلال موقف الكنيسة من الآخر.

المطلب الثالث: حدود الخلاص في المسيحية

لما كان مفهوم الخلاص في المسيحية شاملاً لجميع الخطايا والذنوب؛ حيث يلاحق الإنسان منذ تلبسه بخطيئة آدم المزعومة حتى يصل إلى حاضره، ثم إلى مستقبله الغيبي الذي لا يعلمه إلا الله، فهذا يعني أن الخلاص في المسيحية لا حدود له فهو يشمل كل بني الإنسان وخطاياهم ، لأنهم ينحدرون من أصل واحد هو آدم، والبشر مخطئون لأنهم متوالدون منه، يقول القس فهيم عزيز: إن الخطيئة دخلت إلى العالم بإنسان واحد هو آدم ، وهو أصل البشر جميعاً، وبذلك ملك الموت الجميع؛ لأنهم أخطأوا بخطيئة آدم.[١]

وعلى هذا يكون الخلاص المسيحي ضرورة حتمية وأمراً لازماً لكل إنسان، لولا أن نصوصاً وأقوالاً أخرى تطالعنا بأمر مغاير، حيث تقرر أن الخلاص أمر محدود بفئة قليلة مختارة من البشر، تقول رسالة بولس إلى أهل أَفَسُسَ: "**كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ**"[٢]، وكذلك يقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي: " **وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ** "[٣] ويقول كذلك في رسالته إلى أهل رومية " **لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ، وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاخْتِيَارِ، لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو، قِيلَ لَهَا: إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُو**[٤].

---

(١) عزيز، القس فهيم، **المدخل إلى العهد الجديد**، دار الثقافة، القاهرة، ص٣٨٦-٣٨٧، وانظر: رسالة بولس لأهل رومية٥: ١٢-٢١

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١: ٤-٥

(٣) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسلونيكي٢: ١٣

(٤) رسالة بولس إلى أهل رومية ٩: ١١-١٣

وهذه النصوص تؤكد أن الاختيار قانون حتمي، وأمر لا بد منه، فهو لا يتعلق بفعل خير أو ترك شر، ولا صلة له بالأعمال؛ بل يعود إلى اختيار الله وإرادته، ويستدل بولس على ذلك باختيار الله ليعقوب وهو الابن الأصغر لإسحاق على عيسو الابن الأكبر، كما يظهر في كلامه ضرورة استعباد الفئة الأخرى المستبعدة من الاختيار للفئة المختارة، وهو هنا يلمح ويشير إلى استعباد الأكبر إسماعيل للأصغر إسحاق.

وتعود فكرة عقيدة الاختيار للخلاص إلى بولس، فهو مبتدع عقيدة الخلاص، وهذا ما يؤكده مؤرخو المسيحية(١)، يقول الأسقف بولس إلياس الخوري: "ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره، فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا(٢)، وإذا كان بولس وهو يهودي النشأة أساس فكرة الخلاص المسيحي، فلا غرابة إذاً أن تقتحم فكرة الاختيار عقيدة الخلاص، وتجعلها محدودة بفئة معينة من البشر؛ لأن الاختيار عقيدة أساسية عند اليهود، ونصوص التوراة تستفيض في الحديث عنها وتأكيد مضامينها. والتأثر فيها من قبل المسيحيين أمر طبيعي، لأن العهد القديم يعد المصدر الرئيسي لديانتهم.

ويعتبر الاختيار في المسيحية سنة كونية، وقانوناً إلهياً، يتم فيه فرز الناس إلى قسمين قسم مختار مقدس، وقسم آخر خارج الاختيار والقداسة، يقول د.سمبسون عالم اللاهوت المسيحي حول عقيدة الاختيار باعتبارها سنة كونية، وقانون إلهي: "وهكذا نرى الله في العالم الروحي يفصل شعبه فوراً إذ أفرز أسرة شيث عن نسل قايين، وأفرز نوحاً وأسرته من بين الأشرار، وأفرز إسماعيل وأسرته من أسرة عابدي الأوثان، وعزل إسرائيل من مصر ومن الأمم المجاورة له"(٣).

ويؤكد د. سمبسون الاختيار من خلال ربطه بمعنى الكنيسة في اليونانية حيث تعني المدعوة أو المفرزة، ولذلك كانت دعوتها إلى كل واحد من أتباعها بـــ "افرز نفسك"، و"اخرجوا من

---

(١) انظر: ولز، هربرت جورج (١٩٦٩)، **معالم تاريخ الإنسانية**، ط٣، م٣، (ترجمة عبد العزيز جاويد)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص٦٩٢

(٢) الطهطاوي، محمد عزت، **النصرانية والإسلام**، ص٤٨ ، انظر: عجيبه، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه** ، ص٨٠

(٣) سمبسون، أ.ب.، **التعليم الشامل للتقديس الكامل**، (ترجمة يوسف سعفان)، أرسالية الاليانس المسيحية، القدس، ١٩٤٠م، ص٦

وسطهم واعتزلوا يقول الرب: وألا تمسوا نجساً فأقبلكم، وأكون لكم أباً، وانتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء"[١] وبهذا ترتبط مسألة الخلاص وحصول القداسة بالانفصال والتمايز الناجم عن الاختيار[٢].

وتشير بعض نصوص الأناجيل والرسائل إلى ارتباط الخلاص بفئة مختارة متأثرة بالعهد القديم، منها ما يزعمه إنجيل يوحنا حول حديث عيسى مع المرأة السامرية عند البئر حيث يقول لها: "**أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ . لأَنَّ الْخَلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ**"[٣]، وكذلك يؤكد بطرس أن عيسى جاء مخلصاً وفادياً لبني إسرائيل وحسب، على اعتبار أنهم الفئة المختارة حيث يقول: " **هذَا رَفَّعَهُ اللهُ بِيَمِينِهِ رَئِيسًا وَمُخَلِّصًا، لِيُعْطِيَ إِسْرَائِيلَ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا**"[٤]، وتتجلى عقيدة الاختيار للخلاص في أقوال بولس حيث يقول: "**أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنَّ مَسَرَّةَ قَلْبِي وَطَلْبَتِي إِلَى اللهِ لأَجْلِ إِسْرَائِيلَ هِيَ لِلْخَلاَصِ**"[٥].

ويسير كتّاب المسيحية ومفكريها على هذا المنوال متأثرين بعقيدة الشعب المختار كشعب مخلص مما يعني ارتباط الاختيار بالخلاص، وارتباطه بفئة محددة فقط، ويلاحظ ذلك من خلال تعريف عقيدة الاختيار للخلاص في علم اللاهوت المسيحي حيث يعني: " فرز بعض من المجموع، أو فرز الله لبعض من الناس، وتعيينه إياهم بالقضاء للحياة الأبدية"[٦].

ولعقيدة الاختيار للخلاص في المسيحية مضامين عدة، تتضح من خلالها النظرة إلى الآخر ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أولاً: إن الاختيار للخلاص حق للأقنوم الأول (الآب) فقط، وإحدى خصوصياته[٧] فلا دخل للإنسان بها، ولا يؤثر فيها وفي تحقيقها فعل الخير أو ترك الشر؛ لأن الإنسان مسلوب الإرادة منذ البداية فلا قيمة لأعماله أو أقواله بسبب طبيعته الفاسدة التي ورثها بخطيئة آدم، ولذلك اختار الله كما يزعم المسيحيون قلة من الناس ليمنحهم بركته وخلاصه، ومن أجل هذه القلة فقط جاء المسيح إلى الدنيا؛ أما الآخر الذي لم يشمله الاختيار فما عليه إلا ان يكون فريسة أعمال الفئة المختارة، التي تجتهد في عمل ما يحلو لها، وما يحقق مصالحها وأهدافها دون عرضها على

---

(١) المصدر نفسه، ص٦
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٦-٧
(٣) إنجيل يوحنا ٤: ٢٢
(٤) سفرأعمال الرسل ٥: ٣١
(٥) رسالة بولس إلى أهل رومية ١٠: ١
(٦) واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٣٧
(٧) انظر يوحنا ١٧: ٦

ميزان العدل والخير والشر، فهي مسلوبة الإرادة وفي نفس الوقت تعد فئة مختارة يتحقق فيها الخلاص[(١)].

ثانياً: أن عملية الاختيار للخلاص قد تمت لأفراد وليس لجماعات، وقد حدث ذلك قبل أن يولدوا، وقبل أن يتأسس العالم[(٢)]، وهذا ما تؤكده النصوص حيث تقول: "**كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ**"[(٣)].

ثالثاً: إن الاختيار للخلاص لا يتعلق بالبر أو صلاح الفئة المختارة، بل يرجع إلى محبة الله لهذه الفئة التي اختيرت وفق إرادة إلهية، وليس لأجل شيء صالح فيهم[(٤)] ، ولا يخفى أن في هذا إجحاف بحق الآخر المستبعد من الاختيار؛ فمهما عمل من خير في حياته فلن ينال حب الله ورضاه، كما أنه يتعرض للظلم بسبب استبعاد الإله له من دائرة الخلاص، ويجيب القس أندرواس واطسون عن مسألة عدل الله في اختياره فئة من الناس، وترك الآخرين فيقول: "إن العدل الإلهي يقتضي معاملة الناس حسب أعمالهم، ومجازاتهم حسب استحقاقهم، فعلى هذا القانون يكون الله عادلاً لو ترك جميع الناس يهلكون، لأنهم جميعاً استوجبوا الهلاك، فاختياره للبعض ليس بظلم لهم، وعدم اختياره للآخرين لم يكن ظلماً لهم ؛ لأن الله لم يزدهم قصاصاً بعدم اختياره إياهم، إنما تركهم ينالون ما يستحقون لو لم يختر أحداً من البشر"[(٥)].

ويلاحظ من تعليل القس اندرواس واطسون مبلغ الاستخفاف بالإنسان بشكل عام، والآخر بشكل خاص، فهو يرى أن القاعدة والأصل في تعامل الإله مع البشر هي الهلاك؛ فجميع الناس مستوجبون له مستحقون له؛ إلا أنه اختار فئة دون أخرى، وهو بذلك لم يظلم الفئة غير المختارة؛ لأنهم كانوا هالكين لا محالة، فلا فرق عندهم بين الاختيار للخلاص وعدمه؛ بل يكفيهم عدلاً أن الله تركهم دون أن يزيد من قصاصهم وعقابهم، فهذا قمة الفضل والمنة، ولا يخفى أن هذا التعليل مخيب للآمال ومحبط للهمم، فمهما عمل الإنسان من فضل أو خير أو صلاح لن ينال الخلاص ما دام ليس مختاراً، كما أن ذلك يعد مبرراً وإذناً خطيراً لكل مجرم أو مفسد في الأرض ليعيث الفساد ويبطش ويقتل دون أدنى رادع يردعه عن ذلك، ما دام يرى

---

(١) إيليربي، هيلين، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي**، ط١، دار قتيبة، بيروت، ٢٠٠٥م، واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص٣٧

(٢) بتصرف، كلايرتارنر، **هذه عقائدنا**، ص١٠٣، واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٣٧

(٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١: ٤-٥

(٤) انظر: رسالة بولس إلى أهل رومية: ٩

(٥) واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٣٨-١٣٩

نفسه مسلوب الإرادة ومحبوباً مختاراً منذ الأزل، وهنا يمكن القول إنه بالاعتماد على كلام القس واطسون فإن يوم الدينونة وجلوس المسيح بعد قيامته على يمين الرب ليدين الناس لا فائدة منه، فما دام أن هناك فئة مختارة محبوبة كتب لها الخلاص حتى لو كانت في غاية الاجرام والفساد فلا داعي إذاً للحساب؛ لأن الاختيار الأزلي للخلاص يستوجب عدم محاسبتهم؛ إلا إذا كان يوم الدينونة أيضاً هو إجراء شكلي والنتيجة معروفة مسبقاً، أو أن ذلك اليوم سيكشف الفئة المختارة للخلاص التي سيكون مصيرها الجنة والفئة الأخرى غير المختارة التي سيكون مصيرها الجحيم والنار.

وتجدر الإشارة هنا أن ربط فكرة الاختيار للخلاص بموضوع محبة الإله للفئة المختارة تشبه عقيدة الاختيار الإلهي لليهود، الواردة في نصوص عدة من العهد القديم، والتي تؤكد أن عملية اختيار الإله لبني إسرائيل ليس لأجل برهم وصلاحهم، بل لأنهم أبناء الله وأحباؤه وأمته المقدسة تقول التوراة: "**لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ**"[١] ونتيجة هذا الحب للفئة المختارة فإن نصوص التوراة تزعم أن الإله لا يعاقب أبناءه المختارين على أفعالهم الشائنة، وهذا يدل على أن عملية الاختيار والمحبة (الخلاص) ليس لها علاقة بالعمل؛ فسواء عملوا خيراً أو ارتكبوا شراً فإنهم محبوبون ومختارون، لذلك حول الإله لأجلهم اللعنة والعقوبة إلى بركة، تقول التوراة: " **فَحَوَّلَ لأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ أَحَبَّكَ**"[٢] وهذا يؤكد التأثر المسيحي الواضح بعقيدة الاختيار الواردة في مصادر اليهود وكتبهم.

وقبل نهاية هذا الجزء من الدراسة يجدر القول إن بعض رجال الدين المسيحي حاولوا أن يجدوا تفسيراً واضحاً لعقيدة الاختيار للخلاص؛ لأنهم أدركوا مدى إجحافها في حق الآخر غير المختار ولكنهم فشلوا في ذلك؛ لأن إنكارها يعني التعدي على نصوص الإنجيل والرسائل. يقول القس كلايد تارنر في كتابه **هذه عقائدنا** بعد أن بيّن كثرة النصوص التي تؤكد عقيدة الاختيار في الكتاب المقدس: "ترى هل يبين لنا مثل هذا التعليم (الاختيار) محاباة من جانب الله وهدماً لحرية الفرد؟ لا ينكر أحد أن هناك بعض الغموض في هذه العقيدة، أو هذا التعليم، وبالطبع لا يستطيع أحد الادعاء بشرحها شرحاً وافياً"[٣] وعلى الرغم من ذلك فإن النصوص

(١) سفر التثنية ٧: ٦-٨

(٢) سفر التثنية ٢٣: ٥

(٣) كلايد تارنر، **هذه عقائدنا**، ص١٠٣-١٠٤

المقدسة تؤكد الاختيار السابق للخلاص يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "**لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ** "[١] ويقول بطرس في رسالته الأولى: "**الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ**"[٢].

المطلب الرابع: طرق الخلاص

ترى المسيحية أن الله قد هيأ للخلاص سبلاً وطرقاً تتميز بعدم اتكالها على الإنسان نفسه كالتوبة وغيرها؛ لأنه أضحى بفعل الخطيئة أسيراً مسلوب الإرادة، ونتيجة ذلك كانت طرق الخلاص وسبله خارجية، وأقصد بذلك أنها ليست من الإنسان نفسه، وهي متعددة: منها مثلاً: بعث الأنبياء، وإنزال الناموس، ولكن رسائل بولس تزعم إخفاق تلك الطرق في تحقيق مهمة الخلاص حتى كان مصير الأنبياء الوقوع في الفواحش والرذائل؛ لأن الخطيئة متأصلة فيهم، وبالتالي كان مصيرهم الجحيم يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "**لكن قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، (...) فَإِذاً كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ (...)لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً**"[٣]، وكذلك فشل الناموس في رأب الصدع في علاقة الله بالإنسان جراء الخطيئة والمساهمة في خلاصه، لذلك دعا بولس إلى إقصائه ونبذه وخصوصاً بعد أن حققت الطرق الأخرى النتائج المرجوة، وأهمها: **طريق المسيح، وطريق الكنيسة** وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل والتأصيل.

أولاً: المسيح طريق للخلاص

يعتقد المسيحيون أن خطة الخلاص الإلهية تقضي بتدخل مخلص خارجي سالم من الفساد الذي اعترى أحوال النفس وقواها بعد خطيئة آدم الموروثة، وقد تحقق ذلك بشخص المسيح ابن الإله الوحيد المتجسد على هيئة الإنسان. يقول لوقا: "**وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ**"[٤]، أي أن الخلاص لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال إله إنسان، وهو بذلك يكون مساوياً للفئة المختارة التي استحقت أن يكون

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ٨: ٢٩
(٢) رِسَالَةُ بُطْرُسَ الرَّسُولِ الأُولَى ١: ١-٢
(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٥: ١٤-١٩
(٤) أعمال الرسل ٤: ١٢

المسيح طريقاً لخلاصها. يقول متى مؤكداً أن مهمة المسيح كانت لتخليص الفئة المختارة: "**فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ**"(١).

وللحديث عن ذلك بالتفصيل، يمكن القول إن خطة الخلاص الإلهية التي تقضي بتدخل المسيح في عملية الخلاص للفئة المختارة تنحصر في السؤال الآتي: كيف كان المسيح طريقاً للخلاص، وكيف تحقق ذلك؟ ويمكن مناقشة ذلك من خلال أمرين أساسيين:

أولاً: عهد النعمة

وهو عهد أزلي مبني على الاختيار وصادر عنه، عُقد بين الله (الآب) والمسيح (الابن) يقضي بضرورة تخليص المسيح لأفراد اختارهم الله منذ الأزل وقبل تأسيس العالم، وهذا يعني أن الاختيار سابق لهذا العهد(٢) وقد صرح القس واطسون أن ذلك غاية النعمة حيث يتساءل: "لأية غاية أقام الله عهد النعمة؟ لكي ينقذ المختارين من حال الخطيئة والشقاوة ويدخلهم إلى حال الخلاص"(٣) ؛ أما النصوص التي يستدل بها على وجود هذا العهد بين الله والمسيح فهي متعددة منها ما ورد في المزمور حيث يقول: " **قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ مُخْتَارِي**"(٤)، هناك نصوص تزعم أن المسيح يطلب الأجرة المشترطة لحفظ العهد، يقول إنجيل يوحنا على لسان المسيح: "**أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ**"(٥).

أما سبب تسمية هذا العهد بالنعمة؛ فلأنه تفضل من الله بالخلاص لتلك الفئة المختارة المحبوبة، ودون مقابل بل بالمجان، وهذا يمكن استنتاجه من خلال النصوص التي تؤكد ذلك منها:

- قول بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس يدعوه إلى الاستمرار في الدعوة للمسيح المخلص حيث يقول: "**فَلاَ تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا، وَلاَ بِي أَنَا أَسِيرَهُ، بَلِ اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ، الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ**

---

(١) إنجيل متى ١: ٢١

(٢) انظر: واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٤٠-١٤١، فهيم،عزيز، **المدخل لدراسات العهد الجديد**، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٧٨

(٣) واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٤٦

(٤) مزمور ٨٩: ٣

(٥) إنجيل يوحنا ١٧: ١-٥

بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ"[١].

- وفي الإصحاح الثاني من الرسالة نفسها يواصل بولس حثه تيموثاوس على الصبر في الدعوة مع تذكيره بعهد النعمة الذي قام به يسوع للفئة المختارة التي يظهر من كلام بولس أنها كل من يقبل بالمسيح فادياً ومخلصاً حيث يقول: "**فَتَقَوَّ أَنْتَ يَا ابْنِي بِالنِّعْمَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. (...)لأَجْلِ ذلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ**"[٢].

وبذلك يكون المقصد من عهد النعمة أن يموت المسيح بفعل الاتفاق المبرم أزلاً عن المختارين فقط قاصداً أن يخلصهم خلاصاً أبدياً؛ على الرغم من أن كفارته ذات قيمة كافية لتكفر عن خطايا كل العالم[٣].

وأخيراً لا بد أن نتساءل: إذا كان المقصود من عهد النعمة الأزلي بين الله والمسيح تخليص فئة محددة، يكون إيمانها وتسليمها بهذا العهد دليلاً وشاهداً على اختيارهم من قبل الله فما هو مصير الآخر، وموقعه من هذا العهد؟

الجواب لذلك يكمن بأنه لا خلاص له والهلاك مصيره وموئله، وهذا هو البرهان المستمد من عقيدة الاختيار كما يزعم القس واطسون حيث يقول: " بما أن الله قد اختار بعضاً من الناس للحياة الأبدية، وترك الآخرين يهلكون، قد أرسل ابنه الحبيب ليموت عن اولئك المختارين، فلا يليق القول إذاً أنه أرسل ابنه ليموت عمن تركهم يهلكون"[٤].

ثانياً: التجسد[٥]

تعد فكرة التجسد[١] الإلهي في شخص يسوع استكمالاً لما تم طرحه سابقاً حول كيفية تحقق الخلاص بالمسيح ؛ فبعد القيام بعهد النعمة المبرم بين الله والمسيح تجسد الابن وهو إله

---

(١) رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١: ٨-٩

(٢) رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٢: ١-١١

(٣) بتصرف بسيط، واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٧٦

(٤) واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص١٧٧

(٥) تختلف كيفية التجسد كضرورة لتحقق الخلاص عند القائلين بالطبيعة الوحيدة أو الطبيعتين؛ أما القائلون بالطبيعتين فيرون أن في المسيح طبيعتين لاهوتية وناسوتية لا تقبلان الانفصال، وفي نفس الوقت لم يمتزجا بحيث يخرج منهما طبيعة ثالثة؛ بل حافظت كل طبيعة على خواصها وميزاتها حيث بقيت صفة الالوهية في الطبيعة اللاهوتية ولم تنتقل إلى الطبيعة البشرية والعكس كذلك فالناسوت في المسيح لم يصر إلهاً واللاهوت فيه لم يصر ناسوتاً وهو بذلك إنسان وإله في وقت واحد. عجيبة، الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ص٤١٠

بطبيعته على هيئة البشر، بعد أن نزل من رحم العذراء، وولد وعاش حياة البشر؛ ليقود في النهاية ركب المختارين نحو الخلاص فيموت متألماً على الصليب، يقول بولس:"**ولكن لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ،لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ** "(٢)، وعلى هذا يكون التجسد ضرورة وأمراً لا بد منه لتحقق الخلاص؛ أما سبب ذلك فيعود إلى ما ذكر سابقاً حول تلبُس البشر جميعاً بخطيئة آدم، والحاجة إلى مخلّص خارجي وهذا لم يتحقق إلا في شخص المسيح لأنه إله متجسد، يقول إلياس مقار واصفاً ضرورة التجسد لإتمام خطة الخلاص: "لا بد أن يندمج (المخلص) في هذا الجنس البشري ويصبح واحداً منه إذ أن الغريب عن الجنس لا يمكن أن ينوب عنه نيابة كاملة ومن البداهة لكي يفدي هذا النائب غيره من الخطية لا بد أن يكون كاملاً مبرراً من الخطية؛ إذ فاقد الشيء لا يعطيه، ومن ثم كان من الضروري أن يتجسد المسيح ويأتي إلى العالم"(٣)، يقول بولس في رسالته إلى العبرانيين: " **فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ"**(٤) ويوضح القس عوض سمعان ضرورة أن يكون المخلص إلهاً متجسداً حيث يقول: "لا يستطيع فداءنا إلا الله وبما أنه ليس من المعقول أن يخلق الله شخصاً نظيره لأن المخلوق يكون محدثاً، والمحدث لا يكون مثل الأزلي إذ ليس هناك كائن غير الله يستطيع القيام بفدائنا والتكفير عنا"(٥).

مما سبق يظهر أن التجسد كما يزعم المسيحيون الذي تم من خلاله اجتماع الطبيعة اللاهوتية بالطبيعة الناسوتية أمر لا بد منه ليتحقق الخلاص، فالطبيعة اللاهوتية تشير إلى خلو المسيح وسلامته من خطيئة آدم لأنه إله، أما الطبيعة الناسوتية فتحمل في طياتها الشهوة والفساد والخطيئة، وكان لا بد للمسيح أن يتدرع بها؛ ليتم القضاء عليها وتخليص الناس من سلطانها، وذلك بعد أن يصلب ويضرب ويطعن بحربة تسفك دمه فيتم الخلاص، يقول بولس: "**بِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ**"(٦) .

---

(١) يقصد بالتجسد هنا "اتحاد اللاهوت والناسوت معاً في شخص الفادي دون أن يفارق أحدهما الآخر لحظة واحدة أو طرفة عين" شين، فولتون، **حياة المسيح دراسة وتأمل**، (ترجمة نجيب غالي)، مكتبة المحبة ، القاهرة، ص٢٣

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٤: ٤

(٣) مقار، **قضايا المسيحية الكبرى**، ص٢١٣

(٤) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ٢: ١٤-١٥

(٥) عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٣٩٨

(٦) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ٩: ٢٢

يؤكد المسيحيون أيضاً أن تجسد المسيح وصلبه ليس لأجل الخلاص من خطيئة آدم فقط بل من الناموس والشريعة أيضاً، أما سبب ذلك: فلأن الناموس كما يزعم بولس يحوي شرائع النهي والتحريم والإباحة: مثل: لا تقتل، لا تزن، وغير ذلك، وهي بعد الخلاص تذكر الإنسان بالخطيئة التي ألبست الإنسان الطبيعة الفاسدة بعد أن امتلكته الشهوة، فكان بحاجة إلى شرائع تنظم حياته مع غيره، لذلك جاء الناموس، وبعد قيام المسيح بمهمته فلا حاجة إليها بعد أن أصبحت هي الخطيئة يقول بولس: "**لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ. فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ: لاَ تَشْتَهِ. (...) لأَنْ بِدُونِ النَّامُوسِ الْخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ. (...) لَمَّا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا**"(١) كما دعا بولس إلى إلغاء الناموس والخلاص منه لأنه يعد ممهداً للمسيح(٢) يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: " **كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ**"(٣) وبمجيء المسيح وصلبه المزعوم لا حاجة له، بالإضافة إلى أن بولس يعتبر الناموس عاجزاً وضعيفاً؛ وذلك لأنه السبب في جميع الاضطهادات التي وقعت على أتباع المسيح(٤).

أما البديل الذي سعى بولس صاحب فكرة الخلاص إلى تثبيته واستبداله بالناموس فهو مسألة الإيمان ويقصد به كما يصفه كلايد تارنر "إن الإيمان الذي يمنح الخلاص ليس إيمان بكتاب، حتى ولو كان هذا الكتاب هو الكتاب المقدس، وليس إيماناً بعقيدة مستقيمة وإن الإيمان الذي يخلص هو الإيمان بالرب يسوع المسيح"(٥). ولا يتحقق الخلاص بالإيمان فقط، بل بالقبول والتسليم، وذلك لا يكون إلا من خلال تقبل الإنسان ليسوع المسيح مخلصا شخصياً له، أي أن يعتبر عمل المسيح المخلص خاصاً له، فقد يؤمن الفرد بأن الطعام يحفظ الحياة، ولكنه يموت جوعاً إن لم يتناوله وعليه فكل من يعتقد بأن المسيح مات من أجل خطاياه دون قبول المسيح فادياً ومخلصاً شخصياً له، يكون قد مات في خطاياه(٦).

وقد أكد بولس على الإيمان بديلاً عن الناموس حيث يقول: **"إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (...) لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا"**(٧) وتؤكد الكنيسة هذا القانون أيضاً حيث تقول" آمنوا بأن

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٧: ٧-٩

(٢) الأب متى المسكين ، **مع المسيح في آلامه حتى الصليب** ،ص٣٤

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٣: ٢٤

(٤) بتصرف، الأب متى المسكين، **مع المسيح في آلامه حتى الصليب**، ط٥، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٤

(٥) كلايد تارنر، **هذه عقائدنا**، ص٩٣

(٦) بتصرف، المصر نفسه، ص٩٤

(٧) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٢: ١٦

المسيح صلب لخلاصكم فتخلصون"[١] وفي أعمال الرسل: **"كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا"**[٢].

وهنا يتضح ما تم تأكيده سابقاً أن الخلاص خطة محدودة بفئة معينة يكون إيمانها بالمسيح متجسداً ومخلصاً دليلاً على اختيارها وبذلك يخرج من الخلاص كل من لا يؤمن بذلك فيكون مصيره الهلاك والحرمان من الحياة الأبدية كما يزعم أصحاب هذه العقيدة التي لا تخلو في مضامينها من التناقض والاضطراب والتشويش حتى بين أتباعها الذين عجزوا في بعض الأحيان عن تفسيرها، خصوصاً بعد الحديث عن حادثة الصلب وأبرز تفاصيله فلو كان المسيح قد جاء بموجب عهد وميثاق (النعمة) لأجل أن يحقق مهمة ما فلماذا إذاً يصرخ على الصليب ": **«إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟"**[٣] وفي صراخه هذا دليل على عدم قبوله الصلب، كما يدل على عدم علمه بتلك المهمة المزعومة.

وسؤال آخر يلح على القارئ: إذا كان المسيح قد جاء ليحقق مهمة تخليص فئة مختارة، أي كان صاحب خطة وبرنامج محدد، فلماذا إذاً اتخذ المسيحيون من اليهود موقف العداء حتى تسببت هذه الحادثة باضطهاد الكثير من اليهود سواء في فترة الحروب الصليبية أو وقت محاكم التفتيش، فلو كان صلب المسيح كما يزعمون تحقيقاً لمهمة الخلاص إذاً لتمت مكافأة اليهود بدلاً من معاقبتهم واضطهادهم جراء دورهم البطولي في تحقيق مهمة الخلاص وتسهيلها، ولما احتاجوا إلى وثيقة للتبرئة يصدرها بابا الفاتيكان، مع العلم أن التبرئة لا تكون إلا للمتهم.

ثانياً: الكنيسة طريق الخلاص

يعرف المسيحيون الكنيسة بأنها "لفظة سريانية معناها جماعة"[٤] أما تعريفها العام فهو " جماعة المؤمنين الذين آمنوا برسالة يسوع المسيح، وبأنه قد أعطي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاعتمدوا باسم الآب والابن والروح القدس، وقبلوا الله الواحد أباً، ويسوع المسيح معلماً... ، وصاروا جماعة واحدة يحييها الروح القدس الواحد"[٥]، وينسب تأسيس الكنيسة إلى المسيح بعد أن أمدّها بما يكفل لها الاستمرار والبقاء، حيث أرسل لأتباعه وتلاميذه الذين كانوا

---

(١) السقار، منقذ، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٩٩
(٢) أعمال الرسل ١٠: ٤٣
(٣) إنجيل متى ٢٧: ٤٦
(٤) بوست، **قاموس الكتاب المقدس**، م٢، ص٢٦٧ ، الجميل، الياس، اللاهوت النظري، ص ٢٤
(٥) سبترس، المطران كيرلس، والآب مشيرعون، **جوهر المسيحية ومفارقاتها**، المكتبة البولسية، بيروت، ٢٠٠١م، ص٧١

نواة الكنيسة الأولى الروح القدس، وذلك بعد عشرة أيام من صعوده إلى السماء كما يزعمون[١]، ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن التأسيس الفعلي للكنيسة كان يوم الخمسين بعد قيامة المسيح، ثم امتدت تدريجياً إلى أقاصي الأرض[٢]، بعد أن سلم الرسل سلطة الكنيسة ثم سلم الرسل السلطة إلى التلاميذ من بعدهم فأصبحوا رعاة الكنيسة[٣].

ويعتقد المسيحيون أن الكنيسة قد احتلت مكاناً هاماً ومرموقاً مكّنها من إكمال مهام المسيح، وتسلم زمام الأمور من بعده، وأهمها الخلاص، فكما كان المسيح طريقاً لتخليص الإنسان من الخطيئة الأصلية، كانت الكنيسة طريقاً لإكمال مهمة الخلاص وخصوصاً ما يتعلق بالخطايا الفعلية أو الفردية التي ارتكبها الإنسان، وتؤكد النصوص والمصادر تلك المكانة التي وصلت إليها الكنيسة مما يخوّلها لإكمال الخلاص وقد جاءت على النحو الآتي:

- اعتبار الكنيسة جسد المسيح[٤] يقول بولس: " **... وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ**"[٥].
- جعل المسيح رأس الكنيسة، وقد أوضح بولس ذلك بقوله: " **لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ"**[٦] .

وإذا كانت الكنيسة بمثابة الجسد للمسيح، وكان المسيح رأسها فإن ذلك يعني أن الكنيسة برئاسة البابا تعمل بأمرالمسيح، فهو المدبر والآمر، كما يؤكد ذلك أن مهمة الخلاص لم تخرج من سلطة يسوع المسيح، وأن ما تقوم به الكنيسة من ممارسة لمهام الخلاص إنما يتم وفق إرادة المسيح، يقول الأب ريتشارد يوسف: "... ليس لجسد الكنيسة إلا رأس واحد هو يسوع المسيح، والبابا ليس برأس ثان؛ بل هو رأس الكنيسة من حيث يمثل المسيح تمثيلاً منظوراً؛ أما قوة البابا وأوامره وأعماله الرسمية، فهي قوة المسيح وأوامرالمسيح وأعمال المسيح"[٧].

وهذا يؤكد أن الكنيسة في اعتقاد المسيحيين ليست جسد المسيح وحسب؛ بل أن كل ما يصدر عنها من أوامر وأعمال إنما تنبع من قوة المسيح وتدبيره وإشرافه المباشر على سير الأعمال وإكمال مهام الخلاص، ويقرر مجمع الفاتيكان الثاني تلك المكانة التي نالتها الكنيسة

---

(١) بتصرف، محمد، **اللاهوت المسيحي**،، ص١٦٤
(٢) بوست، **قاموس الكتاب المقدس**، م٢، ص٢٦٨
(٣) بتصرف، محمد، **اللاهوت المسيحي**، ص١٦٤-١٦٥
(٤) بوست، **قاموس الكتاب المقدس**، م٢، ص٢٦٨
(٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل كولوسي ١: ٢٤
(٦) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ٥: ٢٣
(٧) محمد، **اللاهوت المسيحي**، ص١٦٥

بجدارة حيث يقول: "الكنيسة هي في المسيح بمثابة السر، أي العلاقة والإدارة في الاتحاد الصميم بالله ووحدة الجنس البشري برمته"[١][٢].

ويرى المسيحيون أن المسيح قد عصم الكنيسة من الوقوع في الغلط ولذلك سلمها سلطة مغفرة الخطايا، وهي وظيفة دائمة يجب أن تنتقل من السلف إلى الخلف؛ لأن وجود الخطيئة التي هي سبب إنشاء هذه السلطة وانتقالها يجعل ضرورياً دوامها كل الأزمنة كما يمنحها القدرة على مزاولة مهمة الخلاص ومن هنا جاء قرار عصمة البابا عام ١٨٦٩م لإطلاق سلطة الكنيسة[٣] وهذا ما دعا البابا يوحنا بولس الثاني في خطابه المعروف (روعة الحقيقة) إلى القول: "يحق للكنيسة وحدها أن تعلن في أي زمان ومكان عن المبادئ الأخلاقية حتى فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي ، كما يحق لها أن تصدر أحكاماً على أي واقع إنساني في النطاق الذي تتطلبه الحقوق الأساسية للإنسان أو لخلاص البشر"[٤].

ولا شك في أن وصول الكنيسة إلى هذه المكانة حتى أضحت ممثلة المسيح في الأرض؛ فكل ما يصدر عنها من أحكام وقرارات إنما يعود إلى المسيح، دور في صياغة أسس النظرة إلى الآخر وهذا ما حدث فعلاً فطوال تاريخها وقفت الكنيسة من الآخر موقف العداء والرفض.

ونتيجة اعتقاد الكنيسة وأتباع المسيحية بشكل عام إسناد مهمة إكمال الخلاص للكنيسة تحت رعاية المسيح وعنايته، فقد استخدمت الكنيسة طرقاً عدة لتحقيق ذلك، أطلقت عليها اسم الأسرار الكنسية " فالسر له قوة ذاتية يمنح الإنسان النعمة أي نعمة الله بخلاصهم، وهذا هو معتقد الكاثوليك والأرثوذكس، وذلك بخلاف الكنيسة الإنجيلية التي تعتبر الأسرار عبارة عن رموز للدلالة على نعمة الله"[٥].

ورغم الاختلاف الظاهري في حقيقة الأسرار؛ فإن الكنائس المسيحية جميعها متفقة على أن الأسرار من فرائض الكنيسة؛ لإرشاد المؤمنين إلى خلاص نفوسهم[٦] ولعل أبرز تلك الأسرار التي تمت صلب الخلاص (سر المعمودية، والعشاء الرباني، وسر الاعتراف).

---

(١) بسترس، والآب مشير عون، جوهر الكنيسة ومفارقاتها، ص٧٢

(٢) اكتسبت الكنيسة في مصادر المسيحية دلالات عدة تشير في مجملها إلى مكانة الكنيسة وموقعها من الخلاص فهي الحظيرة التي يعد المسيح بابها ولا باب سواه. (انظر: يوحنا ١٠: ١-١٠) وهي القطيع الذي أعلن الله من قبل أنه سيكون راعيها (انظر: إشعياء ٤٠: ١١ ، حزقيل ٣٤: ١١) كما نعتت أيضاً بأنها بناء الله (انظر: كو ٣: ٩). انظر: بسترس، والآب مشير عون، **جوهر الكنيسة ومفارقاتها**، ص٧٣

(٣) بتصرف، محمد، **اللاهوت المسيحي**، ص١٦٥ ، السقا، **هل افتدانا المسيح على الصلب**، ص٥٤

(٤) عبد العزيز، زينب، **تنصير العالم**، ط١، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٤

(٥) عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٥٧٥

(٦) بتصرف، المصدر نفسه، ص٥٧٥

السر الأول للخلاص: المعمودية

أما المعمودية؛ فتعد الفريضة الأولى من بين أسرار الكنيسة، وتعني الغسل لأجل التطهير[١]، وتحقق المعمودية من خلال الكنيسة؛ الخلاص للإنسان، بعدة أوجه منها[٢]:

١. الولادة الجديدة، والاشتراك في حياة الله.

٢. الاشتراك في موت المسيح، وقيامته.

٣. الانضمام إلى الكنيسة، جسد المسيح.

وقد لخص القس انسطاسي شفيق معنى الخلاص، بالولادة الجديدة من خلال التعميد حيث يقول: "في اللحظة التي فيها يتم التعميد، وينطق خادم السر دعاء العماد، باسم الآب، والابن، والروح القدس، في تلك اللحظة نفسها، تفعل النعمة الإلهية، فعلها غير المنظورة، في طبيعة المعتمد كلها؛ فتعيد ولادته وتجدد خلقته"[٣]

ويعتقد المسيحيون أن مؤسس المعمودية هو المسيح، وقد حدث ذلك بعد قيامه[٤]، ويستدلون على ذلك، بقول المسيح لتلاميذه بعد قيامته: "**دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ**"[٥].

ولذلك، تعد المعمودية شرطاً لازماً للحصول على الخلاص؛ فهي لا تخلص من أدناس الجسد فقط؛ بل أدناس الضمير[٦]، يقول إنجيل مرقس على لسان المسيح: "**مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ**"[٧] وكذلك يقول بطرس: " **تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (...) فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ، وَاعْتَمَدُوا، وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ**"[٨].

وهذا يؤكد أن الخلاص أيضاً مرهون بالتعميد، وكل من لا يعتمد لا يخلص، وهو يؤكد ما تم ذكره سابقاً، أن الخلاص محدود بفئة محددة، وأن قبولها سبيل الخلاص كالمعمودية وغيرها، يدل على اختيارها للخلاص؛ وبذلك يكون الآخر هالكاً لا محالة، لمجرد عدم اغتساله بالماء على يد رجال الكنيسة، باسم الآب، والابن، والروح القدس؛ فيستحق الهلاك حتى لو كان

---

(١) انظر: مرقس ٧: ١٠٥ ، لوقا ١١: ٣٧-٣٩ ، بتصرف، عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٥٧٨

(٢) بسترس، والآب مشير عون، **جوهر الكنيسة ومفارقاتها**، ص٧٥

(٣) عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٥٩٠

(٤) انظر: جرجس، حبيب، **إسرار الكنيسة السبعة**، ط٥، مكتبة المحبة ، القاهرة ، ص٢٣

(٥) إنجيل متى ٢٨: ١٨-١٩

(٦) انظر: رسالة بطرس الأولى ٣: ٢١

(٧) إنجيل مرقس ١٦:١٦

(٨) أعمال الرسل ٢: ٣٨-٤١

هذا الآخر طفلاً رضيعاً، فعدم اعتماده يدل على عدم قبوله المسيح مخلصاً، وفادياً، ويعد ذلك قمة الاستهتار والامتهان للإنسان؛ عندما يعد الأطفال خطاة، متوارثين لخطيئة آدم، وهالكين؛ إذا لم يعتمدوا ،حتى لو كان عدم الاعتماد لظروف طارئة، كالموت وغيره، وهذا ما أفتى به القديس اوغسطين، حيث حكم بهلاك جميع الأطفال غير المعمدين بالحريق الأبدي في جهنم، كما منع دفنهم في المقابر الخاصة بالنصارى؛ لأنه يعتقد بموتهم في خطيئتهم الأصلية(١).

ويؤكد القس حبيب جرجس ذلك بقوله: إن المعمودية ضرورية ولازمة، وبدونها لا يمكن الدخول إلى ملكوت النعمة، ففي منعها عن الأطفال منعهم من الدخول للاستحقاق لهذا الملكوت، بينما لا يوجد مانع يمنعهم من الاشتراك في هذه النعمة، وخصوصاً انهم مشتركون في الخطيئة الجدية (الأصلية) مثل الكبار(٢) و يستدل على ذلك بإنجيل يوحنا حيث يقول: "**الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ**"(٣).

السر الثاني للخلاص: العشاء الرباني

وهو "سر مقدس، به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر"(٤) وهو يدل على موت المسيح مخلصاً وفادياً على الصليب؛ من خلال إعطائه خبزاً وخمراً للتلاميذ، وقبولهم ذلك حسبما رسم السيد المسيح(٥).

يقول لوقا: "**وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ، وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: هذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي. وَكَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً: هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ**"(٦) ويعلق القس عوض سمعان على هذا النص قائلاً: "أن معنى قول المسيح "**هذا هو جسدي**"؛ وذلك بعد أن أعطى تلاميذه الخبز، إشارة إلى منحهم ليس فقط امتياز التغذي القلبي بشخصه، بل أيضاً امتياز الاشتراك الروحي في جسده، وأما قوله: "**الذي يبذل عنكم**" فتدل بوضوح على أن موت المسيح على الصلب لم يكن استشهاداً فحسب، بل كان كفارة عن البشرية الخاطئة(٧).

---

(١) بتصرف، أحمد، **الغفران بين الإسلام والمسيحية**، ص١١٠
(٢) بتصرف بسيط، جرجس، **أسرار الكنيسة السبعة**، ص٢٧
(٣) إنجيل يوحنا ٣: ٥-٦
(٤) جرجس، **أسرار الكنيسة السبعة**، ص٥٧
(٥) بتصرف، عجيبة، **الخلاص المسيحي وموقف الإسلام** ، ص٥٩٢
(٦) إنجيل لوقا ٢٢: ١٩-٢٠
(٧) بتصرف، سمعان، **العشاء الرباني**، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، ص٢٠

وتشير مكونات العشاء الرباني إلى أهمية هذا السر، ودوره الفاعل في عملية الخلاص، سواء ما تم عن طريق المسيح نفسه، من خلال حادثة الصلب، وسفك الدم، أو الخلاص الذي يحققه الإنسان بعد ذلك، من خلال الكنيسة وممارسة هذا السر، فالخبز والخمر كما يعتقد المسيحيون من أكثر المواد التي تتعرض أثناء تصنيعها إلى أقسى الظروف وأصعبها، فالحنطة تقطف وتداس وتهرس وتطحن تحت الرحى الثقيلة، ثم تدخل إلى نيران الفرن الملتهبة لتنضج، وكذلك العنب يقطف ويداس حتى يصير خمراً، وكل ما تعرض له من صعوبات القمح والعنب حتى صار خبزاً وخمراً، يدلل على حجم الآلام التي كان على المسيح أن يخوضها؛ لأجل تحقيق مهمة الخلاص[١].

وبذلك يكون العشاء الرباني تذكاراً مخلداً لموت المسيح الكفاري الذي تم به الخلاص، وهذا هدف العشاء الرباني وغايته[٢].

وقد اختلفت الكنائس المسيحية في موضوع العشاء[٣] الرباني بين القائلين بحقيقة الاستحالة وبين القائلين برمزيتها؛ أما القائلون بالاستحالة فيرون أن الخلاص يتحقق بمجرد قيام الإنسان بهذا السر وتناوله لهذا العشاء، وهو معتقد جازماً أن الخبز هو جسد المسيح، والخمر هو دمه، مع إيمانه بأن المسيح قد بذل جسده ودمه لتحقيق ذلك، وأن العشاء الأخير كان إشارة وتركيزاً لهذه الحادثة، يقول الآب متى المسكين: "كان في عرف المسيحيين أن إنكار الافخارستيا[٤] معناه إنكار الإيمان بالمسيح جملة"[٥].

وتؤكد النصوص أن عملية الخلاص تتحقق للإنسان؛ عند تناوله العشاء الرباني من خلال حلول جسد المسيح ودمه في الأكل، يقول القس حبيب جرجس: أن سر الشكر والعشاء يقدم لنا ذات المسيح غذاء مقدساً، وبتناوله نتحد به اتحاداً ونثبت فيه إلى الأبد[٦]، ومعنى ذلك أن يحل المسيح داخله، ويكون قد امتلك الخلاص من مصدره وأصله؛ فتستحق بذلك له الحياة

---

(١) بتصرف، شين، **حياة المسيح دراسة وتأمل**، ص٢٠٣

(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص٢٠٢

(٣) تتفق الكنائس المسيحية على العشاء الرباني كسر من أسرار الكنيسة؛ أما الاختلاف ففي الكيفية: فالكاثوليك والأرثوذكس يعتقدون بالاستحالة: أي إن أكل الخبز والخمر يتحول حقيقة إلى جسد المسيح ودمه، أما البروتستانت فيعتقدون أن الأكل هو مجاز وتعبير عن سفك دم المسيح، وبذل جسده تخليصاً لمن أراد، ومما يجب التنبيه عليه أن مسألة الاستحالة كانت إحدى أهم الأسباب التي أدت إلى قيام حركة الإصلاح الديني ضد الكنيسة بقيادة مارتن لوثر.

(٤) وهي مأخوذة من وصف صلاة التقديس التي كانت تقال على الخبز والخمر فيتحول مجدها إلى الجسد والدم وقد وردت كلمة الإفخارستيا في أول ورودها كاصطلاح للتعبير عن صلاة تحويل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح. بتصرف بسيط، متى المسكين، **مع المسيح في آلامه حتى الصليب**، ص١٨٥

(٥) متى المسكين، **مع المسيح في آلامه حتى الصليب**، ص١٨٦

(٦) بتصرف، جرجس، **أسرار الكنيسة السبعة**، ٥٧، ٨٦

الأبدية، وهذا عند القائلين بالاستحالة يقول يوحنا: "**مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ**"[١]و يقصد بالجسد هنا الخبز الذي قدمه للتلاميذ قائلاً: "**خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي.** "[٢].

وكذلك الدم يقصد به الخمر الذي قدمه للتلاميذ " **اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**"[٣]

ويؤكد شولتون شين على أن النصوص لم تقل أن الخبز يمثل جسد المسيح أو يرمز إلى جسد المسيح، وكذلك مسألة الدم، بل كانت العبارة قاطعة ومانعة لا تحتمل تأويلاً واجتهاداً حين قال: هذا هو جسدي وهذا هو دمي.

وكذلك يتحقق الخلاص عند القائلين بمجازية الأكل والاستحالة؛ عندما يؤمن الإنسان بأن المسيح كان طريقاً للخلاص من خلال سفك دمه، وتعذيب جسده على الصليب، وأن مسألة العشاء الرباني كانت طقساً يذكر بهذا الحدث ويصدقه.

ويبقى السؤال الآن كيف امتلكت الكنيسة حق العشاء الرباني، وجعلته سراً من أسرارها، وشرطاً لتحقق الخلاص وبلوغه، وأثر ذلك على موقفها من الآخر؟.

الواقع أن الكنيسة قد استطاعت امتلاك هذا السر حين ربطت نفسها بدهاء مع المسيح؛ حيث نصّبت من نفسها وسيطاً بين المسيح ومن يريد الخلاص، فقد زعمت "أن جسد المسيح ودمه، اللذان يكفران عن الذنوب والخطايا في عرف الكنيسة محفوظ لديها، وهي وحدها التي توزعه على من تعطيه؛ فيصبح من الناجين، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه من جسد المسيح أو دمه؛ فيصبح من الهالكين في الدنيا، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان، فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك"[٤].

ولتضمن الكنيسة تكالب الناس عليها؛ سعياً في النجاة، والخلاص، فقد أشاعت أن العشاء الرباني يحوي قوة ذاتية حقيقية، ولا يمكن للمرء أن ينال الفداء والخلاص؛ إلا من خلاله، وبذلك يكون العشاء شرطاً وضرورةً لتحقق المغفرة من الخطايا والذنوب، ولا يكون ذلك إلا من خلال الكنيسة[٥].

---

(١) إنجيل يوحنا ٥: ٥٦
(٢) إنجيل متى ٢٦: ٢٦
(٣) إنجيل متى ٢٦: ٢٨
(٤) الطهطاوي، **الميزان في مقارنة الأديان**، ص١٥٩
(٥) بتصرف، عجيبة، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ص٦٠١

ومن هنا، فإن كل من لا يقبل سر العشاء الرباني من خلال الكنيسة؛ لا يكتب له الخلاص والنجاة من الهلاك، وإذا كان هذا حال الكنيسة مع المسيحيين أنفسهم؛ فيكف تنظر إلى الآخر، وكل من لا يدين بالمسيحية، أو يخالف معتقداتها في ظل سر العشاء الرباني.

السر الثالث للخلاص: سر التوبة

هو "سر مقدس به يرجع الخاطئ إلى الله، ويتصالح معه تعالى باعترافه بخطاياه أمام كاهن، الله ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع، وبه ينال تجديده وغفران خطاياه"(١).

وبذلك يكون هذا السر وسيلة يلجأ إليها الإنسان لخلاصه من ذنوبه وخطاياه الفعلية أو (الفردية)، ولا يمكن أن تتم إلا على يد الكاهن، وتحت إشراف الكنيسة.

وتشبه التوبة أو (الاعتراف) سر العشاء الرباني من حيث استغلال الكنيسة له وحاجة الناس إلى التخلص من الذنوب والآثام، حين ربطت الكنيسة نفسها مرة أخرى بالمسيح، وما صاحبه في رحلة الخلاص من أحداث، وخصوصاً حادثة القيام بعد الصلب، حيث زعمت أن المسيح قد منح مفاتيح المغفرة إلى تلميذه بطرس، وبصفتها وريثته الشرعية؛ فقد حق لها أن تمتلك ذلك السلطان بعده، وبذلك أصبحت مسألة منح الغفران، والعفو أو إصدار قرارات الحرمان بيدها وحدها. أما النصوص التي استندت إليها الكنيسة في ذلك فهي متعددة: أذكر منها ما أورده متى في إنجيله: أن المسيح خاطب بطرس قائلاً: " **أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ**"(٢). كذلك يقول المسيح مخاطباً تلاميذه: "**وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ**"(٣).

كما يتوضح هذا السر جلياً واضحاً في إنجيل يوحنا حيث يزعم أن المسيح خاطب تلاميذه قائلاً: "**مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ**"(٤).

---

(١) جرجس، **أسرار الكنيسة السبعة**، ص٩٧
(٢) أنجيل متى ١٦: ١٨-١٩
(٣) أنجيل متى ١٨: ١٧-١٨
(٤) إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٣

وبناءً على ذلك يعتقد المسيحيون أن المسيح قد منح الكنيسة بصفتها وريثة بطرس والتلاميذ مسألة الحل والربط والغفران والحرمان، ومما ساعد على تأكيد هذا السر وتثبيته قرارات المجامع بعصمة الكنيسة والبابا، ومنها المجمع الثاني عشر المنعقد في روما سنة ١٢١٥م، الذي قرر أن الكنيسة تملك حق الغفران، وتمنحه لمن تشاء[١].

وكذلك قرار عام ١٨٦٩م الذي يقرر عصمة البابا، وقد ظهر بعد انتشار صكوك الغفران أو التعويض السري كما أسمته الكنيسة[٢] .

ويذكر تاريخ الكنيسة في ظل هذه الأسرار، وخصوصاً سر التوبة، كيف تعسفت الكنيسة في استخدامها حيث جعلت منها سوطاً يلهب جسد الآخر؛ فالغفران يمنح الشخص إذناً مفتوحاً للقيام بكل ما يحلو له، ويحقق مصالحه، حتى لو على حساب الآخر، ما دام أن ذنوبه مغفورة ويؤكد تاريخ الكنيسة دور صكوك الغفران في إذكاء نار الحرب ضد الآخر كما حدث في الحروب الصليبية.

المطلب الخامس:موقف الكنيسة من الآخر في ظل عقيدة الخلاص

أدى القول بشمول مفهوم الخلاص لجميع الخطايا إلى جعل الكنيسة تستخدم ذلك في تخويف كل من تسول له نفسه بمخالفتها وردعه بحجة أن ذلك من قبيل الهرطقة التي تعد في نظرها من أعظم الخطايا وأبشعها، ولذلك بادرت إلى إلصاق التهم ضد الآخر؛ فكل من أعمل عقله لفهم مسألة أو تفسير شيء، أو اتخذ رأياً معيناً يخالفها اتهم بالهرطقة، وبالتالي تجب ملاحقته ومعاقبته وقتله تخليصاً له، يقول البابا إينوسنت الثالث: "إن أي إنسان سوف يحاول بناء رأي شخصي عن الرب يتعارض مع عقيدة الكنيسة ينبغي حرقه من دون شفقه"[٣].

وبذلك اكتسب الخلاص دلالة جديدة تقضي بتخليص الآخر من الخطايا والذنوب من خلال تخليصه من الحياة، أي أن **الخلاص** هنا يعني تخليص الآخر من الحياة ليخلص من ذنوبه ومعاصيه ، ولعل أكثر الأسباب التي جعلت الكنيسة تُقدم على مثل هذا النوع من التفكير هو قناعتها وإيمانها الكامل بأنها ممثل المسيح في الأرض، كما أنها جسده ونائبه الذي يملك مفاتيح ملكوت السماوات والأرض، وبالتالي يحق لها وحدها ممارسة عملية الخلاص والتخليص.

---

(١) السقار، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٥٣

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٤

(٣) إيليربي، هيلين، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي**، ط١، (ترجمة سهيل زكار)، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٩٢

وقد استندت الكنيسة في معظم آرائها وخصوصاً تلك المتعلقة بمسألة الخلاص من الآخر إلى آراء **أوغسطين** الذي اعتمد على ما ورد في العهد القديم من نصوص تقضي باضطهاد المخالف، وقد رأى ضرورة معاقبة المخالفين؛ لأن في ذلك تخليصاً لهم من العذاب والهلاك الأبديين[١].

كما اعتبر **أوغسطين** أن الهرطقة من أبشع الخطايا، ونوعٌ من الفسق والمروق وعبادة الأوثان بل هي أسوأ أنواع القتل لأنها تعد قتلاً للنفوس، ومن أجل ذلك اقتضت العدالة اهلها ما يستحقون من عقاب يصل إلى حد الإعدام، وبذلك يخلصون[٢].

ويعلق د. توفيق الطويل على ربط عقيدة الخلاص باضطهاد الآخر قائلاً: "وعن عقيدة الخلاص صدر التفكير في الاضطهاد، إذ أخذ المسيحيون يبشرون بنظرية مؤداها أن الخلاص لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية (...) وروجوا للإيمان بأن الذين لا يذعنون للكنيسة ويعتقدون بصدق نظرياتها تحيق بهم اللعنة الأبدية لا محالة، فأفضى هذا الاعتقاد إلى الاضطهاد والتنكيل بكل من أبى الإذعان للكثلكة (...) واعتبرت الهرطقة أعظم خطيئة لا يقاس ما يبتلى به أصحابها في الدنيا من صنوف الالآم بما ينتظرهم من عذاب الجحيم، وأضحى إنقاذ الدنيا من أعداء الله واجباً مقدساً"[٣] . وعلى هذا يكون اضطهاد الآخر، والتنكيل به بحجة تخليصه من الخطايا من أهم النتائج التي نجمت عن عقيدة الخلاص.

ولإضفاء جانب من الإنسانية إلى عقيدة الخلاص وموقفها من الآخر عمدت الكنيسة إلى القول بضرورة انطلاق مهمة الخلاص من الآخر بدافع الحب له، وليس الكراهية والبغض؛ فأي حرب ضد الآخر، أو اضطهاد أو عنف يجب أن ينطلق من مبدأ الحب بمعزل عن الشعور بالحقد، ودون دوافع لمصالح شخصية أو تعطشاً للانتقام[٤]، تقول الباحثة كارين آرمسترونغ : إن "ما يميز العنف المسيحي عن العنف الوثني هو أنه يجب أن يكون مفعماً بالحب لعدوه الذي يقاتله ما دام أن في ذلك خلاصه، وينظر إلى عنفه هو على أنه علاج يستخدم تقريباً بنفس الطريقة التي يُعاقب بها الأب ابنه من أجل صالحه، وكان يسوع قد استخدم هذا النوع من العنف

---

(١) بتصرف، الطويل، توفيق، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص٧١

(٢) انظر: الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ص٦٠

(٣) الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ص٦١-٦٢

(٤) بتصرف، فلوري، جان، **الحرب المقدسة (الجهاد، الحرب الصليبية)**،ط١، (ترجمة غسان ماسيو)، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٤٢

عندما طرد المرابين من الهيكل، وأنزل العمى بالقديس بولس على طريق دمشق. ومن دواعي الأسى أن هذا العنف المسيحي ذا الغاية العلاجية ينتهي أحياناً بموت العدو"[١].

ومما ينبغي التأكيد عليه أن موضوع ربط عقيدة الخلاص بمسألة الخلاص من الآخر لم تكن مجرد أفكار بقيت في طي الصفحات والكتب؛ بل إن التاريخ يخبر بمجازر ومذابح حصلت جراء ذلك؛ فانطلاقاً من عقيدة الخلاص من الآخر بتخليصه من الحياة مهد البابا (اينوسنت الثالث (١١٩٨–١٢١٦م)) في سنة ١٢٠٨م لنظام محاكم التفتيش، وفي سنة ١٢٠٩م أصدر مجلس أفينيون قراراً دعا فيه القساوسة باستئصال المخالفين، وفي سنة ١٢١٥م قرر مجمع لاتران أن يُقسم كل حاكم يطمع أن يكون في عِداد المؤمنين أن يجاهد ما وسعه الجهاد ليستأصل من إقليمه من تعدهم الكنيسة مهرطقين[٢].

كما اكتسب الخلاص مدلولاً جديداً ينطلق من امتلاك الكنيسة واحتكارها حق الخلاص، وذلك حين أعلنت تخليص كل من يدلل على المهرطقين وغفران ذنوبه ويكشفهم؛ لأجل معاقبتهم بالحرق أو الشنق أو الذبح حتى لو كانوا نساءَ أو أطفالاً، وقد أدى ذلك إلى شيوع نظام التفتيش حتى غطى كل أنحاء العالم المسيحي بشبكة لا سبيل إلى اتقائها تعاون فيها وعليها البابوات والقساوسة والرهبان، والملوك والأمراء والعامة[٣].

ونتيجة لذلك راح الملايين من البشر بحجة تنفيذ الخلاص الذي تم من خلال محاكم التفتيش حيث غرقت أوروبا في بحر من الدماء؛ ففي إسبانيا مثلاً يخبر المؤرخ لورنتي[٤] أن المحكمة قدمت إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس، وأعدمت أكثر من مائتين وتسعين الفاً[٥]، وفي هولندا بلغ أعداد ضحايا محاكم التفتيش في عهد الملك تشارلس الخامس (١٣٣٧–١٣٨٠م) وحده (١٠٠,٠٠٠) ضحية، وفي عهد ابنه بلغ عدد الضحايا (٥٠,٠٠٠) بل إن الديوان المقدس قد أصدر قراراً في السادس عشر من شباط سنة ١٥٦٨م بإدانة جميع السكان والحكم عليهم بتهمة الهرطقة؛ فسيق إلى المقصلة ملايين الرجال والنساء والأطفال، واستمر ذلك حتى القرن السابع عشر الميلادي[٦].

---

(١) آرمسترونغ، كارين، **الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم)**، (ترجمة سامي الكعكي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٦٠

(٢) الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**، ص٦٦

(٣) بتصرف، عمارة، **الإسلام والآخر**، مكتبة الشروق الدولية، بيروت ص٦٠

(٤) لورنتي، سكرتير لديوان التحقيق وكان لديه عند احتلال فرنسا جميع الأوراق السرية في هذا الديوان

(٥) بتصرف، الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ص٧٨-٧٩

(٦) بتصرف، عمارة، **الإسلام والآخر**، ص٦٢-٦٣

وفي إطار دعوى الخلاص من الآخر اندلعت المذابح بين طائفتي الكاثوليك والبروتستانت وذلك بعد أن رفع مارتن لوثر شعار الاصلاح لرجال الكنيسة، ومخالفتها في أمور عدة فلم تستطع الكنيسة استيعاب الآخر البروتستانتي، أو حتى قبوله، فطفقت تعمل فيه الذبح والتقتيل تحت دعوى الخلاص؛ ففي فرنسا مثلاً وفي عهد الملك تشارلس التاسع (١٥٥٠-١٥٧٤م) ذبح الكاثوليك ما يقارب عشرين الفاً من البروتستانت، وقد أثار وقوع هذه المذبحة الغبطة والفرح في أوروبا كلها، وانهالت التهاني على الملك تشارلس التاسع بغير حساب، وكاد البابا (جريجوري الثالث عشر) أن يطير فرحاً حتى إنه أمر بأن تسك أوسمة رسم عليها صورته، وإلى جانبه ملك يضرب بسيفه أعناق الملحدين، وكتب عليها (إعدام الملحدين) كما أمر بإطلاق المدافع، وإقامة القداس في شتى الكنائس، ودعى الفنانين إلى تصوير مناظر المذابح على حوائط الفاتيكان(١).

ولا غرابة في إقامة الاحتفالات والغبطة والبهجة عند الكنيسة وأتباعها مادام أن ذلك كان بدافع الحب وبحجة تخليص الآخر من هرطقته التي هي أعظم الخطايا.

وبدعوى الخلاص من الآخر أيضاً اندلعت في أوروبا حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨-١٦٤٨م) التي سبّبها النزاع الديني بين البروتستانت والكاثوليك؛ حيث بدأ أولاً بألمانيا، وخلال هذه الحروب عانى البروتستانت ألواناً من العذاب، وكابد الكاثوليك من الاضطهاد صنوفاً وأشكالاً(٢).

ولا يظن القارئ أن فكرة الخلاص من الآخر كانت حكراً على مذهب بعينه، وأقصد بذلك الكاثوليك فقط؛ بل شمل البروتستانت أيضاً، فبعد أن قويت شوكتهم، وأمِنوا شر خصومهم وتوطد نفوذهم دعا مارتن لوثر الدولة أن تفرض ما يبدو لها رأياً سليماً بأن تستأصل الهرطقة؛ لأنها رجس من عمل الشيطان، وجاهر بإعدام طائفة منكري التعميد بالسيف(٣).

وبهذا يظهر للقارئ أن عقيدة الخلاص قد أدت إلى نتيجة واحدة عند الكاثوليك والبروتستانت على حد سواء، مما يدعو إلى القول إن مسألة قبول الآخر كانت ولا تزال من أكثر المسائل الشائكة التي تعاني منها المسيحية، وربما يكون للديانة اليهودية بما حوته من عقائد وشرائع أثر واضح في نظرة المسيحية إلى الآخر، خصوصاً أن العهد القديم يعد مصدراً رئيساً من مصادر المسيحية.

---

(١) بتصرف، الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ص٩٠-٩١

(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص٩٤-٩٥

(٣) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٠٤-١٠٥

ومن جهة أخرى أيضاً عمدت الكنيسة إلى استغلال عقيدة الخلاص بالمسيح في إشعال الحروب ضد المسلمين التي عرفت عبر التاريخ باسم الحروب الصليبية؛ فقد أدى اعتقاد المسيحيين بالمسيح طريقاً للخلاص إلى اكتساب أرض فلسطين، وبيت المقدس مكانة خاصة عند الكثير من المسيحيين بلغت درجة التقديس والتعظيم باعتبارها الأرض التي شهدت عملية الخلاص؛ ففيها تناول المسيح العشاء الأخير، وتعذب وتألم على الصليب، وقام من بين الأموات وهي عندهم ليست مجرد قطعة من الأرض؛ بل هي إرث المسيح المخلص[١] فكل مكان فيها ينطق بالخلاص ويتحدث عنه سواء ما يتعلق بالضريح المقدس أو رفات القديسين أو الأماكن التي سار فيها المسيح وجلس مع التلاميذ. من هنا اعتقد المسيحيون بامتلاك بيت المقدس قوة روحية تساعد على الخلاص من الذنوب والتكفير عن الخطايا[٢]، وأصبح السفر والحج إليها على وجه الضبط هو "رمز إلى تحول الإنسان العادي نهائياً إلى قديس وكأن الحج بذلك كان يشكل ذروة الصعود إلى قمم تلك الحياة المكرسة كلياً لهموم العالم الآخر وقد صار أهم علامة على واقع أن الإنسان قد قطع صلته بالعالم الباطل وغدا رمز التعود على العصمة عن الخطيئة"[٣].

ويذكر أن الخلاص بالحج المقدس قد اكتسب طابع العنف والقسوة عند أول بروز لفكرة **الحرب باسم الصليب** التي كان لها أبلغ الأثر على الآخر، وذلك عندما أصبح دم الآخر وأرضه وممتلكاته طريقاً يتحقق به الخلاص، وقد تم بلورة ذلك وصياغته من خلال الكنيسة التي تعد في اعتقاد المسيحيين طريقاً ينوب عن المسيح في تحقيق الخلاص حتى نهاية العالم، ولعل أبرز الأمور التي ساعدت الكنيسة على تحقيق عملية الربط بين الخلاص والآخر ظهور فكرة الحرب العادلة على يد **القديس أوغسطين** وهي حرب تقودها السلطة ضد الأشرار وبتفويض من الرب ويعد هذا مصدر قداستها؛ فكل ما يصدر عن الحاكم يكون صادراً عن الرب بالضرورة وذلك استناداً إلى قول بولس من أن الحكام يستمدون سلطانهم من الرب[٤].

---

(١) بتصرف، سميث، جوناثان ريلي، **الحملة الصليبية الأولى**، (ترجمة محمد فتحي الشاعر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص١١٨

(٢) بتصرف، قاسم، عبده قاسم، **الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية**، ط١، دار عين للدراسات، القاهرة، ص٢٦-٢٦ ، وانظر، قاسم، عبده قاسم، **ماهية الحروب الصليبية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٢٦-٢٧

(٣) زابوروف، ميخائيل، **الصليبيون في الشرق**، دار التقدم، موسكون، ١٩٨٦م، ص٢١

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص١٤-١٦ ، انظر: فلوري، جان، **الحرب المقدسة (الجهاد والحروب الصليبية)**، ص٤٢-٤٣

وبذلك تم الربط بين الإله والحاكم والأمر بإشعال الحروب، واستخدام العنف بحجة الخلاص من الخطايا ، وقد كان لهذه النظرية نتائج واضحة في تغيير مسار الكنيسة؛ ففي منتصف القرن التاسع حتى سنة ١٠٩٥م صدرت التعاليم البابوية بأن كل من يذبحون أعداء الكنيسة وخصوصاً إذا كان الأعداء من المسلمين تغفر ذنوبهم وتكفر خطاياهم، وفي سنة ١٠٦٣م منح البابا اسكندر الثاني المحاربين المسيحيين الذين يقاتلون في الأندلس غفراناً وإعفاءً عاماً من التوبة، واعتبر قتالهم للمسلمين بمثابة التكفير عن خطاياهم[١]، وفي خطاب الإسكندر الثاني إلى أسقف ناربون نجده يستثني ذبح المسلمين من التحريم الكنسي العام للقتل؛ بل يضيف على ذلك ما يحققه هذا الأمر من مكاسب روحية[٢]، وهذا ما ورد في خطاب له إلى رجال الكنيسة في فولتيرنو حيث يقول: " بتأكيد بابوي نحث أولئك الذين قرروا الذهاب إلى إسبانيا على أن يولوا جلّ انتباههم لإنجاز مهمتهم بنصيحة مقدسة (المهمة هي قتل الآخر المسلم في الأندلس) وليتعرف كل جندي حسب طبيعة خطاياه، لأسقفه أو لأبيه الروحي، وليفرض عليه من يتلقى اعترافه التوبة والتكفير المناسب؛ لئلا يصبح الشيطان قادراً على غوايته بعدم التوبة، وعلى أية حال، فإننا بسلطة الحواريين المقدسين بطرس وبولس نعفيهم من توبتهم، ونمنحهم الغفران لخطاياهم على حين تصحبهم صلواتنا"[٣].

وبعد مجيء البابا جريجوري السابع واعتلائه عرش البابوية توثقت الصلة بين موضوع الخلاص والآخر؛ فمن خلال دعوته إلى شن حروب مقدسة بغية تحريرها وتخليصها من المسلمين وتخليص المسيحيين فيها، أصبحت فكرة العنف والاضطهاد وشن الحروب ضد الآخر طريقاً أساسياً للخلاص، وبذلك يكون البابا جريجوري السابع هو المؤسس لفكرة الحرب ضد الآخر باسم الخلاص التي تجلت في الحملات الصليبية[٤]، وهي نفسها الدعوة التي أعلنها البابا أوربان الثاني ١٠٩٥م في خطابه الذي ألقاه في مجمع كليرمون بفرنسا في فرسان الإقطاع الأوروبيين الذين كان أغلبهم من اللصوص والمتوحشين ، حيث أكد فيه وبكل صراحة أن المشاركة في الحروب الصليبية ضد المسلمين عمل ينال به صاحبه ميزة خاصة وهي الخلاص وأسماها (التضحية المثلى)[٥].

---

(١) قاسم، **الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية**، ص٢٠
(٢) انظر: المصدر نفسه ، ص٢٠
(٣) انظر: المصدر نفسه ، ص٢١
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٢١-٢٤
(٥) بتصرف، سميث، **الحملة الصليبية الأولى**، ص٣٢-٣٣

كما دعا فرسان الإقطاع وجميع اللصوص والمجرمين إلى توجيه عنفهم الدموي إلى المسلمين أو (غير المؤمنين) على حد تعبيره وطلب منهم غسل أيديهم من الدماء الأوروبية ليس بالماء؛ وإنما بدماء المسلمين، ليتحقق خلاصهم، ويرثون الأرض التي تعد كما وصفها محور الكون، والجنة الثانية التي تدر لبناً وعسلاً[١]، وقد أورد مكسيموس مونروند نص خطاب البابا اوربان الثاني أمام الكليرمون في كتابه **تاريخ حرب الصليب** وهو مصدر أصلي ينقل الوقائع عن شهود عيان حيث يقول: "يا من كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً (...) لقد آن الزمان الذي فيه تحولوا ضد الإسلام، تلك الأسلحة التي أنتم لحد الآن تستخدمونها ضد بعضكم البعض (...) فالحرب المقدسة المعتمدة الآن هي (...) في حق الله عينه (...) وليست هي لاكتساب مدينة واحدة (...) فاتخذوا محجة القبر المقدس، خلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض – حسب ألفاظ التوراة – تفيض لبناً وعسلاً (...) ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة، اذهبوا وحاربوا البربر (يقصد المسلمين) لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم (...) امضوا متسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية (...) فهذا هو الحين الذي فيه أنتم (تخلصون أنفسكم)، تفون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدواناً (...) ومن حيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلماً فاغسلوها بدم غير المؤمنين"[٢].

ومما يلاحظ من خطاب البابا أوربان الثاني أنه بدأ خطابه بتذكير الجمع المخاطب من فرسان وإقطاعيين ومجرمين بحقيقتهم، وأنهم لصوص ومجرمون وهذا أمر في رأيه لا مهرب منه إلا بالخلاص من خلال خوض الحرب المقدسة؛ ليتم تخليصهم مما لطخوا به أيديهم من دماء عن طريق غسلها بدماء الآخرين من المسلمين، فهذا سبيل الخلاص الذي يليق بهم .

وهذا ما حدث فعلاً؛ فالتاريخ يخبر كيف استطاع الصليبيون أن يغسلوا أيديهم بدماء الآخر تحقيقاً للخلاص؛ فبعد اقتحامهم مدينة القدس أبادوا من فيها بحد السيف دون تمييز بين المسلم واليهودي، وقد كان القتل يتم بوحشية، ودون أدنى شفقة أو رحمة، ولم يسلم منه حتى من لجأ إلى أماكن العبادة[٣] كجامع عمر حيث قتل من فيه، ويصف المؤرخون الجامع وقد استوعب من الدم المحتقن كبحر متموج؛ بل إن القناطر التي عند بابه قد احتقنت بالدماء حتى بلغت لجم الخيل، وكذلك حال من لجأ من اليهود إلى الكنيس حيث حوصروا فيه حتى أضرم الصليبيون النار في جهات الكنيس فأبادوا من بداخله جملة واحدة، ولم يكتف الصليبيون بذلك؛ بل اجتمع

---

(١) بتصرف، عمارة، **الإسلام والآخر**، ص٧٢ ، وانظر: زوبوروف، **الصليبيون في الشرق**، ص٤٤-٤٥

(٢) مونروند، **تاريخ حرب الصليب**، م١، طبعة أورشليم، ١٨٦٢م، ص١٣-١٤ ، نقلاً عن عمارة، **الإسلام والآخر، ص ٧٣**

(٣) انظر: البستاني، بطرس، **دائرة المعارف**، م١١، دار المعرفة ، بيروت، ١٨٧٧م، ص١٦

ديوان مشورتهم وقرر إبادة جميع من بقي من المسلمين واليهود أحياءً أي حملة إبادة شاملة على الآخر، فأعملوا القتل والحرق والذبح في السكان العزل مدة أسبوع كامل حتى لقد شمل القتل من حصل على الأمان منهم[١].

وبعد نهاية تلك المذبحة العظيمة توجه الصليبيون بفرح وبهجة يتضرعون إلى ربهم وهم سكارى لينالهم الخلاص بتخليصهم الأرض المقدسة، وقد وصفت دائرة المعارف البريطانية ذلك قائلة: "كانت المذابح رهيبة جرت دماء المغلوبين في شوارع المدينة حتى ارتفع مستوى الدم ووصل إلى ركب من سار فيها، ولما حل المساء اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك**!!** بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر إلى كنيسة القيامة ووضعوا أكفهم الغارقة في الدماء على جدرانها ورددوا الصلوات"[٢].

مما سبق يلاحظ الأثر الفعلي الذي خلفته عقيدة الخلاص على الآخر التي لعبت الكنيسة فيها الدور الأكبر باعتبارها ممثل المسيح في الأرض وجسده، والمالك الوحيد لمفاتيح الخلاص، عندما عملت على استغلال فكرة الحج إلى الأرض المقدسة التي يعتقد المسيحيون أنها شهدت وقائع الخلاص، ثم تطورت فكرة الحج المقدس لتصبح حجاً مسلحاً وذلك بعد الدعوات التي أطلقها البابا جريجوري السابع، ومن بعده البابا أوربان الثاني التي تؤكد ارتباط فكرة الخلاص بالعنف والحرب ضد الآخر، وبذلك كان الآخر فريسة يحقق بها المسيحي خلاصه كما كان دم الآخر ماءً تغسل به جميع الخطايا والآثام مهما بلغ حجمها وبشاعتها.

---

(١) بتصرف، عمارة، **الإسلام والآخر**، ص٧٤

(٢) عمارة، **الإسلام والآخر**، ص٧٥

المبحث الثاني

عقيدة الصلب والآخر

ترتبط عقيدة الصلب في المسيحية ارتباطا وثيقاً بقضية الخلاص، إذ تعد طريقها الأول؛ ولأن الخلاص حسب الاعتقاد المسيحي كان ترتيباً ربانياً، وبرنامجاً إلهياً فقد تطلب تجسد الإله في المسيح بموجب عهد سمي **(عهد النعمة)** لأجل تخليص الفئة التي اختارها الله منذ الأزل، التي كان إيمانها بالمسيح مخلصاً وفادياً علامة على اختيار الله لها، وقد تم ذلك من خلال عملية الصلب التي أضحت فيما بعد أهم أسس العقيدة المسيحية بما حوته من أحداث، ومضامين صاغت رؤية المسيحي لنفسه وللآخر.

المطلب الأول: معنى الصلب

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن "صَلَبَ يصْلُبُ صَلْباً وصليبا: صلب الضحية وتعليقها على صليب تنفيذاً لحكم الإعدام فيها، وكان يتم ذلك بربط اليدين والرجلين به، أو بصورة أفظع؛ بتسمير الجسم بالمسامير عن طريق الأجزاء اللحمية"(١).

والصليب "كل ما كان على شكل خطين متقاطعين من نقش أو تصوير أو خشب أو غير ذلك"(٢).

وفي العهد الجديد يرمز الصليب إلى العار والاتضاع والذل(٣)، حيث كان يُعدم عليه أحط المجرمين، وأراذل الناس، أو لمن يرتكب أقبح الجرائم(٤)، كما أن حمله كان يعني حمل الإهانة .

أما في العهد القديم فلم ترد كلمة الصليب إلا ضمن كلمة يصلب ومشتقاتها؛ وذلك لأن وسيلة الإعدام كانت تتم بالرجم، ومن تعلق جثته بعد ذلك يعد ملعوناً، يقول سفر التثنية: "**وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ، فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ**

---

(١) جماعة من علماء اللاهوت، **قاموس الكتاب المقدس**، ط٩، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٥٤٥

(٢) البستاني، **دائرة المعارف**، م١١، ص١١

(٣) انظر: يوحنا ١٩: ٣١ ، رسالة الرسول بولس الأول إلى كونثوس ١: ٢٣ ، رسالة الرسول بولس إلى أهل غلاطية ٣: ١٣

(٤) انظر: حبيب، وآخرون، **دائرة المعارف الكتابية**، م٥، ص٣١ ، انظر: جماعة من اللاهوتيين، **قاموس الكتاب المقدس**، ص٥٤٥-٥٤٧

نَصِيبًا"[١]؛ ولذلك قال بولس إن المسيح **"صار لعنة لأجلنا"** [٢] لأنه علّق على خشبة الصليب مخلصاً وفادياً. ومن هنا تعرف دائرة المعارف الكتابية الصلب بأنه: "كل عمل الفداء الذي أكمله الرب يسوع المسيح بموته الكفاري"[٣].

ولما كان المسيح باعتقاد المسيحيين مات صلباً فقد أصبح الصليب علامة المسيحي وشعاره ورمز الحياة[٤]؛ وهذا ما دعا بعض المؤرخين القدماء يشيرون إلى الدين المسيحي باسم (دين الصليب)؛ لأن الصليب يعد عين المسيحية وشعارها[٥]، وقد تفنن المسيحيون في نقشه، ورسمه، وتقديسه، والتوجه إليه بالصلاة والدعاء، وهذا ما دعا بعض اللغويين إلى إطلاق لفظة الصليب على "محراب النصارى أو الناحية التي يستقبلونها في صلواتهم"[٦] كما عُني به أيضاً الخشبة التي عُلق عليها المسيح التي سميت بـــ(صليب الصلبوت)[٧].

ويذكر أن الصلب كان عقوبة شائعة عند مختلف الأمم والحضارات "وكان يراد به عند المصريين واليهود والرومان الحط من شأن المقتول، ولهذا لم يكونوا يصلبون إلا قطاع الطرق، ومقترفي أفظع الجرائم، ولم يكن في رومية قتلة شنعاء تضاهي الصلب"[٨]، وقد ظل الصلب مستعملاً في الدولة الرومانية إلى أن جاء قسطنطين وأبطله[٩][١٠].

---

(١) سفر التثنية ٢١: ٢٢-٢٣

(٢) انظر: رسالة الرسول بولس إلى أهل غلاطية ٣: ١٣

(٣) دائرة المعارف الكتابية، م٥، ص٣١

(٤) البستاني، **دائرة المعارف**، م١، ص١١

(٥) الزيات، حبيب، **الصليب في الإسلام**، مطبعة القديس بولس، ١٩٣٥م، ص١١

(٦) الزيات، **الصليب في الإسلام**، ص٩

(٧) بتصرف، المصدر نفسه، ص٩

(٨) البستاني، **دائرة المعارف**، م١١، ص١٢

(٩) المصدر نفسه، م١١، ص١٢

(١٠) يذكر في سبب إبطال قسطنطين عقوبة الصلب قولان: أحدهما أنه رأى في السماء صليباً. والقول الآخر إكراماً لخشبة الصلب التي وجدتها أمه هيلانة وذلك على أثر عمليات الحفر والتنقيب التي أقيمت في موضع الصلب ويذكر أن البحث قد أسفر عن ظهور ثلاثة صلبان: أحدهما للمسيح كما يزعمون، والإثنان الآخران للصين اللذين صلبا مع المسيح. عندما أرادت هيلانة أن تعرف صليب المسيح منهما أشار عليها أسقف بيت المقدس (مقار بولس) أن الميت يحيا بمسه، واتخذوا ذلك اليوم عيداً تذكاراً لهذه الحادثة. وأمرت ببناء كنيسة القيامة فوق مكانه، ويخبر تاريخ الكنيسة أن خشبة الصليب بقيت في القدس إلى أن استولى كسرى عليها فبقي الصليب لديهم مدة ١٤ سنة حتى اندحر الفرس أمام الرومانيين سنة ٦٢٩م فاستولى عليه هرقل ورده إلى كنيسة القيامة، وتذكر بعض المصادر وقوع الصليب في أيدي المسلمين على أثر معركة حطين ١١٨٧م بعد دخولهم القدس. انظر: البستاني، **دائرة المعارف**، م١١، ص١٢-١٣ ، انظر: لبناني عتيق، منشورات الدائرة، بيروت، ١٤ ايلول، ١٩٧٩م ، ص٩-١٥. واللافت في الموضوع أن المسيحيين كانوا يخرجون الصليب المكتشف على يد هيلانة إلى معاركهم فيرفعونه عالياً فوق أعلامهم تبركاً واستمداداً للعون والنصر. وهم بذلك يشبهون اليهود عندما كانوا يأخذون تابوت العهد إلى حروبهم ويتبركون به رغبة في النصر.

مما سبق يظهر أن الصلب في المسيحية يعني: الاعتقاد بأن المسيح (الاله المتجسد) قد عُلق على الصليب متألماً ومهاناً وملعوناً؛ ليحقق للإنسان الخلاص والفداء جراء الخطيئة الموروثة، ومن هنا اكتسب الصليب قداسة خاصة حتى أصبح شعار المسيحية ورمزها.

المطلب الثاني: أصل فكرة الصلب

يرى المحققون أن فكرة صلب المسيح من مبتدعات بولس[١] الذي وجد في قصة الصلب القلب النابض للمسيحية التي أنشأها[٢]، ويؤكد بولس ذلك بنفسه حيث يقول في إحدى رسائله: "**لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً**"[٣].

وقد امتلأت رسائل بولس بالتأكيد على صلب[٤] المسيح مما جعل الكاتب الألماني **أرسنت دي بوش** يقول في كتابه (الإسلام: أي المسيحية الحقة): "إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، وليست من أصول النصرانية الحقة"[٥].

ويعد موقف الحواريين من بولس ودعوته أكبر شاهد على خلو المسيحية الحقة من هذا الاعتقاد؛ حيث قوبل بالرفض والازدراء، وخصوصا بعد إشاعته فكرة الصلب، وقد اعترف بولس بذلك في رسائله حيث يشكو من تأثير الحواريين[٦] على الناس، وكفر الناس بمعتقداته وأفكاره التي تختلف بطبيعة الحال عن دعوة الحواريين ومعتقداتهم، يقول في رسالته :" **أَنْتَ تَعْلَمُ هذَا أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ فِي أَسِيَّا ارْتَدُّوا عَنِّي**"[٧].

---

(١) يذكر أن بولس كان مثقفاً، كثير الاطلاع على الثقافات وحضارت الشرق، والواضح أنه قد تأثر بما ورد فيها من أساطير وخرافات؛ وتعد فكرة الخطيئة وما تبعها من خلاص ثم تطبيق ذلك بالصلب شاهد على ذلك؛ فقد ساد في الفلسفات الشرقية قصة أبناء الآلهة المتجسدين في أثواب مسحاء وشفعاء مخلصيين، وأبرزهم كرشنا ابن الآلهة الذي يعتقد أنه صلب في الهند نحو سنة ١٢٠٠ ق.م. تكفيراً لخطايا البشر، وكذلك مثل الذي صلب في بلاد الفرس قرابة سنة ٦٠٠ق.م معبود الفيدا. وقصة بوذا سكيا الذي صلب في الهند سنة ٦٠٠ق.م. وكان أشياعه يلقبونه " مخلص العالم" و"نور العالم". انظر: حفني، عصام الدين، **المسيح في مفهوم معاصر**، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٦٦-٦٧

(٢) بتصرف، السقا، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٢٩

(٣) رسالة الرسول بولس الأولى إلى كورنثوس ٢: ٢

(٤) انظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٦:٦ وإلى أهل كورنثوس الأولى ١:١٣ وإلى أهل كورنثوس الثانية ٢:٨ وإلى أهل غلاطية ٢: ٢٠ ، ٦: ١٤

(٥) السقار، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٢٩

(٦) كتب الحواري برنابا في مقدمة إنجيله الذي تتنكر له الكنيسة سبب كتابة هذا الإنجيل، حيث يحذر الناس من أفكار بولس، وإشاعة الصلب: فيقول : " الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا اتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه". مقدمة إنجيل برنابا ، ص٧-٩

(٧) رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١: ١٥، وانظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ١: ٦-٨

المطلب الثالث: أحداث قصة الصلب وأبرز مضامينها

على الرغم من عدم اتفاق الأناجيل الأربعة واضطرابها في قصة الصلب؛ إلا أن الأحداث العامة للقصة تبرز جوانب هامة في قضية الصلب باعتبارها عقيدة أساسية من عقائد المسيحية، كما توضح الأثر المباشر الذي أحدثته هذه العقيدة في نظرة المسيحية للآخر، وسلوكها نحوه، ويعد موقف اليهود من المسيح ورفضهم لدعوته كما تخبر الأناجيل السبب الرئيس في حدوث الصلب .

أولاً: موقف اليهود من المسيح

تؤكد الأناجيل أن علاقة اليهود بالمسيح كانت عدائية منذ بداية رسالته، فاليهود كانوا ينتظرون ملكاً فاتحاً يحمل سيفه، ويتسلط على أعدائه فيهلكهم، ويعيد لهم مجدهم وسيادتهم؛ ولكن المسيح جاء بشريعة تكمّل ما جاء به موسى من الدعوة إلى التوحيد والرحمة، ولذلك سعى اليهود جاهدين للتخلص منه، ولم يوفروا مناسبة لقتله وإهلاكه[١]؛ ففي أول دعوة علنية له بعد أن خرج من ماء العماد هب اليهود عليه لقتله، يقول إنجيل لوقا: "**فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةَ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى**"[٢]، ويؤكد يوحنا ذلك في إنجيله "**وَكَانَ يَسُوعُ يَتَرَدَّدُ بَعْدَ هذَا فِي الْجَلِيلِ، لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ**"[٣]

كما جهد اليهود أيضاً في استثارة شكوك الرومان ضد المسيح، ليوقعوه في شباكهم ويتخلصوا منه[٤] ، وبعد فشل مؤامراتهم وخططهم عقد اليهود مجمعاً قرروا فيه ضرورة هلاك المسيح وقتله، وقد كان ذلك رأي قيافا رئيس الكهنة. يقول يوحنا: "**فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا. فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!**"[٥].

---

(١) السواح، فراس، **الوجه الآخر للمسيح**، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٤م، ص١٣٠
(٢) إنجيل لوقا ٤: ٢٨-٣٠
(٣) إنجيل يوحنا ٧: ١
(٤) انظر: إنجيل متى ٢٢: ١٥-٢٢، إنجيل مرقس ١٢: ١٣-١٧ ، إنجيل لوقا ٢٠: ٢٠-٢٦ ، إنجيل يوحنا :١٩
(٥) إنجيل يوحنا ١١: ٤٧-٥٠

وهكذا يتبين أن موقف اليهود من المسيح لم يكن الرفض وحسب؛ بل كان يتبعه محاولات للكيد به وقتله، وعلى هذا يكون تدبير اليهود لعملية الصلب تابعاً لتلك المحاولات، وذلك بعد أن اتفقوا مع يهوذا الإسخريوطي أحد تلاميذ عيسى على تسليمه لهم، مقابل ثلاثين قطعة من الفضة[١] ثم تتوالى الأحداث بعد ذلك.

ثانياً: عشاء المسيح مع التلاميذ "العشاء الرباني"

سمي عشاء المسيح مع تلاميذه بالعشاء الأخير؛ لأنه سبق حادثة الصلب فكان بذلك آخر عشاء تناوله المسيح مع تلاميذه، يقول متى واصفاً أحداث العشاء ومجرياته: "**وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ:«خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً:«اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**"[٢].

وينظر المسيحيون لحادثة العشاء بهيبة وقداسة؛ فبالإضافة إلى أنه يعد وسيلة للخلاص، فإن للعشاء الرباني صلة وثيقة بالصلب، ويمكن توضيحها بأمور عدة:

١. أن حادثة العشاء الأخير قد دللت على معرفة المسيح بأن هناك أمراً يدبر ضده، وأن الخائن هو أحد تلاميذه[٣].

٢. إن إصرار المسيح على إعداد مائدة للعشاء مع علمه باقتراب مكيدة الصلب، يدلل على أن ذلك يسير بترتيب رباني وفق عهد النعمة الذي تكفل المسيح بموجبه تخليص المختارين من خطيئة آدم، إذ كيف يمكن لشخص أن يأكل، ويقدم المواعظ وهو يعلم أنه سيصلب، ويجلد ويهان بعد لحظات؟ يقول القس عوض سمعان: "وإن كانت ساعة الصلب ساعة مرعبة ومخيفة، إن واجهها إنسان نسي ما عداها، وانحصرت أفكاره فيها وحدها، لكن المسيح عندما اجتاز فيها لم ينس شيئاً من الأشياء، ولذلك نراه يأمر تلاميذه في ذلك الوقت أن يعدوا الفصح[٤] مع أن شخصاً في مكانه لم يكن ليفكر في الفصح إطلاقاً"[٥].

---

(١) انظر: إنجيل متى ٢٦: ٤، ١٥، ٢٥، ٤٧ وانظر: إنجيل مرقس ٣: ١٩، ١٤: ٤٣

(٢) إنجيل متى ٢٦: ٢٦-٢٨ ، انظر: إنجيل مرقس ١٤: ٢٢-٢٤

(٣) انظر: إنجيل متى ٢٦: ٧-٣٠ ، انظر: إنجيل مرقس ١٤: ١٠-٢٦، انظر: إنجيل لوقا ٢٢: ٧-٢٣

(٤) يعتقد المسيحيون أن المسيح قد صلب بعد الفصح بيوم أو يومين وأن موعد العشاء الأخير الذي أمر بإعداده كان عشاء الفصح

(٥) سمعان، **العشاء الرباني**، ص ١٢

٣. إن العشاء الأخير كان تصويراً لطريق الصلب وحصول الخلاص بعد الآلام والمشاق؛ ومائدة العشاء تخبر بذلك، فالخبز لا يتحصل عليه إلا بعد سحق قمحه واجتيازه النار ليخبز، والخمر لم يجهز إلا بعد أن اجتاز العنب في المعصرة حتى انعصر، وكذلك الحال بالنسبة للخلاص؛ فلم يتم إلا بعد تحمّل آلام الصلب وأوجاعه[١]، كما أن وجود الخبز منفصلاً عن الخمر يدلل على انفصال دم المسيح عن جسده، أو بالأحرى موته مصلوباً[٢] ويعتقد المسيحيون أيضاً أن العشاء يخبر بحدوث الصلب، وذلك عندما قام المسيح بكسر الخبز ليقدمه للتلاميذ؛ فهذا يشير عندهم إلى حقيقة كسر جسده بالصلب، حين يصير الذبيحة التي قدمها بإرادته الحرة؛ فقد كسرها بذاته قبل أن يتقدم منفذو الحكم بكسرها[٣].

٤. إن الأناجيل الثلاثة (متى / مرقس / لوقا) ترى أن العشاء قد تم في يوم ١٤ نيسان أي يوم الفصح وفي ذلك إشارة إلى عملية الذبح التي تتم على الصليب؛ حيث يقطع المسيح عهداً جديداً مع الله والناس، و يكفر عن خطايا البشر[٤] وهذا يعني أن العشاء الرباني قد حل محل الفصح، حيث قدم المسيح نفسه ذبيحة عوضاً عن ظروف الفصح ولذلك يقول: "**لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**"[٥].

وبذلك تكون حادثة العشاء الرباني في نظر المسيحيين وثيقة الصلة بالصلب؛ حيث تخبر مشاهدها التصويرية بوقائع الصلب ودلالاته.

ثالثاً : المحاكمة

تروي الأناجيل أحداث محاكمة المسيح بعد أن قبض عليه[٦] من قبل الفريسيين والكهنة، حيث تمت محاكمته واستجوابه من قبل بيلاطس النبطي، دون أن يجيب المسيح عن أي سؤال وجه إليه مما أثار دهشة بيلاطس وتعجبه [٧][١]، كما تخبرالأناجيل أن أحداث المحاكمة قد انتهت

(١) بتصرف، المصدر نفسه، ص٢٦
(٢) المصدر نفسه، ص٢٧
(٣) بتصرف، شين، **حياة المسيح دراسة وتأمل** ، ص٢٠٤
(٤) انظر: رسالة بولس للعبرانيين ٩: ١٢-٢٧
(٥) إنجيل متى ٢٦: ٢٨ ، انظر: الخضري، **تاريخ الفكر المسيحي**، م١، ص٣٢٢-٣٢٥
(٦) انظر: إنجيل متى ٢٦: ٣٦-٣٩ ، انظر: إنجيل مرقس ١٤: ٣٢-٣٦ ، إنجيل مرقس ١٤: ٤٣
(٧) انظر: إنجيل متى ٢٧: ١١-١٤

برفض اليهود إطلاق سراح المسيح بعد أن عرض عليهم بيلاطس ذلك [٢]، وأمام إصرار اليهود على ذلك عمد بيلاطس إلى الماء، وغسل يده قائلاً: "**إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم**" [٣]، فرد عليه جميع الشعب "**دمه علينا وعلى أولادنا**" [٤] وبذلك تم الصلب خلاصاً للبشرية كما يعتقد المسيحيون [٥].

من هنا يتبين أن أحداث قصة الصلب في المسيحية تؤكد ارتباط الصلب بعقيدة الخلاص فمن دون صلب المسيح، وتألمه على الصليب، وتعرضه للإهانة والسب والشتم، لم يكن ليحقق العهد، أو يتم المهمة التي أوكلت إليه، كما يتوضح أن عقيدة الصلب صاغت نظرة المسيحية للآخر اليهودي وذلك بناءً على موقف اليهود من المسيح، ومشاركتهم في صلبه وإلحاحهم على ذلك، وسيتبين لاحقاً أن ما واجه اليهود من رفض واضطهاد وتنكيل من قبل المسيحيين، كان بناءً على حادثة الصلب التي تعد مفصلاً هاماً حدد فيه المسيحيون على إثرها نظرتهم للآخر؛ على الرغم من اعتقادهم الجازم أن المسيح جاء لتحقيق مهمة كونية، وتنفيذ وعد إلهي.

---

(١) ويعلل الكتّاب المسيحيون سبب سكوت المسيح أثناء المحاكمة بما يخدم قضيتهم فيرون أن المسيح جاء لخلاصهم وليموت لأجلهم وفي صمته إذعان لمشيئة الله وتنفيذ لبنود العهد الذي قطعه على نفسه وتحقيقاً لمهمته التي جاء لأجلها. بتصرف، سلهب، نصري، **صلب المسيح ومسؤولية اليهود**، ص٣٨

(٢) انظر: إنجيل متى ٢٧: ١٥-٢٣

(٣) إنجيل متى ٢٧: ٢٤

(٤) إنجيل متى ٢٧: ٢٥

(٥) وفي وقفة مع أحداث الصلب حسب رواية الإنجيل تبرز عدة تساؤلات:

أولاً: تذكر الأناجيل تضرع المسيح وصلاته ودعاءه بحرارة في ضيعة جثسيماني، فإذا كانت قضية الصلب كما يدعي المسيحيون طريقاً للخلاص بموجب عهد النعمة، لماذا تشبث المسيح بالحياة ويلح بالدعاء وهو يعلم أنه في مهمة كونية ؟ كيف يطلب الخلاص منها والفرار في اللحظات الأخيرة؟.
في الواقع أن هذا هو ديدن الأنبياء فهم أكثر الناس عبادة ودعاء وصلاة، على الرغم من أن الله تكفل بحفظهم ورعايتهم واستجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم، ثم إذا كان إلهاً وطرفاً في عقد وعهد لماذا يلجأ إلى الله ليخلصه؟ لماذا لم يخلص نفسه؟.

ثانياً: تؤكد الأناجيل صمت المسيح وعدم إجابته عن اسئلة بيلاطس، وتذكر تعجب بيلاطس من ذلك. لماذا لا يكون السبب وراء ذلك أن الموجود في المحاكمة ليس المسيح بل شخص آخر؟ وهو يهوذا الإسخريوطي الخائن، وأن عدم دفاعه عن نفسه سببه مروره بحالة صدمة جارفة عقدت لسانه، فقد أجمع الكل على أن المسيح مكين سيدافع عن نفسه. وماذا سيقول وهو يعلم أن أحداً لن يصدقه ولذلك احتسب أمره عند الله، وعلم أن ذلك كان عقوبة على خيانته، فصرخ على الصليب: إلهي لم تركتني، حتى عندما سأله بيلاطس من أنت ألم يجب: لأنه ببساطة في حالة حيرة؛ فماذا سيقول: هل يقول: أنا المسيح وهو يعلم أنه ليس هو حتى إجابته الوحيدة التي ذكرها أمام بيلاطس (انت قلت هذا) تدلل على حالة اليأس العارمة التي وصل إليها بعد أن عرف أن القضية محتومة وواقعة لا محالة.

المطلب الرابع: أهمية الصلب في المسيحية أبعاده وغاياته

يعتقد المسيحيون أن لحادثة الصلب أهمية بالغة عمّ تأثيرها الكون بأكمله، وتذكر دائرة المعارف الكتابية أن اهتمام كتبة العهد الجديد بهذه الحادثة لم يكن منصباً على الناحية التاريخية؛ بل على الناحية المعنوية الكفارية(١).

ويمكن تلخيص أهمية الصلب كما يعتقدها المسيحيون بنقاط موجزة أهمها:

- أن الصلب كان وسيلة للاتحاد مع المسيح والتقرب إلى الله؛ فموته على الصليب تكفيراً لخطايا الإنسان جعل الإنسان العتيق المحمل بالخطية يصلب معه(٢). يقول الباحث المسيحي شارل فوكو في كتابه (كتابات روحية): "ما أحسن الصليب! إننا بالصليب نتحد بذلك الذي سمر عليه بعروسنا الالهي، لأنه يفصلنا عن الأرض ويجمعنا بالتالي إلى الله"(٣)

- يعد الصلب التضحية الخاتمة؛ فلا يوجد تضحيات بعدها، وكل ما سبقها من تضحيات كان بمثابة تحضير لها(٤).

- يمثل الصلب طريق الخلاص وقاعدته، يقول القس لبيب ميخائيل: "إن الله الرحيم هو أيضاً إله عادل، وإن الله المحب هو أيضاً إله قدوس، يكره الخطيئة، وإذا تركزت هذه الصورة في أذهاننا سندرك على الفور أن صفات الله الأدبية الكاملة لا يمكن أن تسمح بغفران الخطية دون أن تنال قصاصها فإن الصليب يبدو أمامنا ضرورة حتمية للتوفيق بين عدل الله والرحمة"(٥)، وبذلك يكون الصلب قد حقق المغفرة يقول بولس في العبرانيين: " **وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ!**"(٦)، كما يعد علامة يوم الحشر؛ فالذي يؤمن به لا يهلك أبداً بل تكون له الحياة الأبدية(٧)، يقول بولس: "**فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا**

---

(١) بتصرف، **دائرة المعارف الكتابية**، م٥، ص٣١
(٢) انظر: رومية ٦: ٤ ، انظر: **دائرة المعارف الكتابية**، م٥، ص٣١
(٣) احمد، انمار، **اللاهوت المسيحي (نشأته وطبيعته)**، ص٦٧
(٤) بتصرف، ايوب، محمد، **دراسات في العلاقات المسيحية الإسلامية**، ج١، مركز الدراسات المسيحية الإسلامية، لبنان، ٢٠٠٠م، ص١٦٥
(٥) السقا، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٧٥
(٦) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ٩: ٢٢
(٧) بتصرف، داود، عبد الاحد، **الإنجيل والصليب**، ص ٧

عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ"(١)؛ ولذلك يتوجه المسيحيون إلى الصلب بالعبادة والتقديس، فهو يذكرهم دائماً بنعمة، الخلاص ويحثهم على شكر الله على نعمه بل ويرون أنه يمد الإنسان بالقوة (٢).

- أدى الصلبُ إلى القضاء على الشر، حيث يعتقد المسيحيون أن صلب المسيح وموته على الصليب إشارة إلى التغلب على الشر والتخلص منه؛ فالخطيئة الأصلية كانت أصل الشرور التي أصابت العالم، وبالصلب تم القضاء على الخطيئة والشر، حتى إن صرخة يسوع المحرجة على الصليب "**الهي إلهي لماذا تركتني**" تشير إلى "صراع الإنسان التاريخي كله مع الشر، وموقف الله منه وعلاقته به"(٣)، يقول نجيب عوض في كتابه (الله والإنسان والشر): " من هنا يجب أن تسير بنا فكرة (موت الله) نحو الصلب، والإله المصلوب؛ لنرى كيف أنه بمواجهة الله للموت مات الشر للأبد"(٤)، ولا شك أن لهذه الأهمية التي يعتقد المسيحيون بصحتها أثراً واضحاً على الآخر؛ حيث أصبحت كل الحروب التي تشنها المسيحية ضد الآخر تأخذ طابع القضاء على الشر(٥)، وهذا ما حاولت الحروب الصليبية تأكيده من خلال حملاتها متدرعةً بالصليب؛ "فالصليب يرمز لانتصار وظفر المسيحية على عالم الشر"(٦)، ويمكن أن يكون الواقع كفيلاً بالرد على هذه النقطة؛ فالشر موجود في كل مكان: سواء عند أتباع المسيحية المؤمنين بموت المسيح على الصليب تحقيقاً للخلاص، أو عند الذين لا يؤمنون بذلك، فالأمر سيان عند كليهما حيث تنتشر الجرائم والانتهاكات والقتل وأشكال الفساد كافة.

المطلب الخامس: الآخر في ظل عقيدة الصلب

يعتقد المسيحيون أن مسألة صلب المسيح جاءت لتحقيق قاعدة الرحمة والعدالة الإلهية؛ فالعدالة تقضي بضرورة معاقبة المخطئ ومحاسبته جراء الخطيئة الموروثة، والرحمة تقضي غفران ذنوبه وتخليصه من آثامه، وقد كان صلب المسيح الطريق الوحيد للتوفيق بين رحمة الله

---

(١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١: ١٨

(٢) انظر: الزيات، **الصليب في الإسلام**، ٤٢-٤٣

(٣)عوض، نجيب، **الله والإنسان والشر**، ط١، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤م، ٢٤٣-٢٤٤

(٤) المصدر نفسه، ص٢٣١

(٥) موت الإله على الصليب يعني موت الشر وتحرير الإنسان منه.

(٦) عوض، **الله والإنسان والشر**، ص٢٤٣

وعدله، ومحبته في تخليص الإنسان، ومعنى ذلك أن عقيدة الصلب بجميع تفاصيلها وأحداثها ما كانت إلا لتحقيق الرحمة، وإحقاق العدل، كما تعد رمزاً للفداء والتضحية بالنفس في سبيل الآخر.

ولكن كيف يمكن تفسير هذا الاعتقاد في ظل وجود تاريخ يثبت وقوع الآخر ضحية لموجات من العنف والاضطهاد باسم الصليب؟.

إن ما سبق ذكره في موضوع الخلاص، يشير إلى أن الخلاص كان لفئة محدودة مختارة منذ الأزل، بموجب عهد النعمة، إذاً فالصلب كان طريقاً لخلاص الفئة المحددة من الناس، وهي تلك الفئة المختارة منذ الأزل، وقد تبين فيما سبق أن علامة الاختيار هي الإيمان؛ أي أن الصلب سيخلص المختارين المؤمنين بأن المسيح إله متجسد، وقد صلب ليحقق الخلاص، يقول بولس:"**إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا**"[(١)].

وهذا يعني أن كل من لايؤمن بأن المسيح صلب تحقيقاً للخلاص فهو لا يزال محاطاً بالخطيئة والفساد، ولا يمكن أن يكون له مكان في الخلاص؛ لأن رفضه للإيمان دليل على عدم اختيار الله له، وبالتالي عدم خلاصه؛ ولأن المسيحية تعتبرُ نفسها مسؤولة عن تخليص البشر فقد نشطت عبر التاريخ حركات التبشير (التنصير) في العالم، وقد كان معظمها يتم بالإكراه والإجبار والقتل؛ بحجة أن قبول المسيح مصلوباً ومخلصاً يحقق الخلاص لكل من يؤمن بذلك، ولذلك كان القول بأن العنف في المسيحية نابع من المحبة وليس من الكراهية، لأن غايته تحقيق الخلاص.

ولما كان المسيح حسب اعتقاد المسيحيين قد صلب لأجل تخليص العالم من الشر الناجم عن حالة الانفصال بين الله والبشر جراء الخطيئة الموروثة، فكذلك يجب على المسيحيين أن يسيروا في درب المسيح نفسه؛ لتخليص العالم من الشرور، وإدخالهم في دائرة الخلاص عملاً بما جاء في إنجيل متى :"**حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ:«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي**"[(٢)].

وبناء على ذلك سارت المسيحية في تعاملها مع الآخر على هذا الاعتقاد، دون النظر إلى مشروعية الوسائل المستخدمة، وخصوصاً بعد أن تبنت آراء القديس أوغسطين التي تعتمد في جوهرها على نصوص العهد القديم، وأهمها نظرية استخدام العنف والاضطهاد بدافع المحبة

(١) انظر: رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٢: ١٦
(٢) إنجيل متى ١٦: ٢٤

وليس الكراهية، بحجة تخليص الآخر من شروره الناجمة عن حالة الانفصال التام بينه وبين الله، وقد تبنت الكنيسة ذلك لتسوغ أفعالها ضد الآخر.

وقد اتخذ اضطهاد الآخر باسم الصليب أشكالاً عدة ارتكزت على مضمون عقيدة الصلب وأحداثها، ويمكن مناقشة ذلك من خلال ثلاثة محاور:

أولاً: اضطهاد الآخر انتقاماً لصلب المسيح

يعتقد المسيحيون أن المسيح قد مات وصلب بعد مؤامرة اختط اليهود فصولها وأحداثها، وتؤكد الأناجيل ذلك حيث تذكر دور اليهود في حادثة الصلب المزعومة ابتداءً بإحضار شهود الزور، واتهامهم له بالتجديف حتى إصرارهم على قتله وصلبه، على الرغم من الموقف المعارض لبيلاطس النبطي، وتأكيدهم على أن دمه عليهم وعلى أولادهم[١].

كما تقر الرسائل بمسؤولية اليهود عن ذلك، يقول بولس: "**الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ ِللهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ**"[٢].

ونتيجة لذلك تعرض اليهود لموجات عارمة من الاضطهاد والعنف، وكانت النظرة المسيحية إليهم محاطة بقدر كبير من الازدراء والاحتقار، وتحيّن المسيحيون – وخصوصاً في أوروبا – الفرص للانتقام من الآخر اليهودي جراء حادثة الصلب، واعتبر قتل اليهودي سبباً في تحقيق الخلاص، ومغفرة الخطايا، وظهرت الحوادث الدالة على ذلك إبان فترة الحملات الصليبية؛ التي عُدَّت في اعتقاد المسيحيين طريقاً للخلاص.

وقد شاع بين أتباع المسيحية في أوروبا أن من لا يستطيع التوجه إلى الشرق مقاتلاً، يمكنه أن يحصل على الخلاص بقتله يهودياً، فذلك يعادل الذهاب مع الحملات الصليبية؛ ولذلك كثرت حوادث قتل اليهود عند التجهيز لكل حملة صليبية، تقول الباحثة كارين آرمسترونغ: "ففي كل مرة يُدعى فيها إلى حملة صليبية، كانت تندلع موجة جديدة من المذابح المنظمة ضدهم، والبعض ممن لا يقدرون على التوجه نحو الشرق كانوا يخالون أنهم يشاركون في الحملة من خلال قتلهم اليهود في أوطانهم"[٣]

---

(١) انظر: انجيل متى ٢٧:٢٤، متى٢٧:٢٥

(٢) رسالة بولس الرسول الأول إلى أهل تسالونيكي ٢: ١٥

(٣) آرمسترونغ، **الحرب المقدسة**، ص١١٢

ويذكر أن الدعوة إلى قتل اليهود وإبادتهم انتقاماً لصلب المسيح كان يُشكل عاملاً مهماً في تجييش الحملات الصليبية، ودافعاً لخروج آلاف من المنتقمين(١).

كما عُدَّ الانتقام من اليهود شعار بعض القادة، ففي الحملة الصليبية الأولى نذر الأمير **(جود فري بوايون)** قبل رحيله أن ينتقم لموت المسيح بإهدار دم اليهود، وقد حقق نذره من خلال تحريضه لـــ (أميخ) أحد قادة الحملة الشعبية حتى انتهى بمصرع المئات من اليهود غرقاً أو ذبحاً أو حرقاً، بعد أن رفضوا اعتناق المسيحية(٢)؛ أما الناجون فقد تم إجبارهم على اعتناق المسيحية، وهذا يشير إلى ارتباط وثيق بين اعتناق المسيحية وتحقق الخلاص.

ولم تقتصر حملات الاضطهاد ضد اليهود على منطقة محددة؛ بل كان القتل والإبادة مصير اليهودي المحتوم في كل بلد مر به الصليبيون، وقد عم ذلك مدن ألمانيا والتشيك وكولونيا، يقول المؤرخ الروسي ميخائيل زوبوروف: "ارتكب الصليبيون مجازر وحشية ضد اليهود في المدن الألمانية والتشيكية، فقد كانوا ينظرون إلى اليهود على أنهم اعداؤهم مثلهم مثل المسلمين فمن المعروف أن محكمة رجالات الدين اليهود (السنهدرين) هي التي حكمت على السيد المسيح بالموت صلباً"(٣).

وفي كولونيا أيضاً راح الصليبيون يطاردون اليهود ويقتلونهم ويستولون على ممتلكاتهم، وفي ظنهم أنهم بذلك ينتقمون للمسيح، وأنهم يزحفون شرقاً لاسترداد ملك المسيح وأرضه وتركته(٤).

كما تمت ملاحقة اليهود واضطهادهم في بلاد الأندلس بعد سقوطها في أيدي الإسبان وذلك من خلال محاكم التفتيش التي مارست خلالها التعذيب والقمع والطرد لكل من يرفض قبول المسيحية، واعتناقها كدين. وسنتطرق إلى ذلك لاحقاً بالتفصيل.

ويذكر أن نظرة المسيحية إلى الآخر اليهودي قد بقيت على ما هي عليه من الاحتقار والاضطهاد انتقاماً للمسيح، حتى صدور وثيقة التبرئة (٥)من قبل الفاتيكان في الثامن من تشرين

---

(١) بتصرف، آرمسترونغ، **الحرب المقدسة**، ص١١٢

(٢) بتصرف، الحسيني، سهيلة، **الحروب الصليبية مواقف وتحديات**، ط١، دار التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٤٢

(٣) زابوروف، ميخائيل، **بالسيف والصليب**، ط١، (ترجمة هاشم حمادي)، دمشق: دار الرأي ص٤١

(٤) بتصرف، آرمسترونغ، **الحرب المقدسة**، ص١١٢

(٥) يتساءل القارىء إذا كانت الكنيسة تعتقد أن لديها الحق في تبرئة من تشاء وإدانة من تشاء على اعتبار أنها تملك مفاتيح الخلاص بعد بطرس والمسيح، فلماذا لا تبرئ البشرية من خطيئة آدم. وخصوصاً إذا عرفنا أن ما قام به اليهود حسب اعتقاد المسيحية هو عملية قتل وصلب للإله، وتدبير المؤامرة لذلك مع سبق الإصرار والترصد، فأيهما أسهل التبرئة من دم الإله أم التبرئة من معصية إله؟.

الثاني سنة ١٩٦٣م، والتي تقضي بتبرئة اليهود من دم المسيح، وضرورة تحميله للبشرية جمعاء؛ أما سبب صدور هذا القرار فيعود إلى ما يلي:

١. اعتبار الشعب اليهودي جزءاً من الأمل المسيحي، وهذا يعني أن هناك اتفاقاً في الأهداف والمصالح والرؤى بين الطرفين اليهودي والمسيحي، ولعل بولس قد أشار إلى المستقبل المشترك بين اليهود والمسيحيين، وذلك عندما أكد أنه لن يأتي آخر الزمان إلا ويكون اليهود جميعاً تحت لواء المسيحية (١).

٢. اعتقاد المسيحيين "أن جذور الكنيسة تمتد إلى العهد الذي أقامه الله مع إبراهيم ونسله، وأنه بمجيء السيد المسيح وهو من نسل إبراهيم حسب الجسد امتدت مراحم الله التي كانت للشعب المختار للعالم بأسره"(٢).

٣. إن مسؤولية موت المسيح تقع على عاتق النوع الإنساني كله، الواقع تحت الخطيئة، وهذا هو التعليم الثابت في العهد الجديد، ويقوم على أن المسيح قد مات ليكفر عن خطايا الإنسان، فالمسؤولية التي دفعت قادة اليهود لا يبرأ من تبعتها النوع الإنساني كله، كما أن جريمة هؤلاء القادة جريمة شخصية لا يؤخذ بجريرتها الشعب اليهودي كله، سواء في ذلك الزمان أو في أي زمان لاحق(٣)(٤).

ثانياً: اضطهاد الآخر تحريراً لأرض الصليب حسب اعتقاد المسيحية

تحتل فلسطين مكانة خاصة عند المسيحيين تصل إلى حد القداسة، فعلى أرضها جرت عملية الخلاص والصلب، ثم قيامة المسيح بين الأموات بعد ثلاثة أيام كما أنها تعد في نظر المسيحيين أقدس الذخائر على الإطلاق نظراً لصلتها المادية بالمسيح، حتى تربة الأرض نفسها حبلى في اعتقادهم بطاقة إلهية؛ لأن يسوع وطأها بقدمية أثناء حياته، وكذلك فيها كنيسة القيامةالتي يعتقد أنها تضم موقع الجلجلة وتحوي قبر المسيح الفارغ(٥).

ولذلك انطلقت الدعوات في أوروبا إلى ضرورة انطلاق حملات باسم الصليب؛ لتحرير الأرض واستردادها من أيدي المسلمين، وقد تم إطلاق هذه الدعوات بعد إشاعة الأكاذيب في

---

(١) بتصرف، السقار، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٤١
(٢) عبد العزيز، منصور، **دعوة الحق بين المسيحية والإسلام** ، ص٢٣٥
(٣) كيف يستقيم ذلك مع عقيدة الخطيئة ووراثة الذنب، ثم كيف يبرئ المسيحيون اليهود من الجريمة وهم يؤمنون بما جاء في الكتاب المقدس من أحكام تقضي بتحميل الأبناء ذنوب الآباء
(٤) بتصرف، عبد العزيز، **دعوة الحق بين المسيحية والإسلام**، ص٢٣٥
(٥) بتصرف، آرمسترونغ، **الحرب المقدسة**، ص٩٥

حق المسلمين واختلاقها بحجة أنهم ينتهكون المقدسات المسيحية، ويؤذون مسيحيي الشرق. ولكن يعد التاريخ أكبر شاهد على بطلان هذه الادعاءات والمزاعم – سنناقش ذلك لاحقاً –

وتظهر خطابات التحريض والكراهية ضد الآخر بحجة تخليص الأرض من خلال الدعوات التي أطلقها البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٥م حيث وصف المسلمين بالكفار والسراسنة، كما حث فرسان أوروبا على أن يوقفوا القتال بينهم، وينضووا تحت لواء قضية مشتركة، ويتوجهون إلى قتل الوحوش والكفرة على حد تعبيره، واعتبر أن قتلهم عمل مقدس يؤدي بصاحبه إلى الخلاص[١] "لأن الواجب المسيحي يقضي باستئصال هذا العرق الفاسد من أراضينا"[٢].

ويذكر أن خطابات البابا أوربان الثاني قد لاقت قبولاً واسعاً على مستوى جميع الطبقات، حيث مكث المسيحيون مدة تربو على مئتي سنة يخيطون الصلبان الحمر على ملابسهم؛ لإنقاذ أرض الصلب ممن أسمتهم الكنيسة بالسراسنة، وخلال هذه الحروب التي حملت اسم الصليب لاقى الآخر من المسلمين واليهود صنوفاً وألواناً شتى من العذاب والقتل والاضطهاد، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة بل يصعب حصرها.

وقد تناول المؤرخون المعاصرون هذه الحملات في مصادرهم وكتبهم؛ حيث وصفوا حال الآخر في فلسطين لحظة دخول الصليبيين واقتحامهم للقدس، ومنها ما رواه ابن الأثير حيث يقول: "وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين"[٣].

كما يذكر أيضاً مطاردة الصليبيين للشيوخ والنساء المحتمين بالمسجد الأقصى فيقول: "وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزُهّادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف"[٤]، ولم يقف الأمر عند القتل فقط؛ بل تعداه إلى التمثيل بالجثث بحثاً عن المال، وهذا ما يصفه المؤرخ (يورجا) حيث يقول: "ابتدأ الصليبيون سيرهم إلى بيت المقدس بأسوأ طالع، فكان فريق من

---

(١) بتصرف، المصدر نفسه، ص٥٥

(٢) المصدر نفسه، ص٥٥

(٣) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، ط١،ج٨،(تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص٤٢٥

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٢٥

الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها وقد أسرفوا في القسوة، فكانوا يبقرون البطون ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء"[١].

وكذلك يصف المؤرخ رايموند دي آجيل الفظائع التي ارتكبت في حق الآخر، بحجة تخليص أرض الصليب حيث يقول: "كان المنظر مدهشاً بعض الساراتيس (السراسنة ويقصد بهم المسلمين) دقت رؤوسهم وهذا أسهل أشكال الموت، وبعضهم الآخر اضطروا وقد أصابتهم السهام إلى السقوط من فوق الأسوار، وآخرون تعذبوا طويلاً وذاقوا سكرة الموت بين أحضان اللهب"[٢].

ومما ينبغي التأكيد عليه أن معظم الحروب التي خاضها المسيحيون ضد الآخر قد خرجت تحت ستار القضاء على الشر، الذي هو أصل حادثة الصلب في المسيحية ؛ فالمسيح كما يعتقدون قد صلب لتخليص العالم من الشر الناجم عن حالة الانفصال بين الله والناس، وكل من لا يؤمن بالصلب لأجل الخلاص يكون في حالة انفصال عن الله؛ لذلك يقع تحت سيطرة الشر؛ لذا يكون من الواجب التخلص منه، والقضاء عليه تأسياً بعمل المسيح على الصليب الذي أصبح رمزاً لانتصار المسيحية على عالم الشر، وإذا تخطينا أحداث الحملات الصليبية؛ فإن التاريخ المسيحي يخبر عن المجازر التي ارتكبت في حق الهنود الحمر، ويكفي أن نذكر أن (٤٤ مليون) قد قتلوا ونهبت أراضيهم وأملاكهم وذهبهم على أيدي المسيحيين في أمريكا [٣].

ولا يحسب القارئ أن موجات العنف والاضطهاد التي مورست باسم الصليب قد اقتصرت على الآخر المسلم أو اليهودي فقط؛ بل شملت حتى أتباع الدين المسيحي نفس، حيث مارست الكنيسة الاقصاء والعنف ضد كل من رفض القول بصلب المسيح، فعلى صعيد المصادر: رفضت الكنيسة كل الأناجيل التي لا تقول بالصلب، وعملت على إفنائها، ومنها مثلاً إنجيل برنابا، كما أقصت الكنيسة كل من رفض الصلب من علماء المسيحية أمثال: باسيليس الباحث الاسكندري؛ حيث اتُهم بالهرطقة، وحوربت كتبه وأقواله بعد نفيه قصة الصلب جملة وتفصيلاً، فكان يقول إن يسوع لم يصلب؛ وأما الذي صلب عنه فهو سمعان القيرواني حامل الصليب[٤].

---

(١) الحسيني، **الحروب الصليبية مواقف وتحديات**، ص١٣٥ ، زوبوروف، **بالسيف والصليب**، ص٩١
(٢) زوبوروف، **بالسيف والصليب**، ص٩٠
(٣) انظر: يكن، محمد أمير، **يهوذا الاسخريوطي على الصليب**، ط١، دار اقرأ، ١٩٩٠م، ص٢٥٩
(٤) بتصرف، البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد، ص٤٠٩-٤١٠

كما شمل الاضطهاد أيضاً من أنكر يوم الصلب ووقته، وتعد مسألة الخلاف حول تحديد يوم صلب المسيح سبباً رئيسياً في جميع الخلافات والانشقاقات التي حدثت بين الكنيستين الشرقية والغربية، نجم عنها فيما بعد حوادث التعصب والانفراد بالرأي وإقصاء الآخر واضطهاده، كما كانت السبب فيما تعرض له مسيحيو الشرق والقسطنطنية من وحشية وانتقام على أيدي الصليبيين إبان الحملات الصليبية[١].

مما سبق يظهر أن لعقيدة الصلب أثر واضح في تحديد نظرة المسيحية للآخر، حيث اعتبر خارج دائرة الخلاص؛ لأنه يعيش حالة انفصال دائم عن الله جعلته يسقط في أوحال الشرِّ والفساد؛ ولأن غاية الصلب كانت تخليص العالم من الشر كما يعتقد المسيحيون فقد كان لزاماً تخليصه من الأشرار، وهم أولئك الذين يعيشون حالة الانفصال الدائم عن الله بفعل رفضهم للإيمان بالمسيح مصلوباً، وبناءً على القول بالصلب عانى الآخر من الاضطهاد لأسباب عدة؛ فهناك من قتل واضطهد بحجة الانتقام للمسيح، ومنهم من قتل بحجة تخليصه و تحرير أرض الصليب .

---

(١) انظر: محمد، انمار، **اللاهوت المسيحي (نشأته وطبيعته)**، ص١٦٧

الفصل الثالث

الآخر في العقيدة الإسلامية ومصادرها

المبحث الأول

قيمة الإنسان في الإسلام

شغل الإنسان في الإسلام مكانة رفيعة حيث أُحيط بأنواع التكريم والتشريف كافة ، فلا يكاد جانب من جوانب حياته يخلو من السمو والرفعة منذ تكونه حتى موته وتحديد مصيره، وتعد هذه النظرة عامة وشاملة لكل الناس؛ لأن الإسلام لم يفرق بينهم بل اعتبرهم جميعاً من أصل واحد، ويخضعون لقاعدة العدل والمساواة؛ أما التفاضل بينهم فيعود إلى أفعالهم وأعمالهم ومدى اقترابها وابتعادها عن منظومة الاعتقاد والشرائع والأحكام التي أرسلها الله إليهم، والتي تحمل في طياتها أسمى مراتب العلو والسمو؛ فلم يخلق عبثاً، ولم يترك هملاً، ونظراً لاتساع موضوع الإنسان في الإسلام يمكن تقسيم الدراسة إلى مسألتين الأولى تتضمن الحديث عن قاعدة التكريم العام، والثانية عن غاية وجود الإنسان.

المطلب الأول: قاعدة التكريم العام للإنسان

تنطلق قاعدة التكريم العام في الإسلام من نظرة ثابتة للإنسان تحددها أصول الإسلام ومصادره حيث تعلن قيمة الإنسان وسموه على جميع المخلوقات الأخرى، يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء:٧٠].

ويؤكد الإسلام أن التكريم لا يقتصر على إنسان أو فئة بعينها؛ بل هو تكريم عام لكل إنسان كما أشارت الآية السابقة، انطلاقاً من مبدأ المساواة بين الناس جميعاً، الذي يُحتّمه أصل تكوينهم فأبوهم واحد هو آدم، وأمهم واحدة هي حواء يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣] ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١].

وبناءً على ذلك يقف الناس جميعاً في صف واحد أمام فرص الحياة، وأمام نعم الله والانتفاع بها، وأمام عبادة الخالق جل شأنه، ولا يكون التمايز بينهم للنسب أو الشرف أو الجنس أو اللون؛ وإنما يكون بمقدار وضوح كل إنسان في السعي، واستقامة طريقه في الحياة وتجنبه الضلال والانحراف في أفعاله وتصرفاته[١] وبهذا يكون كل إنسان مساوياً للآخر في الأصل والنشأة، والقيمة والاعتبار، والسعي والحركة، ومساوياً له في خصائص الإنسانية من التفكير، والتعبير، وتكوين الرأي والإعلان عنه، ويفترق الإنسان عن الآخر في إساءة استخدام خصائص الإنسانية، فهناك من يحسن استخدامها فيستقيم طريقه، وهناك من يسيء استخدامها فيضل طريقه[٢].

ويؤكد رسول الله ﷺ في خطبة الوداع على مساواة البشر جميعاً بالتفضيل والتكريم بناءً على وحدة اصلهم، حيث يقول " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**"[٣].

وقد دعا الإسلام إلى منع كل أشكال التمييز بين الشعوب والأمم، وجعل العبادة والعمل والإسهام في بناء الحضارة الإنسانية مقياساً للتفاضل؛ ولذلك قبل التعددية وتنوع الثقافات والاعتراف بالآخر بعد أن أقر له حقوقاً، وفرض عليه واجبات[٤].

وتعد قاعدة التكريم العام للإنسان غاية الإسلام؛ فرسالة الإسلام لا تقتصر على مجرد تحري أمور الإنسان والإحاطة بشئونه؛ بل إنها تعتني بكرامة الإنسان أولاً وقبل كل شيء "كرامته طفلاً وشاباً وشيخاً وهرماً، ذكراً أو أنثى، عبداً أو حراً، كرامته مؤمناً بالله مطيعاً لأحكامه أو كافراً وثائراً، فالكافر والمتمرد ينالان جزاءهما بلا تمثيل بهما ولا حقد عليهما؛ فالرسول ﷺ ينهي أتباعه عن أن يمثلوا بأعدائهم (...) في القتال فجثة الإنسان بعد موته كالإنسان نفسه في حياته جديرة بالتكريم والاحترام"[٥].

وقد عنيت الشريعة الإسلامية بكرامة الإنسان حيث حددت فيها أحكام عامة لسبل التعامل معه تحت مظلة التكريم الإنساني: "فجوهر التشريع الإسلامي (...) رعاية الإنسان وكرامته،

---

(١) بتصرف، البهي، محمد، **الإسلام في حياة المسلم**، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٥٠٩
(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص٥١٠
(٣) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ج٣٨، رقم الحديث: ٢٣٤٨٩، ص ٤٧٤
(٤) بتصرف، الشهابي، إبراهيم، **القرآن حرّر الإنسان**، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٥٠-٥١
(٥) رضوان، فتحي، **الإسلام والإنسان المعاصر**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٦

والإكبار من قدره، وتحاشي المساس به، أو الإساءة إليه أياً كان جنسه ودينه ولونه وبلده وسنّه وحظه من العلم والمال والسلطة والنفوذ"[(١)].

ومن هنا أقرّت الشريعة في الإسلام[(٢)] مبدأ التكافؤ في الحقوق والفرص ومقاصد الشريعة وضروراتها؛ فلم يكتف الإسلام بالنص على حقوق الإنسان وحسب؛ بل يشرح طريقة إقامة مجتمع طيب يستطيع كل إنسان أن يعيش فيه بدون أي اعتبار للونه أو عرقه أو دينه[(٣)] واعتبر أن مساواة الناس في الحقوق دون ميل أو نفور أو عواطف أمر تابع للمساواة بين الناس في القيمة الإنسانية[(٤)] يقول تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة:٨].

كما ينهى الإسلام عن تجاوز قاعدة التكريم والمساواة في الحقوق بسبب الأثرة ومحاباة القربى حيث يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء:١٣٥] ويقول تعالى أيضاً: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء:٥٨].

وقد طبق المسلمون تحت قيادة الرسول ﷺ وهو الأسوة الحسنة مبدأ التكريم العام للإنسان والمساواة في الحقوق والحريات. والتاريخ الإسلامي يفيض بشواهد دالة على ذلك:

---

(١) المصدرنفسه، ص٩

(٢) وأهملت قيمة الإنسان وكرامته في تاريخ الأديان، حيث فشت الطبقية، وكانت أساساً من أسس تنظيم المجتمعات وتطبيق الأحكام والشرائع والحقوق، وبناء عليها أسست النظرة إلى الإنسان والآخر والأمثلة على ذلك عديدة منها:

١. الهندوسية قسمت أتباعها إلى عدة طبقات (البراهمة، الكشترية، ...) وجعلت الحقوق تتفاوت بتفاوتها.
٢. البوذية ألغت الطبقات رداً على الهندوسية، ولكن ليس لكل الناس بل لأتباعها وجعلت الطبقية سوطاً يجلد به كل من يخالفها وجعلت كل البوذيين متحدين.
٣. بلاد فارس أوجدت ما يسمى الحق الإلهي المقدس، أي أن هناك دماً إلهياً يجري في عروق الفرس دون سائر البشر، لذلك نظرت للآخر باستعلاء وفوقية.
٤. اليهودية باركت أتباع يعقوب ولعنت أبناء أخيه الأكبر عيس، ثم فرقت بين البشر تحت خرافة النقاء العرقي، وسنت الأحكام بناءً على خرافة التفوق الذي اختص به اليهود عن باقي البشر.
٥. المسيحية جاءت لترد على اليهود وجشعهم وتعلقهم بالمادة، ولكن سرعان ما تحولت بفعل بولس ثم رجال الدين والكنيسة إلى طبقية مسرفة، كما عملت على عزل المجتمع عن الدين فأباحت الشهوات، وجعلت رجال الكنيسة في أرفع طبقة من البشر. انظر: شلبي، الإسلام، ص١٥٧

(٣) بتصرف، خان، محمد ظفر الله، **الإسلام والإنسان المعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص١٧٩

(٤) بتصرف، طبيشات، محمد الشيخ، **الإنسان في القرآن الكريم**، ط٢، ١٩٩٥م، ص١٤٥

فحينما دخل أعرابي وافد من البادية على رسول الله ﷺ، وارتعد من هيبة رسول الله ﷺ، خاطبه رسول الله قائلاً: "**هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**"[(١)].

كما ساوى ﷺ بين الناس في الأحكام والعقوبات، لأن الناس في الإسلام سواسية، وبين أن المساواة بين الناس عامل من عوامل بقاء الأمم، واستقرار أحوالها، وبلوغ مجدها، ففي حادثة سرقة فاطمة بنت الأسود المخزومية جاء أسامة بن زيد يشفع لها فأنكر رسول الله شفاعته لها، وقال لمن حوله: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**"[(٢)].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُنصف رجلاً قبطياً من أهل مصر ضربه ابن أميرها عمرو بن العاص فيساوي عمر بين القبطي وابن الأمير عندما أمر القبطي أن يضرب ابن عمرو بن العاص ولا يكتفي بذلك بل يأمره بضرب الأمير نفسه فقال له القبطي: إنما ضربت من ضربني، فيرد عليه عمر بن الخطاب: إضربه فما ضربك إلا بجاه أبيه. ثم قال قولته المشهورة: يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[(٣)].

ولحرص الإسلام منذ ظهوره على مبدأ المساواة في الكرامة الإنسانية فقد عمد إلى إلغاء الرقّ، وساوى بين العبيد والأحرار، وسعى إلى إقرار الحقوق لهم، والاستعانة بهم، والرفع من شأنهم وقدرهم، ولا يعطي الإسلام العبد مجرد المساواة في الإنسانية بل يؤهله لمركز القيادة ما دام يطبق شريعة الله.

ولذلك نجد أن رسول الله يزوج مولاه زيد بن حارثة بابنة عمه زينب[(٤)]، كما يوليه قيادة جيش المسلمين ضد الروم في موقعة مؤتة[(٥)]، وكذلك يولي أسامة بن زيد قيادة جيش المسلمين

---

(١) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، ج٢، رقم الحديث: ٣٣١٢، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية، ص ١١٠١

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، **صحيح البخاري**، ط١، ج٨، رقم الحديث: ٦٧٨٨، (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ، ص١٦٠

(٣) المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط٥،ج١٢، رقم: ٣٦٠٠٩، (تحقيق بكري حياني وصفوة السقا)، مؤسسة الرسالة،١٩٨١م، ص٦٦٠

(٤) انظر: ابن إسحاق، محمد (ت١٥١هـ)، **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، ط١، (تحقيق سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٦٢

(٥) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٤، ص١٣

وفي الجيش عظماء المسلمين وشيوخهم[١]، كما يقرر الرسول الكريم حماية العبيد وصون حقوقهم يقول الرسول ﷺ: " **مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلْنَاهُ، وَمَنْ جَدَعَ عَبْدَهُ جَدَعْنَاهُ**"[٢].

ومظاهر التكريم في الإسلام متعددة يتجلى من خلالها عناية الإسلام بمكانة الإنسان وبيان قدره في الحياة، وتعد قضية خلق الإنسان أبرزها وأهمها.

المطلب الثاني: وجوه التكريم في خلق الإنسان

يؤكد الإسلام أن مسألة خلق الإنسان تعد أهم مظاهر التكريم وأجلّها؛ فبها تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات؛ لذلك استحق علو المكانة في الملأ الأعلى، وعلى هذه الأرض أيضاً. ويذكر القرآن مسألة الخلق في مواطن عدة منها قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين:٤] وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار:٦-٨] وقوله أيضاً: ﴿**... وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ...**﴾ [غافر:٦٤] وبناءً على أصل الخلقة وتساوي البشر بها التزم الإسلام مبادئ العدل والمساواة والحرية، وإقرار الحقوق، واحترام الآخر، وقبوله، يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في كتابه إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر "إنهم (الناس) صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق"[٣].

وترتبط قضية خلق الإنسان بعلو مكانته وقدره في الإسلام، فالله تعالى خلق الإنسان من عنصرين مختلفين متناقضين بهما كان تميز الإنسان وتفرده وهما:

- الطين يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ [المؤمنون:١٢].
- الروح يقول تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر:٢٨-٢٩].

وقد كانت نظرة الإسلام للإنسان تنسجم بوضوح مع عناصر خلقه، حيث أقر الإنسان بكل خصائصه المادية والروحية، وعمد إلى إيجاد التوازن بينها، ولم ينكر أحدهما، ومنع

(١) انظر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، **المغازي**، ط٣، ج٣ (تحقيق مارسدن جونس)، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩، ص ١١١٧

(٢) احمد بن حنبل، **مسند أحمد**، مسند البصريين، ومن حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج٣٣، رقم الحديث: ٢٠١٠٤، ص٢٩٦

(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ)، **شرح نهج البلاغة**، ج١٧ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص ٣٢

الاهتمام بأحدهما وترك الآخر كأن يبخس حق الجسد ليوفي حقوق الروح، أو أن يبخس الروح ليوفى حقوق الجسد[١]، والله تعالى خلق الإنسان "جسماً كثيفاً، وروحاً شفافةً، جسماً يشده إلى الأرض، وروحاً يتطلعُ إلى السماء، جسماً له دوافعه وشهواته، وروحاً له آفاقه وتطلعاته، جسماً له مطالب أشبه بمطالب الحيوان، وروحاً له أشواق كأشواق الملائكة، فلم تغفل عقيدة الإسلام الروح من أجل الطين، ولم تغفل الطين من أجل الروح بل زاوجت بينهما في وحدة متسقة ملتئمة وأعطت الروح حقه، والجسد حقه في غير إفراط ولا تفريط"[٢].

وبذلك يكون الإسلام قد سما بالإنسان "فاعترف به كله روحه وجسده، وعقله وقلبه، إرادته ووجدانه، وغرائزه الهابطة وأشواقه الصاعدة، ولم يضع في عنقه غلاً ولا في رجله قيداً، ولم يحرم عليه طيباً، ولم يغلق في وجهه باباً"[٣]، أي أن الإسلام بتعاليمه وشرائعه ساعد الإنسان ليسمو ويرتقي بما عنده من خصائص جسدية وروحية ونوازع فطرية وشهوات، وغير ذلك.

ويعد اهتمام الإسلام واعترافه بما كرم الله به الإنسان من عقل يستطيع من خلاله الحكم على الأمور وفق ميزان الشرع وما يتضمنه تكوينه من تزاوج بين المادة وخصائصها والروح، وضبط العلاقة بينهما أهم الاسباب التي جعلت الإسلام يقرُ حقوق الإنسان منذ سالف الأزمان، ولم يقتصر تفرد الإنسان وتميزه في خلقه على ذلك فقط بل كرمه الله تعالى عندما منحه إرادة مستقلة وقدرة كاملة على الاختيار لما يصلح حاله وذلك بعد أن بعث إليه بعقيدة وشريعة تنظمان حياته وتوفانر له سبل الأمان والنجاة حتى يحقق هدفه المنشور.

وبناءً على ذلك التكريم الذي منحه الله للإنسان، الذي يتمثل في منحه حرية الإرادة يتحدد للإنسان مصيره ومآله، كما تظهر الإرادة تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات فهي " الفارق الحاسم بين الإنسان والحيوان، وهي مناط المسئولية ومحور الارتكاز في النظام الإسلامي كله؛ الحيوان فقط هو الذي لا يضبط نوازعه ولا يملك أن يضبطها إلا قسراً؛ أما الإنسان – وتلك مزيته التي كرمه الله بها – فقادرعلى ضبط نفسه عن طريق الإرادة المتحكمة في مشاعره وأعماله، (...) وهذه النظرة من جانب الإنسان ليست تحكماً، ولا تكليفاً للبشر بما ليس في طاقتهم، فمن المستحيل عملياً أن ترتقي الإنسانية، وتحقق أهدافها العليا إذا هي ظلت مستعبدة لشهواتها، كلما دعتها استجابت لها واندفعت معها"[٤].

---

(١) بتصرف، العقاد، **الإنسان في القرآن الكريم**، دار الهلال، مصر، ص٢٦-٢٧
(٢) القرضاوي، **الإيمان والحياة**، ص٩٧، وانظر: عبود، عبد الغني، **الإنسان في الإسلام**، ص١٣٢
(٣) القرضاوي، يوسف، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام**، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٩
(٤) قطب، محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام** ، ص١١٤

وبناءً على ما منح للإنسان من إرادة فقد أصبح مسؤولاً عن كل أفعاله وأقواله ومحاسباً عليها، وفي ذلك دافع لفعل الخير والتزام أوامر الله، واجتناب نواهيه، والابتعاد عن الشرور والمفاسد والآثام، وتقرر مسؤولية الإنسان عن أفعاله وأقواله، وبراءته من أفعال غيره حتى ولو كانوا أقرب الناس إليه؛ فالكل محاسب على ما قدم وأسلف، وتؤكد النصوص القرآنية مسؤولية الإنسان عن عمله وكسبه يقول تعالى: ﴿ **وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء:١٢-١٤] ويقول تعالى أيضاً ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا**﴾ [لقمان:٣٣]، وبذلك ينفي الإسلام مسألة **وراثة الذنب** أو وراثة الخطيئة التي تؤمن بها المسيحية، كما يؤكد أيضاً على عدم وجود خطيئة يتوارثها الإنسان عن أبيه آدم، ولا يعني ذلك إنكار الإسلام وقوع آدم عليه السلام في الذنب والمعصية بعد أن أغواه الشيطان، بل يعترف الإسلام بذلك، ولكنه يؤكد خلاص آدم من ذنبه بعد أن توجه إلى الله بالتوبة والمغفرة فتقبل الله ذلك منه قال تعالى: ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾ [طه:١٢١-١٢٢] وهذا يعني أن ذنب آدم لا يتحمله سواه، وقد كانت نهايته باستغفاره وتوبته إلى الله(١) يقول تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:٣٧].

ويبين القرآن صراحة بطلان مبدأ وراثة الذنب، يقول تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۞ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۞ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾ [النجم:٣٦-٤١].

وبذلك يكون الإنسان مكرماً، يقرر مصير نفسه من خلال ما يصدر عنه من أعمال وأقوال، ولا علاقة له بغيره من الناس، فهو سيد مصيره؛ فإما أن يعزز هذه الكرامة بتقواه وأعماله الصالحة، وإما أن يُهين نفسه وينحدر بها بسلوكه الشائن وأعماله الشريرة(٢).

وإن حدث ووقع الإنسان في ذنب أو معصية ما، فإن الإسلام أيضاً يبقيه في دائرة التكريم والسمو حينما يأمره بأن يتوجه إلى الله بالتوبة والمغفرة دون وساطة من أحد لأن "التوبة صك غفران ولكن يتلقاه المرء من الله لا من يد إنسان من الناس، فلا يتخاضع لغير الله، ولا يمد

---

(١) انظر: السقار، **هل افتدانا المسيح على الصليب**، ص١٤٥-١٤٩
(٢) بتصرف، يكن، **يهوذا الاسخريوطي على الصليب**، ص٢٦٣

يده إلا إلى الله، وفي ذلك ما فيه من تكريم للإنسان ورفع لمنزلته، وصيانة لحيائه أن يُخدش على كرسي الاعتراف، وحفظٌ لسره أن يفشى إذا القى به إلى إنسان من الناس"[(١)].

وتبلغ التوبة بالإنسان إلى غاية التكريم حينما جعلت حقاً لكل البشر، وليس لفئة أو أشخاص بعينهم؛ فأي إنسان مهما كانت حاله وسلوكه ما عليه إلا أن يوجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض، ويبسط يديه إليه طالباً العفو والمغفرة عازماً ألا يعود إلى الإثم، وهذا ليس كشأن صكوك الغفران في المسيحية التي يمنحها رجال الدين؛ فهي صادرة من إنسان إلى إنسان، وذلك غاية الامتهان والذلة، فقد يكون من أخذ الصك خير عند الله ممن أعطاه[(٢)].

كما أن حق الحرمان أو الغفران لا يمكن أن يكون في يد أحد من الناس؛ لأن الناس في الإسلام متساوون أمام الله، وليس لأي أحد أن يدخل أحداً في رحمة الله ؛لأن ذلك مقصور على الله تعالى وحده، فهو الذي خلق الإنسان، وهو الذي يدينه أو يعفو عنه أو يرحمه أو يعذبه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٨][(٣)].

المطلب الثالث: غاية الإنسان ووظيفته في الحياة

تظهر قيمة الإنسان في الإسلام من خلال مسألة الغاية التي خلق الإنسان من أجلها والوظيفة المناطة له في هذه الحياة؛ فالله تعالى لم يخلقه عبثاً ودون فائدة، وهذا من أعلى مظاهر العناية والتكريم؛ فلأن الإنسان عندما يشعر بأنه صاحب رسالة وهدف يحس بأهمية وجوده وحياته، فتسمو نفسه وترتقي روحه، يقول تعالى : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون:١١٥].

يعلق الراغب الاصفهاني على تكريم الإنسان وسمو مكانته بما أسند إليه من مهام ووظائف، حيث يقول: "الإنسان من حيث هو إنسان كل واحد كالآخر كما قيل: فالأرض من تربة والناس من رجل، وإنما تشرّف بأن يوجد كاملاً في المعنى الذي وجد لأجله، فالفعل المختص بالإنسان ثلاثة:

- عمارة الأرض، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾ [هود:٦١].

---

(١) الخطيب، عبد الكريم، **الله والإنسان**، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٤٤٣

(٢) بتصرف بسيط، الخطيب، **الله الإنسان**، ص٤٤٣-٤٤٤

(٣) بتصرف، المصدر نفسه، ص٤٠٢-٤٠٣

- عبادة الله، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦].
- الخلافة، المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:١٢٩] (١).

ثم يضيف على ما ذكره مزيداً من الإيضاح والشرح من خلال طرح الأمثلة فيقول: "وكل ما أوجد لفعل ما فشرفه بتمام وجود ذلك الفعل منه، ودناءته بفقدان ذلك الفعل منه؛ كالفرس للعدو، والسيف للقطع والعمل المختص به في القتال، ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي أوجد لأجله كان ناقصًا، فإما أن يطرح طرحًا، وإمَّا يرد إلى منزلة النوع الذي هو دونه، كالفرس إذا لم يصلح للعدو في الكر والفر اتخذ حمولة أو أعد أكولة، والسيف إذا لم يصلح للقطع اتخذ منشارًا فمن لم يصلح لخلافة اللَّه تعالى، ولا لعبادته، ولا لعمارة أرضه فالبهيمة خير منه" (٢)، ولذلك قال تعالى في ذم الذين فقدوا هذه الفضيلة: ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف:١٧٩].

وهذا يعني أن مسألة الغاية من خلق الإنسان ووجوده أهم الركائز التي توضح قدر الإنسان، وقد وصفها الأصفهاني في عدة نقاط. ولا شك أن عبادة الله تعالى تعد أجلّ مهام الإنسان وأرفعها فبها يحقق الإنسان جميع أعماله وما أنيط إليه من مهام، يقول تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] ومن هنا جاءت دعوة الإسلام عالمية لكل الناس وخاتمة لما قبلها من الرسالات؛ فجوهرها الدعوة إلى عبادة الله تعالى، وتحرير الإنسان من العبودية لسواه؛ أياً كان جنسه أو لونه أو لغته، يقول سيد قطب في ظلال القرآن: "إن هذا الدين ليس إعلانا لتحرير الإنسان العربي! وليس رسالة خاصة بالعرب! .. إن موضوعه هو الإنسان .. نوع الإنسان .. ومجاله هو الأرض .. كل الأرض. إن الله- سبحانه- ليس ربا للعرب وحدهم ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم.. إن الله هو (رب العالمين)(٣).

وفي إقرار الإسلام وإعلانه الدعوة العالمية إلى عبادة الله تعالى وحده، وأنه رب العالمين جميعاً رفعة للإنسان وعلو لشأنه؛ فتبعاً لذلك ليس لقوم أو جنس أن يمتلكوا الحق في

---

(١) بتصرف، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي)، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧ م، ص٨٢-٨٣

(٢) المصدر نفسه، ص٨٣

(٣) سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) **في ظلال القرآن**، ط١٧، ج٣، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ، ص١٤٣٤

استعباد غيرهم بدعوى حق إلهي مزعوم، وأنهم الصفوة المختارة من خلق الله[١]، كما هو الحال في اليهودية التي خصت الإله باليهود وحدهم؛ وليس هذا فقط بل جهدت في الحط من قدر الإنسان من خارج العرق اليهودي عندما أعلنت أن الإله يهوه رب اليهود وحدهم، ولذلك هم شعب الله المختار، وأنه يعمل ويقتل لأجلهم، ويمنع غيرهم من الدخول في دينهم، كما أنه شديد الغيرة عليهم، وشديد الغضب لأجلهم، فهو يبيح لأتباعه أن يقتلوا ما عداهم من الناس، وأن يسرقوهم و ينهبوا خيراتهم وأوطانهم، وأن يستعبدونهم ما دام أنهم في نظره ما خلقوا إلا لخدمة شعبه المختار وصفوته المقدسة.

وربما تظهر هذه النقطة سبباً هاماً من أسباب عدم قبول الآخر في اليهودية والنظرة إليه باحتقار وازدراء في مقابل نظرة الإسلام إليه؛ فعقيدة الإسلام التي تقر بوجود إله خالق للناس جميعاً غير مختص بفئة، وشعب تحتم قبول الآخر والنظرة إليه بوقار واحترام ويؤكد ذلك منهج القرآن الكريم في الخطاب حيث يوجه خطابه إلى الناس جميعاً وأداة الخطاب المتمثلة بـــ **(يا أيها الناس)** تتخلل عدداً من آياته فقد بلغ عدد مرات استعمال هذا الخطاب في القرآن الكريم نحو ثمان وعشرين مرة كما ورد فيه لفظ الناس مائتين وتسعاً وأربعين مرة[٢].

"ولقد قرر المفسرون أن كل نص قرآني ابتدأ النداء فيه يا أيها الناس يكون الخطاب فيه للناس جميعاً غير مختص بقبيل دون قبيل؛ لأن العنوان فيه للإنسانية كلها، فكل من يتصف بها داخل في الخطاب"[٣].

ويسمو الإسلام بالإنسان عندما يدعوه إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد، ويحرره من العبودية للتقاليد المتوارثة، أو هيمنة مجموعة من الناس، ويجعله مسؤولاً مكلفاً؛ فيتوخى بذلك الخير طمعاً في الثواب، وتجنب الشر خوفاً من العقاب أمام الله تعالى، وفي القرآن الكريم شواهد عدة تؤكد تكريم الإنسان بعبادته لإله واحد. منها قوله تعالى:﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٢٩] ويبين ذلك الزمخشري أن"المراد: تمثيل حال من يثبت آلهة شتى، وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا، كما قال تعالى: ﴿**وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدرى أيهم يعبد؟ وعلى ربوبية أيهم يعتمد؟ وممن يطلب رزقه؟ وممن يلتمس رفقه؟ فهمه شعاع، وقلبه أوزاع، وحال من لم يثبت إلا إلها

---

(١) بتصرف، الطبيشات، **الإنسان في القرآن**، ص١٤٦

(٢) بتصرف، رضوان، فتحي، **الإسلام والإنسان المعاصر**، ص١٣-١٤

(٣) طعيمة، صابر، **الإسلام يقيناً لا تلقيناً** ، ط٢، الجيل، بيرت، ١٩٨٥م، ص١٨٤

واحدا، فهو قائم بما كلفه، عارف بما أرضاه وما أسخطه، متفضل عليه في عاجله، مؤمل للثواب في آجله"[١].

ويعلق العقاد على العلاقة بين سمو الإنسان ورفعته وإيمانه بإله واحد قائلاً : إن الإنسان في الإسلام يستمد قيمته من عقيدة صرفة صلبة وصارمة، وهي الإيمان برب واحد وإله واحد مستحق للعبادة والتقديس؛ فالعالم الإنساني كلمة غير مفهومة عند من يدين برب غير رب العالمين، وقيم الأخلاق التي تحترم الإنسان وترفع قدره بتنظيم علاقته بغيره كيلٌ جُزاف حين تنقطع الأسباب بين الحسنات والسيئات، وبين الثواب والعقاب، وإن الإنسانية الجامعة شيء لا وجود له قبل أن يوجد الإنسان المسئول؛ وإنما توجد الإنسانية الواحدة ويتساوى الإنسان والإنسان مع الإله الواحد الأحد، رب الناس ورب العالمين أجمعين، ولا قيمة للإنسان دون الإيمان بإله واحد أفضلهم عنده أتقاهم وأصلحهم وأسبقهم للخيرات [٢].

ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا أعرابياً أمياً مثل ربعي بن عامر حين أضاء قلبه الإيمان بإله واحد يقف أمام رستم قائد الفرس في سلطانه، غير مكترث له، ولا عابئ بما عنده من خدم وحشم، وما يتوهج به من فضة وذهب، مجيباً رستم عندما سأله من أنتم؟ فقال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العبادة إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[٣].

وتظهر قيمة الإنسان ورفعته أيضاً في غاية أخرى وهي الاستخلاف في الأرض وأداء الأمانة التي كلف بها.

ومما يجدر التأكيد عليه أن تحقق الاستخلاف في الأرض لا يكون إلا بعدد من الأمور:

١. التحرر من العبودية لغير الله تعالى.
٢. الاستعداد الخُلُقي .
٣. تسخير الكون.

أما النقطة الاولى فقد تم بحثها سابقاً، وهي تركز على أن مهمة الاستخلاف تنطلق أساساً من قاعدة راسخة أوضحها القرآن الكريم هي الكرامة الإنسانية، وهذه الكرامة لا يمكن أن

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ، ج٤، ص١٢٦
(٢) بتصرف بسيط، العقاد، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص٥٤
(٣) بتصرف، الطبري، **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٥١٩-٥٢٠

تتحقق للإنسان ما لم ينبذ كل صور العبودية، وأن يشهد بأن لا إله الله. وهي تعني أن لا معبود بحق إلا الله تعالى، فمهمة الاستخلاف تكريم وتكليف(١).

أما مسألة الاستعداد الخلقي، فإن دور الإنسان في الكون ومهمته في الاستخلاف وحمل الامانة وإعمار الأرض يلزم منه أن يكون خُلق الإنسان متميزاً فائقاً، لذلك اتصف بالجمال في جسده، والكمال في عقله، وكان التسامي قوة كامنة في روحه(٢). وقد تميز الإنسان منذ بداية وجوده في مسألة خلقه حيث نفخ فيه الله من روحه، وسوّاه بيده وعلمه مالم يعلّمه أفضل مخلوقاته الذين لا يسبقونه بالقول ولا يعصون له امراً(٣).

يقول البوطي في كتابه (كبرى اليقينيات الكونية): إن المعنيّ بالخلافة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة:٣٠] هو الإنسان، وأن يوكل عمارة الكون وتنظيمه، باعتباره سيداً لهذا الكون؛ إذ جعل كل ما فيه مسخراً لخدمته؛ لذلك جهّز هذا المخلوق بمجموعة من الملكات والصفات لا بد منها لتتكامل لديه القدرة على إدارة أمر الكون وتعميره واستخدامه (٤).

ولذلك زوّد الله الإنسان بالأدوات التي جعلته مستعداً لأداء هذه المهمة العظيمة من خلال تزويده بالعقل القادر على التحليل والتركيب والتمييز والاستنتاج، واتخاذ القرار، وزوده بالحواس التي تتفاعل مع المحيط والبيئة التي يوجد فيها وتولد له المشاعر والاستجابات النفسية، فغدا الإنسان بهذه الأدوات قادراً على اكتساب المعرفة وتمييز الخبيث من الطيب والصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والخير من الشر(٥).

كما يتحقق الاستخلاف بتسخير ما في الكون جميعاً لخدمة الإنسان ومساعدته على أداء مهمته وبذلك يتجلى قدر الإنسان ومكانته، فالكون كله بسماواته وأرضه خلق لغاية معينة ليكون الإنسان مستخلفاً فيه، ومسؤولاً ومكلفاً يقول تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ [لقمان:٢٠]، وبذلك يكون مركز الإنسان في الكون مركز السيد المتصرف الذي سخر كل ما في هذا العالم لنفعه. وصلاح أمره يقول تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي**

---

(١) انظر: طبيشات، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص٣٤-٣٥
(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٥
(٣) بتصرف، رضوان، **الإسلام المعاصر**، ص١٥٩
(٤) بتصرف، البوطي، محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات: وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٧م، ص٦٥
(٥) بتصرف، الشهابي، **القرآن حرّر الإنسان**، ص١٢-١٣ ، انظر: رضوان، الإنسان في الإسلام، ص١٥٣-١٥٤

الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤] وقد تحدث ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) عن قيمة الإنسان في الإسلام، وما خصه الله تعالى من تميز في خلقه، وتسخير كل ما خلقه لأجله، وبين أن ما تحويه الدنيا والآخرة من أحداث إنما ترتكز على الإنسان وأعماله وأفعاله، فيقول: "فإعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرّمه وفضّله وشرّفه، وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له، وخصّه من معرفته ومحبته، وقربه، وأكرامه، بما لم يعطه غيره، وسخر له ما في سماواته وأرضه، وما بينهما، حتى ملائكته الذين هم أهل قربه استخدمهم له، وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته، وظعنه وإقامته، وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسله وأرسل إليه، وخاطبه وكلّمه منه إليه، واتخذ منهم الخليل والكليم والأولياء والخواص والأحبار، وجعلهم معدن أسراره، ومحل حكمته وموضع حبه، وخلق لهم الجنة والنار، فالخلق والأمر، والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني، فإنه خلاصة الخلق، وهو المقصود بالأمر والنهي، وعليه الثواب والعقاب. فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات، وقد خلق أباه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلّمه أسماء كل شيء، وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات، وطرد إبليس عن قربه، وأبعده عن بابه، إذ لم يسجد له مع الساجدين، واتخذه عدواً له"[(١)].

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط٣، ج١، (تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢٢٧

المبحث الثاني

العقائد الإسلامية والآخر

تشتمل العقيدة الإسلامية على مجموعة من الأركان الواضحة و المحددة وهي: الإيمان بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد ورد ذكر هذه الأركان في مواضع عدة من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة:١٧٧] كما وردت في حديث عمر بن الخطاب ﷺ عند سؤال جبريل عن الإيمان فأجابه رسول الله ﷺ: "**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** "[١] ويعد الإيمان بالله أهم هذه الأركان؛ لأنه أساس الدين كله "فما من تكليف عقدي أو شرعي إلا وهو قائم عليه ومستند إليه؛ ولذلك فإنه على قدر ما يكون بيّناً في الأذهان مكيناً في النفوس يكون ما يقوم عليه من التكليف التصديقي والسلوكي قوياً في التحمل والأداء مفضياً إلى تحقق الغاية من الدين وهي صلاح الإنسانية في الدنيا والآخرة"[٢].

.

ولأن جميع العقائد في الإسلام ترتكز على توحيد الله تعالى والإيمان به فسيقتصر هذا الجزء من الدراسة على عقيدة التوحيد، والإيمان بالكتب والأنبياء والرسل، واليوم الآخر لارتباطها بموضوع الآخر، والنظرة إليه في الإسلام، فالإيمان بالعقائد الإسلامية له أثر واضح في نظرة المسلم للآخر؛ إذ يعد الاعتراف به من ضرورات الإيمان ومتطلباته. وهذا ما سيتضح لاحقاً – إن شاء الله –.

المطلب الأول: عقيدة التوحيد في الإسلام وموقفها من الآخر

يمكن مناقشة موقف عقيدة التوحيد من الآخر، وأثرها في صياغة النظرة إليه في الإسلام من خلال ثلاثة محاور، وقد جاءت على النحو الآتي:

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، ج١، رقم: ٨، ص٣٦

(٢) النجار، عبد المجيد، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٧م، ص٥

أولاً: دعوة التوحيد وأثرها على الآخر

يعد التوحيد القاعدة الأولى في الإسلام التي يجب أن يؤمن بها قلب المسلم وينطق بها لسانه بقوله: "اشهد أن لا إله إلا الله"(١)، " فكلمة الله هو العَلَم الذي يطلق على الخالق وكلمة "الإله" استعملت للدلالة على المعبود أياً كان، فكلمة "لاإله" نفي لكل معبود في الوجود، وإبطال لعبادته، وكلمة "إلا الله" إثبات لعبادة المعبود بحق وهو الله سبحانه. فشهادة المؤمن "لا إله إلا الله" هي اعترافه بلسانه مع اعتقاده بقلبه عن علم ويقين أن لا معبود إلا الله، والشهادة بهذا هي الشهادة بوجود الله وبوحدانيته"(٢).

وللتوحيد أهمية بالغة إذ يعد أساس الدين والركيزة لما بعده من حقائق، سواء ما كان منها عقدياً يطلب تحمله بالتصديق القلبي، أو ما كان شرعياً يطلب تحمله بالعمل السلوكي، وإذا ناقضه الجحود، أو خالطه الشك انهدم ما بعده من تلك الحقائق، ولم يعد الإيمان بها أو العمل بحسبها يساوي شيئاً في ميزان الدين(٣).

ولذلك كان الخطاب بالتوحيد وما يتضمنه من أمور موجهاً للناس كافة على اختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم؛ لأن الله تعالى رب الناس جميعاً ولا إله سواه، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة:٢٢] ويقول تعالى أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ**﴾ [النساء:١٧٠] وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا**﴾ [النساء:١٧٤].

وإذا كان الخطاب القرآني بالتوحيد موجه للناس كافة، فهذا يعني أن الآخر في الإسلام **شريك في دعوة التوحيد** وما تحمله من مضامين؛ لأن الخطاب موجهاً إليه أيضاً، وهذا يقضي بأن الإسلام وما يتضمنه من عقائد أهمها التوحيد لم يتجاهل وجود الآخر؛ بل نجده يعترف بوجوده، ويهتم لأمره، ولذلك كانت الدعوة إلى هدايته وتخليصه من مظاهر الشرك دأب الإسلام وديدنه، ويمكن القول إن هذا ما تميز به الإسلام عما سبقه من الرسالات.

فعلى الرغم من أن دعوة التوحيد كانت جوهر دعوة الرسل جميعاً؛ إلا أنها في الإسلام تميزت بعالميتها؛ حيث كانت دعوة موجهة للبشرية جمعاء، فالأديان السابقة كانت مخصوصة

---

(١) بتصرف، طبارة، **روح الدين الإسلام**، ص٩٣

(٢) المصدر نفسه، ص٩٣

(٣) بتصرف، النجار، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ص٢٩

بأقوام معينة، وذوات أجل تنتهي بانتهائه، ليبعث بعد ذلك نبي آخر يصلح ما فسد ويقوم ما اعوجّ[١].

وعلى هذا كان خطاب التوحيد في الرسالات السابقة مخصوصاً بقوم معينين وفئة معينة، وبعد ذهاب الرسل تم تحريف مضمونه (التوحيد) من قبل أصحاب المصالح والأهواء، بعد أن جعلوا من اختصاصهم بالتوحيد وسيلة للتسلط على الآخر واستعباده، يقول أحمد عبد الغفور عطار موضحاً ذلك: "كان التوحيد في السابق خاصاً بشعب، فلما تسلّم الأمر بعد موت الرسل الحكام والكهّان الموحدون كانوا يقصرون توحيدهم على أنفسهم وشعوبهم، فإذا غلبوا أمة فرضوا عليها نظامهم الديني والسياسي والاجتماعي فرض تسلط واستكبار وسيادة مطلقة، لا فرض تقويم وهداية ومساواة؛ فالخضوع من الأمة المغلوبة ليس خضوعاً للتوحيد؛ ولكنه خضوع للغالب الذي يزعم التوحيد، ولا وحدة في الحقوق والواجبات، ولا مساواة في الأخذ والعطاء، سواء أكانا من الدين أم من الدنيا، فالغالب يسلب حقوق المغلوب وحريته ليقيده بأمره وينتزع منه حقوقه"[٢].

والشواهد التاريخية تثبت ذلك؛ فاليهودية والمسيحية التي تؤكد سيرها على عقيدة التوحيد على الرغم من أن مضمون عقائدها يثبت عكس ذلك قد استخدمت معتقداتها وسيلة لإيذاء الآخر وقمعه وسلب حقوقه، فما فعله اليهود طوال تاريخهم مع الآخر من قتل وتدمير وتشريد واغتصاب للأرض نابع من اعتقادهم بعلو شأنهم واختيار الله لهم، واختصاصهم به ولربما تعد أفعالهم في فلسطين منذ اقتحامها حتى الآن خير شاهد على ذلك، وكذلك ما فعلته المسيحية في الأندلس وغيرها من مذابح ومجازر ما كانت إلا لفرض ما يؤمنون به من معتقدات، وإجبار الآخر على اعتناق دينهم إذلالاً له، وليس رغبة في هدايته ومساواته بأنفسهم.

أما عقيدة التوحيد في الإسلام فغير ذلك؛ لأن الله تعالى تكفلها بالحفظ ومقصودها الهداية والإرشاد لجميع الناس، فإذا أسلم الآخر يتساوى في حقوقه مع المسلم، وإذا آثر البقاء على دينه فهو حر في ذلك على أن يعطي جزية لقاء حمايته، وهي مبلغ بسيط لا يرهق كاهلاً فإذا عجز عن الدفع تكفّل بيت مال المسلمين بذلك[٣].

ولم يهمل الإسلام دعوة الرسالات السابقة إلى التوحيد بل هو دائم التذكير بها والتنبيه عليها كما جعلها وسيلة لجذب الآخر والوصول معه إلى أرضية مشتركة يمكن الاتفاق عليها يقول تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا**

---

(١) بتصرف، عطار، أحمد عبد الغفور، **الديانات والعقائد**، ط١، ج٤، مكة المكرمة، ١٩٨١م، ص١٥٧
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٥٨
(٣) بتصرف، عطار، **الديانات والعقائد**، ص١٥٩

بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، ويقول تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:٦٤].

يقول الأستاذ محمد عبده: "المعنى أننا نحن وإياكم على اعتقاد أن العالم من صنع إله واحد، والتصرف فيه لإله وحد، وهو خالقه ومدبره، وهو الذي يعرفنا على ألسنة أنبيائه ما يرضيه من العمل وما لا يرضيه، فتعالوا بنا نتفق على إقامة هذه الأصول المتفق عليها، ورفض الشبهات التي تعرض لها، حتى إذا سلمنا أن فيما جاءكم من نبأ المسيح شيئاً فيه لفظ ابن الله خرجناه جميعاً على وجه لا ينقض الأصل الثابت العام الذي اتفق عليه الأنبياء، فإن سلمنا أن المسيح قال إنه ابن الله، قلنا: هل فسر هذا القول بأنه إله يعبد؟ وهل دعا إلى عبادته وعبادة أمه، أم كان يدعو إلى عبادة الله وحده، لا شك أنكم متفقون معنا على أنه كان يدعو إلى عبادة الله وحده، والإخلاص له بالتصريح الذي لا يقبل التأويل"[(١)].

ولأن خطاب التوحيد في الإسلام جاء للناس كافة، فقد اتخذ الإسلام في الدعوة إليه طريق الحكمة؛ حيث خاطب عقل الإنسان وأمره بالتفكر والتدبر؛ حتى يظهر له عن طريق فطرته الإنسانية أن الشرك باطل، وأن الحق هو التوحيد[(٢)] يقول تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم:٣٠]

من هنا يظهر أن شمول الآخر بدعوة التوحيد في الإسلام كان من باب الرحمة به، وتحقيق الخير له، وتحريره من العبودية لغير الله؛ ليتم بذلك صلاح أمره مع التأكيد على أن دعوة الآخر إلى التوحيد لم تكن دعوة تسلط وإجبار؛ إنما دعوة هداية واختيار، وهذا يفسر حرص الإسلام على مخاطبة الآخر ودعوته ومجادلته بالحسنى، يقول تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل:١٢٥] ويقول تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [العنكبوت:٤٦].

يلحظ من الآيات السابقة أن القرآن الكريم يوجه أتباعه إلى المنهج الأحسن في دعوة الآخر، وليس المنهج الحسن، يقول: ابن كثير وجادلهم بالتي هي أحسن أي ليكن جدالهم بالوجه

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، ج٣ ، ص٢٦٨

(٢) بتصرف، الحسيني، أبو النصر بشر الطرازي، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م، ص٨

الحسن برفق ولين وحسن خطاب من غير غلظة ولا تعنيف كما أمر تعالى موسى وهارون عليهما السلام حيث بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه:٤٤][(١)]، ويقول صاحب تفسير البحر المديد: "التي هي أحسن أي ألطف وأرفق؛ وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح بأن تدعوه إلى الله برفق ولين، وتبين له الحجج والآيات من غير مغالبة ولا قهر"[(٢)].

ثانياً: مضمون التوحيد وأثره على الآخر

يتضمن التوحيد الإيمان بوجود الله تعالى الواحد الأحد والإقرار بصفاته، وأنه الخالق لهذه الكون ومالكه وحاكمه ومسيّره، وبأن الكون قائم بإمساكه إياه وسائر بتسييره، وهو الذي يؤتي كل شيء فيه ما يضطر إليه من الرزق أو القوت لبقائه، وأنه تعالى متسم بجميع صفات الحاكمية والألوهية ولا يشاركه أحد في جميع صفاته، وبأنه المستحق وحده للعبادة والطاعة ولا يشاركه في ذلك أحد[(٣)].

وفي القرآن الكريم آيات عديدة تؤكد مضمون التوحيد وتوضحه، يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر:٣] ويقول تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [الرعد:١٦] وإذا كان التوحيد يؤكد أن لا معبود ولا خالق ولا رازق ولا محي ولا مميت ولا نافع إلا الله وأن الله وحده هو المالك لمصائر الناس ولما حولهم من الكون معنى ذلك أن **أهم مضامين التوحيد هي: الحرية، والمساواة.**

أما **الحرية** التي أقصدها فهي تحرير الإنسان من كل أسباب القهر والاستبداد والخوف سواء كانت داخلية كالهوى والشهوات التي تخضع الإرادة وتذلها، وتجعلها في حالة سعي دائم لتحقيق الربح والسعادة أياً كانت الوسائل المتبعة في ذلك، حتى لو كانت على حساب الآخرين وحياتهم، وهناك أسباب خارجية مثل أصحاب السلطة والجاه والثروة والنفوذ، أو طبقة الكهنة

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٦١٣ ، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، و**تفسير البغوي**، ط٤، ج٥، (تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون) دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م، ص٥

(٢)ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد (ت١٢٢٤هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٤، (تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي)، القاهرة، ١٤١٩ هـ، ٣٠٩

(٣) بتصرف بسيط، المودودي، أبو الأعلى، **إلى أي شيء يدعو الإسلام**، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٣م، ص١٤-١٧

ورجال الدين الذين يخضعون الرقاب لإرادتهم فيبقى الإنسان تحت سلطتهم ذليلاً خانعاً ضعيفاً، ولا يملك سوى تنفيذ إرادتهم ورغباتهم التي يكون جلها فيما يحقق منافعهم ومصالحهم حتى ولو كانت نتائجها تحتم إيذاء الآخرين، والقضاء على حياتهم وانتهاك حقوقهم[١].

ولما كانت أعمال الإنسان وسلوكه مع نفسه والآخرين من حوله تخضع لسلطان العقائد فما يكون في الأعمال من صلاح أو فساد مرجعه إلى فساد العقيدة أو صلاحها، فإن تحرر الإنسان من العبودية لغير الله أياً كان أسبابها: داخلية أم خارجية يورث في الإنسان تحرراً كاملاً من أسباب التسلط؛ فلا يخضع إلا لله تعالى، ولا ينصاع إلا لأوامره تعالى وحده، ولا يتجنب إلا ما نهى الله تعالى عنه "وتعتبر حرية الإنسان هذه الثمرة الأولى والأساسية من ثمار عبوديته لله، وهي عبودية تحرر الإنسان تماماً من كل متاع دنيوي زائل، مهما بدا للعين عظيماً فهي حرية حقيقية وبدونها لا حرية"[٢]، ولما كان الله تعالى هو خالق الناس أجمعين، والعالم بما يصلح شئونهم وما يفسدها، فإن أوامره تعالى تصب فيما يصلح حياة الإنسان، ويحقق النجاة له في الدنيا والآخرة.

ولا شك أن تحرر الإنسان وخضوعه لله تعالى وحده له أثر واضح في صياغة نظرة المسلم للآخر؛ فالعبودية لله وحده تغرس في قلب الإنسان قوة معنوية تصده عن العمل القبيح، وتحرضه على التصرف الحميد، وهذه القوة هي التي يعبر عنها الإسلام بالخوف من الله أو خشيته أو محاسبة النفس ومراقبة الخالق[٣]، وبذلك يكون الإنسان ملتزماً بما أمر الله تعالى به، ومجتنباً كل ما نهى الله تعالى عنه.

وبما أن الله تعالى أمر باحترام الإنسان وتكريمه، أياً كان جنسه أو لونه أو عرقه أو دينه، والتعامل معه وفق ما حدده الشرع من أوامر وأحكام يدور جلها حول النهي عن الاعتداء والظلم والإكراه والتسلط، وحفظ الأنفس والأموال والأعراض، فإن سلوك المسلم نحو الآخر سيكون منضبطاً بهذه الأوامر، ومتقيداً بما ورد في الدين من زواجر؛ فلا يعمد المسلم إلى إيذاء الآخر أو الاعتداء عليه في سبيل تحقيق مصالح أو منافع خاصة. يقول عبد المجيد النجار: "الإيمان بالله يحرر الفكر من الهوى والشهوة؛ وذلك لأن التوحيد الخالص يقتضي الانصياع لأوامر الله، مخالفة لما يدعو إليه التشهي من تحقيق اللذة المادية أو كسب المال أو نصرة لقريب، فهذه كلها تميل بالإنسان عن مقتضيات الحق، وتدفعه إلى موارد الضلال، ولكن الاعتقاد

---

(١) انظر: النجار، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ص١٧٣-١٧٤

(٢) عبود، عبد الغني، **الله والإنسان المعاصر**، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٧٧م،ص١٣٥

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٠

بوحدانية الله يصدها عن ميلها ويردها إلى طريق رشيد، إذ يرجع الائتمار والانتهاء إلى أوامر الله لا إلى دواعي ميلها، فلا يكون لها إذن سلطان يوجّه الفكر إلى ما تريد أن تميل"(١).

وبذلك يرتقي الإنسان في تعامله مع الآخر ونظرته إليه إلى أعلى المستويات عندما يجعل طاقته وقوة جسمه وعلمه وتصرفه، وأنواع خبرته ومقدرته ذات معنى إنساني موجهة بإخلاص إلى أهدافها ومواقعها من غير أذى ولا طغيان ولا استعلاء ولا فساد(٢).

ويمكن القول أيضاً إن أصل الشر في الدنيا وانتهاك حقوق الإنسانية والفساد وسفك الدماء كامن في خضوع الإنسان لغير الله تعالى، ووقوعه فريسة للتسلط من قبل إنسان آخر، وهو ما يسمى (التأله) الذي أخذ أشكالاً متعددة على مدار التاريخ؛ فقد أخذ التأله صورة الإقطاعي الذي يملك الأرض والإنسان، فيتصرف مع غيره من البشر كما يحلو له ويحقق، مصالحه، ومن أشكال التسلط والتأله تسلط طبقة رجال الدين والكهنة الذين احتكروا إرادة الله، وتسلطوا على البشر باسم الدين؛ فتحكموا بدنيا الناس وأخراهم، وابتزاز أموالهم وأعراضهم بما يسمى صكوك الغفران وكرسي الاعتراف، وهناك التسلط من خلال ادعاء النقاء العرق، والتفرد في أصل الخلقة، وامتلاك خصائص وميزات لا يملكها الآخرون، مما برر استعباد الآخرين والتحكم بأموالهم وإرادتهم وأملاكهم.

وبالدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله يخلص الإنسان من أنواع التسلط والتأله كافة فيكون بذلك السبيل الوحيد لتحقيق الإنسانية والتساوي مع الآخرين لأن التوحيد في نهاية المطاف يعني التحرير(٣).

ثالثاً: المساواة

لما كان مضمون التوحيد مرتكزاً على الإيمان بالله تعالى وحده، وإفراده بالكبرياء والاستعلاء فهو سبحانه وحده ليس كمثله شيء؛ فإن نظرة الإنسان الموحد إلى الناس بعد ذلك على أنهم أشباه وأنداد، وكلهم مخلوقون، وكلهم عباد، وبذلك تؤكد عقيدة التوحيد كرامة الإنسان حيث تجعله يقف موقف المساواة مع جميع المخلوقين؛ فلا يستذل لمخلوق، ولا يحني جبهته لإنسان مثله(٤).

---

(١) النجار، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ص١٨٧

(٢) بتصرف، المبارك، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة**، ص٧١

(٣) انظر: مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص١٢-١٥

(٤) بتصرف، خان، محمد ظفر الله، **الإسلام والإنسان المعاصر**، ص٩١-٩٢ ، عثمان، محمد فتحي، **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي**، ط١، دار الشرق، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٧

فجماعة الإنسان عامة مخلوقة لإله واحد وهي مكلفة بعبادته وحده، كما أنها مخلوقة من نفس واحدة، وهي واحدة من حيث خالقها، وواحدة من حيث أصلها الذي خلقت منه[١].

وهذا ما يؤكده قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾** [النساء:١] وهذا التصور يجعل المسلم ينظر إلى **الآخر** بناء على قاعدة المساواة في الإنسانية والأخوة، مما يقتضي إقرار حقوقه، وإثبات كرامته، وانتفاء دواعي التمايز والتعالي والنظرة الفوقية التي تؤدي إلى ظلم الآخر وإقصائه وقهره، والتسلط على ممتلكاته، التي يورثها الإيمان بالاختلاف التفاضلي في أصل الخالق أو أصل الخلقة، فإذاً كلٌ يعتز بخالقه أو بأصله الأول، وبذلك يكون التناحر والتدابر والتطاحن[٢].

ويبدو هذا واضحاً عند أتباع الديانة اليهودية، عندما زعموا انفرادهم بالخالق والخلقة فاعتقادهم بأن لهم إلهاً خاصاً اختارهم؛ ليكونوا شعبه وأمته المقدسة، واعتقادهم بانفرادهم في الخلقة، ونقائهم العرقي، وحلول روح الله فيهم حتى أصبحوا أبناء الله وأحباءه، جعلهم يعتقدون أنهم أصلاء في الطبيعة الإنسانية، وأن الله إلههم الخاص قد خلقهم من طينة أخرى غير الطينة التي خلق منها بقية الناس، وقد اقتضى ذلك بطبيعة الحال انتفاء تساويهم مع جميع البشر فنظروا إلى أنفسهم على أنهم جنس متفوق، وعرق متميز، يستحق السيادة والسيطرة على العالم كله، وفي المقابل نظروا إلى الآخر على أنه عبد ليس له سوى طاعة سيده فيما يطلبه، وقد أدى هذا الاعتقاد إلى سلوك الشخصية الإسرائيلية نحو العنف والإرهاب مع الآخر، والسعي إلى القضاء عليه وتهميشه، والتسلط على ممتلكاته وخيراته.

كما يبدو المثال واضحاً أيضاً في الطبقية التي يؤمن بها الهندوسوالتي تعد أساساً جزء من عقيدتهم، وقد تم فيها تقسيم الناس إلى طبقات متفاضلة بسبب تفاضلهم وتمايزهم في الخلق من براهما؛ فما خلق من رأس براهما (طبقة البراهمة) يكون هو السي، وهو الأفضل والأشرف ثم تأتي طبقة الكشترية التي خلقت من يديه، وما خلق دون ذلك يكون أحط مرتبة حتى ينتهي إلى ما خلق من الرجلين وهم طبقة العبيد[٣]. وبناءً على هذا التقسيم الطبقي توزع الحقوق والواجبات.

---

(١) بتصرف بسيط، النجار، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ص١٩٧

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص١٩٧-١٩٨

(٣)عبد الصمد، محمد كامل، **موسوعة غرائب المعتقدات والعادات**، ج٣، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ص١٣

والإسلام بانطلاقه من عقيدة التوحيد، فإنه يحطم كل أسس التفاضل المبنية على العرق أو النسب أو الجنس واللون أو الطبقة، ونظر إلى الآخر نظرة التساوي في الإنسانية، وجعل التقوى مقياس التفاضل بين الناس امتياز طاعة وتكليف وليس امتياز قهر وتسلط واستعلاء.

رابعاً: مقتضيات التوحيد وأثرها على الآخر

يقتضي التوحيد في الإسلام طاعة الله سبحانه وتعالى في كل ما أمر، وترك كل ما نهى عنه، والتقرب إليه بفعل الخيرات وأن يخضع الإنسان أموره كلها لما يحبه الله ويرضاه من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وأن يكيّف سلوكه وفقاً لهداية الله وشرعه، فإذا أمره تعالى أو نهاه، أو أحل له أو حرّم عليه، كان موقفه من ذلك ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة:٢٨٥]، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢] وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١].

والتزام المسلم بما أمر الله تعالى به وترك ما نهى عنه يجلب الخير للإنسانية جمعاء؛ لأن الله تعالى هو الخالق للإنسان، وهو الذي يعلم ما يصلح حاله وما يفسده، وبناء على ذلك كانت شريعة الإسلام وأحكامها تحاكي مصالح الناس، وترعى شؤونهم، وتأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والنجاة والمسلم الذي يمتلئ قلبه بعقيدة التوحيد يكون ولاؤه لها وحدها مما يجعله إنساناً حراً وفاضلاً، يسارع إلى فعل الخير ويبتعد عن فعل الشر، وإذا اتصف الإنسان بمكارم الأخلاق، أصبح المجتمع كله مجتمعاً ذا خُلقية دينية تسوده مكارم الأخلاق(١).

وهذا بطبيعة الحال نتاج تحرر الإنسان من أسباب القهر والتسلط، وخضوعه لخالق واحد، وهذه الحرية هي الأساس الذي تقوم عليه أخلاق الإنسان فيتحقق سموه، ويتبلور سلوكه نحو نفسه والآخرين من حوله، يقول مصطفى محمود في كتابه (الماركسية والإسلام): " أمام الخوف والإرهاب يمكننا أن نتصنع الفضيلة، ولكن لا يمكننا أن نكون فضلاء حقيقة، لأن الخوف يسلبنا الكرامة"(٢)، ويقول أيضاً: " الحرية هي روح الموقف الأخلاقي"(٣) .

وفي ظل ما يقتضيه التوحيد من أمور ينتقل الإنسان بقضية التوحيد من حيز الفكر إلى حيز التطبيق؛ فتنعكس آثارها على سلوك المسلم مع كل من حوله بما فيهم الآخر الذي يشاركه في قاعدة الكريم الإنساني؛ فتكون النظرة إليه محددة بضوابط الشرع وأحكامه؛ وليحقق الإنسان

---

(١) بتصرف، عبود، **الله والإنسان المعاصر**، ص١٣٣

(٢) مصطفى محمود، **الماركسية والإسلام**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م، ص٧

(٣) المصدر نفسه، ص٨

التوحيد في أوضح معانية فهو يتوجه إلى الله تعالى بالأعمال التي يحقق بها رضاه: **كالعبادة والتقيد بالأخلاق**، والخضوع لسنن العدل والرحمة والمساواة، وقد كان لهذه الأمور وغيرها التي تعد انعكاساً واضحاً لاستقرار عقيدة التوحيد في نفس الإنسان، أثر في سلوك الإنسان المسلم مع الآخر ونظرته إليه، ويمكن مناقشة ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: العبادة

وهي مهمة الإنسان الأولى في الوجود، يقول ابن تيمية موضحاً معنى العبادة "وأصل معناها الذل، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطأته الأقدام. لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له"[(١)].

وعلى ذلك تستلزم العبادة في الإسلام أمرين أساسيين: [(٢)]

الأول: الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله أمراً ونهياً وتحليلاً وتحريماً

وهذا ما يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله وأساس الخضوع لله هو الشعور الواعي بوحدانيته، وقهره لكل من في الوجود وما في الوجود، فالكل عبيده وخلقه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ [الرعد:١٥-١٦].

ثانياً: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله تعالى

وفي ذلك يقول الحديث عن رسول الله: "**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**"[(٣)] .

والعبادة التي تصقل سلوك المسلم نحو الآخر هي المقصودة في هذا الجزء من الدراسة لا تقتصر على أفعال مخصوصة كأداء الصلاة والزكاة والصيام والحج؛ وإنما قصد بها كل سلوك يقترن بفعل الخير، من هنا كان مجال العبادة واسعاً ورحباً، فهي تشمل الفرائض

---

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت٧٢٨هـ)، **العبودية**، ط٧، (تحقيق محمد زهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٤٨

(٢) بتصرف، القرضاوي، يوسف، **العبادة في الإسلام**، ط٢٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥م ، ص٣٢-٣٣

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد وحلاوة الإيمان، ج١، رقم: ٤٣، ص٦٦

والأركان والشعائر التعبدية، كما تشمل المعاملات مع الآخرين، والوفاء بحقوق العباد، وتتضمن أيضاً الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها من صدق الحديث والأمانة وغيرها(١).

وعلى هذا تكون العبادة مقرونة بالأعمال التي يكون فيها صلاح الإنسان وتطهيره من أرجاس الأهواء والشهوات، وتحكم الشر الذي من شأنه أن يفسد على الإنسان حياته وينحى به نحو الشرور والآثام، والاعتداء على الآخرين وإيذائهم. ولأن الإسلام حريص على تحقق هذا فقد عمد إلى تهذيب النفس؛ وذلك من خلال تقوية الإرادة الإنسانية التي تحكم قبضتها على الشهوات، فيقوى بذلك الجسم والروح، معاً فيسير الإنسان في طريق الخير والسعادة الحقيقية في هذه الأرض(٢)، وقد حذر الرسول الكريم من تحكم الشهوات في الإنسان ودورها في إسقاطه في الذنوب والمعاصي التي تكون سبباً في دخوله النار يقول: " **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**"(٣).

إذاً فالعبادات التي هي روح التوحيد وأهم مقتضياته ترسم للإنسان المسلم طريق البر والحق، وفق ما ارتضاه الله تعالى وأمر به، وهي عامل مهم يصقل الشخصية الإسلامية ويهذبها، ويعمل على وقايتها من الفحشاء والمنكر عندما يطهرها من سلطة الشهوات والأهواء، ويحررها من غرائز الشر التي تفسد على الإنسان حياته، وتكون طريقاً لإيذاء الآخرين، وهذا ما نهى الإسلام عنه ودعا لاجتنابه، **وبذلك كانت العبادة بمثابة قوة روحية تحصن المسلم من الوقوع في الهوى الذي يحصر العلاقة مع الآخرين في الحاجات المادية والمصالح الشخصية مما يؤدي إلى الفساد في الارض ووقوع الآخرين ضحية لإيذاء صاحب الهوى.**

والملاحظ في موضوع العبادة أن الإسلام قد دعا إليها، وحبب إليها ووسع مضمونها لتشمل كل عمل يحقق فيه الإنسان خيراً لنفسه وللآخر، أو يدفع الشر عن نفسه وعن الآخر، فيعود عليه بالأجر والثواب والمغفرة، ويجنبه العقاب والعذاب. والخطاب القرآني يوضح ذلك حيث قرن طاعة المسلم لربه والتزامه بعمل الخير بقضية التوحيد، دون أن يخصص عمل الخير ويجعله حكراً بين المسلمين، وضمن دائرة محددة والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٩٧] أي إن الإنسان في الإسلام استحق الأجر والثواب على ما قام به من عمل صالح أياً كان نوع العمل وهوية المستفيدين منه، وكذلك يقول تعالى: ﴿**إِنَّ**

(١) القرضاوي، **العبادة في الإسلام**، ص٥٠

(٢) بتصرف، أبو زهرة، **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، ج٢، مجلة الأزهر، ١٤٢٥هـ، ص٨٠

(٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، ج٤، رقم:٢٨٢٢، ص٢١٧٤

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ [البينة:٧] وقوله في عبادة الصلاة: **﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾** [العنكبوت:٤٥] أي أن أثر الصلاة على الإنسان هو صيانته من الوقوع في الغي والضلال، وطريق لتحقق المعروف والفضيلة مع كل الناس. وكذلك تذكر الآيات عناصر البر والحق مع الناس جميعاً في استعراض طريق العبادة الذي رسمه الله للمسلم، وجعله عنواناً على صدق إيمانه يقول تعالى: **﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾** [البقرة:١٧٧].

ولم يقصر الإسلام مجالات العبادة وجوانبها في دائرة المسلمين فقط، بل شملت الآخر؛ ولذلك اعتبر النبي ﷺ أن إلحاق الأذى بالآخر معصية ومخالفة استحق صاحبها أن يكون الرسول خصمه يوم القيامة وهذا ما ذكره الرسول في الحديث الشريف، حيث يقول: " **مَنْ آذَى ذِمِّيّاً فَأَنَا خَصْمُهُ وَمَنْ كَنْتُ خَصْمُهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[(١)].

وكذلك لم يقصر فعل الخير والعبادة لنيل الأجر والثواب في الإسلام بين المسلمين فقط؛ بل شمل ذلك تعاملهم مع الآخر، وسنة الرسول ﷺ توضح ذلك، وتحث المسلمين على الاقتداء به والسير على نهجه؛ ليتحقق للمجتمع استقراره ويحقق توازنه، ومن ذلك أن رسول الله كان يعود مرضى اليهود في المدينة المنورة، ويحسن جيرتهم، ويصبر على أذاهم، ويقف لجنائزهم ويشاركهم في ولائمهم، وعلى ذلك سار الصحابة الكرام والمسلمون من بعدهم.

ولا بد أن تكون النظرة إلى الآخر والتعامل معه وفق أوامر الشرع ونواهيه نوعاً من العبادة وأصلاً من أصولها، خصوصاً إذا علمنا أن الإسلام في أساسه وسع باب العلاقات الاجتماعية مع الآخر، وارتبط معه بأخص العلاقات وأقربها، حيث شرع زواج المسلم بالكتابية وأقر حقوقاً للوالدين حتى لو كانا على غير دين الإسلام، وفي ضوء ذلك لا يمكن للمسلم إلا أن يكون متقيداً بأوامر الله تعالى، منصاعاً لأحكامه؛ **فالآخر:** إما زوجته أو والدته، وقد جعل

(١) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**، ط١، ج٣، رقم:١١١٨١، (تحقيق يوسف النبهاني)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م، ص١٣٥

الإسلام لهما حقوقاً، والالتزام بها عبادة، ما لم يترتب على ذلك معصية، أو خروج عن أحكام الإسلام وشرعه.

ثانياً: الأخلاق

تنبثق الأخلاق في الإسلام من عقيدة واضحة لا تمليها المصلحة ولا تسيرها المنفعة. عقيدة تؤكد أن الخالق لكل شيء هو الله سبحانه وتعالى، وأنه لا إله سواه، ولأنه كذلك فهو العالم بما يصلح أحوال الناس وما يفسدها، ولذلك شرع لهم منظومة أخلاقية متكاملة شاملة، لا تقتصر على فئة دون أخرى، ولا تسير وفق مصالح أو منافع خاصة، وأمر الإنسان الالتزام بها والسير وفق مقتضاها ليتحقق له الخير في الدنيا والآخرة.

والأخلاق في الإسلام "ليست محصورة في نطاق معين من نطاق السلوك البشري إنما هي ركيزة من ركائزه ، كما أنها شاملة للسلوك البشري كله، كما أن المظاهر السلوكية كلها ذات الصبغة الخلقية الواضحة هي الترجمة العملية للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك"[١].

ويعد التزام المسلم بالأخلاق عبادة؛ لأن مقياسه في الفضيلة والرذيلة، ومرجعه فيما يأخذ وما يدع هو أمر الله ونهيه؛ فالضمير وحده ليس بمعصوم، وكم من أفراد وجماعات رضيت ضمائرهم بقبائح الأعمال[٢].

ولأن الإسلام دين الإنسانية، والرسالة العالمية الخالدة، فقد عني بالدعوة إلى مكارم الأخلاق، وأكد عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية: فقد وضع القرآن الكريم ميثاقاً أخلاقياً يشمل كل خصلة من خصال الإنسانية[٣]، وعاماً لكل الناس: فلا يقتصر على فئة دون الأخرى، وجعل الالتزام بها جزءاً لا يتجزأ من عقيدة المسلم، ودليلاً حقاً على إيمانه بالله تعالى[٤].

يقول تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا**

---

(١) الصلابي، علي محمد، **الوسطية في القرآن الكريم**، ط١، دار النفائس، دار البيارق، عمان، ١٩٩٩م، ص٥٨٨

(٢) انظر: القرضاوي، **الإيمان والحياة**، ص٢٥٨

(٣) انظر: الخياط، عبد العزيز، **المجتمع المتكامل في الإسلام**، ط٣، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٠-١٦

(٤) الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الابدي**، ص٣٦-٣٧

(٤) الصلابي، **الوسطية في القرآن الكريم**، ص٥٩٣-٥٩٤

قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

وكذلك تؤكد السنة النبوية على جانب الأخلاق وأهميتها في حياة المسلم وسلوكه نحو الآخرين، يقول الرسول ﷺ: "**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**"(١) .

ولأن الله تعالى هو مصدر الأخلاق في الإسلام، فقد جاءت شاملة وثابتة وعامة، غير مختصة بأشخاص أو فئة، كما أنها مراعية لأحوال الناس وما يحقق لهم الخير، ويضمن لمجتمعاتهم الاستقرار؛ **فالرحمة** مثلاً: خلق إسلامي جليل لم يقصره الإسلام على فئة دون أخرى وقد حث الرسول ﷺ عليه في كثير من أقواله منها: " **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ**"(٢)، ولقد قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: **يا رسول الله أكثرت من ذكر الرحمة وإننا نتراحم فيما بيننا ولكن رسول الله يرد عليه مؤكداً أن الرحمة التي أمر الإسلام بها ليست مختصة بدين أو عرق أو جنس بعينه بل هي رحمة عامة ولذلك قال له، "إنما أريد الرحمة بالكافة**"(٣) أي الرحمة بالناس جميعاً وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾، كما تمثل سيرته العملية خلق الرحمة مع الآخر ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها، قالت: "**اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. قَالَتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**"(٤).

ومن الجوانب الأخلاقية الهامة التي دعا الإسلام إليها صوناً لحقوق الناس جميعاً، التي تصدر أساساً من شخصية إسلامية قوامها الإيمان بالله تعالى خلق **العدل**، وهو "أمر إلهي، وقاعدة سنها الله تعالى في الخلق تكويناً وللخلق تشريعاً"(٥). وهو أيضاً قاعدة إنسانية لا يجوز للإنسان المسلم أن يحيد عنها أو يتركها حتى لو انحرف عنها الآخرون، وقد ورد الحث عليه في مواطن

(١) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، تتمة مسند الأنصار، حديث معاذ ابن جبل، ج٣٦، رقم: ٢٢٠٥٩، ص٣٨٠

(٢) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ج١١، رقم:٦٤٩٤، ص٣٣

(٣) أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، **زهرة التفاسير**، ج٧، دار الفكر العربي، ص ٣٤٩٦

(٤) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، ج٤، رقم:٢١٦٥، ص١٧٠٦

(٥) السحمراني، أسعد، **العدل فريضة إسلامية**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م، ص٢٤

عدة من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل:٩٠].

ويشمل العدل جميع الناس على اختلاف أجناسهم وأطيافهم يقول تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ **[المائدة:٨]** ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء:٥٨] وهذه الآية توضح أن الأمر بالعدل ليس خاصاً بفئة أو جماعة وإنما هو أمر عام لكل من ولي أمراً فيعلم أن من واجبه مراعاة الأمانة وتأديتها حقها بالعدل(١) وقد فسر القرطبي العدل المطلوب في هذه الآية بعامة الناس حيث قال: "والأظهر في الآية انها عامة في جميع الناس"(٢).

أما السبب في جعل العدل خلقاً عاماً يشمل كل الناس دون استثناء فلأن " العدل يحفظ النظام والفضيلة في المجتمع، ويمنع الفوضى والتجاوزات المؤدية إلى الهلاك، ففي العدل قوام أمر المجتمع ومنطلق لتقدمه، وتحرره، وتعاون أبنائه وفي الظلم وهيمنة فريق على سواه سبيل للتنازع، والتغالب بلغة الغاب، مما يجلب التخلف والضعف في مواجهة قوى الشر والفساد من أية جهة أتت"(٣).

وقد كان **العدل مع الآخر** منهجاً اتبعه رسول الله ﷺ وصحابته من بعده؛ فعن العرباض بن سارية قال: نزلنا مع رسول الله خيبر، ومعه من معه من أصحابه، وكان صاحب خيبر رجلاً قادراً متكبراً، فأقبل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ألكم أن تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا؟ فغضب – يعني النبي ﷺ – وقال: يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد: ألا إن الجنة لا تحل إلا لمؤمن، وأن اجتمعوا للصلاة، ثم صل بهم النبي ﷺ ثم قام فقال: إن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوا الذي عليهم.(٤) وهذا عبد الله بن رواحة يتحلى بالأخلاق الإسلامية مع الآخر فيقف معه موقف العدل بعد أن

---

(١) بتصرف، السحمراني، اسعد، **العدل فريضة إسلامية**، ص٢٨ ،انظر: شلتوت، محمود، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص٤٥٨-٤٥٩

(٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ج٥، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ،، ص٢٥٦

(٣) السحمراني، اسعد، **الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨م، ص١١٧

(٤) انظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، ج٣، رقم:٣٠٥٠، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص١٧٠

حاول يهود خيبر رشوته ليقلل ما يأخذه من خراج أرضهم على حسب الصلح الذي تم بينهم وبين المسلمين فقال عبد الله: " يا أعداء الله تطعموني السحت لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي (يعني رسول الله) ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن ألا أعدل فيكم فقالوا بهذه قامت السماوات والارض[١].

والتاريخ الإسلامي يذكر شواهد عدة تؤكد تمسك المسلمين بخلق العدل مع الآخر وأن ذلك لم يكن مقتصراً على تعامل المسلمين مع بعضهم البعض؛ فهذا عمر بن الخطاب يطبق خلق العدل مع الآخر حينما قضى بأن يضرب القبطي ابن والي مصر آنذاك وهو عمرو بن العاص في القصة المشهورة، ويؤكد فيها أن الإسلام ينظر إلى الناس جميعاً نظرة واحدة؛ فكلهم أحرار متساوون، وكلهم يخضعون لقانون العدل الإلهي، وفي هذا الموقف يظهر حرص صحابة رسول الله على تحقيق العدل مع الآخر حتى ولو كان بالقول.

وفي قصة علي بن أبي طالب مع النصراني الذي سرق درعه وشكاه إلى القاضي شريح، فوجد النصراني المساواة في المجلس، والعدل في القضاء، على الرغم من أن خصمه هو أمير المؤمنين فبعد أن حكم القاضي للنصراني بالدرع حيث لم يجد سيدنا علي شهوداً على سرقة النصراني للدرع ولا بينة على أنه درعه وكان النصراني يعرف أن هذا الدرع لعلي، لم يسعه إلا أن يقول: أشهد أن هذه الدرع درع علي بن أبي طالب، وإني اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[٢].

مما سبق يظهر أن التوحيد في الإسلام هو رأس كل فضيلة، وأساس متين للأخلاق، والعبادات التي تحكم سلوك الإنسان مع الآخر "فالإيمان بالله يطلق النفس من قيودها المادية فتستكبر على الشهوات، ولا تبالي بالمنافع والمضار الخاصة، فيسعى الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعاً، على قوانين الحق العامة وسنن الخير الشاملة"[٣]، ولم يقتصر الأمر أو النهي الإلهي على المسلمين فقط بل شمل الناس جميعاً ليتحقق الخير وتعم الفضيلة.

---

(١) انظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، ط٣، ج٦، رقم: ١١٦٢٦، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠٠٣ م، ص١٨٩

(٢) البيهقي، السنن الكبرى،جماع أبواب ما على القاضي في الخصوم والشهود، باب إنصاف الخصمين في المدخل عليه ، والاستماع منهما، والإنصاف لكل واحد منهما حتى تنفد حجته ، وحسن الإقبال عليهم ج١٠، رقم: ٢٠٤٦٥، ص٢٣٠

(٣) طباره، **روح الدين الإسلامي**، ص١٧٥

ولا يخفى ما قد يسببه حكر قاعدة التحليل والتحريم على عرق مخصوص أو فئة بعينها من مخاطر ومفاسد على الإنسانية جمعاء، كما هو الحال في اليهودية التي قصرت أحكام الحلال والحرام على العرق اليهودي فقط، فعلى سبيل المثال منعت على اليهود الكذب والغش والاحتكار والربا والسرقة والقتل وغير ذلك من الزواجر والنواهي؛ ولكنها خصتها بالتعامل مع اليهود فقط؛ أما الآخر فيباح سرقته وغشه واحتكاره ومراباته وقتله؛ وقد كشف القرآن الكريم هذا المنهج الذي تبعه اليهود مع الآخر في تعاملهم في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:٧٥] يقول تعالى أيضاً: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة:١٠٠] وكذلك لا تخضع الأخلاق والعبادات في الإسلام للمصالح والأهواء بتعدد الآراء فيحصل الظلم وينتشر الفساد؛ بل هي من مصدر واحد ثابت هو الله تعالى؛ ففي المسيحية أدى تدخل البشر وتحريف الشريعة التي جاء بها عيسى عليه السلام، وخضوعها لمراحل عدة طوال تاريخها إلى ابتعاد المسيحية عن منظومة أخلاقية عادلة ومتوازنة، وانفصال أتباعها وابتعادهم عما جاء به عيسى عليه السلام من شرائع وأخلاق وعبادات، توضحها نصوص عدة من الإنجيل.

ففي أوروبا مثلاً تم استبدال الفلسفة بالدين وصيغت على أساسها قواعد الأخلاق، وأصبحت الفائدة أو المنفعة وتحقيق المصلحة الفردية أساس التعامل مع الآخر؛ ولذلك أبيح الربا والاحتكار والغش والاستغلال، وهذا التغيير الهائل في فحوى الأخلاق لم يحدث في الإسلام، ولا يصح أن يحدث؛ لأن الأخلاق في الإسلام ثابتة لا تتغير؛ فالصدق والأمانة والاستقامة ومساعدة الناس، والتعاون، تنبثق من العقيدة لا من المنفعة، فتبقى ثابتة ما دامت العقيدة باقية، وهذه صفات ينبغي أن يتحلى بها الإنسان باعتباره إنساناً في مجتمع. والإنسان من حيث هو إنسان لا يتغير فلا يتغير مفهوم هذه الأخلاق، وإنما تتجدد الحوادث والمسائل فتستنبط الأحكام الشرعية فقط(١).

وبهذا تتوضح نظرة المسلم للآخر، وكيفية التعامل معه، فهو شريك في الإنسانية والعبودية لله، وبينه وبين المسلم رحم ونسب، كما يجمع بينهم هدف مشترك، وعدو مشترك وهذا ما جعل العبادات والأخلاق، وقاعدة الحلال والحرام دستوراً ينتظم الناس كافة(٢).

---

(١) انظر: الخياط، المجتمع المتكامل في الإسلام، ص١٨-٢٠

(٢) بتصرف، القرضاوي، **الإيمان والحياة**، ص ١٨٢

أما الرحم الذي يصل بين المسلم والآخر فهو مصداق قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء:١] وأما الهدف المشترك والعدو المشترك فهو ما ذكره الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر:٥-٦]

وعلى هذا يكون التزام المسلم بممارسة الأخلاق مع الآخر، والاحتكام لقواعد الشرع وأحكامه عقيدة يدين الله بها ليلقاه يوم القيامة؛ فيحاسب على ما قدم وأسلف وفق ميزان العدل الإلهي.

المطلب الثاني: عقيدة النبوة في الإسلام وموقفها من الآخر

كان لعقيدة النبوة في الإسلام أثر واضح في صياغة نظرة المسلم للآخر، وقد وضحت مصادر الإسلام ممثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية موقف الإسلام من الآخر على ضوء عقيدة النبوة، ويتضح ذلك مما يلي:

أولاً: الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين

أوجب الإسلام على أتباعه الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى واختارهم لتبليغ رسالته وهديه إلى البشر، يقول تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٦]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم"(١).

---

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ٤٤٨

واعْتُبِرَ الإيمان بجميع الأنبياء والرسل جزءٌ من الإسلام، وركن من أركانه، ولا يصح الإيمان إلا به، وهذا ما أوضحه رسول الله ﷺ في حديث جبريل المشهور "فأخبرني عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره "(١).

ولا يفرق الإسلام في عقيدة النبوة بين أنبياء الله ورسله من حيث وجوب الإيمان بهم وطبيعة رسالتهم، وعلى هذا يدخل الناس جميعاً في الإسلام، وكل يعرف أن دينه ونبيه وكتابه موضع احترام الإسلام وتقديره(٢) يقول تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء:١٥٢]. وفي المقابل يندد القرآن الكريم بموقف من يؤمن ببعض الرسل ويكفر بالبعض الآخر، وأن الله لا يقبل ذلك ولا يتحقق إيمان من يؤمن بذلك أو يقبل به، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

وعلى هذا فإن من "يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض لا يعتد الله تعالى بإيمانه، ولا يبالي بتصديقه، فإن الرسل سواء في رسالتهم، ووجوب الإيمان بهم، ولا فرق في ذلك بين رسول ورسول، فالمنكر لرسالة بعضهم منكر لرسالة الجميع ولا فرق عند الله بين من جحد أصلاً من أصول الدين، ومن أنكر الدين كله"(٣).

والإيمان بجميع الأنبياء والرسل على حد سواء في الإسلام ضرورة حتمية لأن دعوتهم واحدة ومبادءهم واحدة؛ فقد بعثهم الله جميعاً ليبلغوا الناس شيئاً، يقول تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾ [الشورة:١٣].

وعلى ذلك فإن الإيمان بجميع الرسل والأنبياء إقرار بتوحيد الله تعالى وألوهيته؛ فالمسلم الموحد هو المؤمن بوجود الإله الواحد، لأنه آمن بجميع أنبياء الله ورسله(٤) أما اختلاف الشرائع والأحكام بين رسالات الأنبياء فلا يعد اختلافاً في جوهر دعواتهم، بل هو اختلاف في الفروع

---

(١) مسلم، **صحيح مسلم، كتاب الإيمان** ، باب معرفة الإيمان والإسلام، والقدر وعلامات الساعة، ج١، رقم: ٨، ص٣٦

(٢) انظر: شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان (الإسلام)**، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٠٥

(٣) العدوي، محمد أحمد، **التوحيد**، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص٣٤

(٤) بتصرف، هلال، إبراهيم إبراهيم، **بحوث في العقيدة والتشريع**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٥

دون الأصول، فكل الرسالات تجمع على التوحيد وتحريم القتل وتجمع على القصاص ورجم الزاني، وقطع يد السارق؛ ولكن الاختلاف جاء في بعض الفرعيات والشكليات نتيجة اختلاف الأزمان والأقوام[(١)]، يقول ابن تيمية في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان): "دين الأنبياء واحد، وإن تنوعت شرائعهم كما في الصحيحين عن النبي: إنا معشر الأنبياء ديننا واحد"[(٢)].

ويعد تبشير الأنبياء ببعضهم البعض، واعتراف المتأخر منهم برسالة السابق عليه، وتصديقه، دليل واضح على وحدة رسالتهم في مصدرها وطبيعتها مما يجعل ذلك أدعى لقبولها من المسلم ومن الآخر مالم يقف الجحود والعناد حائلاً دون ذلك والأمثلة على ذلك متعددة فالقرآن الكريم يشير إلى ذلك في نصوص عدة ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [الصف:٦] كما يبشر إنجيل يوحنا بقدوم رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين حيث يقول: "**وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ**"[(٣)(٤)].

وبناءً على ما ورد ذكره من حقائق وأمور تتعلق بعقيدة النبوة في الإسلام يتحدد موقف المسلم من الآخ؛ر فعلى ضوء عقيدة النبوة في الإسلام يكون الإيمان بجميع الأنبياء ركناً أساسياً لا يتحقق إيمان المسلم بدونه؛ فما يؤمن به الآخر من أنبياء جزء من عقيدة المسلم وشرط لتحقق إيمانه وعلى هذا يكون الإسلام قد وضع أسساً للتعارف والتفاهم بين الناس من خلال إيجاد أرضية وقاعدة مشتركة تسهل تعارفهم وتخفف من خلافهم، وهذه ميزة اختص الإسلام بها، فكل أهل دين يجدون احترام رسلهم في القرآن بينما يجدون انتقاص رسلهم في أديان أخرى[(٥)].

وفي المقابل توضح الآيات السابقة التي تؤكد ضرورة الإيمان بجميع الرسل وعدم التفريق بينهم ضرورة إيمان الآخر بنبوة محمد ﷺ؛ لأن الكفر به هو كفر بغيره من الأنبياء، فالذي يؤمن بموسى أو عيسى عليهما السلام ويكذب بمحمد يغالط نفسه، ويكذب نبيه، فرسالتهم

---

(١) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٧

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس (ت٧٢٨هـ)، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، (حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط)، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٨٥م، ص٨٨

(٣) إنجيل يوحنا ١٥: ٢٦-٢٧

(٤) انظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، ط١، (تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٤م، ص٣٣

(٥) انظر: طبارة، **روح الدين الإسلامي**، ص١٤٩

واحدة ودعوتهم[١] ويشير ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) أن بعض المعاندين لرسول الله من أهل الكتاب قد فطنوا لذلك التزامن والترابط بين الرسل وضرورة الإيمان بهم، فما كان منهم إلا أن كفروا بالجميع وقالوا ﴿**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٩١][٢].

والإسلام يطالب المسلم بضرورة التمسك بعقيدته وثوابته، وعدم التأثر بما يصدر عن الآخر من مواقف الكفر والعناد بنبوة محمد ﷺ، لأن الإيمان بنبوة محمد يحتم على المسلم الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وأقصد بالتأثير هنا أن ينتقص المسلم شأن أحد من الأنبياء كردة فعل لما يعتقده الآخر؛ لأن ذلك يؤدي إلى خروجه من الإسلام، ولذلك دعا الإسلام إلى الإيمان بهم، ووجوب محبتهم ونصرتهم، ونهى عن استثارة مشاعر الآخر من خلالهم، فقد روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ انه قال: **بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا، كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ - شَكَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ - قَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ - يَا رَسُولَ اللهِ - وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عليه السلام عَلَى الْبَشَرِ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عليه السلام آخِذٌ بِالْعَرْشِ**"[٣] ويقول ﷺ أيضاً: "**مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**"[٤].

وفي تأكيد الإسلام أيضاً على وحدة الرسالات السماوية في مضمونها وجوهرها تتجلى نظرة الإسلام للآخر، حين ترى أن الآخر طرف شريك في خطاب الأنبياء بدعوة التوحيد ومأمور بها، فإذا آمن بها فهو في رحمة الله ورضوانه يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا**

---

(١) انظر: هلال، **بحوث في العقيدة والتشريع**، ص١٢-١٤

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ط١،ج٢ (تحقيق محمد أحمد الحاج)، دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية، ١٩٩٦م، ص٥٨٧

(٣) انظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، ج٤، رقم: ٢٣٧٣، ص١٨٤٣

(٤) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام، ج٤، رقم ٢٣٧٧، ص١٨٤٦

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] يقول العقاد: "فليس أقدر من الإسلام على تقريب شقة الخلاف بينه وبين أهل الأديان، وليس أصدق منه في موالاتهم إذا عاهدوه وإن خالفوه في الاعتقاد أو أنكروه"[١].

ولا بد أن يذكر في هذا المقام أن الإيمان بجميع رسل الله تعالى وأنبيائه يحتم على المسلم التصديق بكل ما جاء به القرآن الكريم من أوصاف وحقائق، وقد وصلت نظرة الإسلام إلى جميع رسل الله إلى أعلى المراتب والدرجات؛ فلم تنتقص أحداً منهم كما فعل غيرها في الأمم، بل وقرتهم وعزرتهم ونصرتهم والناظر في القرآن الكريم يلحظ مدى الإجلال والاحترام الذي وصلت إليه مكانة الأنبياء فيه وفي المقابل يرى انتقاصاً لشأنهم في كتب الآخر على الرغم من إيمانهم بهم، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١. إثبات اصطفائهم واختصاصهم بعلو الفطرة ورجاحة العقل، والعصمة مما يقدح بنبوتهم أو رسالتهم كالكفر أو الكبائر قبل الرسالة وبعدها، وفي الصغائر خلاف، والأمانة في كل ما عهد إليهم أن يبلغوه، وسلامة أبدانهم مما تنفر منه الأذواق السليمة[٢] يقول تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۞ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾** [مريم: ٥١-٥٢] ويقول: **﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الصافات:١٢-١٢٢].

٢. الاعتقاد بأن الرسل جميعاً أفضل الخلق وأطهرهم وأزكاهم، وأنهم منزهون عن الدنايا مبرؤون من كل سوء، وهم صادقون في أقوالهم وأفعالهم، ولا يأتون منكراً، ولا يقولون زوراً، ولا يستحقون ذماً ولا يرتجون عقاباً[٣] يقول تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنعام:٨٩-٩٠] ويقول تعالى: **﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾** [آل عمران:٤٥] ويقول أيضاً: **﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي**

---

(١) العقاد، عباس محمود، **الديمقراطية في الإسلام**، وزارة الثقافة، عمان، ص١٢٢

(٢) بتصرف، الصلابي، **الوسطية في القرآن الكريم** ، ص٣٧٧ ، العدوي، **التوحيد**، ص٣٢-٣٣

(٣) بتصرف، الصلابي، **الوسطية في القرآن**، ص٣٣٧ ، انظر: المبارك، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة**، ص٩٢-٩٣

بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠-٣٣] وفي موسى يقول تعالى: **﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾** [طه:٣٩].

٣. التأكيد على بشريتهم، ونفي مزاعم ألوهيتهم، وفي ذلك تكريم عام للإنسان حين اصطفى منهم الأنبياء والرسل، يقول تعالى: **﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾** [إبراهيم:١٠]، وقد ناقش القرآن الكريم هذه النقطة من خلال نبوة عيسى عليه السلام، حيث أكد على بشريته ورفعة مكانته وعلو منزلته، فبه: تجلت قدرة الله تعالى على البعث حين عطل به قانون الأسباب والمسببات؛ فقدرة الله لا تحدها، وهو قادر على أن يخلق ما شاء من العدم أو من خلال أبوين، أو يخلق دون أب، وبذلك أيضاً نفى القرآن الكريم ما تردد من مزاعم في حق أمه مريم عليها السلام، ورفع من شأنهما وقدرهما يقول تعالى: **﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** [المائدة: ٧٥].

كما أكد القرآن الكريم على بشرية عيسى عليه السلام حين أوضح أن جميع المعجزات والخوارق التي ظهرت على يديه إنما كانت دليلاً على نبوته وصدق دعوته، يقول تعالى: **﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾** [المائدة:١١٠] وأكد القرآن الكريم على بطلان القول بألوهيته وما تعتقده المسيحية بشأنه، وأن ذلك لا يتفق مع مقتضى العقل السليم والفكر الصحيح(١) وهذا ما دعت الآيات إلى توضيحه وبيانه يقول تعالى: **﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾** [آل عمران: ٥٩-٦١]

---

(١) بتصرف، الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ص٥٠

وبذلك تظهر نظرة الإسلام المتسامية إلى نبي الله عيسى عليه السلام في رفضه لمسألة صلب المسيح، وما تعرض له من إهانات من الضرب والشتم والصفع، وغيرها مما تذكره نصوص الأناجيل؛ بل يؤكد على أن الله تعالى قد أنجاه من حادثة الصلب المزعومة، ورفع قدره وسلّمه من أن تطاله يد الغدر التي تحمل في طياتها كل صور الإهانة والاحتقار، فهو نبي كريم عند ربه وعند الناس رغم أنف اليهود وقتلة الأنبياء. يقول تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:١٥٥-١٥٨].

في مقابل هذه الصورة المشرقة التي أظهر القرآن الكريم الأنبياء عليها يصطدم القارئ بأوصاف أخرى لهم تذكرها التوراة التي تعد مصدراً لليهود والنصارى على حد سواء، فلم تترك نصوص التوراة نقيصة ولا ذنباً إلا ألصقته بأنبياء الله تعالى وصفوته المختارة؛ فنوح سكر وتعرى، ولوط زنى بابنتيه، ويعقوب يسرق بركة أخيه، وداود يزني بزوجة أحد جنوده، ثم يرسله للقتال ويضعه في مقدمته ليقتل، أي جريمتان في وقت واحد، وسليمان يكفر بالله، ومن المعلوم من العقل بالضرورة وبالدليل أن هذه الأوصاف التي سطرها عزرا وكتبة التوراة لا يمكن أن تكون حقيقة أنبياء الله تعالى وصفاتهم؛ لأن ذلك يتناقض مع دعوتهم ورسالتهم؛ فهذه الصفات لا تليق بأحط الناس، فما بالنا إذا كانوا رسلاً وأنبياء؛ ولكن اليهود ألصقوا هذه الصفات بأنبيائهم لتكون مبرراً يستندون إليه في القيام بجرائمهم ضد الآخر، فلا يتعرضون للوم أو التقريع.

المطلب الثالث: عقيدة الكتب السماوية وموقفها من الآخر

نال الآخر في عقائد الإسلام حظاً وافراً من القبول والاعتراف؛ فكما كان الإيمان بما يعتقده الآخر من الحق بشأن الأنبياء والرسل جزءاً من عقيدة المسلم، فالأمر كذلك في عقيدة أخرى، وركن آخر من أركان الإيمان، ويمكن تناول عقيدة الكتب السماوية والآخر من خلال أمرين **الأول:** وجوب الإيمان بجميع الكتب الإلهية، **والثاني:** القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية.

والاعتقاد بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، ولا يصح للمسلم أن يؤمن ببعضها وينكر البعض الآخر، وهي تحتوي ما بلغه الله تعالى لرسله عليهم الصلاة والسلام من أوامر إلى أممهم وأقوامهم[١].

وقد ورد في القرآن الكريم وجوب إيمان المسلم بالقرآن وما سبقه من الكتب السماوية الأخرى يقول تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٥]. ومن عدل الإسلام وقبوله للآخر في مجال الاعتقاد بالكتب السماوية أن بيَّن أن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله تعالى، وأن ما نسب إليها بما يخالف ذلك إنما هو من صنع البشر وتحريفهم لنصوصها[٢] "ومن الطبيعي أن يصدّق القرآن على ما يوجد من حق في تلك الكتب ما دام المصدر واحداً وهو الله، فيزيد المؤمنين من أهل الكتاب إيماناً بآيات الله ويدفعهم إلى تعضيد نبي الإسلام الخاتم في مواجهة المشركين وعبدة الأوثان"[٣] يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۞ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۞ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٤٠-٤٢]. ومن هنا يظهر قبول الإسلام للآخر حين أمر بالإيمان بجميع الكتب السماوية وما جاء فيها من الحق.

ثانياً: القرآن الكريم مصدق الكتب السماوية وخاتمها

تتوضح العلاقة التي تربط الإسلام بالآخر في صورتها الحقيقية من خلال الإيمان بما جاءت به كتبه من الحق والتصديق بها ، وما بقي منها دون تحريف أو تشويه، وكذلك تصحيح ما جاء في كتبه من بدع وإضافات وانحرافات، وهذا ما كان من أمر القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ليكون خاتم الكتب السماوية[٤] حيث تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، كما جاء مؤيداً ومصدقاً لما في الكتب السابقة من قضايا، كتوحيد الله وعبادته ووجوب طاعته، وجمع كل ما كان متفرقاً في تلك الكتب من الحسنات والفضائل، وجاء مهيمناً ورقيباً عليها، يقر ما فيها من الحق، ويكشف ما دخل عليها من التبديل والتحريف والتغيير[٥] يقول تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا**

---

(١) بتصرف، طبارة، **روح الدين الإسلام**، ص١٤٤

(٢) بتصرف بسيط، الصلابي، **الوسطية في القرآن الكريم**، ص٣٥٦

(٣) عبد الوهاب، أحمد، **الإسلام والأديان الأخرى**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص٢٢

(٤) بتصرف، طبارة، **روح الدين الإسلامي**، ص١٤٤

(٥) بتصرف بسيط، الصلابي، **الوسطية في القرآن الكريم**، ص٣٥٦

عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨][(١)].

وقد وضح القرآن الكريم موقفه من الكتب السابقة في مواطن عدة: فتارة يشهد بما فيها من الحق والهدى للناس، وتارة أخرى يتناولها بالنقد والتصحيح، وبيان ما اعتراها من التبديل والتغيير، أما شهوده على ما فيها من الحق والهداية للناس. فقوله تعالى: **﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۞ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾** [آل عمران:٢-٤] وفي مواطن أخرى يكشف القرآن تعرض الكتب السابقة للتحريف والتغيير. منها: قوله تعالى: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** [النساء:٤٦] وقوله تعالى أيضاً: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾** [المائدة:١٥]. ومن المسائل التي كانوا يخفونها في كتبهم صفات الرسول محمد، والبشارات به، والحساب والجزاء في الآخرة[(٢)].

ولم يقف اعتراف القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة عند حد التصديق بما جاء فيها من الحق؛ بل دعا الآخر إلى الإيمان بها، والعودة إلى الحق والهدى الوارد فيها، وفي هذا دلالة على الابتعاد عما جاءت به الكتب السابقة من الحق والهداية للناس. يقول تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** [المائدة:٦٨] ويقول تعالى: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [المائدة:١٤].

ويتضح موقف القرآن الكريم من الآخر ونظرته إليه في أن الله تعالى أنزله على رسوله محمد ﷺ للناس كافة، وليس خاصاً بقوم أو أمة معينة، كما هو حال الكتب السابق، وذلك يعني أن الآخر مشمول بخطاب القرآن، وما جاء فيه من عقيدة وتشريع، وأحكام خالد، وصالحة لكل

---

(١) تبين الآية الكريمة أن الكتب المتقدمة المتضمنة ذكر ومدح القرآن الكريم، الذي سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله، ويكون أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله فاحكم يا محمد بين الناس: عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، وأن ما بعث الله من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى. انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٢٧-١٢٩

(٢) بتصرف، طبارة، **روح الدين الإسلامي**، ص١٤٧

زمان ومكان، ولذلك تكفله الله تعالى بالحفظ من التبديل والتغيير يقول تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

المطلب الرابع: عقيدة اليوم الآخر وموقفها من الآخر

الإيمان باليوم الآخر جزء من الإيمان بالله، والكفر بأحدهما كفر بالآخر، فإذا آمن الإنسان بالله وكفر باليوم الآخر أو شك فيه فلا قيمة لهذا الإيمان، ولذلك جاء الإيمان باليوم الآخر مقترناً مع الإيمان بالله في مواضع عدة من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [التوبة: ١٨].

والعلاقة بين الإيمان بالله، واليوم الآخر وثيقة وحتمية؛ فالتلازم الفكري ينتقل إلى فكرة الجزاء الرباني عقب إيمان الإنسان بالله خالقه وفكرة الجزاء الرباني التي تقضي بأن الله تعالى لم يخلق الكون عبثاً وتكون نهاية قصة خلق الإنسان محدودة بظروف هذه الحياة الدنيا وما يقع فيها من خير أو شر عملت على إثبات وقوع الآخرة انسجاماً مع الإيمان بقدرة الله وعدله وحكمته(١).

ولعقيدة اليوم الآخر أثر واضح في صياغة نظرة المسلم للآخر، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مضامينها، وما يترتب عليها من نتائج؛ أما مضامينها فإن عقيدة اليوم الآخر تؤكد أن قصة الإنسان لا تنتهي عند موته؛ بل إن هناك حياة أخرى تنتظره، يكون فيها الجزاء على ما قدم في حياته الدنيا؛ فلا يمكن للعقل المؤمن بالله تعالى وبكمال عدله أن يستسيغ نهاية حياة الإنسان دون حساب عادل على ما أسلف، يجازى فيها المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، و"هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة، والمنبعث في جميع الأنفس عالمها وجاهلها، وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها، قديمها وحديثها، لا يمكن أن يعد ضلة عقلية، أو نزعه وهمية، وإنما هو من الإلهامات التي اختص بها هذا النوع، فكما ألهم الإنسان أن عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا (...) كذلك قد ألهمت العقول، وشعرت النفوس أن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للإنسان في الوجود، بل الإنسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن، ثم يكون حياً باقياً في طور آخر وإن لم يدرك كنهه"(٢).

"ثم كيف يسيغ العقل أن ينفضَّ سوق الحياة وقد نهب فيها من نهب، وسرق فيها من سرق، وقتل، فيها من قتل وبغى، فيها من بغى ولم يأخذ أحد من هؤلاء عقابه، بل تستر واختفى،

---

(١) ابتصرف، الميداني، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ص٥٣٣

(٢) القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٤٢-٤٣

فأفلت ونجا، أو تمكن من إخضاع الناس له بسيف القهر والجبروت؟" إذاً فالإيمان بيوم آخر ضرورة عقلية وحتمية[1].

ويؤكد القرآن الكريم حتمية اليوم الآخر، يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الجاثية:٢١-٢٢]، ويقول تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص:٢٧-٢٨]

ولا يخفى أثر هذا الاعتقاد على حياة الإنسان بشكل كامل وعلاقته بالآخر، فهو يجعل الإنسان مسؤولاً عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال، مما يجعله في حالة رقابة دائمة على شهواته وأهوائه ومصالحه الشخصية، حريصاً على ضبطها وتسييرها وفق ميزان الشرع؛ فما وافق الشرع عمل به، وما خالفه تركه، ومن المعلوم أن ما جاء به الشرع من أحكام وشرائع وحقوق، غايتها تحقيق الخير للإنسان، وتنظيم حياته ورعاية شؤونه، وهذا يعني أن مسؤولية الإنسان تجاه أفعاله وأقواله، وضبطها وفق ميزان الشرع، يحتم على المسلم النظرة إلى الآخر وفق ميزان الشرع وأحكامه. فإذا كان الشرع يأمر بالعدل والإحسان، والصدق والأمانة مع الآخر وينهى عن الظلم والكذب والغش وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل، فيكون المسلم ملتزماً بأوامر الشرع، ومنتهياً عن منهياته لينال جزاء ما قدمه في الحياة الآخرة. يقول تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۞ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾ [النجم:٣٩-٤١] ويقول تعالى أيضاً: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾ [آل عمران:٣٠] ويقول: ﴿**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الأسراء:١٣-١٤].

وفي مقابل ذلك؛ فإن خلوّ ذهن الإنسان من عقيدة اليوم الآخر؛ أو عدم إيمانه به، يجعل فكر الإنسان منحصراً في الملاذ الحسية، وما تمليه عليه شهواته وأهواؤه التي تحكم أقواله وأفعاله كما يجعله أيضاً لا يطمح ببصره إلى النتائج المترتبة على أعماله في هذه الدنيا، ولا يحكم على شيء بالمنفعة أو المضرة إلا باعتبار هذه النتائج وحسب، وعلى ذلك فإن الإنسان سيتجنب فعل ما يتيقن ضرره لعلمه بالنتائج السيئة على حياته كأن يعلم أنه لو أكل السم سيموت أو وضع يده في النار ستحرق، أما الأفعال الأخرى كالظلم والكذب والخيانة والغدر والغيبة،

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٣

وغيرها من الأفعال التي لا تظهر نتائجها السيئة بشكل كامل في حياته، فإنه يحترز منها على قدر ما يخاف من ظهور نتائجها السيئة في حياته؛ ولكنه لا يتردد عن اقترافها حينما لا يرى نتائج سيئة تترتب عليهما أو يرجو أن ينال بها منفعة مادية في هذه الدنيا نفسها(١).

أما المؤمن بعقيدة اليوم الآخر "فلا يطمح ببصره إلى النتائج العاجلة المترتبة على أعماله في هذه الحياة وحسب؛ وإنما يطمح ببصره إلى نتائجها الحقيقية المترتبة عليها في حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، ولا يحكم على فعلٍ بالمنفعة أو المضرة إلا على اعتبار تلك النتائج"(٢) وعلى هذا تكون عقيدة اليوم الآخر في الإسلام عقيدة إنسانية يراد منها الخير للإنسان أي إنسان لأنها تقوم على الحق والعدل والرحمة(٣). فاستحضار الإنسان الدائم وتصوره المستمر للمصير والجزاء والنعيم والشقاء الأبديين سيكون ذا أثر كبير في سلوكه مع الآخر، واستقامة طريقه معه وفرق كبير بين سلوك إنسان لا يعتقد بالجزاء في حياة آخرة، وسلوك من يعتقد بالآخرة، ولذلك كانت فكرة رعاية الآخرة، والاستعداد للحساب والجزاء تقترن في القرآن الكريم مع كل أمر أو نهي، ومع كل حكم من أحكام الشريعة وكل توجيه أخلاقي(٤).

ومما يذكر في عقيدة اليوم الآخر وأثرها على الآخر ونظرتها إليه أن الإسلام لا يتخلى عن الآخر حتى في اليوم الآخر، فمن ضمن مشاهد ذلك اليوم وحقائقه أن يقف الناس جميعاً ينتظرون الحساب في المحشر، وعندما يطول بهم الموقف ويشتد عليهم الكرب والغم مما لا يطيقونه فيقولون، ألا أحد يشفع لنا عند الله فيريحنا من هذا الموقف، فيذهبون إلى آدم ونوح وإبراهيم وموسى، فيعتذرون؛ وأما عيسى عليه السلام فيحيلهم إلى رسول الله ﷺ حيث يشفع لهم عند ربه، ليقضي بينهم ويريحهم من الموقف(٥) وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال "**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ (...) فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ (...) حتى يذْهَبُوا إِلَى عِيسَى** فيقول (...) **اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَأَنْطَلِقُ،(...) فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، (...) ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ**"(٦) بالشفاعة

---

(١) انظر: حوى، سعيد، **الإسلام**، ج١، ص٨٠٥-٨٠٦

(٢) حوى، **الإسلام**، ص٨٠٦

(٣) بتصرف، عطار، **الديانات والعقائد**، ص١٠٧

(٤) بتصرف، المبارك، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة**، ص١٥٥

(٥) بتصرف، ابن عثيمين، محمد بن صالح، **شرح العقيدة السفارينية**، ط٢، مدار الوطن للنشر، الرياض، ٢٠١٣م ، ص٤٨٧

(٦) انظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ج١، رقم:١٩٤، ص١٨٤

العظمى العامة لكل الخلق، وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الأسراء:٧٩] لأن هذا المقام يحمده فيه كل الناس، حيث إن الأنبياء قبله اعتذروا فصار الحمد له ﷺ وفي هذا المقام العظيم"(١)

وقد ورد ذلك في حديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه :" **إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ**"(٢)

(١) ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية، ص٤٨٨ ، انظر: السفاريني، شمس الدين، **لوامع الأنوار البهية**، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٨

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب قوله: (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محمودا)، ج٦، رقم:٤٧١٨، ص٨٦

الباب الثاني

النظرة إلى الآخر في شرائع الأديان الثلاثة وأثرها في سلوك أتباعها

الفصل الأول

النظرة إلى الآخر في الشرائع اليهودية وأثرها على السلوك اليهودي.

المبحث الأول

العنصرية في الشرائع اليهودية[١] وأثرها في النظرة للآخر

أدى اعتقاد اليهود بنقائهم العرقي واستحقاقهم للتكريم الإنساني بجدارة كما يزعمون إلى جملة من الاعتقادات المجحفة بحق الآخر؛ كعقيدة الاختيار الإلهي المزعوم، والميثاق، والمسيح المنتظر، وغيرها. ولم تبق هذه الاعتقادات حبيسة الفكر والمخطوطات والكتب وحسب؛ بل قام حاخامات اليهود وأحبارهم بتوظيفها في صياغة شرائع متعددة تنضح بالعنصرية والتعصب في التعامل مع الآخر والنظرة إليه، وقد تنوعت بين العقوبات، والمعاملات؛ وجاءت على النحو الآتي:

المطلب الأول: أحكام العقوبات في الشرائع اليهودية وأثرها على الآخر

تضمنت مصادر اليهود وكتبهم وخصوصاً التلمود وشروحاته جملة من العقوبات التي استصدرها الحاخامات والأحبار في حق الآخر بما يكفل لليهود الرفعة والسيادة والحماية، وإطلاق أيديهم لإفساد الأرض وامتلاك الآخر وتسخيره، ومنها:

---

(١) تضمنت الشريعة اليهودية تنظيماً كاملاً لنواحي المعاملات والعبادات وشؤون السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء وغيرها، غير أنه يلاحظ في هذه الشريعة كثير من مظاهر الانحراف والتضارب، واختلاط المسائل. أما مظاهر انحرافها فمتعددة أهمها ما ذكرته هذه الدراسة سابقاً، وهو قيامها على عقيدة الاختيار الإلهي التي تقضي بالتفرقة العنصرية بين اليهودي والآخر، وبناءً على ذلك فقد تم وضع قوانين ونظم تشريعية على هذا الأساس، فكانت مسألة التحليل والتحريم مسألة نسبية، ومن مظاهر انحرافها أيضاً التضارب، وعدم الوحدة حيث إن كثيراً من أحكام الشريعة تتعارض مع بعضها البعض، فقد يقرر سفر من أسفار التوراة حكماً ويجيء سفر آخر فيقرر شيئاً آخر في الأمر نفسه. للمزيد: وافي، **اليهودية واليهود**، ص٤٩-٥٣ والراجحي، عبده، **الشخصية الإسرائيلية**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٥٣

أولاً: عقوبة لطم الآخر لليهودي وشتمه

بالغت الشريعة اليهودية في إعلاء شأن اليهود سيراً على الاعتقادات السابقة الذكر وفي المقابل من ذلك حاولت انتهاز كل الفرص التي تؤدي إلى التجني على الآخر والتخلص منه، حيث تدعو إلى تطبيق أقسى العقوبات التي تصل إلى حد القتل في حق الآخر لمجرد أن ضرب يهودي أو شتمه سواء كان اليهودي ظالماً ومعتدياً، أو مظلوماً، وقد انتهز الحاخامات للتدليل على ذلك بالقصة التي ذكرتها التوراة بين موسى عليه السلام والمصري، حيث تزعم أن موسى عليه السلام قد قتل مصرياً كان قد اعتدى على رجل عبراني، وأنه فعل ذلك عامداً متعمداً، كما يصور النص أن موسى عليه السلام أقدم على ذلك مع سبق الإصرار والترصد، فأجهز على المصري ثم طمره في الرمل، يقول سفر الخروج: " **فرأى رجلا مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته، فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد، فقتل المصري وطمره في الرمل"**[1] **وهذا يعني** أن عقوبة قتل الآخر حال لطمه لليهودي شريعة يرجعها اليهود ظلماً وبهتاناً إلى نبي الله موسى عليه السلام لتكون مرجعاً ودافعاً لقتل الآخر وحماية اليهودي، وقد رد القرآن الكريم على هذا القول الفاسد والاتهام الباطل في حق نبيه الكريم وكليمه موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ**﴾ [القصص:١٥-١٧].

كما يؤكد التلمود هذه الشريعة ويدعو إليها فيقول: "إذا ضرب أمي إسرائيلياً؛ فالأمي يستحق الموت"[2] ويعلل التلمود سبب إصدار هذه العقوبة بقوله: "إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية"[3]، وفي موضع آخر يذكر التلمود أيضاً: أن روح اليهودي عزيزة عند الله؛ بل إنها جزء من الله كما أن الولد جزء من أبيه[4].

ولذلك استحق الآخر في نظر الأحبار و الحاخامات أن يقتل حال ايذائه يهودياً؛ لأنه يكون بذلك قد اعتدى على الإله نفسه، وهذا حال اليهود - كما مر سابقاً - حيث يربطون مصير الإله

---

(١) سفر الخروج ٢: ١١-١٢

(٢) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ط١، (ترجمة يوسف نصر الله)، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٨٨، ص٥١

(٣) المصدر نفسه، ص ٥١

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٢

والكون والأرض والحياة والآخر بهم؛ لِيُكْسبوا عقائدهم وشرائعهم مسحة من القداسة فلا يكون هناك مجال لنقضها أو معارضتها حتى من بعض اليهود أنفسهم.

ثانياً : عقوبة قتل الآخر لليهودي

القتل أمرٌ تأنفه الفطرة السليمة وتعافه، والأصل في الشرائع الإلهية تحريمه والنهي عن ارتكابه، ومعاقبة مرتكبه. ولا يظن القارئ أن العنوان يوحي بجواز قتل اليهودي والإجهاز عليه؛ وإنما قصد من ذلك بيان الأحكام التي اتبعتها الشريعة اليهودية حال قتل اليهودي، وإظهار مبلغ الظلم والاستخفاف بروح الآخر مقابل روحه.

وقد استعرض المؤرخ إسرائيل شاحاك بعض هذه الأحكام في كتابه **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام حيث يقول:"** يعدُ قتل اليهودي بحسب الديانة اليهودية جريمة عقوبتها الإعدام، وهي إحدى أفظع الخطايا الثلاث، والخطيئتان الأخريان هما عبادة الأوثان والزنى. وللمحاكم الدينية والسلطات العلمانية اليهودية الأوامر التي تلزمها بمعاقبة أي شخص مذنب بجرم قتل يهودي"(١).

وقد لا يبدو في هذا الكلام غرابة عند القارئ، والأمر كذلك؛ ولكن الغرابة في تحديد الشريعة اليهودية شخص القاتل وعِرقِه حيث يؤكد شاحاك أن اليهودي الذي يتسبب بصورة غير مباشرة بقتل يهودي فهو مذنب فقط بارتكاب ما تسميه شريعة التلمود معصية ضد شرائع السماء، ويكون عقابه عند الله عوضاً من البشر؛ أما إذا ارتكبها الآخر فيتوجب قتله وسحقه(٢). وفي المقابل تعطي النصوص والمصادر لليهودي الحق في قتل الآخر، وتعتبر ذلك ذنباً فقط بارتكاب معصية ضد شرائع السماء، وهي معصية غير قابلة لعقوبة صارمة عن محكمة، أما التسبب بصورة غير مباشرة بمقتل الآخر فهذا ليس معصية على الإطلاق(٣).

أما الصور غير المباشرة التي قد يقتل بها اليهودي الآخر؛ فلا تعني عدم وجود نية مسبقة أو قصد لذلك، ويوضح (شولحان عاروخ) نماذج من قتل الآخر بصورة غير مباشرة حيث يقول: "على المرء ألا يرفع يده لإيذائه (الآخر) ولكنه يستطيع أن يؤذيه بطريقة غير مباشرة كأن يُزيل

---

(١) شاحاك، إسرائيل، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام،** ط٤ ، (تقديم إدوار سعيد)، (ترجمة رضى سليمان)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٣٠-١٣١

(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣١

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٠-١٣١

السلم مثلاً بعدما يكون الشخص المعين قد سقط في هوة، إذ لا يوجد حظر هنا لأن الأذى لم يرتكب بصورة مباشرة"[١].

ومن الصور غير المباشرة أيضاً ما يوضحها موسى بن ميمون بقوله: " أما بالنسبة إلى الأغيار الذين لسنا في حالة حرب معهم، فينبغي ألا نتسبب في موتهم؛ ولكن إنقاذهم ممنوع إذا كانوا على وشك الموت، فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط في البحر ينبغي الامتناع عن انقاذه؛ لأنه مكتوب: وأنت لن تقف ضد دماء قرينك ولكن الأغيار ليسوا أقرانك"[٢].

من هنا عنيت نصوص الكتب اليهودية بالتأكيد على علو اليهودي وقداسة حياته، حتى اعتبرت أن إنقاذ حياة يهودي واجب لا يعلو عليه واجب آخر، حتى لو كان في ذلك انتهاك لحرمة يوم السبت، ويضرب **شولحان عاروخ** مثالاً لذلك: فلو أن هناك مبنى يعيش فيه تسعة أغيار ويهودي واحد، وفي يوم السبت مثلاً انهار المبنى في وقت يكون فيه أحد هؤلاء العشرة غائباً، ولا يعرف من هو، ولكن التسعة عالقون فينبغي رفع الأنقاض، وانتهاك حرمة السبت؛ لأن احتمال أن يكون اليهودي تحت الأنقاض احتمال كبير بنسبة تسعة إلى واحد[٣]، أما إذا تعلق الأمر بإنقاذ حياة الآخر، فلا يجوز انتهاك حرمة السبت لأجلهم يقول التلمود: " لا يجوز لنا أن ننتهك حرمة السبت إلا لأمثالنا الذين يلتزمون حرمة السبت، ولكن لا يجوز لنا انتهاكه لأجلكم أنتم الناس الذي لا يلتزمون حرمة السبت"[٤].

من هنا يظهر أن حياة اليهودي فقط هي الأهم، ولذلك يتوجب إلحاق أقسى العقوبات للآخر إذا تسبب بالضرر أو القتل لليهودي، وقد خصصت عقوبة القتل عند اليهود بالآخ،ر وأعفي منها اليهودي حيث يترك أمره لله، كيف لا وتوراتهم تقول بالتكافؤ وقداسة العرق اليهودي، ومنزلته من الإله كمنزلة الابن من أبيه كما يزعمون.

ثالثاً: عقوبة الزنا عند اليهود وأثرها على الآخر

الأصل في الزنا التحريم عند جميع الشرائع، وقد قررت الشريعة اليهودية عقوبات متعددة بحق مرتكب الزنا؛ ولكنها تفرق في أحكامها كما هو معتاد بين اليهودي والآخر؛ أما الأحكام العامة التي تنطلق منها فهي تحريم الزنا بين اليهود أنفسهم، حيث يقرر الحاخامات في التلمود بأن الزاني اليهودي المتزوج أو الزانية اليهودية المتزوجة يجب أن تطبق فيهم عقوبة الإعدام؛ لأن

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٠
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٦
(٣) شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام**، ص١٣٨-١٣٩
(٤) المصدر نفسه، ص١٣٩

وصية موسى: " لا تشته امرأة قريبك" [١] هي خاصة بين اليهود وأنفسهم[٢] وفي مقابل ذلك تجيز الزنا مع الآخر ولا ترتب عليه أية عقوبة، وإن كان في ذلك إثم أو خطيئة تستحق العقوبة فيجب أن تطبق في حق الآخر؛ أما اليهودي فمعفى منها، ويستدلون على ذلك بنصوص من التوراة والتلمود، ففي سفر القضاة يشجع كاتب السفر شباب اليهود على الاغتصاب والزنا حيث يقول: **"٢١وَانْظُرُوا فَإِذَا خَرَجَتْ بَنَاتُ شِيلُوهَ لِيَدُرْنَ فِي الرَّقْصِ، فَاخْرُجُوا أَنْتُمْ مِنَ الْكُرُومِ وَاخْطِفُوا لأَنْفُسِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ مِنْ بَنَاتِ شِيلُوهَ، وَاذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ بَنْيَامِينَ"**[٣].

ويؤكد التلمود هذه الشريعة العنصرية في حق الآخر، وما تخلفه من نشر للفساد والرذيلة ويعتبرها حقاً مشروعاً فيقول: "يحل لليهودي اغتصاب غير اليهودية، ولكن يحرم عليه الزواج منها"[٤]، ويتجاوز امتهان الآخر واحتقاره كل الحدود حين تعتبر الشريعة اليهودية أن مفهوم الزنا لا ينطبق على الآخر ولا يشمله سواء كان متزوجاً أو غير متزوج، فإذا كان مفهوم الزواج بحد ذاته لا ينطبق على الآخر فكذلك لا يطبق عليه مفهوم الزنا يقول التلمود: "لا وجود لزواج للكفرة"[٥].

وبذلك فإن الاتصال الجنسي بين رجل يهودي وامرأة من الأغيار لا ينطبق عليه مفهوم الزنا؛ بل يساوي التلمود مثل هذا الاتصال الجنسي بخطيئة الوصال مع الحيوانات، يقول التلمود: "إن من يملك معرفة جنسية بزوجة أحد الأغيار لا يتعرض لعقوبة الإعدام؛ لأنه كتب (زوجة قريبك) ولم يكتب زوجة الغريب؛ وعلى الرغم من أن الامرأة المتزوجة من الأغيار محرمة على الأغيار فإن اليهودي يعفى من ذلك في أي حال ... وإذا حدث ذلك، فإن العقوبة الرئيسية تنزل بالمرأة من الأغيار إذ يتوجب إعدامها حتى وإن كانت قد اغتصبت من يهودي"[٦].

أما سبب سنِّ هذه العقوبة في حق امرأة الآخر فتفسرها نصوص التلمود حيث يقول: "إذا مارس يهودي الجنس مع امرأة من الأغيار، ولو كانت طفلة في الثالثة من عمرها، أو بالغة، ولو كانت متزوجة، أو غير متزوجة، ولو كان اليهودي قاصراً في التاسعة من عمره بالإضافة إلى يوم واحد ينبغي قتل المرأة؛ لأنه تعمد الاتصال بها جنسياً كما هو الحال مع الحيوان ..."[٧].

---

(١) سفر الخروج٢٠: ١٧
(٢) انظر: شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام**، ص١٤٦
(٣) سفر القضاة٢١: ٢١
(٤) الفاتح، زهدي، **اليهود**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧١م ص١٦٩
(٥) بتصرف، شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام** ، ص١٤٦
(٦) المصدر نفسه، ص١٤٦
(٧) المصدر نفسه، ص١٤٦

وبهذا النص يظهر أن سبب عدم وقوع مفهوم الزنا أو الزواج على الآخر، وكذلك إباحة الاتصال الجنسي معه، دون أن يترتب في ذلك عقوبة على اليهودي بل يلحق العقوبة بالآخر أياً كان ذكراً أو أنثى، هو اعتباره من الحيوانات، فكيف يطلق على الاتصال الجنسي مع الحيوان زنا وهذا في نظرهم أمر لا يصح عقلاً.

والنصوص الدالة على عدم بشرية الآخر التي كانت دافعاً لإباحة الزنا والفتك به عديدة منها:

- " المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات...."(١).
- " إن الزنا بغير اليهود ذكوراً أو إناثاً لا عقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات"(٢).
- "إن مدافن غير اليهود تثلج صدور أبناء إسرائيل؛ لأن اليهود وحدهم هم بشر؛ أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات"(٣).

وقد ورد في بعض نصوص التلمود تحديد لنوع هذه الحيوانات، فمرة يكون الآخر مثل الحمير، ومرة مثل الخنزير البري، يقول التلمود: "لا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود لأنهم أشبه بالحمير"(٤)، ويقول أيضاً: "إن غير اليهودي لا يختلف بشيء عن الخنزير البري"(٥)؛ وبذلك يعتبر اليهودي نفسه فقط من سلالة بني آدم. يقول التلمود: "إن بني إسرائيل وحدهم بنو آدم"(٦).

ويؤكد فلاسفة اليهود وعلماؤهم هذا الاعتقاد، يقول ابن ميمون: "بعض الأتراك والبدو في الشمال، والسود، والبدو في الجنوب، وأولئك الذين يشبهونهم في أقاليمنا ، فطبيعة هؤلاء البشر كمثل طبيعة الحيوانات البكماء، وهم بحسب رأيي ليسوا في مستوى البشر، ومستواهم بين أشياء الوجود هو دون مستوى الإنسان، وأعلى من مستوى القرد؛ لأن لهم أكثر مما للقرد، صورة الإنسان والشبه له"(٧).

من هنا تقرر الشريعة اليهودية تحريم الزنا بين اليهود وتحليله مع الآخر ، كما تحرم على الآخر ارتكاب الزنا بيهودية، وتقرر له عقوبة الموت جراء ذلك، يقول التلمود: "إذا سب

---

(١) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص ٥٣
(٢) المصدر نفسه، ص ٧١
(٣) مسعد، بولس حنا، **همجية التعاليم الصهيونية**، مطابع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص٦٧
(٤) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص ٥٢
(٥) مسعد، بولس، **همجية التعاليم الصهيونية** ، ص٦٩
(٦) أتلخان، جواد، **الإسلام وبنو إسرائيل**، (ترجمة يوسف شاه)، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص٦١
(٧) شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام**، ص٥٢-٥٣

اسم الجلالة أحد أولاد نوح[١] ثم دخل في دين اليهود عفي من القتل، وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنى بامرأة من أبناء طائفته، وأما من قتل يهودياً أو زنى بامرأة يهودية فيستحق الموت بدون رحمة"[٢].

ولا يعد ارتكاب الفاحشة أو الاتصال الجنسي مع الآخر عند اليهود مباحاً فقط؛ بل يعلم التلمود أتباعه أن اليهودي إذا زنى بامرأة غير يهودية ينال ثواباً من الله، وكذلك إذا ارتكبت امرأة يهودية الفاحشة مع غير اليهودي خصوصاً إذا قصدت بذلك مصلحة اليهود وتحقيق مكاسب مادية، ولذلك كان الزنا مع الآخر عند اليهود وسيلة لكسب المال والربح وأغراض التجسس، والحصول على الأسرار والمعلومات؛ ففيه حماية للشعب اليهودي من جانب، وتدمير للشعوب الأخرى وإفسادها وإنهاكها والقضاء عليها، ولعل أبرز الأمثلة الحديثة على ذلك ما صرحت به وزيرة الخارجية الإسرائيلية السابقة (تسيبي ليفني) من أنها " مارست الجنس مع عدة شخصيات عندما كانت تعمل وكيلة للموساد، وذلك من أجل إقحامهم في فضائح جنسية لابتزازهم، وانتزاع تنازلات سياسية، ومعلومات سرية منهم لصالح إسرائيل، كما اعترفت أيضاً بارتكابها جرائم قتل وقعت في البلدان الأوروبية التي وذهب ضحيتها العلماء العرب مشيرة إلى أن الموساد كان يتدخل يومئذ من أجل إنقاذها ، وفي اجتماع لها مع صحيفة التايمز البريطانية قالت ليفني إنها لا ترى عيباً في استخدام الجنس والقتل من أجل إسرائيل وهي فخورة بما أقدمت عليه مضيفة أنها قد تلجأ مرة أخرى إلى نفس الممارسات من أجل إسرائيل ، واعترافات تسيبي ليفني جاءت بعد تصريح وفتوى من الحاخام شافاط آري الذي سمح باللجوء إلى ممارسات جنسية مع الأعداء مقابل الحصول على معلومات مهمة، مستنداً إلى أن مصادرهم وكتبهم تسمح بذلك[٣] وهذا ما تم استعراضه وتوضيحه سابقاً.

ويجدر التذكير هنا بأن التشريع اليهودي القائل بإباحة الزنا مع الآخر في مقابل تحقيق مصلحة الشعب اليهودي والإضرار بالآخر الذي قامت ليفني بتطبيقه حرفياً، ومن كان على شاكلتها من نساء اليهود، قد حدث خلال تاريخ اليهود مراراً وتكراراً؛ كقصة إستير مع الملك احشريوش ملك الفرس، فغدت إستير مثلا تحتذي به نساء اليهود في كل مكان؛ فالقصة التوراتية تخبر أن اليهود استطاعوا أن يوقعوا فتنة بين الملك إحشريوش وزوجته من خلال فتاة يهودية

---

(١) تطلق بعض النصوص لفظة أبناء نوح على الآخر بينما تطلق على اليهود أبناء إبراهيم وذلك بعد أن أحكم كتبة التوراة الدائرة على إسحاق ثم يعقوب عليهما السلام. نظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٥٦

(٢) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص١٣١

(٣) انظر: صالح أهضير، جريدة البلاغ الصحفي (albalagh.over-blog.com) ٢٠١٢/١١/٣

اسمها إستير التي تجردت عن كل الأخلاق والقيم فأوقعت الملك، واستطاعت أن تستغله لصالح شعبها، وخدمة قوميتها حتى جعلته يصدر قراراً بقتل جميع أعداء اليهود من الفرس[١].

وبعد هذه النصوص وغيرها يصاب القارئ بالحيرة والذهول عند استعراض أسباب إيقاع عقوبة الزنا في حق الاخر، وزعم المصادر اليهودية أن الزنا أمر متأصل في نفس الآخر ووجدانه يقول التلمود: "محظور على اليهودي ترك قطعانه في حظائر الأمي؛ لأن بهيمته أحب إلى الأمي من زوجه"[٢] ويقول أيضاً: " محظور على المرأة اليهودية الانفراد بالرجال الأميين بسبب ميلهم إلى ممارسة الزنا"[٣] وتتناسى الشريعة اليهودية بعد ظلمها للآخر واعتبار الزنا والفاحشة أمراً متأصلاً بطبيعته أستير والقصص الفاحشة التي عجت بها أسفار التوراة، حتى لم يسلم منها الأنبياء وأبناؤهم وأحبارهم وحاخاماتهم، فالتلمود يذكر قصة الرابي اليعازر الذي استوطن حب الفاحشة جل وقته وحياته، حيث فتك بكل نساء الدنيا، وذات مرة سمع بأن فتاة تطلب صندوقاً مليئاً بالذهب حتى تسلم نفسها، فحمل الصندوق إليها وعدى سبعة شلالات حتى وصل إليها، وفي آخر القصة وبعد وفاة هذا الحاخام صرخ الله من السماء قائلاً: ليحصل الرابي اليعازر على الحياة الأبدية[٤].

المطلب الثاني: أحكام المعاملات في الشرائع اليهودية وأثرها على الآخر

توجب الشريعة اليهودية على أتباعها في باب المعاملات بشكل عام التقيد بأحكام التوراة وشروحات الأحبار من: الصدق، والأمانة، واجتناب السرقة والغش والاحتكار والربا بين اليهود أنفسهم وإباحته مع الآخر، ويذكر د.المسيري أنه على الرغم من احتواء التوراة نصوصاً صريحة تؤكد نهي شريعة موسى عن السرقة والغش والربا والاحتكار؛ إلا أن الأحبار والحاخامات قاموا بتضييق النطاق الدلالي لها، فكلمة (اخيك) أو (قريبك) حصرها الأحبار في معنى اليهودي، واستبعدوا الآخر منها[٥]، فوصايا التوراة " لا تقتل، لا تزن، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك..."[٦] خاصة باليهود دون غيرهم، ومن هنا تكللت أحكام المعاملات في الشريعة اليهودية بألوان من الغش والمخادعة والاحتكار والربا والسرقة مع

---

(١) انظر: سفر استير: ١
(٢) منى، زياد، **تلفيق صورة الآخر في التلمود**، قدمس، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٧٠
(٣) المصدر نفسه، ص ١٧١
(٤) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٧٢
(٥) بتصرف، المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية** ، ٥م، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٤٠
(٦) سفر الخروج٢٠: ١٣-١٧

الآخر، وسيأتي تفصيل ذلك من خلال النصوص والمصادر اليهودية في مبحث أملاك الآخر وحقوقه.

أما مسألة التجارة والبيع والشراء فقد أرست المصادر اليهودية أسسها ودعائمها من خلال قواعد تدور في حلقة الربا والغش والخداع، ويمكن أن يتم ذلك بصورة مباشرة وغير مباشرة، كأن يلاحظ اليهودي أن الآخر أجرى حساباً خاطئاً للسعر خلال عملية الشراء، فلا حاجة أن يذكّره اليهودي بخطئه بل يقول له إنني أعتمد على حساباتك[١].

ونصوص التلمود تخبر بأقوال وأفعال عديدة لحاخامات اليهود وأحبارهم حول مسألة التجارة والبيع والشراء مع الآخر ومن ذلك ما قاله الحاخام (رشي): "مُصرح لك (اليهودي) أن تغش ... وتحلف يميناً كاذبة على شرط أن ينجح في ما لفقته من الأكاذيب، واعترض عليه الرابي إسماعيل من مدينة (ناربونيا) قائلاً: كيف يكون الكذب والخداع جائزين مع أن الحاخام (اكيبا) حرمهما لعدم الضرر الضرر بالدين، فأجاب عن ذلك بأن غرض (اكيبا) أن يجتهد اليهودي في أن يغش الأجنبي دون ما يكتشف هذا الأخير أنه أدخل عليه الغش"[٢].

كما جاء في التلمود أيضاً أن الرابي (كهانا) "اشترى مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة برميل منها فقط"[٣]، وكذلك "باع أحد الربيين لأجنبي شجراً معداً للكسر، ثم نادى خادمه وأمره بأن يكسر بعضه ويسرقه ، لأن المشتري وإن كان يعرف عدد القطع إلا أنه يجهل حجم كل قطعة منها"[٤].

هذا ما يرسخه التلمود في نفوس أتباعه؛ فالغش والاحتيال ضرورة لا بد منها لإتمام عملية البيع والشراء مع الآخر، لأن التوراة تقول: "لا يغش أحدنا أخاه" ويقصد بذلك تحريم غش اليهودي؛ أما مع الآخر فجائز ولا شيء عليه؛ ولكن إذا أقدم الآخر على غش يهودي فينبغي إجباره على دفع ثمن غشه واحتياله[٥]، يقول الحاخام (ابار بانيل) : " ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم، وجائز لبني إسرائيل على حسب تعاليم التلمود أن يغشوا الكفار لأنه يقول: يلزم أن تكون طاهراً مع الطاهرين ومدنساً مع المدنسين"[٦].

وقد حددت مصادر اليهود أحكاماً عامة للتعامل التجاري مع الآخر منها:

---

(١) شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠عام**، ص ١٤٩

(٢) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص ٥٩

(٣) المصدر نفسه، ص٥٩

(٤) المصدر نفسه، ص٥٩

(٥) بتصرف، شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام** ، ص١٤٩

(٦) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود** ، ص٥٤

- منع التعامل التجاري مع الآخرين في أيام أعيادهم يقول التلمود: " ثلاثة أيام قبل عيد الأميين يحرم أي تعامل معهم، ويحرم إعارتهم، أو إقراضهم، أو أخذ قرض منهم، أو أن يدفع لهم أو أن يقبض منهم..."(١)

- لا يحق للآخر المطالبة بنقود ردها للمشتري اليهودي بطريق الغلط يقول التلمود: " عليك أن تعيد النقود المدفوعة زيادة عن الثمن لقريبك اليهودي، لكن عليك ألا تعيدها إلى الأمي"(٢). وتعد هذه النقطة فرع من قاعدة عامة في أحكام المعاملات اليهودية مع الآخر حيث تحرم على اليهودي رد الأشياء المفقودة من الآخر ، يقول التلمود " إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب"(٣)، ويقول الحاخام ميما نود: "إذا رد اليهودي إلى الأمي ماله المفقود فإنه يرتكب إثماً كبيراً، لأنه بعمله هذا يقوي الكفار، ويظهر اليهودي بذلك أنه يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله"(٤).

- استخدام الربا واعتباره أصلاً من أصول التعامل التجاري مع الآخر على الرغم من تحريمه بين اليهود، جاء في التلمود: " غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا"(٥). وقد ادعى أحد الحاخامات أن أقوال موسى عليه السلام عن الربا صدرت بصيغة الأمر يعني أن اليهود ملزمون بالأمر الشرعي التكليفي أن يقرضوا الآخر بالربا.

وقد أدى استخدام اليهود للربا مع الآخر إلى خلق أزمات تجارية واقتصادية أدت إلى انهيار حضارات ودول، يقول البابا كليمنت الثامن: " تقاسي بلدان العالم كافة من عمليات الربا والاحتكار والمخادعة التي يمارسها اليهود، فاليهود هم الذين سببوا حالة الفقر المدقع التي يعاني منها بعض التعساء السيئي الحظ، لاسيما من العمال والفلاحين. لذلك يتوجب علينا الآن أن نحذر اليهود من مغبة تعاليمهم اللا أخلاقية، وتصرفاتهم غير الإنسانية، التي يتذمر منها كل بلد منحهم حقوق الضيافة منذ تشتتهم "(٦).

ولا يزال التعامل الربوي اليهودي مع الآخر مرتبطاً بجميع التعاملات الاقتصادية لليهود ، ومن خلاله استطاع اليهود تقويض تجارة الآخر، واستلاب أمواله، ويظهر التفاف اليهود جميعاً حول شريعة الربا وكأنهم على قلب رجل واحد، وما كان ذلك إلا بوجود نصوص صريحة تشجع

---

(١) منى، **تلفيق صورة الآخر التلمود**، ص١٧٨
(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤
(٣) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٦٠
(٤) المصدر نفسه، ص ٦١
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٣
(٦) الفاتح، زاهدي، **اليهود**، ص٧٨

ذلك وتدعمه يقول سفر التثنية: **"لا تقرض أخاك بربا، للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يبلركك الرب إلهك"**(١).

المطلب الثالث: أحكام الزواج في الشريعة اليهودية والآخر

يقوم الزواج في الشريعة اليهودية على قاعدة عامة وهي حصره ضمن دائرة اليهود أنفسهم، وتحريمه على الآخرين، ويمكن مناقشة هذه القاعدة من خلال أمرين اثنين: أحدهما: ذكر سابقاً هو اعتبار مفهوم الزواج مقتصراً على اليهود، أما ما يحدث من اتصال جنسي في مجتمع الآخر فلا يعد زواجاً، ولا ينطبق عليه مفهوم الزواج، فالنصوص اليهودية توضح أن مفهوم الزواج لا يطلق على الحيوانات، وتعود هذه النظرة إلى اعتبار الآخر خارجاً من دائرة التكريم الإنساني، وليس أصيلاً في الإنسانية حتى لو كان شكله وصورته تدللان على بشريته وإنسانيته، وقد أسهبت سابقاً في استعراض النصوص والأقوال التي تؤكد هذا الاعتقاد وتشير إليه.

أما **الأمر الثاني** فهو تحريم الزواج من الآخر سواء أكان ذكراً أم أنثى، ولا أقصد بذلك من كان خارج الديانة اليهودية بل من كان خارج العرق اليهودي، فلا دخل للدين في الزواج أي لو كان الآخر متهوداً فلا يحق له الزواج من اليهود، ويعتبر التلمود أن الزواج من الآخر لا يصح عقلاً، فكيف يكون هناك تزاوج مع الحيوانات؟ ولذلك يقولون " لا يوجد زواج للكفرة"(٢)، ولا يعني ذلك أن هذه العقيدة وما بني عليها من تشريع كان مجرد فكرة أو مقولة، بل كانت تمارس بشكل عملي وواضح؛ فالتلمود يخبر أن أحد اليهود اسمه (ابن سيرا) رد على بختنصر عندما قدم له الأخير ابنته ليتزوجها فقال: "إني من بني آدم ولست من الحيوانات"(٣)، وبعبارة أخرى كأن ابن سيرا يقول لبختنصر: إبحث لابنتك عن حيوان يناسبها، ومن فصيلتها، لأنني أنتمي إلى النوع الإنساني.

وقد أسهمت التوراة في غرس هذا الاعتقاد وما بني عليه من سلوك ونظرة احتقارية تجاه الآخر، حيث تزعم أن إبراهيم طلب من عبده أن لا يزوج إسحاق من بنات الكنعانيين فيقول: " **فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا**

---

(١) سفر التثنية ٢٣: ١٩-٢٠

(٢) شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام**، ص١٤٦

(٣) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص ٥٢

ساكن بينهم"[١] ، كما فعل إسحاق ذلك بابنه يعقوب **" فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان"**[٢].

ولم تقتصر أسفار التوراة في تحريم الزواج من الأمم الأخرى؛ بل جعلته سبباً مباشراً في الحرمان من العهد، والميثاق، والبركة، والإرث الإلهي، حيث صرحت بحرمان إسماعيل وطرده؛ لأنه ابن جارية مصرية خارج العرق المقدس، وكذلك حرمان عيسو من حقوقه لأنه تزوج من الامم الأخرى، كالحيثين والإسماعيلين وبذلك تبلغ الشرائع اليهودية أوج العنصرية والتعصب للعرق اليهودي، خصوصاً بعد ربطها بعقيدة الميثاق والاختيار، واستمرار البركة وتكثير النسل، بالحفاظ على نقاء العرق اليهودي، وتحريم الزواج من الأمم الأخرى، يقول سفر التثنية **" لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بْنَتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتَهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ"**[٣].

وفي حال حدوث زواج بين اليهود والأمم الأخرى، فإن الشريعة اليهودية تحكم ببطلانه واعتباره أمراً لم يحدث[٤] يقول دي بولي في المادة (٣٩٦) "إن الزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعد فجوراً وزناً والأولاد الذين يولدون يعدون أبناء زنا"[٥].

وكما ذكرت سابقاً فلا يُظن أن سبب التحريم هو اختلاف الدين أو المذهب ، ولكن السبب الرئيسي هو النظرة العنصرية للآخر، والدليل على ذلك ما جاء في المادة (١٩) من كتاب شمعون في الأحكام الشرعية. حيث يقول: "إذا ارتد الإسرائيلي ثم تزوج شرعاً بإسرائيلية صح العقد كذلك إذا ارتدت الإسرائيلية ثم تزوجت بإسرائيلي"[٦].

---

(١) سفر التكوين٢٤: ٢-٣
(٢) سفر التكوين٢٨: ١
(٣) سفر التثنية٧: ٢-٤
(٤) ذكرت سابقاً أن التشريع اليهودي يتميز بالتناقض والتضارب، ففي هذا النص يحكم ببطلان عقد الزواج بين اليهودي وغير اليهودية أو العكس، ويعتبر الأولاد الذين يولدون أبناء زنا ولكن د. عرفان عبد الحميد يطالعنا بتشريع آخر يثبت فيه أنه في حال حدوث زواج مع الآخر فإن اليهودية تحصر الهوية اليهودية في المولود من أم يهودية فقط ،لأن اليهودية ترتكز أصالة وبإطلاق على النسب من الأم ، ومن ثم كانت اليهودية طيلة العصور الماضية محصورة في جنس بعينه، يقول التلمود: "أما ابنك المولود من امرأة وثنية فلا يدعى ابنك". عبد الحميد، عرفان، **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية** ، ص١٢٣-١٢٨
(٥) ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، ص١٩٢
(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٢

ومعنى ذلك أن الزواج ليس فرعاً من الإيمان كما هو الحال في الإسلام بل فرعٌ من العصبية والعنصرية[١].

المطلب الرابع: المطعومات والمشروبات في الشريعة اليهودية والآخر

تميزت الشريعة اليهودية بأحكام خاصة للطعام والشراب ، كما وضعت قواعد عامة لما يحل منه وما يحرم، وقد جاءت هذه الشرائع نتيجة تأويلات وتفسيرات للنصوص التوراتية التي قام بها حاخامات اليهود، وبقيت في تطور ونمو مستمرين بفضل الإضافات التي تراكمت عبر الزمن، فهناك أحكام خاصة بالحيوانات ذوات الأربع، والطيور والأحياء المائية، واللحوم والألبان وغيرها[٢].

وفي هذا الجزء من الدراسة ستتم مناقشة أحكام الطعام والشراب في الشريعة اليهودية من خلال نظرة اليهود العقدية والتشريعية للآخر، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

أولاً: تناول طعام أو شراب أعدّه الآخر

توجه الشريعة اليهودية أتباعها إلى الامتناع عن أي طعام يقوم الآخر بتحضيره حتى ولو طبق فيه قوانين الطعام اليهودية[٣]، وكذلك الأمر في الشراب، فيمنع اليهودي من شرب نبيذ شارك الآخر في إعداده بأي شكل من الأشكال، ويتجاوز الحظر مسألة إعداد الآخر للشراب ليصل إلى حد لمس الزجاجة؛ ففي أحكامهم يصبح النبيذ في زجاجة مفتوحة محرماً حتى لو كان قد أعده يهودي فقط في حال أقدم أحد الأغيار على لمس الزجاجة أو مررّ يده من فوقها[٤].

أما السبب الذي يعطيه الحاخامات لذلك فهو زعمهم أن الأغيار كافة ليسوا عباد أصنام وحسب؛ بل هم خبثاء؛ بحيث أنهم قد يقدمون بهمسة أو إشارة على تكريس نبيذ على وشك ان يحتسيه يهودي نبيذاً يسكب كقربانٍ للصنم الذي يعبدون، وينطبق ذلك على المسيحيين والمسلمين[٥].

---

(١) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٩٢
(٢) انظر: الخطيب، محمد أحمد، **مقارنة الأديان**، ص٢٠٠-٢٠١ ، ظاظا، **الفكر الديني اليهودي**، ص١٩٧
(٣) بتصرف، المسيري، **الموسوعة اليهود واليهودية الصهيونية**، م٥، ص٢٠٤
(٤) بتصرف، شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام** ، ص١٥٥
(٥) المصدر نفسه، ص١٥٥

ويؤكد التلمود هذه الأحكام والشرائع العنصرية ففي سفر عبوده زارة يقول: "هذه أغراض الأميين المحظورة حظر تناول وليس حظر انتفاع، خبزهم وزيتهم المطبوخ"(١)، وقد فصل الحاخام حييا بن با في شرح هذه النقطة، وأوضح أن أي طعام لا يمكن للأمي تغيير طبيعته مسموح تناوله، أما ما يطهوه الأمي أو يطحنه أو يستخدم فيه النار (الطهي) فهو محظور على اليهود(٢).

وقد أسهبت الشريعة اليهودية في عرض الأحوال التي يحظر فيها تناول طعام الآخر: فهناك حالة تقليب الآخر لطعام يطبخه يهودي، وهناك حالة قيام الآخر بإشعال الفرن، مع أن اليهودي هو الذي يطهوه، حتى البيض المسلوق لم يسلم من النقاش بين الحاخامات والأحبار، فالتلمود يقول: " بيضهم المشوي أو المسلوق محرم"(٣).

ثانياَ: مسألة مؤاكلة الآخر

امتد الحظر مع الآخر في الشريعة اليهودية حتى شمل مجرد تناول الطعام معه على مائدة واحدة، ولو كان الطعام شرعياً ومطهواً بالطريقة اليهودية(٤)، وتستثني الشريعة اليهودية حالات معينة يتم فيها اجتماع اليهودي والآخر، وتتداركه بجملة من الأحكام، حيث يذكر التلمود أن على اليهودي إحضار طعامه معه في حالة قبوله دعوة أمي(٥)، وإذا أجبر اليهودي على دعوة الآخر إلى طعامه لأي ظرف كان كأن يكون الآخر ذا مكانة وسلطة يخيف اليهود فلا ينبغي السماح له بتلاوة صلاة الشكر(٦).

وقد ربط حاخامات اليهود بين السبي والويلات التي الحقت باليهود على مدى تاريخهم، ومسألة تناول الطعام مع الآخر، يقول الحاخام شمعون بن العازر " جلوس الأميين على مائدته (الملك حزقيا) سبب لأبنائه السبي ... ومن يسمح لأمي بدخول بيته يسبب لأبنائه السبي"(٧) ويربط اليهود أيضاً بين مسألة تحريم مؤاكلة الآخر والأنبياء الأوائل، حيث يزعمون أن مسألة تحريم المؤاكلة مع الآخر إحدى وصايا إبراهيم للذرية المزعومة، يقول التلمود مخاطباً الشعب اليهودي:

(١) منى ، **تلفيق صورة الآخر في التلمود**، ص١٩٤
(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٩٤
(٣) المصدر نفسه، ص١٩٦
(٤) بتصرف، المسيري، **الموسوعة اليهود واليهودية الصهيونية**، م٥، ص٢٤٠
(٥) منى، **تلفيق صورة الآخر في التلمود**، ص١٩٦
(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٥
(٧) المصدر نفسه، ص١٩٤

"لكن يا بني يعقوب تذكر كلماتي وتمسك بوصايا ابيك إبراهيم، انفصل عن الأميين، ولا تأكل معهم، ولا تتصرف كما يتصرفون، ولا تكن لهم رفيقاً ، فأعمالهم دنسة، وطرقهم القاذورات، والدناءة والفساد"[١].

ولا يقتصر الحظر في الطعام والشراب على مسألة منع مؤاكلة الآخر أو أكل طعامه؛ بل تحرم الشريعة اليهودية إطعام الآخر أيضاً، وتعتبر أن إطعام الكلب خير منه وأفضل يقول التلمود: " إن الكلب أفضل من الأجانب؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضاً أن يعطيهم لحماً، بل يعطيه للكلب، لأنه أفضل منهم"[٢].

مما سبق يتبين أن الأحكام التي وضعتها الشريعة اليهودية في مسألة الطعام والشراب مع الآخر بلغت من العنصرية والكره له الأمر الذي يمكن معه القول بأن مسألة اجتماع يهودي وآخر على مائدة واحدة من الأمور المستحيلة.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٩٤

(٢) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص ٥٢

المبحث الثاني

الآخر في شعائر اليهود وأعيادهم

المطلب الأول: الصلاة عند اليهود والآخر

يعتقد اليهود أن الصلاة انبعاث جديد للدين اليهودي في الفترة التي أعقبت تدوين التوراة، ويرى بعض الباحثين في تاريخ التشريع اليهودي أن الصلاة اليهودية بدأت ببداية خلق الكون(١).

وعند النظر في أسفار التوراة نجد أن الصلاة عند اليهود ترحم واعتراف وشكر للرب وقد عبرت عنها اسفار التوراة بعدة الفاظ: كاستغاث(٢) وطلب(٣)،وسأل(٤)، ورفع صوته(٥)، وتوسل(٦). وقد كانت بادئ ذي بدء عبارة عن نداء باسم الرب(٧)، ثم تطورت إلى نوع من مناجاة الرب(٨)، ثم ارتبطت الصلاة بتقديم القرابين(٩)، وكان تقديم القربان نفسه نوعاً من الصلاة؛ لأن القربان كان يقدم إما للتكفير عن ذنب، أو شكر للرب ، ثم أصبحت الصلاة بعد ذلك علاقة بين الرب والعبد لا تحتاج إلى شفيع أو وسيط(١٠)(١١).

ولست هنا في مجال التفصيل في عبادة الصلاة عند اليهود، وكيفية أدائها، وعددها، وأوقاتها، بل ليتوصل القارئ إلى أن الدعاء كان الجسم الرئيس للصلاة عند اليهود كما أوردته أسفار التوراة ، ويؤكد ذلك أيضاً الواقع الحالي لصلوات اليهود في معابدهم؛ إذ يأتي الدعاء قريناً للصلاة ، فتمتزج أدعيتهم بصلواتهم، حتى يغلب الدعاء على الصلاة شكلاً ومضموناً(١٢).

وقد استغل اليهود ذلك في صب جام حقدهم وغضبهم وكراهيتهم على الآخر، حين تحولت معابدهم وطقوس صلاتهم إلى الدعاء على الآخر بالفناء والإبادة والبوار؛ ففي صلاتهم اليومية

---

(١) بتصرف، الموحى، عبد الرزاق صلال، **العبادات في الأديان السماوية**، ط١، الأوائل، دمشق، ٢٠٠١م، ص٧٦

(٢) سفرمزمور٧٢: ١٢

(٣) سفر عامرس٥: ٤

(٤) سفر مزمور١٠٥: ٤٠

(٥) سفر ارميا٤: ١٦

(٦) سفر ارميا٧ : ١٦

(٧) سفر تكوين١٢ : ٨

(٨) سفر التكوين٢٤: ١٢١٤

(٩) سفر تكوين١٣: ٤

(١٠) سفر مزمور١٤٥: ١٨

(١١) انظر: عبد المجيد، محمد بحر، **اليهودية**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٤٧-١٤٨

(١٢) بتصرف، الموحى، **العبادات في الأديان السماوية**، ص٧٥

مثلاً وخصوصاً الأجزاء الأولى منها يجب على اليهودي أن يتوجه أولاً إلى الله تعالى بالدعاء؛ لأنه لم يجعله أحد الأغيار(١).

أما الجزء الختامي من الصلاة اليومية، وهو المستخدم في القسم الأكثر جلالة في قداس رأس السنة ويوم الغفران، فيبدأ اليهودي المصلي بالقول: " وعلينا أن نحمد إله الجميع لأنه لم يجعلنا مثل شعوب الأرض لأنها تنحني أمام الخيلاء والعدم وتصلي لإله لا يعين"(٢).

وفي أهم جزء من صلاة أيام الاسبوع يتوجه اليهودي المصلي بلعنة خاصة موجهة بالأصل ضد الآخر من المسيحيين، ومضمونها "وليهلك جميع المسيحيين على الفور"(٣)، يقول شاحاك: " ينبغي لليهودي التقي وبمعزل عن الصلوات اليومية الثابتة، أن يتلو دعوات مختصرة خاصة في مناسبات مختلفة، الحسنة منها والسيئة، وتعمل هذه الصلوات العرضية على غرس مشاعر الكراهية والازدراء تجاه الأغيار كافة"(٤).

أما الصلوات العرضية التي يؤديها اليهود فهي متعددة ، منها (٥):

- حال ارتداء اليهودي لباساً جديداً، أو مشاهدته برقاً، أو سماعه نبأً معيناً، فعليه أن يتلو أدعيه خاصة يرتكز مضمونها على سب الآخر ولعنه وشتمه.
- إذا مر اليهودي بالقرب من مقبرة للأغيار فعليه أداء صلاة مليئة باللعنات على الآخر، بينما إذا مر جانب مقبرة لليهود فيتوجب عليه الحمد والشكر لله.
- عند مشاهدة حشود الآخرين، على اليهودي التقي أن يطلق أدعية مليئة باللعنات والغضب والكره، ولكنه إذا شاهد حشداً من اليهود، يتوجب عليه أن يحمد الله ويتوجه له بالدعاء والشكر.
- إذا مر اليهودي قرب مسكن يقطنه آخر فعليه أن يصلي لله ويدعو بتدميره، وإذا كان المبنى مدمراً فعليه أن يشكر إله الانتقام، والقاعدة معكوسة بالنسبة لمساكن اليهود.

ومما يجدر ذكره من التاريخ اليهودي أنه وفي أثناء تواجدهم في السبي البابلي، تنبه الفرس إلى صلاة اليهود وحقيقة مضامينها، حيث رأوها دعاءً على الأمم الأخرى بالبوار

---

(١) بتصرف، شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام**، صض١٥٣
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٣
(٣) المصدر نفسه، ص١٥٣
(٤) المصدر نفسه، ص١٥٤
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص١٥٤

والخراب فعمدوا إلى منعهم من أداء صلواتهم، مما جعل اليهود يعمدون على صياغة أدعية ممزوجة بالصلاة سموها (الخزانة)، ووضعوا لها ألحاناً عديدة، وكانوا يجتمعون على تلاوتها حتى يميزوها عن الصلاة، فلما أنكر الفرس عليهم ذلك قالوا نحن نغني وننوح على أنفسنا فخلوا سبيلهم في ذلك[١].

مما سبق يتبين مدى الظلم الذي تلحقه الشعائر اليهودية بالآخر فحتى، العبادات كالصلاة مثلاً تم زج الآخر فيها؛ ليحتل موقعاً محدداً يكون فيه هدفاً دسماً للعنات والأدعية المحملة بشحنات من الكره والغضب والسباب والشتائم في حقه.

المطلب الثاني: الآخر في أعياد اليهود ومناسباتهم

عرفت الأعياد في تاريخ البشرية؛ بأنها مناسبات تجمع الناس على الفرح والسرور، وإدخال البهجة والسعادة، حتى عند من يخالفهم من الأمم الأخرى، وهذا هو المألوف والمتعارف عليه؛ إلا أن أعياد اليهود خالفت ذلك، فأحكامها تخبر بأن بعض أعيادهم لا يمكن أن تتم ولا تتحقق إلا بعد الرقص على جثة الآخر، وأشلائه، وشرب دمه، وليس هذا على سبيل المجاز؛ بل إن التاريخ والواقع يخبران بحقيقة بنود هذه الأحكام وتطبيق مضامينها، يقول التلمود: " لا يحول أي عيد ولا أي مسألة مهما كانا مقدسين دون ضرب عنق مسيحي، ويقول الرابي اليعازر: يجوز قطع رأس أحمق في عيد الكفارة حينما يصادف في يوم السبت"[٢].

ويُعد دم الآخر طقساً هاماً من طقوس بعض الأعياد اليهودية؛ إذ يستخدم في عجينة الفطير والكعك، فلا يكتمل العيد، ولا تتحقق الفرحة إلا به، وفي كتاب ألفه حاخام يهودي بعد أن اعتنق المسيحية واسمه **نافيطوس** بعنوان **سر الدم المكتوم** كشف فيه أن ما يحدث في الأعياد من استنزاف لدماء الآخر وخصوصاً المسيحيين إنما كان سراً لا يبوح به أحد من اليهود بل من الواجب أن يبقى في خفايا صدورهم محرماً على ألسنتهم وأقلامهم[٣].

وقد ذكر الحاخام نافيطوس في بداية رسالته الأسباب التي دعت اليهود إلى استنزاف دماء الآخر وخصوصاً المسيحي، وأهمها اعتقادهم أن من يحصل على دم مسيحي مسفوكاً فإنه يقدم أضحية لله وقرباناً، وكذلك اعتقادهم أن دم الآخر فعال في بعض الأعمال السحرية[٤]، وهذا ما

---

(١) الجوزية، محمد أبي بكر بن قيم، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ط١، مطابع يوسف بيضون، بيروت، ١٩٨١م، ص١٦٦ ، الموحى، **العبادات في الأديان السماوية**، ص٧٥

(٢) براناتيس، الأب آي. بي.، **فضح التلمود**، ص١٤٨-١٤٩

(٣) بتصرف، أبو الروس، أيليا، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ص٥٥

(٤) انظر: نافيطوس، **رسالة إظهار سر الدم المكتوم** ،(ترجمة توماس بنجادي)، نقلاً عن الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج، (ترجمة يوسف نصر الله) ، ط ٢، الدار العالمية ، مصر، ٢٠١١م، ص٢١٨-٢٢٣

تحث عليه كتبهم ومصادرهم، يقول التلمود:" من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر؛ لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله"[١] وإن الله يكافئه على ذلك، فيجب أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت أو على أي وجه[٢]، ويقول أيضاً: " من يقتل مسيحياً أو أجنبياً يكافأ بالخلود في الفردوس"[٣].

ويذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس أن مواسم الأعياد لم تقتصر على عجن دماء الآخر في فطائرهم؛ بل كانوا يأكلون قطعاً من لحومهم، وله على ذلك شاهد ودليل؛ فيذكر أنه وبعد تبوئ ملك اليونان انطونيوس الرابع العرش سنة ١٧٤ق.م، و فتح مدينة أورشليم وجد في أنحائها رجلاً يونانياً حبسه اليهود، وكانوا يقدمون له أحسن الأطعمة؛ ليسمن ويزكو لحمه، حتى يأتي اليوم الموعود، ويخرجونه إلى إحدى الغابات ويذبحونه ويشربون دمه، ويأكلون شيئاً من لحمه، وإنهم كانوا يكررون فعلتهم هذه في كل عام مع أحد من اليونان[٤].

أما الأعياد التي تميزت طقوسها بوجود دماء الآخر فقد جاءت كما يلي:

أولاً: عيد الفصح

وهوعيد خبز الفطير، ويسمى في العبرية (بيساح) أو (الفسح) التي تعني الفرج بعد الضيق[٥] ، وقد ارتبطت تهمة الدم الشهيرة بفطير هذا العيد، ويعلل اليهود ضرورة وجود الدم في هذا العيد بعد ربطه بنصوص عقدية، وأوامر إلهية؛ ففي فترة وجودهم في مصر تحت نير عبودية فرعون أمر الله بني إسرائيل بأن يلطخوا أبواب بيوتهم بدم الحمل المذبوح بعيد الفصح[٦]. فأصبح الدم بعد ذلك يستخدم في الرش على طاولات الطعام قبل العشاء السري، كما يصنعون منه قليلاً من الخمر ثم يلعنون المسيحية[٧].

وللدم المستخدم في هذا العيد ضوابط و شروط، أهمها أن يتحصل من الأطفال الذين لا يتجاوز سنهم العاشرة أو تزيد قليلاً، حيث يمزج دم الضحية بعجين الفطائر قبل تجفيفه، أو بعد تجفيفه[٨] ، كما يشترط في الحصول عليه تعرض الضحية للتعذيب والألم بموجب طقس ديني؛ كطريقة البرميل الإبري التي يتم فيها إدخال الضحية من الآخر في برميل مثبت على جوانبه إبر

---

(١) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٦٧
(٢) المصدر نفسه، ص٦٧
(٣) المصدر نفسه، ص٦٨
(٤) بتصرف، وافي، **اليهودية واليهود**، ص٤٧-٤٨
(٥) بتصرف، السعدي، غازي، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، ط١، دار الجليل ،عمان، ١٩٤٤م، ص١٤-١٥
(٦) انظر: سفر خروج ١٢: ٦-١٥
(٧) بتصرف، أبو الروس، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ص٥٥
(٨) بتصرف، وافي، عبد الواحد، **اليهودية و اليهود**، ص٤٤

حادة توضع فيه الضحية حية، فتنخز هذه الإبر جسمها، وتسيل الدماء ببطء من مختلف أعضائها، بينما يلتف اليهود حولها وهم في غاية الفرح والسرور واللهفة، ويتسابقون في تجميع الدماء في إناء معد لذلك، وأحياناً يتم تقطيع شرايين الآخر في عدة مواضع ليتدفق الدم من جروحها[١].

وتذكر الأحداث والوقائع شواهد مؤلمة عديدة تؤكد اتباع اليهود في عيد الفصح لهذه الطقوس وهذه الشروط في طريقة تحصيل دم الآخر، وقد أطلق عليها الباحثون اسم ذبائح الشرق وذبائح الغرب، أما ذبائح الآخر في منطقة الشرق فلعل أهمها حادثة الطفل هنري عبد النور وقد كتبها بالتفصيل صاحب كتاب (الذبائح البشرية والتلمودية)، حيث اختفى هذا الطفل ابن الستة سنوات وهو ينتمي إلى طائفة الأرمن الكاثوليك في دمشق مدة أحد عشر يوماً ، ثم عثر عليه جثة في بئر مجهول في إسطبل عند فوهة حارة اليهود، وقد شهد أناس من الحي بأن اليهود حضروا إلى هذا المكان ومعهم كيس زعموا أن فيه زاداً لهم، وقد تبين بعد فحص جثة الطفل تعرضه للتعذيب مع وجود جروح في جسده، كما شوهد على عضديه وفخذيه بقع منتفخة ومحمرة توحي بتعرض الطفل للاستنزاف[٢]. ويحكي الغرب كذلك عن ذبائح يهودية تم فيها استنزاف دم الآخر، وهي عديدة ومثالها مذبحة بلوا (احدى مدن فرنسا) سنة ١٠٧١م وقد ثبت فيها استنزاف اليهود لولد بعد أن جلدوه في عيد الفصح، ولما انتهوا من أخذ دمه وضعوا جثته في كيس وطرحوه في نهر اللوار، وقد حكم على اليهود بعد ثبوت الجريمة بالنار قصاصاً لهم[٣]، ومن الأمثلة أيضاً على ذلك مذبحة نورمنش سنة ١١٤٤م وهي احدى مدن انجلترا حيث احتال اليهود على ولد اسمه (غليوم) عمره اثنا عشر عاماً بعد أن أدخلوه في محل لهم وحفظوه إلى قرب عيد فصحهم ، ولما جاءت الساعة الموعودة ربطوا يديه ورجليه وبدأوا يوخزونه بإبر ومناخس، ثم صلبوه على خشبة وهو يتوجع من شدة الألم، و طعنوه بحربة في القلب بعد أن عبأوا دمه بزجاجات لحفظه[٤].

ثانياً: عيد البوريم

وهو مشتق من كلمة (بور) أو (نور) ومعناه القرعة ويصادف يوم الرابع عشر من آذار[٥]، ويرتبط مضمون هذا العيد وفحواه بدماء الآخر (من الفرس)، ويرجع تاريخه إلى فترة وجود اليهود في السبي البابلي، وتحديداً بعد أن أسقط قورش إمبراطورية الكلدان بمساعدة

---

(١) انظر: نافيطوس، **رسالة الدم المكتوم**، ص٣٣٢، الوافي، **اليهودية واليهود**، ص٤٥

(٢) انظر: أفندي، حبيب فارس، **الذبائح البشرية التلمودية** ، ج١، (تحقيق عبد العاطي جلال)، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٨٩٠م، ١٧-٢١

(٣) بتصرف، أبو الروس، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ص١١٧

(٤) بتصرف، المصدر نفسه ، ص١١٧-١١٨

(٥) بتصرف، السعدي، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، ص١٤ ، وانظر: شنودة، زكي، **المجتمع اليهودي**، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ص٢٨١

الدسائس والمؤامرات اليهودية، حتى وصل اليهود إلى رتب عالية عند الفرس، وخصوصاً فترة حكم أحشوريوش، وتبدأ قصة تذكار هذا العيد مع قصة وزير الفرس هامان الذي عرف مكائد اليهود وحبهم للسلطة، فحاول أن يحد من ذلك، وتنبه له رجل يهودي يعمل في البلاط الملكي واسمه مردخاي فزج ابنة عمه اليهودية (أستير) لتوقع الملك إحشوريوش، وتنقذ اليهود مما خطط لهم بعد أن استخدمت كل حبائلها الخالية من الأخلاق الفاضلة للإيقاع به، حتى جعلت الملك إحشوريوش يصدر أمراً بقتل عدد كبير من الفرس تجاوز ٧٥٠٠٠، وقد جاءت القصة كاملة في سفر أستير ١٦ حيث يقول: "واجتمع سائر اليهود ... وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفاً، في اليوم الثالث عشر من شهر آذار، واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم وليمه وفرح..."[١]، ويقول أيضاً: "واليهود الذين في تشوشن اجتمعوا في الثالث عشر والرابع عشر منه واستراحوا في الخامس عشر وجعلوه يوم شرب ومرح"[٢] ولذلك جعل اليهود الذين في الريف يسكنون بلداناً غير مسوّرة اليوم الرابع عشر من شهر آذار للفرح والشرب ويوم عيد يرسلون فيه الهدايا بعضهم إلى بعض[٣].

وبذلك أصبح عيد البوريم عندهم مناسبة سعيدة يحيي فيها اليهود أخبار المجازر التي سفكوا فيها دماء الآخر ومناسبة للسكر والشماتة بالكوارث التي تقع للأمم الأخرى؛ ولتكتمل فرحة اليهود بهذا العيد فلا بد من دماء الآخر ليكون تذكاراً مميزاً لقصة أستير مع الفرس، وكما هو الحال مع عيد الفصح فإن الدماء المستخدمة في عيد البوريم لها شروط وميزات: أهمها: أن يستخدم فيها دم الآخر البالغ أو الكبير في السن، بعد أن يجفف على صورة حبوب تمزج بعجين الفطائر[٤]، ولا يشترط في حصول الدم تعذيب الضحية ضمن طقوس دينية[٥]؛ ولكن اللافت للانتباه هو ضرورة إطعام الآخرين من الفطير الممزوج بدمائهم[٦].

وعند النظر في هذه الشروط التي تميز بها فطير عيد البوريم فإنها تنطبق كثيراً على حادثة مقتل الأب توما البادري وخادمه إبراهيم الذي سبقت قصة قتله واختفائه قبل عيد البوريم بشهر تقريباً ... وتعد حادثة استنزاف دم الأب توما الراهب الكبوشي الإيطالي في دمشق من قبل اليهود في شباط من عام ١٨٤٠م على صعيد حوادث قتل اليهود للمسيحيين، واستخدام دمهم المستنزف في صنع الفطير، وقد أسهب الكتاب والصحفيون في الحديث عن هذا الموضوع

---

(١) للمزيد، سفر استير٧: ٤ ، ٩:٥ ، ٩: ٢٠ ، ٩: ٢٤-٢٨
(٢) سفر استير٩: ١٨-١٩
(٣) بتصرف، سفر استير٩: ١٨-١٩
(٤) بتصرف، وافي، **اليهودية واليهود**، ص٤٤
(٥) بتصرف، نافيطوس، **سر الدم المكتوم**، ص٢٣٢
(٦) المصدر نفسه، ص٣٣٣

وخصوصاً بعد محاكمة الجناة وإقرارهم واعترافهم، باستدراج الأب توما إلى بيت شخص يدعى داود هراري، وقيامهم بتوثيقه ونحره بالسكين بطريقة بشعة ومؤلمة، بعد أن وضعوا رأسه في طشت حتى تمت تصفية دمائه، ثم نزعوا ثيابه وأحرقوها، وقاموا بتقطيعه إرباً إرباً، وتكسير جمجمته بيد الهاون، ثم رموا عظامه وبقايا لحمه في مصرف المدينة، وبعد مجيء خادمه إبراهيم ليبحث عنه أخذه المجرمون إلى المكان نفسه وقتلوه بالطريقة البشعة نفسها، وهي طريقة تشبه كثيراً ذبح الحيوانات كما وصفها أحد الجناة واسمه سليمان الحلاق(١)، وهذا يعيدنا إلى تلك النظرة التي تمت مناقشتها في بداية الحديث عن اليهودية وقيمة الإنسان؛ فالنظرة إلى الآخر في اليهودية لم تخرج عن إطار النظرة إلى الحيوانات؛ من بهائم وحمير وخنازير برية، ويذكر أن مرتكبي هذه الجريمة وعددهم ستة قد اعترفوا أمام المحكمة بأن جريمتهم تنبع من فكر عقدي وشريعة ملزمة، أوجبتها مصادرهم وشروحات أحبارهم، حيث تقرر أن دماء الآخر مقبولة عند الله، على الرغم من أن شريعتهم تعتبر الدم نجساً؛ ولكن دماء الآخر طريقة يتقربون بها إلى الله تعالى.

وعلى الرغم من هذه الدلائل والإثباتات والاعترافات، فقد كانت نهاية القصة عجيبة وكأنها حكم على الآخر بالصمت والخضوع أمام الأسياد، وضرورة تقبل مصالحهم وتنفيذ شعائرهم ، فبعد أن حكم على اليهود الجناة بالإعدام تدخل ملوك المال من آل روتشيلد وآل مونتفيوري وآل ساسون؛ ليضعوا حداً لهذه المهزلة التي فهم منها تساوي اليهود بالآخر في حال معاقبتهم على جرمهم ، فأرسل محمد على باشا تحذيراً لدمشق يوجب الكفّ عن تنفيذ الأحكام الصادرة بحق اليهود، وبذلك انتهت القصة وأسدلت فصولها على ما تم تقريره من عقائد وتشريعات يهودية، لم تكتب لتكون في ثنايا صفحات الكتب؛ بل لتكون سلوكاً وطريقاً ومنهج حياة.

---

(١) انظر: افندي، حبيب فارس، **صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية**، ط١، المطبعة الجامعة، القاهرة، ١٨٩١م، ص١٤٣-١٤٥ ، روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص١١٥-١١٨ ، أبو الروس، **اليهودية والعالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ص٧٩ ، الكيلاني ، نجيب، **دم لفطير صهيون**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧١م، ص٨٣-٨٤

المبحث الثالث

أملاك الآخر في الشريعة اليهودية

احتوت الشريعة اليهودية أحكاماً متعددة بخصوص أملاك الآخر وحقوقه، وهي أحكام مستمدة من عقائد اليهود ومصادرهم، وستتم مناقشتها - بإذن الله – من خلال المصادر اليهودية والكتب المقدسة وبيان أثرها ونتائجها الخطيرة على حياة الآخر.

المطلب الأول: حكم الشريعة اليهودية في أموال الآخر وأملاكه

تنظر شريعة اليهود إلى أملاك الآخر وأمواله على أنها حق وإرث شرعي لليهود؛ ولذلك تحكم بضرورة تحصيله واسترداده، دون الالتفات إلى الوسائل والطرق المستخدمه في ذلك من ربا وسرقة وغش واحتكار، بل يعتبرون هذه المسميات وهذه الأفعال حرام على اليهود حلال في حق الآخر، ولا يمكن توصيفها سوى أنها وسائل متعددة لاسترداد حق ضائع وملك مغتصب، يقول التلمود: " أملاك غير اليهود حسب شريعتنا ليست ملكاً لأحد، ولأولِ يهودي يصادفها مطلق الحق في الاستيلاء عليها"(١).

من هنا يتجنب اليهود في خطاباتهم أي مصطلحات تشير إلى السرقة أو الاحتيال أو الغش بالنسبة لأملاك الآخر، ويسمونها عملية استعادة واسترداد، وهذا ما نراه شاهداً وواقعاً في قضية احتلال فلسطين واغتصابها، وفي كل عمل يقدمون عليه. فعلى سبيل المثال ظهرت كتابات اليهود بعد حرب السويس ١٩٥٦م، وحرب حزيران ١٩٦٧م، وبعد احتلال سيناء تهلل بما أسموه عملية الاستعادة لأرضهم، وهم في كل استعداداتهم الحربية والنفسية لا يسمون التوسع للأرض اغتصاباً أو حتى استعماراً، إنما هو تحرير لأرضهم التي يزعمون ملكيتها(٢).

المطلب الثاني: أسباب تسلط اليهود على أموال الآخر وأملاكه

لا شك أن أهم الأسباب التي جعلت اليهود يسعون بكل طاقتهم وقوتهم إلى امتلاك أموال الآخر هي تلك العقيدة التي جعلت منهم الشعب المختار، والصفوة المقدسة، وأبناء الله وأحباءه، والتي تنبع أساساً من اعتقاد الديانة اليهودية بأن القيمة التي منحها الله للإنسان من كمال وأصالة في الصورة والجوهر والاستخلاف حصرت في العرق اليهودي فقط، وأخرجت منها جميع الأمم الأخرى التي خلقت على شكل إنسان حتى يأنس اليهود بهم؛ فيكونوا خدماً وعبيداً يليقون بالجنس المختار؛ أما أصلهم فعبارة عن قطيع من الحيوانات، أو السعادين الحليقة المحتقرة على حد وصف

---

(١) الفاتح، **اليهود**، ص١٦٦

(٢) انظر: الراجحي، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٥٣

الكتب اليهودية المقدسة، ومن هنا جاءت الشريعة اليهودية لتعلن حكمها في استحقاق اليهود وعن جدارة أملاك الآخر وأمواله وسلبه جميع حقوقه.

كما يعد اعتقاد اليهود بضرورة السيطرة على العالم والسيادة عليه وحكمه دافعاً هاماً في سرقة أموال الآخر واغتصابها؛ فلا تتم السيطرة على العالم والناس إلا بالسيطرة على جميع ما يملكون، وبذلك يسهل استعباد الآخر وامتلاكه، ليظل محتاجاً ومفتقراً للعرق اليهودي، من هنا يُعلم اليهود أبناءهم حب المال منذ نعومة أظفارهم لتصبح طبعاً وسجية تألفها نفوسهم، يقول زهدي فاتح: " لقد نُشئ اليهودي منذ نعومة أظفاره ليحس بأن سعادته وراحته الحقيقيتين هما في اقتناء المال واكتنازه المال وتكديسه، فغدا اليهود أسياد المال وبالتالي أسياد العالم"[١].

وقد فضحت التوراة تلك التنشئة وصورت الجشع اليهودي، فإرميا يقول: **"لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب"**[٢]، ومن الأسباب التي قادت اليهود إلى الجري وراء أملاك الآخر ما ذكر سابقاً في عقيدة المسيح المنتظر والآخر، فالسيطرة على أموال الآخر كما يزعمون أهم الأسباب التي تعجل في قدوم المسيح المنتظر، ليقود مملكة الذهب العالمية؛ فالمسيح حسب زعمهم لن يأتي إلا واليهود في غاية الثراء، يقول التلمود واصفاً تلك اللحظات: تكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثراء ؛ لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم، وسيكون لها كنوز تملأ قصوراً واسعة، حتى إن ثلاثمائة دابة لا تكفي لحمل مفاتيح الأبواب والخزائن، وسيبادر المسيح إلى جمع ذهب العالم وفضته؛ ليوزعها على جميع اليهود بالتساوي[٣].

المطلب الثالث: وسائل اليهود وطرقهم في السيطرة على أموال الآخر وأملاكه

تعددت الوسائل والطرق التي اتبعها اليهود في حيازة أموال الآخر وامتلاكها؛ إلا أن القاعدة العامة، والقاسم المشترك الذي يجمعها جميعاً هو الغاية تبرر الوسيلة، من هنا سوغ اليهود لأنفسهم كل الطرق المشروعة وغير المشروعة للاحتيال على الآخر، وسلب أمواله، إيماناً منهم بعقائد فاسدة، كان جلها مسوغاً لجميع جرائمهم المالية ضد الآخر فالإله – كما يزعمون – يأمرهم بقتل الآخر، واستلاب أمواله وممتلكاته، وسيرة أنبيائهم – كما يزعمون – حافلة بالغش والمكر والخديعة، وبذل الغالي والنفيس في سبيل تحقيق مآربهم ومطامعهم، وكذلك اعتقادهم بالمسيح المنتظر الذي سيقود امبراطورية الذهب العالمية، وزعمهم بأنهم شعب الله المختار الذي صور لهم

---

(١) الفاتح، **اليهود**، ص١٥٦

(٢) سفر ارميا٦: ١٣

(٣) انظر: روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٤٨-٥٠، مسعد، **همجية التعاليم الصهيونية** ، ص٥٧-٥٩

أن شرائع المنع والحظر الديني المتعلقة بالمال هم معفيون من التقيد بها في حال تعاملاتهم المالية مع الآخر؛ كأكلهم الربا وقد نهوا عنه يقول تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [النساء:١٦٠-١٦١] ومن الوسائل والطرق التي اتبعها اليهود في السيطرة على أملاك الآخر ما يلي:

أولاً: مراباة الآخر

تأمر شريعة اليهود ومصادرهم اتباعها بمراباة الآخر، وتحرم ذلك بين اليهود أنفسهم باعتباره أسرع الوسائل والطرق في تحصيل المال والسيطرة عليه، يقول سفر التثنية: **" لا تقرض أخاك بربا، للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا"**(١) ويعد الربا في شريعة اليهود أنجع الطرق في استعباد الآخر والسيطرة عليه، يقول التلمود:"إذا احتاج مسيحي لبعض نقود فعلى اليهودي أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى، حتى لا يمكنه من أن يدفع ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله!! فإن تنازل فبها، وإلا طلب حقه أمام المحاكم، ووضع يده على أملاكه بواسطتها!!"(٢)؛ ولذلك تحرص الشريعة اليهودية على تشجيع الربا مع الآخر وتلزمه، وترى ضرورة تعليمه لأبناء اليهود، وتجعله أهم أسس التربية الربوية؛ ففي تعاليمهم لا بد لكل يهودي أن يعلِّم أبناءه الربا من خلال ممارسته معهم حتى يتقن اليهودي التعامل به مع الآخر، يقول التلمود:"أنه مصرح لليهودي أن يعير أولاده وأهل بيته بالربا ليذوقوا حلاوته ويقدروه حق قدره"(٣).

وبالفعل فقد مارس اليهود الربا مع الآخر في كل بلد حلوا فيه، وتسببوا للعالم بمصائب وانهيارات اقتصادية لا يزال العالم يقاسي مرارتها حتى الآن، والأمثلة على ذلك كثيرة لعل أهمها انهيار اقتصاد دول العالم الثالث بفعل الفوائد البنكية عبر المؤسسات المالية الدولية؛ كصندوق النقد الدولي الذي يمارس إملاءات مغايرة لمصالح الشعوب بعد اغراقها في القروض المجحفة، الأمر الذي أدى إلى انهيار اقتصادي كارثي؛ فالدول العربية مثلاً تتفاقم ديونها بمقدار ٥٠ ألف دولار في الدقيقة الواحدة، ولا شك أنه كلما ارتفعت وتيرة الديون ترسخت التبعية ووجدت الذريعة للتدخل والسيطرة(٤)، ومن الأمثلة على التعاملات الربوية التي تميز بها الاقتصاد اليهودي انتشار الشركات متعددة الجنسيات التي تعد السمة الربوية البارزة لليهود في العالم وتبرز في هيمنة

(١) سفر التثنية ١٩:٢٣-٢٠
(٢) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٦٥
(٣) روهلنج، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ص٦٤
(٤) انظر: الرقب، صالح، **العولمة**، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٧-٢٨

الشركات متعددة الجنسيات التي تسيطر على نصف تجارة العالم، وتعد هذه الشركات شكلاً من أشكال الاستثمارات المعاصرة للرأسمالية، وقد بلغت مجمل خسائر الدول النامية بسبب تحكم هذه الشركات حوالي مائة مليار دولار سنوياً[١].

ثانيا: افتعال الحروب والأزمات والفتن

تعد إثارة الحروب والثورات والفتن إحدى أهم الطرق والخطط الاقتصادية اليهودية في السيطرة على المال والذهب لصالح اليهود دون مراعاة للدماء البريئة، والضحايا الذين يسقطون نتيجة ذلك ، ولعل شخصية روتشيلد ملك المال اليهودي مثال واضح وتجسيد عملي في استغلال هذه الوسيلة، من خلال مؤامرته العالمية التي استطاع من خلالها تحقيق أكبر قدر من المكاسب، ويحدد ذلك في نقاط أهمها[٢]:

أ. إثارة حروب معينة بصورة مدروسة ومنهجية، وتوجيهها بصورة تغرق معها الأمم المتحاربة بالديون التي تتكفل المنظمات اليهودية بفرضها وعقدها، وترتبط هذه الديون بصورة خفية بجماعة المؤامرة، وهذا يتطلب السيطرة على الصحافة، ولا يهمنا في الحصول عليه أن نخوض بحاراً من دماء ودموع الضحايا.

ب. يجب إقامة حكم الإرهاب؛ لأنه أوفر الطرق تكلفة، وأشدها فعالية في السيطرة على أموال الآخر، وبالتالي إخضاعه بالسرعة اللازمة.

ج. وجوب إثارة المجازر بين الجوييم، واستعمال أفضل الأسلحة الممكنة فيها حتى تصبح أممهم منهكة ليس فيها سوى الفقراء الكادحين.

ويذكر أن تلك المؤامرة والخطط لم تذهب أدراج الرياح؛ بل كان لها صدى مدمر في إشعال فتيل الحروب والفتن ، ومن الأمثلة على ذلك قيام **الثورة الفرنسية** سنة ١٧٨٩م، التي اندلعت بفعل مؤامرة يهودية تسللت فيها أصابع اليهود إلى اقتصاد فرنسا في الخفاء، وتنقلوا بها في مراحل حتى اغرقوها في القروض، فتراكمت ديون الحكومة الفرنسية لأرباب الأموال الفاحشة من اليهود، ورافق ذلك سيطرتهم على وسائل الإعلام وقيامهم بحملات من التزوير والتلفيق ضد الأسرة الحاكمة، وفي سياق الحديث عن أحداث الثورة الفرنسية لا يغفل ذكر أعداد الضحايا الذين سقطوا جراء ذلك، فهناك المئات الذين كانوا يساقون إلى المقصلة يومياً، بالإضافة إلى ضحايا

---

(١) انظر: الرماني، عايد، **اليهود يحكمون العالم رؤية اقتصادية**، ط١، دار القطب للنشر، الرياض، ٢٠٠٨م، ص٨-١٨

(٢) انظر: كار، **اليهود وراء كل جريمة**، ص٨٨-٩٨

السجون الذين بلغ عددهم ثمانية آلاف سجين في مدينة باريس وحدها عام ١٧٩٢م[١]، كما لا يغفل عند الحديث عن دور اليهود في الحروب والفتن دورهم الفتاك في إشعال الحربين العالميتين الأولى عام ١٩١٤م، والثانية عام ١٩٤٥م التي تم فيها قتل الملايين من الأبرياء في سبيل الحصول على المال، ففي الحرب العالمية الثانية قتل أربعون مليون من الرجال والنساء، غير الذين قتلوا بتأثير قنبلتي نجزاكي وهيروشيما، وقد كشفت بعض المصادر الثروات والأرباح الطائلة التي حققها اليهود في ذلك بواسطة الرشوات، وتجارة الاسلحة التي كان يبيعونها إلى الفريقين المتحاربين وبأسعار باهظة؛ ففي عام ١٩١٤م وزعت سندات بقيمة ١٣٤٠ مليون دولار على ١٢ مالكاً، وقد بلغت أرباحها عام ١٩٣٩م مبلغاً هائلاً مقداره ٢٣ مليار، و١٤١ مليون؛ أما الحرب العالمية الثانية فقد بلغت مكاسبهم ما يقارب أربعين مليار دولار[٢] وهذا يعني أن اليهود قد حققوا من الفتن والحروب والثورات أرباحاً اسطورية استطاعوا من خلالها السيطرة على أموال الآخر وممتلكاته، وبالتالي إحكام قبضتهم على العالم.

---

(١) انظر: كار، **اليهود وراء كل جريمة**، ص١١٨-١٢٩

(٢) انظر: كار، **اليهود وراء كل جريمة**، ص٤٩-٥١، قطب، محمد، **مذاهب فكرية معاصرة**، ط١، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢٠٧-٢٠٨ ، فورد، هنري، **اليهودي العالمي** ، ص٢٢٩-٢٣١

المبحث الرابع

التنظيم الديني والاجتماعي عند اليهود وأثره على الآخر

تحرم الشريعة اليهودية على أتباعها الاندماج مع الآخر أو الاختلاط به من خلال فرضها لحواجز عديدة - وقد ذكر سابقاً أهمها - حيث شكلت سياجاً عازلاً من الشرائع العنصرية التي تحكم علاقة اليهود بالآخرين؛ كتحريم الزواج معهم، والاختلاط بهم، وجواز مراباتهم وغشهم واحتكارهم وسرقتهم، ومنع مؤاكلتهم، وتقديم الهدايا والعون لهم، وبمعنى آخر قطع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى علاقات معهم.

ولم يكتف أحبار اليهود وفقهاؤهم بتلك الأحكام وتطبيقها على الآخر فقط، بل رأوا ضرورة وجود سياج آخر يكون حقيقياً وواقعياً، له حدود وملامح يعزل اليهود في مدن وأحياء خاصة وفق تأطير وتنظيم اجتماعي يحمي العرق اليهودي من تنجس دمه وذهاب قداسته ، ولا شك أن هذه التشريعات تعتمد بشكل كلي على تلك النظرة المستعلية التي يكنها اليهود لجميع الأمم والشعوب الأخرى انطلاقاً من عقيدة النقاء العرقي، والأصالة الإنسانية، والدم الطاهر، وغيرها من العقائد العنصرية التي تعج بها نصوص التوراة وشروحات التلمود، وأقوال الحكماء، وما أفضت إليه من نتائج خطيرة ظهرت فيهم وفي الآخر، كان من أبرزها المساس بكرامة الشعوب الأخرى، والحط من شأنها واحتقارها، الأمر الذي أدى إلى تشجيع اليهود على العدوان واستغلال الآخرين وارتكاب الآثام دون مبالاة.

من هنا يرى اليهود في العزلة الاجتماعية ضرورة أو نتيجة حتمية لشعب وصل إلى قدر كبير من القداسة والسمو، يقول التلمود: "لماذا يشبه بنو إسرائيل بحبة الزيتون؟ لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى ، وكذاك بنو إسرائيل لا يمكن اختلاطهم مع الشعوب الأخرى"[١]؛ فالاختلاط والمزج والاحتكاك مع الآخر يعد أمراً مستحيلاً ؛ لأن هناك فرقاً مزعوماً بين اليهود والآخرين في مرتبة طاهر ونجس، أو مقدس ودنيوي، كما أن اختلاط اليهودي بغيره سينجسه وهو بدوره سينجس الهيكل على حد تعبير رجال الدين اليهود[٢] الذين ابتدعوا عبر تاريخ اليهود أشكالاً عدة للتنظيمات الاجتماعية العنصرية في كل بلد حلوا فيه أو اغتصبوه وقد جاءت كما يلي:

---

(١) رزوق، أسعد، **التلمود والصهيونية**، ط2 ، الناشر للطباعة والتوزيع والإعلان، 1991 م، ص٥٢

(٢) بتصرف، دانزول، **اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية**، ص٤٥

المطلب الأول: السنهدرين

يعد السنهدرين أول شكل من أشكال التنظيم العنصري عند االيهود ، وهو المجلس الأعلى الذي يحكم طائفة اليهود ويحدد شؤونهم وأمورهم [١]؛ أما كلمة سنهدرين فهي لفظة يونانية يطلقها اليهود على المؤسسة القضائية أو محكمة الشريعة العليا، وهي مكونة من ٧١ شخصاً وقد تأسست في فترة الهيكل الثاني[٢].

وقد نظم أحبار اليهود السنهدرين فجعلوه على درجتين[٣]:

الأولى: السنهدرين الأعظم: وهو المجلس الأعلى المركزي لجميع اليهود، ويتألف من سبعين رجلاً على رأسهم واحد ينوب عن موسى، وكانوا إذا اجتمعوا جلسوا في نصف دائرة.

الثانية: السنهدرين الأصغر: وهو مجلس محلي لكل تجمع يهودي، يتألف من ثلاثة وعشرين عضواً.

وفي التلمود جزء خاص بهذا التنظيم عنوانه (السنهدرين) ويظهر عند قراءته بأنه حكومة اليهود السرية، فهو واجب الطاعة ونافذ الأحكام، حتى تصل أحكامه درجة الإعدام، وكان ينفذ بالسيف والشنق أو الحبل والصلب، وكما هو معلوم فإن سنهدرين أورشليم هو الذي أصدر حكم الصلب على سيدنا عيسى عليه السلام لولا لطف الله تعالى وعنايته بنبيه الكريم[٤] .

وقد بقي يُعملُ في السنهدرين كتنظيم اجتماعي سري مغلق تتم فيه المحاكمات والمؤامرات ليس على اليهود وحسب بل على الآخر أيضاً، حتى ساءت العلاقات بين اليهود والرومان فتم إلغاؤه وذلك قبل تدمير الهيكل اليهودي على يد **تيطس** بأربعين سنة، ثم ظل يعقد في مدن أخرى بشكل سري؛ ولكنه لم يعد إلى الحياة عند اليهود وبصورة علنية إلا في فرنسا في عهد نابليون بونابرت وبموافقته[٥].

المطلب الثاني: القهل

وهي كلمة ذات مدلول اجتماعي خاص عند اليهود كانت تستعمل في البداية بمعنى الاجتماع أو الجماعة، وترتبط في اشتقاقها اللغوي القديم بلفظة قول بمعنى النطق، وفي العبرية

---

(١) بتصرف، ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٥١

(٢) انظر: الشامي، رشاد، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٢١

(٣) ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٥٢

(٤) بتصرف، المصدر نفسه، ص ٥٢

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٣-٥٤

تدل على النداء والصياح فيكون القهل بذلك مجموع الناس الذين تجمعهم الدعوة فيأتون للاجتماع[١].وقد وردت هذه اللفظة في التوراة بنفس المعنى تقريباً **"قهيلة يعقوب"**[٢] أي جماعة يعقوب.

ويذكر أن القهل أصبح التنظيم السري الذي حل عملياً محل السنهدرين بعد شتات اليهود حيث كانت الجالية اليهودية بعد الشتات تتكتل وتعيش في عزلة عن الأمم الأخرى المحيطة بها، وكانت تشكل تنظيماً اجتماعياً لا تعلم الدولة المستضيفة عنه شيئاً، ويطلقون عليه اسم (قهلا قديشا) أي الجالية المقدسة، وهدفها عدم الاختلاط مع الآخر، وحماية شعبها المقدس من الاندماج والذوبان في الآخر والذوبان فيه[٣].

وقد توسعت سلطات القهل في إصدار التشريعات والفتاوى عبر الزمن، حتى أصبح وكأنه دولة داخل دولة، هدفها تقوية العنصرية، وتشديد العزلة الدينية والحضارية، وفي أخريات العصور الوسطى وصل أمر القهل إلى صورة خطيرة من صور التضامن السري، انتهت باتحاد كثير من مراكز الاستيطان اليهودي، ممثلة في مجلس قمة للشؤون اليهودية، كما تميز القهل بثرائه ونمو اقتصاده واستثماراته ويعد الربا مع الآخر أكثر طرق استثماراته شيوعاً[٤].

ولم تدرك أوروبا خطورة القهل وأنه حكومة يهودية حقيقية في داخل دولة إلا في القرن التاسع عشر، فأصدرت روسيا وبولونيا قانوناً بإلغاء القهل سنة ١٨٤٤م، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت هذه الحكومة السرية تمارس سلطتها في شرق أوروبا سراً حتى ١٨٩٣م أي ما قبل المؤتمر الصهيوني العالمي الأول بأربع سنوات فقط[٥].

المطلب الثالث: الجيتو

يعد الجيتو صورة من صور عزلة اليهود الاجتماعية، واندحارهم وراء أسوار معمارية حقيقية فرضوها على أنفسهم، وأقرتهم على ذلك الأمم التي يعيشون فيها، وكان الجيتو تتويجاً لمسلك العزلة والعداوة بين اليهود والأمم الأخرى[٦]، ففيه أُعيد سبك الشخصية اليهودية وصياغتها وفق العقائد والشرائع التي أخبر بها التراث اليهودي العنصري، وضرورة المحافظة على عقيدة

---

(١) بتصرف، حسن ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٥٨ انظر: الشامي، رشاد، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، ص٢٦٣
(٢) سفر التثنية٣٣: ٤
(٣) بتصرف، ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٥٩
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٦١-٦٣
(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ٦٣-٦٤
(٦) بتصرف، المصدر نفسه، ٧٠-٧١

النقاء والتميز المزعومين، يقول أحد حاخامات اليهود: " فبالانعزال في الجيتو استطعنا الحفاظ على عبقريتنا المميزة ومهمتنا الإلهية.."[١].

ولم يكن الجيتو مجرد أحياء خاصة يقطنها اليهود ليحافظوا من خلالها على نقاء عرقهم من الاختلاط بالآخر وحسب، بل كان بؤرة فساد، ومركز تدبير المؤامرات والمكائد، وإلحاق المصائب بالشعوب والأمم الأخرى ، إذ كانوا يقومون بأعمال تخريبية يربحون منها ويخسر المجتمع الذي هم فيه؛ فمثلاً كانوا يقومون فجأة بشراء مواد معينة أو بضائع حتى يخلو منها السوق نهائياً ، ثم يبيعونها بأسعار مرتفعة جداً[٢].

كما تفنن اليهود من خلال الجيتو في التلاعب بالآخر المسيحي من خلال إقراضهم المال بالربا الفاحش، وممارستهم ألواناً من الاحتيال والغش والخداع وراء ستار السمسرة، أو ألعاب القمار والمراهنات، وكذلك انتشرت في الجيتو وحارات اليهود تهمة سفك الدم التي تنسب إلى اليهود قتل الآخر المسيحي واستعمال دمه في عجين أعيادهم وفطائرهم المقدسة[٣]، يقول **د.** حسن ظاظا واصفاً الجيتو وآثاره المدمرة على الشعوب الأخرى: كانت أحياء الجيتو رمزاً للتزمت والجمود الفكري والاجتماعي، والعزلة عن الإنسانية، والحقد عليها؛ لذلك كانت تتعرض لغارات المدن المجاورة وهجماتها لأسباب أساسها في الغالب اقتصادية فهو ثورة الشعوب الأخرى على الربا اليهودي والتفنن في ابتزاز الأموال[٤].

ويختتم د.حسن ظاظا كلامه عن الجيتو والعزلة اليهودية داخل أسواره بأن اليهود يبدأون طائعين مختارين بفرض حصار على أنفسهم وراء أسوار من العزلة، التزمت والتعصب الديني والعنصري ورفض الأمم الأخرى، ثم ما يلبث الحصار أن يصبح إجبارياً بأيدي أعدائهم لا يستطيعون الفكاك منه[٥]، ثم يتوقع في نهاية حديثه أن تصبح فلسطين الدولة المغتصبة مجرد جيتو ضخم يعزل اليهود أنفسهم عن الأمم والحضارات الضخمة التي تتمثل في العالم العربي[٦] ولكن الواقع وما فيه من مجريات وأهداف يظهر أمراً لم يكن في حسبان د. حسن ظاظا وضمن توقعاته في أن أسوار الجيتو المجازية التي كانت عبارة عن شرائع وأحكام عنصرية تهدف إلى عزل اليهود عن الآخرين قد تحولت إلى أسوار حقيقية من الحجارة والحديد والإسمنت.

---

(١) الفاتح، **اليهود**، ص٤٤
(٢) بتصرف، شلبي، عبد الجليل، **اليهود واليهودية**، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١١٥
(٣) انظر: ظاظا، **الشخصية الإسرائيلية**، ص٧١-٧٣
(٤) بتصرف، المصدر نفسه، ص٧٥
(٥) بتصرف، المصدر نفسه ، ص٧٦
(٦) بتصرف، المصدر نفسه ، ص٧٦

المطلب الرابع: الجدار العنصري العازل

تحولت العزلة الفكرية العنصرية التي فرضها التراث اليهودي بما فيه من عقائد وشرائع وتاريخ ومصادر إلى عزلة واقعية حقيقية تلفها جدران إسمنتيه؛ وذلك بعد أن أقدم اليهود على إنشاء جدار في فلسطين المحتلة عام ٢٠٠٢م يمتد بطول أراضي فلسطين، ويرتكز على الحواجز الطبوغرافية والديمغرافية فينحني وينحرف بشكل غير متوازن، ليضم أكبر عدد من الأراضي الفلسطينية تحته، ويصل ارتفاعه إلى ٨ أمتار، ويبلغ طوله ٦٢٠ كيلو متر تعلوه أسلاك شائكة وأبراج مراقبة في مواقع عديدة، وأجهزة إنذار مبكرة الكترونية، ويحمي ١٢٠ مستعمرة يهودية[١].

ويعبر الجدار العنصري عن رغبة اليهود في العزلة التامة، وضرورة عدم الاندماج والاختلاط مع الآخر، فكانت فكرة الجدار تطبيقاً لعقائدهم وتحقيقاً لمصالحهم ومنافعهم وجشعهم الذي لا ينقطع لحب المال والتملك، والانقضاض على أموال الآخر وممتلكاته، واعتبارها أموالهم وأملاكهم التي منحها إلههم لهم على حد زعمهم، يقول البروفسور اليهودي فان كريفوم: "لا بد من فصل تام بيننا وبين الفلسطينيين، لا وجود لجسور مفتوحة، ولا علاقات اقتصادية، ولا سياسية، فصل مطلق على مدار جيل أو جيلين، أو وفقاً لما يحتاجه الأمر، ولن نبني جداراً وهمياً نضحك به على أنفسنا، إننا نتحدث عن سور كسور برلين؛ بل إن كان بالإمكان فليكن أكبر وعالٍ جداً حتى الطيور لا يمكنها أن تطير من فوقه"[٢].

وتؤكد الوقائع والإحصائيات مدى الانتهاكات والجرائم التي سببها الجدار العنصري في حق الآخر الفلسطيني، وقد تنوعت بين جرائم اقتصادية واجتماعية وصحية وزراعية وغيرها.

أما آثاره الاقتصادية المدمرة فقد تعددت بين تدمير منشآت اقتصادية بشكل كامل، وتدمير للآبار الجوفية بمقدار ٢٨٠ ألف دولار، كما تم عزل ١٨ بئر ارتوازي تبلغ طاقتها الانتاجية ٢,٥ مليون متر مكعب في السنة، وإلحاق الضرر بـ (٤٠) بئر أخرى، وتعدت خسائر الآخر الفلسطيني إلى شبكات الطرق التي تم تدميرها وخسارة ٤١٧ ألف دولار، وكذلك خسائر في شبكات المياه تبلغ ١١٩ ألف دولار، و١٩٤ ألف دولار خسائر الكهرباء[٣].

---

(١) عبدالله، تيسير و زيدان، عفيف (٢٠٠٦)، **الآثار المترتبة على الجدار الفاصل لدى المواطنين الفلسطينيين،** مجلة جامعة الأزهر بغزة/ سلسلة العلوم الإنسانية، ٨(٢)، ص١٧١

(٢) مجلة جامعة الأزهر ، غزة، سلسلة العلوم الإنسانية، ٢٠٠٦م، ص٧٢

(٣) انظر: صحيفة اليوم، بعنوان تقرير حقوقي فلسطيني يوثق مخاطر جدار الفصل العنصري الإسرائيلي،٢٠٠٤م، ص٣-٥

اما آثار الجدار الاجتماعية فقد عمل الجدار على عزل ١٢٦ تجمعاً سكانياً، وتهجير ١٤٠٢أسرة، و ١١٣ أسرة في محافظة جنين وحدها[١]. وللجدار العنصري العازل آثار مدمرة على القطاع الزراعي في أرض فلسطين حيث ثم تدمير ما مساحته ٣٧% من الأراضي المزروعة في محافظة واحدة كقلقيلية، وجرف ١٧ ألف شجرة، وعزل ٣٥ ألف شجرة، وانخفاض انتاج زيت الزيتون بمعدل ٢٢٠٠ طن سنوياً نتيجة الاعتداء على الأشجار المثمرة فيها[٢].

ويرى المحلل الامريكي ناعوم تشومسكي أن إسرائيل لم تقصد من الجدار حماية أراضيها وحسب، بل إن هناك محاولة لخلق توازن ديمغرافي بين الفلسطينيين الذي يسكنون في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م واليهود الذين يسكنون في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م بهدف طرح مبدأ مبادلة السكان في المستقبل لتهجير الفلسطينيين من أراضيهم المحتلة عام ١٩٤٨م[٣].

وبعبارة أخرى فإن الهدف البعيد للجدار طرد الآخر الفلسطيني من داخل أسوار الجدار العنصري، وجلب جميع اليهود لداخله ليتمكنوا من المحافظة على عنصرهم ونقاء دمائهم كما يزعمون، إلى جانب السيطرة على أموال الآخر وممتلكاته، واقتصاده حتى يصبح لقمة يسهل أكلها وابتلاعها ومحو آثارها.

---

(١) انظر: صحيفة اليوم، ص٣-٥

(٢) مجلة جامعة الأزهر غزة، ص١٧٣-١٧٤

(٣) بتصرف، مجلة جامعة الأزهر غزة، ص١٧٤

المبحث الخامس

شريعة الحرب عند اليهود وموقفها من للآخر

المطلب الأول: أهمية الحرب في شريعة اليهود وحكمها

أباحت شريعة اليهود الحرب ولم تحظرها، وبالغت في تمجيدها والحث عليها دون وضع قيود على ممارستها أو طرق هذه الممارسة، أو أساليب القتال، أو معاملة الأسرى، وتستمد شريعة الحرب أهميتها عند اليهود من مصادرهم وتراثهم بشكل مباشر، حيث تسهب التوراة في عرض القصص عن حروب اليهود وصراعاتهم، واعتبار كل ذلك من قبيل المباحات، وهم لا يعترفون بإعلان الحرب بل يبدأونها فجأة وغدراً دون إنذار، ولا دعوة للإيمان بدينهم وحتى لو قبل أعداؤهم الدخول في دينهم، فلا يعصمهم إيمانهم من الفناء[١] ، فإذا اقتحموا أي بلد وجب قتل جميع سكانها: لا فرق بين رجل مسلح محارب، ولا آخر مدني، ولا شيخ، ولا امرأة ولا طفل، ولا عامل؛ بل الكل طعمة للنار والحديد، يقول سفر التثنية: " **حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا** "[٢].

وفكرة الصراع وإفناء الآخر في الحروب عند اليهود ثابتة في ثنايا التوراة، وتكاد تشملها من أولها إلى آخرها، حتى أضحت أسفارها تشبه فصول ملحمة طويلة دامية تتضمن أخباراً مجملة حيناً، ومفصلة أحياناً، عن صدام بالقوة بين الأفراد، أو بين مجموع البشر؛ لأن طبيعة العنصرية اليهودية لا يمكن أن تتبلور في نفس اليهودي إلا مسبوكة بنيران الحروب [٣]، وقد انعكست فكرة الصراع والحرب مع الآخر، ومشروعيتها في الشريعة اليهودية دون ضابط أو قيد على آراء علماء اليهود ومفكريهم، حيث أصبحت أفكارهم محرضاً على إشعال الحروب، وإيقاد الفتن ضد الآخرين، حتى لو جرت الدنيا بدمائهم فالحرب عندهم ظاهرة سوية وأمرٌ ملحٌ؛ لمحافظة الإنسان

---

(١) الفار، عبد الواحد محمد، **أسرى الحرب**، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٢٦

(٢) سفر التثنية٢٠: ١٠ - ١٧

(٣) بتصرف، ظاظا، حسن وعاشور، محمد، **شريعة الحرب عند اليهود**، ط ١، دار الاتحاد العربي ، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٦

على بقائه ووجوده، يقول د.حسن ظاظا وصفاً مكانة الحرب عند اليهود وضرورتها الملحة قائلاً : " أما الحرب فإنها خطة دامية نارية مدمرة، لا بد أن يصلى لهيبها غيرهم حتى ولو خرجوا منها منهزمين، فهم في الحروب كسلفهم شمشون لا يخوضونها بفروسية وشرف ونزاهة، وإنما يواجهونها بكلمة أخيرة هي كلمة هذا السلف القديم (**علي وعلى أعدائي)**"(١).

ولأهمية الحروب ومكانتها عند اليهود فإن الشريعة اليهودية متمثلة في التوراة تعتبر الخدمة العسكرية فرضاً على كل شاب يهودي بلغ العشرين من عمره فقد جاء في سفر العدد: " **وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلاً: «أَحْصُوا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ، بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ، كُلَّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ، مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا، كُلَّ خَارِجٍ لِلْحَرْبِ فِي إِسْرَائِيلَ. تَحْسُبُهُمْ أَنْتَ وَهَارُونُ حَسَبَ أَجْنَادِهِمْ** "(٢) ويتضح من خلال التوراة أن الخدمة العسكرية لا يعادلها في نظرهم إلا خدمة إله إسرائيل والقيام بالكهنوت(٣).

المطلب الثاني: مسوغات الحرب في الشريعة اليهودية وأثرها على الآخر

ارتبطت حروب اليهود كما ترويها التوراة بأفكارهم وعقائدهم؛ ولذلك اتسمت بالعنف والوحشية مع الآخر، وسيتعرض هذا الجزء من الدراسة إلى أبرزها وأهمها:

أولاً: ارتباط الحرب عند اليهود في عقيدتهم بالله تعالى

ربط اليهود شريعتهم في الحرب بنظرتهم وعقيدتهم في الإله، وكما كان حالهم سابقاً من ربط مصيرهم بمصير الإله، أو ربط قضاياهم بالإله، فإن واقعهم في الحروب خير شاهد ودليل على ذلك ، حيث يعد الرباط الوثيق بين حرب إسرائيل ورب إسرائيل أبرز طابع يطبع حروب اليهود قديماً وحديثاً؛ فالحرب في عقيدتهم عمل مقدس لعدد من الاعتبارات أهمها؛ زعمهم أن قائد هذه الحروب هو ربهم، وأن جنودها هم جنود هذا الرب(٤)، ولا تقف مهمة الإله حسب مزاعمهم على القيادة فقط؛ بل تتعداها إلى المشاركة الفعلية؛ حيث يحارب عنهم ومعهم وله النصر في النهاية وإن كانت هذه النهاية نهاية للعالم كله، يقول سفر الخروج: " **الرب رجل الحرب**"(٥)، وتقول التوراة على لسان موسى: " **فقال موسى للشعب لا تخافوا ... الرب يقاتل عنكم وانتم**

---

(١) ظاظا وعاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، ص ح
(٢) سفر العدد١: ١-٣
(٣) بتصرف، ظاظا وعاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، ص٥١
(٤) بتصرف، ظاظا وعاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، ص٢٧ ، أنظر، علي فؤاد حسين، **اليهودية واليهودية المسيحية**، معهد البحوث والدراسات، ١٩٦٨م، ص١٤
(٥) سفر الخروج١٥: ٣

تصمتون"[١] ، كما يعتقدون أن الإله قد يذهب ويقتل كل من يظهر لهم العداء ويقف في وجوههم يقول إشعياء: " **وَأَنَا أُخَاصِمُ مُخَاصِمَكِ وَأُخَلِّصُ أَوْلاَدَكِ، وَأُطْعِمُ ظَالِمِيكِ لَحْمَ أَنْفُسِهِمْ، وَيَسْكَرُونَ بِدَمِهِمْ كَمَا مِنْ سُلاَفٍ، فَيَعْلَمُ كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُخَلِّصُكِ، وَفَادِيكِ"**[٢].

وقد تلقف اليهود وزعماؤهم هذه النصوص وعملوا على استغلالها في تأجيج نار الحروب في نفوس الأتباع ، يقول بن جوريون: " إن يهوه إله إسرائيل هو أيضاً إله الجنود"[٣]؛ ولإيمان اليهود العميق بارتباط الإله بحروبهم وقيادته لها كان اليهود في حروبهم القديمة يحملون التابوت معهم إلى أرض المعركة رمزاً لوجود رب إسرائيل مع جنوده[٤] ، يقول صموئيل الأول: " **وَعَلِمُوا أَنَّ تَابُوتَ الرَّبِّ جَاءَ إِلَى الْمَحَلَّةِ. فَخَافَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «قَدْ جَاءَ اللهُ إِلَى الْمَحَلَّةِ».**"[٥]، وفي العصر الحديث يسير اليهود على نفس تقليدهم القديم، فكل وحدة من الجيش يسبقها صندوق مقدس توضع فيه التوراة عوضاً عن تابوت الله يتقدمهم، وقد نقش على الصندوق المقدس شعار " **انهض يا الله، ودع أعداءك يتشتتون، واجعل الذين يكرهونك يهربون أمامك"**[٦]

كما يربط اليهود شريعتهم في الحرب بمسألة الإله من جانب آخر وهو زعمهم بأن الإله يأمرهم بشن حروب وحشية، يفنى فيها الآخر تماماً، ويطرد، وتغتصب أرضه، وتدمر ممتلكاته، وتهدر حقوقه؛ لأنه ببساطة ليس من شعبه المختار، فلا تجوز الرأفة أو الرحمة تجاهه، وهذا هو سر إهدار اليهود لآدمية غيرهم من الشعوب الأخرى[٧]، والنصوص الدالة على أمر الإله بقتل الآخر وشن الحروب ضده كثيرة منها:

- "**فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا"**[٨].
- "**وَتَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ الرَّبُّ إِلهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ. لاَ تُشْفِقْ عَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ"**[٩].

---

(١) سفر الخروج١٤: ١٣-١٤ ، انظر: سفر التثنية٣: ٢٢، سفر صموئيل الأول١: ١٧-٤٧ ، سفر الملوك الأول١٨: ١٥، سفر الملوك الثاني٣: ٢٤

(٢) سفر إشعيا٤٩: ٢٤-٢٦

(٣) ظاظا وعاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، ص٢٧

(٤) بصرف، المصدر نفسه، ص٢٨

(٥) سفر صموئيل الأول٤: ٦-٧

(٦) ظاظا وعاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، ص٢٩

(٧) انظر: محمود، **التوراة**، ص٢٤ ، الزعبي، **حقائق عن اليهودية**، ص٣٥، لطفي، عبد السلام، **جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي**، ، ط١، المكتبة الاكاديمية القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠٠ ، انظر: سفر التثنية٧: ١-١ ، ١٦-١٩ ، سفر الخروج٣٣: ٢، سفر صموئيل الثاني ٢٢: ٣٤-٤٩

(٨) سفر صموئيل الأول١٥: ٣

(٩) سفر التثنية٧: ١٦

وهكذا يعد ارتباط عقيدة اليهود في الإله بالحروب مسوغاً شرعياً للفتك بالآخر، فإذا كان الإله هو قائد الجيش، وهو الجندي المحارب، وهو الذي يأمر بالحروب وقتال الآخر وإفناءه، بل تعد الحرب عنده وسيلة ضرورية وهامة لتخليص العالم من الرجاسة والإثم المتمثلين في الآخر كما تزعم أسفار التوراة ونصوص التلمود، وبذلك أصبح اليهود – كما يزعمون - أصحاب رسالة سماوية وأضحت حروبهم وجرائمهم ضد الآخر مقدسة.

ثانياً: ارتباط الحرب عند اليهود بالأنبياء

ليسوغ اليهود جرائمهم وانتهاكاتهم وسعيهم الدؤوب خلف ايقاد الحروب والفتن فقد ربطوا بين الحروب والأنبياء، وذلك بعد أن زعموا في توراتهم أن الأنبياء كانوا دعاة إلى الحروب والصراعات، وقادة لها.

ومعلوم مدى الزيف والتجني في حق الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه؛ فالنبي لم يبعث لأجل نشر القتل والفساد في الأرض؛ إنما بعثه الله ليحقق السلام والصلاح بين البشر، ما لم يكن هناك عدوان يتحتم صده حفاظاً على حياة الشعوب وأمنها.

وتفيض التوراة بالقصص والأحداث التي تصور واقع الأنبياء في الحروب وآثارها المدمرة على الآخر، فمثلاً تنسب التوراة إلى موسى ﷺ قيامه بمجازر حرب وإبادة حيث كان يأمر جيشه بمطاردة الآخر وقتله سواء كان محارباً، أم أعزلاً آمناً في بيته وداره، وأن يفعلوا به فعل الذئاب بغنم لا راعي لها، وقد تكررت الوحشية والانتقام في أفعاله كما تزعم التوراة مع الأموريين[١]، ومع أهل باشان، والمديانيين. يقول سفر العدد واصفاً إحدى هذه المعارك: **"وكلم الرب موسى قائلاً : انتقم لبني إسرائيل من المديانيين ... فأرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب... فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ... وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم، وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ... وأتوا إلى موسى ... بالسبي والنهب والغنيمة، فخرج موسى والعازر الكاهن ... لاستقبالهم ... فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال لهم موسى هل ابقيتم كل أنثى حية ... فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً ... اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات..."**[٢].

---

(١) انظر: العدد٢١: ٢١-٢٥ ، ٢١: ٣١-٣٥

(٢) سفر العدد٣١: ١-٢٠

أما داود ﷺ فتزعم أسفار التوراة بأنه رجل حرب[١]، ودموي سفاح؛ ففي سفر صموئيل الأول يقول : **"وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة، ... وضرب داود الأرض، ولم يستبق رجلاً ولا امرأة"**[٢] وهذا ما كان من حال الأنبياء وعملهم كما تروي أسفار التوراة. وكما هو معلوم فإن العقل يقضي قبل كل شيء بطلان هذه المزاعم في حق أنبياء الله تعالى الذين بعثهم الله لإصلاح الناس وتنظيم حياتهم، وإن كانوا متفقين على أن الجهاد أمر مشروع فهو وسيلة وليس غاية في حد ذاته، قصد منه ردع الطغاة، وإزاحة العقبات ورفع الظلم، وليس القتل والإفناء، والإبادة، والتحريق للآخر غايتهم ومطلبهم كما تصورهم أسفار التوراة التي قصد منها تأصيل فكرة حتمية الحروب والقتل والوحشية في نفوس اليهود ضد الأمم الأخرى، ليضفوا صفة القدسية على مشاريعهم التوسعية في كل عصر، كما يفعلون الآن في فلسطين المحتلة.

المطلب الثالث: قواعد الحرب وأصولها في شريعة اليهود وأثرها على الآخر

أولاً: التحريم

تعد قضية التحريم أهم القواعد التي يتبعها اليهود، ويسعون إلى تطبيقها في حروبهم والتحريم في شريعة اليهود يعني إبادة كل شيء في المدينة المهزومة، أو إهلاكها، أو تخريبها تخريباً تاماً، ومعنى ذلك أنه في حال انتصار الجيش اليهودي على أعدائه فإن الدولة المهزومة يجب أن تهدم وتخرب تخريباً كاملاً وتاماً، ويقتل أهلها جميعاً ذكوراً و إناثاً، أطفالاً و شيوخاً وغير ذلك. أما المعادن والثروات فتبقى وتطهر وتنقل إلى المعبد[٣]، وهذا يفسر أمرين هامين ومكونين أساسيين من مكونات الشخصية اليهودية: حب القتل، وحب المال، يقول سفر التثنية: **"مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ"**[٤].

ويذكر أيضاً: **"... فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا**

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني ٨: ١١-١٧
(٢) سفر صموئيل الأول ٢٧: ٨-٩
(٣) بتصرف، ظاظا وعاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، ص٢٠٦
(٤) سفر التثنية٧: ١-٢

كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاُ إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ"[١]. وفي قصص الحروب القديمة التي خاضها اليهود تصف الأسفار قاعدة التحريم، وتسهب بها وتكررها، يقول سفر يشوع عن هذه القاعدة: " **وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا"**[٢]، وقد استمر اليهود بتطبيق قاعدة التحريم في حروبهم حتى العصر الحديث، فعندما انقضوا على مخيم صبرا وشاتيلا الذي يسكنه الفلسطينيون في لبنان من يوم الخميس ١٩٨٢/٩/١٦ استمرت أعمال التحريم والإجرام فيه مدة ٣٦ ساعة، تم فيها اغتصاب النساء والفتيات وقتلهن، والتمثيل بالشيوخ والأطفال، وكان الجيش الإسرائيلي يحاصر المخيمين ويمنع الدخول إليهما، والخروج منهما، واستمرت المذبحة حتى ظهر السبت، متعمدين تحريم وإفناء الجميع متمسكين بشعار أرييل شارون: بدون عواطف[٣]، وهو شعار التوراة في التحريم والإفناء، حيث يقول حزقيال: "**وَاضْرِبُوا. لاَ تُشْفُقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ**"[٤]، وقد كانت عملية القتل بالتحريم في البداية تتم بالفؤوس والسكاكين، وكانوا يقتلون الأطفال أمام أعين أمهاتهم[٥]، وهو ما تدعو إليه التوراة في شريعة الحرب عند اليهود، فلا أحد ينفذ منها رجلاً مسالماً، شيخاً، أو امرأة، أو طفلاً، يقول سفر إشعياء:" **وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ**"[٦].

ويذكر أن حصيلة القتلى كانت **٣٢٩٧** قتيلاً كلهم شيوخ وأطفال ونساء[٧]، ويعد هذا وما حدث ويحدث في غزة من حروب وويلات سددت أنيابها إلى الأطفال والنساء والشيوخ تطبيقاً حديثاً لقاعدة التحريم (تحريم الآخر) في شريعة الحرب عند اليهود.

ثانياً: شق بطون الحوامل

تعد عادة شق بطون الحوامل قاعدة متبعة في معظم حروب اليهود ضد الآخر، وهي تصور مدى الوحشية والإجرام في شريعة الحرب عندهم، وقد ذكر سفر عاموس هذه العادة السيئة حيث يقول: "**هكذا قال الرب. من أجل ذنوب بني عمون الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه**

---

(١) سفر التثنية١٣: ١٢-١٦
(٢) يشوع ١٠: ٢٨-٢٩
(٣) بتصرف، سويدان، طارق، **فلسطين التاريخ المصور**، ط٣، الابداع الفكري، الكويت، ص٣٣١-٣٣٢
(٤) سفر حزقيال٩: ٥-٦
(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ص ٣٣٢
(٦) سفر إشعياء١٣: ١٦
(٧) انظر: سويدان، فلسطين التاريخ المصور، ص٣٣٠-٣٣٥ ، المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية**، م٧، ص١٦٤، **الكيلاني، هيثم، الإرهاب يؤسس دولة** ، ط١، دار الشروق، القاهرة، ص١٨١-١٨٦

لأنهم شقوا حوامل جلعاد لكي يوسعوا تخومهم"[١]، وجاء في سفر هوشع: "**تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ**"[٢]وقد سرت قاعدة بقر بطون الحوامل على أيدي اليهود حتى العصر الحديث؛ ففي مجزرة دير ياسين التي تم تنفيذها بحق الشعب الفلسطيني سنة ١٩٤٨ صرح اللذين ارتكبوا هذه المجزرة حين ذبحوا مائتين وخمسين نفساً أنهم بقروا بطون خمسة وعشرين حاملاً تنفيذاً للرهان حول نوع الجنين، وقد صرحوا أنهم نفذوا إرادة الله التي رأوها في الفصل السابع من سفر يشوع[٣] وقد وصف مناحيم بيغن عملية بقر بطون الحوامل بصورة بشعة تخفي جانباً كبيراً من التسلية والمتعة، حيث يقول: "**مثلما تقطع السكين قالب الزبدة، كذلك اخترقت السكين اليهودية بطون اثنتين وعشرين امرأة عربية حامل..**"[٤] ويذكر أنه بعد انتهاء تلك المجزرة الرهيبة سجل قائدها يشورين شيف الكلمات الآتية: "كان يوماً ربيعياً جميلاً حيث أزهرت أشجار اللوز، وأزهرت الورود، وفي كل مكان انبعثت رائحة الموتى النتنة، ورائحة الدم الثقيلة الدائمة المرعبة، المنبعثة من الجثث المحترقة في مقلع الأحجار"[٥].

ثالثاً: تعذيب الأسرى والتنكيل بهم

تعد قضية تعذيب الأسرى وامتهانهم وقتلهم وانتزاع حقوقهم علامة مميزة وفارقة في حروب اليهود، وعلى صفحات تاريخهم، حيث اشتهروا بقسوتهم وغلاظتهم في معاملة الأسرى وقت حروبهم، وقد أوردت نصوص التوراة وصفحات أسفارها نماذج عدة توضح هذه القاعدة، فسفر صموئيل الثاني ينسب إلى داود ممارسة وحشية مع الأسرى لا تليق بنبي كريم، يقول السفر: " **وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا، وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ، وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ، وَهكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ**"[٦] وفي سفر أخبار الأيام الثاني: " **وَأَمَّا أَمَصْيَا** (أحد ملوك اليهود) **فَتَشَدَّدَ وَاقْتَادَ شَعْبَهُ وَذَهَبَ إِلَى وَادِي الْمِلْحِ، وَضَرَبَ مِنْ بَنِي سِعِيرِ عَشَرَةَ آلاَفٍ، وَعَشَرَةَ آلاَفٍ أَحْيَاءَ سَبَاهُمْ بَنُو يَهُوذَا، وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَأْسِ سَالِعَ وَطَرَحُوهُمْ عَنْ رَأْسِ سَالِعَ فَتَكَسَّرُوا أَجْمَعُونَ**"[٧]. ويحدثنا سفر القضاة عن تعذيب الأسرى والتنكيل بهم وتقطيع

---

(١) عاموس١: ١٣
(٢) سفر هوشع١٣: ١٦
(٣) بتصرف، الزعبي، **دفائن النفسية اليهودية**، ص١٥٥
(٤) أمين، بديعة، **الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية**، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢م، ص١٥٥
(٥) الكيلاني، **الأرهاب يؤسس دولة**، ص١٧٣
(٦) سفر صموئيل الثاني١٢: ٣١
(٧) سفر أخبار الأيام الثاني٢٥: ١١-١٢

أعضائهم فيقول: " ... **فَصَعِدَ يَهُوذَا، وَدَفَعَ الرَّبُّ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ بِيَدِهِمْ، ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي بَازَقَ عَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل. وَوَجَدُوا أَدُونِيَ بَازَقَ فِي بَازَقَ، فَحَارَبُوهُ وَضَرَبُوا الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ. فَهَرَبَ أَدُونِي بَازَقَ، فَتَبِعُوهُ وَأَمْسَكُوهُ وَقَطَعُوا أَبَاهِمَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ** ..."(١).

وتطبيقاً لما ورد في أسفار التوراة حول نظرة شريعة الحرب عند اليهود إلى الأسرى، فقد عمد اليهود دوماً إلى تعذيب الأسرى وانتهاك حقوقهم، وتعمد إذلالهم، والتشنيع عليهم وقتلهم إذا تطلب الأمر ذلك، كما فعلوا بأسرى مجزرة صبرا وشاتيلا الذين خرجوا ومعهم رايات بيضاء، فأخذوهم واحتجزوهم، وتم إعدامهم بشكل جماعي، وقتلهم وإفناؤهم مرة واحدة، وهذا ما تصرح به توراتهم حيث تقول: " **كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ**"(٢).

مما سبق يتضح أن شريعة الحرب عند اليهود قد استقت أحكامها من اعتقادات متطرفة في حق الآخر، كانت مسوغاً لجميع تصرفات اليهود، وممارساتهم في الحرب ضد الآخر، كما التزمت بقواعد وطرق للتعامل مع الآخر في أوقات الحروب، كالتحريم وبقر بطون الحوامل وتعذيب الأسرى والتنكيل بهم، ويظهر من خلال ذلك أن غاية الحروب عند اليهود وأهدافها إفناء الآخر، والتخلص منه، والسطو على ممتلكاته وأرضه دون وجه حق، ودون أن يكون هناك رادع أو ضابط.

---

(١) سفر القضاة١: ٤-٨

(٢) سفر اشعياء١٣: ١٥

الفصل الثاني

النظرة إلى الآخر في الشرائع المسيحية وأثرها على السلوك المسيحي

المبحث الأول

تطور الشرائع في المسيحية وأثر ذلك على الآخر

المطلب الأول: تعريف الشريعة المسيحية وأقسامها

جاء في معاجم اللغة أن شريعة جمع شرائع، وهي من الفعل شرعَ، وفي لسان العرب أن "شَرَعَ الواردُ يَشْرَعُ شَرْعاً وشُروعاً: تَنَاوَلَ الماءَ بفِيه. وشَرَعَتِ الدوابُّ فِي الْمَاءِ تَشْرَعُ شَرْعاً وشُرُوعاً أي دخلت. ودوابُّ شُروعٌ وشُرَّعٌ: شَرَعَتْ نَحْوَ الْمَاءِ. والشَّريعةُ والشِّراعُ والمَشْرَعةُ: المواضعُ الَّتِي يُنْحَدر إِلى الْمَاءِ مِنْهَا، قَالَ اللَّيْثُ: وَبِهَا سُمِّيَ مَا شَرَعَ الله للعبادِ شَرِيعةً من الصَّوْمِ والصلاةِ وَالْحَجِّ وَالنِّكَاح وَغَيْرِهِ"[(١)] وتطلق الشريعة في الديانتين اليهودية والمسيحية للدلالة على الناموس، والناموس في أحد معانيه اسم يوناني معناه الشريعة أو القانون الإلهي[(٢)]، وقد وردت لفظتي "الشريعة" و"الناموس" في الكتاب المقدس للدلالة على القانون، ومجموعة الشرائع الإلهية، ففي العهد القديم يقول الرب لموسى: "**اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ**»[(٣)]، وكذلك وردت كلمة الناموس في العهد القديم بمعنى الشريعة والقانون في مواضع متعددة منها ما ورد في سفر التثنية: "**وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ، حِينَ تَعْبُرُ لِكَيْ تَدْخُلَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ** "[(٤)] وفي العهد الجديد، يقول عيسى في نصه المشهور " **لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ**"[(٥)]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص١٧٥

(٢) انظر: المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٥٤

(٣) سفر الخروج ٢٤: ١٢ وانظر: العدد ١٩: ١ ، العدد ١٩: ١٤ ، اللاويين ١٤: ٥٤ ، العدد٥: ٣٠، التثنية١: ٥

(٤) سفر التثنية ٢٧: ٣ وانظر: سفر التثنية ٢٧: ٨ والتثنية ٢٧: ٢٦ والتثنية ٢٨: ٥٨ والتثنية ٢٨: ٦١

(٥) إنجيل متى ٥: ١٧، وانظر: إنجيل متى ٢٢: ٤٠، إنجيل متى ٢٣: ٢٣ وإنجيل لوقا ٢: ٢٧ وإنجيل لوقا ١٠: ٢٦

وتُعرفُ الشريعة في المسيحية بأنها "قانون موضوع[١] لا بد له من واضع، وهي تظهر إرادة واضعها وتكليفه للذين وضعها عليهم"[٢] ويخصص الكتاب المقدس اصطلاح الشريعة فيقصد بها "إعلان إرادة"[٣].

مما سبق نلحظ أن لفظة الشريعة وردت في العهدين القديم والجديد بمعنى القانون والأحكام الإلهية، وقد جاءت كلمة الناموس رديفاً لها .

وتقسم الشرائع في المسيحية إلى عدة أقسام[٤]:

١. **الشرائع المبنية على طبيعة الله:** كالأمر بالمحبة الكاملة له، والعدل، والرحمة ونبذ الكبرياء والحسد.

٢. **الشرائع المبنية على العلاقات الدائمة بين الناس:** كشرائع الممتلكات، والزيجة وواجبات الوالدين والأولاد.

٣. **الشرائع الوقتية** وهي التي تنظم العلاقات الاجتماعية: ومنها الأحكام المدنية التي كانت عند بني إسرائيل، التي وتتعلق بتقسيم الممتلكات، وواجبات الزواج، وقصاص المذنبين.

٤. **الشرائع المقررة:** وهي التي تتعلق بالطقوس، والرسوم الخارجية؛ كالختان؛ والذبائح والتمييز بين الأطعمة الطاهرة والنجسة، وغير ذلك.

من هنا يلاحظ أن الأقسام التي تندرج تحتها مجموعة الشرائع في المسيحية تعتمد على الشرائع الواردة في العهد القديم، وسيأتي تفصيل ذلك في المرحلة الأولى من التشريع المسيحي والتي تختص بعيسى عليه السلام.

المطلب الثاني: مراحل التشريع المسيحي وموقفها من الآخر

لم تثبت المسيحية طوال أطوارها التاريخية؛ بل ظلت في تطور مستمر مما أضفى على عقائدها وشرائعها مزيداً من التناقض والاضطراب، وقد كان لذلك أثر واضح في موقف

---

(١) لا يحدد هذا التعريف هوية واضع الشريعة بل اكتفى ببيان أن الشريعة قانون وضع من قبل جهة ما وفق إرادتها، ولعل السبب في ذلك أن حق التشريع قد انتقل في مراحل عدة حتى وصل أخيراً إلى الكنيسة (والبابا).

(٢) جيمس، **علم اللاهوت النظامي**، ص٤٩١

(٣) المصدر نفسه، ص٤٩١

(٤) بتصرف، جيمس، **علم اللاهوت النظامي**، ص٤٩١

الشريعة المسيحية من الآخر، حيث تغيرت النظرة إليه من مرحلة لأخرى، ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب أهمها:

١. اعتماد المسيحية العهد القديم كمصدر للتشريع بعد وقوعه في التحريف، ويثبت ذلك الشرائع التي جاء بها المسيح ﷺ، التي تختلف عما جاء به العهد القديم من شرائع وخصوصاً تلك التي تنظم علاقة كل إنسان بالآخر، والنظرة إلى الإنسان بشكل عام.

٢. وقوع المسيحية في انحرافات فكرية وعقدية، أدت إلى خلخلة الشريعة المسيحية واضطرابها، وقد حدث ذلك بعد مرحلة المسيح ﷺ ، ويرجع ذلك إلى عاملين أساسيين **الأول:** الدور الذي أحدثه بولس في العقيدة المسيحية، **والثاني:** الأثر البالغ الذي خلفته قرارات المجامع الكنسية، حيث أضحت المسيحية كلها تدور حول شخصية محورية هي المسيح ولادته وحياته، ثم قصة صلبه وقيامته، وقد صيغ ذلك في مجموعة عقائد هي الخطيئة، ثم الخلاص، والصلب والقيامة. ونتيجة تمركز الاعتقاد المسيحي في شخص المسيح فقط، فقد أصبح الإيمان بالمسيحية معلقاً به، وبناءً عليه أهملت الشريعة والأعمال ولم تبق هناك حاجة إليها في ظل الإيمان بشخص المسيح مخلصاً وفادياً.

٣. ضياع الإنجيل الذي جاء به عيسى ﷺ كمصدر للتشريع في المسيحية، وقد حدث ذلك جراء الاضطهادات التي وقعت على الأتباع بعد مرحلة المسيح ﷺ، كما تم في الوقت ذاته تدوين أسفار العهد الجديد، مما دعا بعض العلماء المسيحيين أنفسهم "يعتذرون عن بعض الاضطراب في الأناجيل، بأنها دونت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى،.... بأن تلك الاضطهادات كانت سبباً في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة"[(١)] وهذا ما جعل أسفار العهد الجديد تعاني من التناقض والاضطراب وعدم التجانس؛ نظراً لتعدد كتابها واختلاف مشاربهم، وبعدهم عن فترة المسيح [(٢)].

ونتيجة لهذه الأسباب التي عصفت بالمسيحية من جميع جوانبها، فقد سار التشريع المسيحي في مراحل عدة، وبناء عليها كانت النظرة إلى الآخر في المسيحية تتغير وتتبدل، وقد جاءت على النحو الآتي:

---

(١) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص٣٥، وانظر أقوال علماء اللاهوت المسيحي في تناقضات العهد القديم في كتاب، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، أحمد عبد الوهاب، ص١٥

(٢) انظر أقوال علماء اللاهوت المسيحي في تناقضات العهد القديم في كتاب، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، أحمد عبد الوهاب، ص١٥

المرحلة الأولى: شريعة عيسى ﷺ وموقفها من الآخر

تشير نصوص الأناجيل إلى أن دعوة عيسى ﷺ كانت موجهة إلى بني إسرائيل خاصة، يقول عيسى ﷺ: " **لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**"[١]. وقد كانت الشريعة السائدة في ذلك الوقت شريعة اليهود، والوصايا العشر الواردة في العهد القديم، ولما جاء المسيح ﷺ دعا إلى العودة إلى الشريعة، والعمل بالوصايا التي أمر بها موسى، ويذكر الأستاذ العقاد أن عيسى ﷺ كان يحفظ الشريعة اليهودية ويتبعها حيث يقول: " كان يرتل المزامير ، وكان يحفظ كتب أرميا وأشعياء، وحزقيال، فضلا عن اختلاف المذاهب في تطبيق الوصايا والأحكام"[٢].

وترتكز الشريعة المسيحية في هذه المرحلة على نص شهير يؤكد أن التشريع الذي جاء به عيسى كان مكملاً للشريعة اليهودية، ومرتكزاً على النصوص التشريعية في العهد القديم، وفي هذا النص يقول عيسى ﷺ : " **لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ**"[٣]؛ وعلى الرغم من بساطة هذا النص ووضوحه ؛ إلا أنه قد تعرض لتفسيرات عدة ابتعد أكثرها عن البساطة، كما حاول بعضها أن يربطه بالعقائد المسيحية التي جاء بها بولس فيما بعد[٤]، وما يهمنا منها التركيز على ما يتعلق بموقف شريعة عيسى من الآخر، وكيف كانت النظرة إليه. ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: يوضح النص أن المسيح ﷺ قد صرح بأن شريعته جاءت مكملة ومتممة لما في شريعة موسى التي توضحها الوصايا العشر الواردة في سفر الخروج[٥]، التي تؤكد على توحيد الله وتحريم مظاهر الشرك وعبادة غيرالله، وتقديس السبت، والحث على طاعة الوالدين، والنهي عن الزنا، والسرقة، وشهادة الزور، وغير ذلك، وقد أتم عيسى هذه الوصايا في موعظة الجبل، وما تبعها من شرائع حين أضفى عليها نزعة إنسانية فائقة، مضيفاً إليها وصية الحب وقبول الآخر، والتضحية بالذات لأجله، وفي ذلك يقول: "**هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ. لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ**"[٦]، وبذلك يكون المسيح قد أصلح ما اعترى الفهم اليهودي من نظرة عنصرية تخص الجنس اليهودي فقط، يقول إنجيل متى واصفاً موعظة الجبل: **"وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ.**

---

(١) إنجيل متى ١٥: ٢٤
(٢) العقاد، عبقرية المسيح، ص١٦٦
(٣) إنجيل متى ٥: ١٧
(٤) انظر: **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس** ، ص١٨٨٣
(٥) انظر: سفر الخروج ٢٠: ١-١٧
(٦) إنجيل يوحنا ١٥: ١٢-١٣

فَفتحَ فاهُ وعَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ[١]. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ"[٢].

وبذلك يتضح أن كمال الشريعة الذي قصده المسيح يعني إخراج الشريعة اليهودية من ثوب العنصرية؛ لتعم الإنسان بشكل عام سواء من كان من الجنس اليهودي أو من الآخر؛ فالشريعة تحكم الجميع، والكل سواسية أمامها، يقول الأستاذ العقاد معلقاً على شريعة المسيح وجوهر دعوته: " ومجمل القول أن الخير كله كان في حكم شريعة الظواهر والأشكال (الشريعة اليهودية)، شريعة الكبرياء والرياء مسألة امتياز رسمي يحتكره أصحابه بفضل السلالة والعنصر، ويرجع الأمر فيه إلى الموروثات والمأثورات، فالفضل بين الأمم امتياز رسمي محتكر لإسرائيل لأنهم أبناء إبراهيم (...) بل كادت محبة الله لشعبه المختار أن تكون وثيقة في صك مرسوم تضمن الإيثار لذلك الشعب، وإن هبطت به أعماله دون سائر الشعوب (...) فلما قامت الدعوة المسيحية بشريعة الحب والضمير (للآخر) كانت كلمتها هي الكلمة التي تقال في كل ما ادعوه، وما استأثروا به واحتكروه. ليس الخير حكراً للنسب والسلالة"[٣].

وتؤكد النصوص ذلك من خلال الأمثلة التي ضربها المسيح على مسامع بني إسرائيل، حيث يؤكد فيها أن تطبيق الشريعة ليست حكراً على جنس بعينه، وأن مقياس قبول الآخر بمقدار تطبيقه للشريعة واحتكامه إليها، وبذلك ينال الفضل والقبول، ومثال ذلك قوله: "**إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي**

---

(١) قول المسيح "لأنهم أبناء الله يدعون" يقصد بها المعنى المجازي وكل ما ورد عنه من قوله "أبي وأباكم" إنما يقصد به المجازي، وينفي ما زعموه من بنوة يسوع لله – تعالى عن ذلك – وإنما المعنى شبيه بقول الرسول ﷺ: "الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله" فالخلق جميعاً عالة عليه تعالى وهو يرزقهم ويحيهم ويميتهم. انظر: البار، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية**، ص١٤٢

(٢) متى ٥: ١-١٢

(٣) العقاد، عباس محمود، **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث**، دار هلال، ص١٣٠-١٣١

أُوفِيكَ"(١)، ثم يتساءل المسيح بعد هذا المثل: "**فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟**"(٢) ، ولا شك أن الجواب على ما سأله المسيح أن السامري أقرب إلى الجريح من أبناء هارون واللاويين. ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن سبب ضرب المسيح المثل على السامري واعتباره آخراً مقابل العرق اليهودي الممثل في ابناء هارون ولاوي، أن اليهود كانوا ينبذون طائفة السامريين، ولا يعتبرونهم من الجنس اليهودي؛ وذلك بسب اختلاطهم بالأمم الأخرى وزواجهم منهم، خصوصاً بعد الغزو الأشوري الذي حل على مملكة الشمال بعد حكم سليمان عليه السلام. كما تعزي بعض الآراء أن سبب رفض اليهود لدعوة عيسى هو قبوله للآخر وخصوصاً السامري.

ثانياً: إن كمال الشريعة في النص السابق يعني الابتعاد عن المظاهر والأشكال في تطبيق الشريعة، وعدم الاكتفاء بالتتميم الحرفي لوصايا الشريعة اليهودية، وتعاليم الأنبياء وتخطي الحرف إلى الروح(٣).

وفي ذلك إشارة إلى رفض المسيح لكيفية تطبيق بني إسرائيل للشريعة التي نادي بها موسى، حيث اكتفوا بطاعة الشريعة ظاهرياً، دون أن يسمحوا لها بتغيير قلوبهم أو اتجاهاتهم، وذلك غير مقبول عند الله؛ لأن الله يحكم على القلوب كما يحكم على الأفعال، والولاء الحقيقي للشريعة يكمن في القلب(٤)، ويصف العقاد الارتباط بين كمال الشريعة ومخالطتها ومحاكاتها للقلب بقوله: "ولقد كمل المسيح شريعة الناموس حقاً؛ لأنه جاء بشريعة الحب وهي زيادة عليه إن الناموس عهد على الإنسان بقضاء الواجب. أما الحب فيزيد على الواجب، ولا ينتظر الأمر ولا ينتظر الجزاء. الحب لا يحاسب بالحروف والشروط، والحب لا يعامل الناس بالصكوك والشهود، ولكنه يفعل ما يطلب منه ويزيد عليه، وهو مستريح إلى العطاء، غير متطلع إلى الجزاء"(٥)، وبهذه الشريعة قضى المسيح على شريعة الكبرياء والرياء، وعلّم الناس أن الوصايا الإلهية لم تجعل للزهو والدعوى والتيه بالنفس، ووصم الآخرين بالتهم والذنوب؛ ولكنها جعلت لحساب النفس قبل حساب الآخر، وللعطف على الناس بالرحمة، وليس لاقتناص الزلات

---

(١) إنجيل لوقا ١٠: ٣٠-٣٥
(٢) إنجيل لوقا ١٠: ٣٦
(٣) بتصرف، سبترس، **جوهر المسيحية ومفارقاتها**، ص٧٨
(٤) بتصرف، **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، (التعريب والجمع شركة ماستر ميديا)، القاهرة، مصر ص١٨٨٣
(٥) العقاد، **حياة الميسح**، ص١٢٨

واستطلاع العيوب[١]. ويظهر ذلك من خلال أقوال متعددة تناولت جملة من المواعظ والوصايا وجه فيها المسيح قومه من بني إسرائيل إلى نبذ العنف والتعصب ضد الآخر، والنهي عن ارتكاب الفواحش والآثام مهما صغرت، واجتناب الرياء والكذب والنفاق، والدعوة إلى الرحمة والتسامح مع الآخر، ولا شك أن لذلك أثراً واضحاً على نظرة التشريع المسيحي في هذه المرحلة إلى الآخر من حيث قبوله، وتصحيح النظرة إليه بعد أن تعرضت شريعة موسى للتحريف والتغيير، ومن هذه الأقوال:

- **" لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟"[٢].**
- **"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ :لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ :رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" [٣]**
- **"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ :لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا"[٤].**
- **"سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ .وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُم .أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ،"[٥].**
- **"اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ .فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً"[٦].**

---

(١) بتصرف بسيط، المصدر نفسه، ص١٢٨-١٢٩

(٢) إنجيل متى ٧: ٣

(٣) إنجيل متى ٥: ٢١-٢٤ ، وانظر: إنجيل متى ٢٧-٢٩

(٤) إنجيل متى ٥: ٣٨-٣٩

(٥) إنجيل متى ٥: ٤٣-٤٤

(٦) إنجيل متى ٦: ١-٤

- **"مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ"[١].**
- **"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ :لاَ تَزْنِ .وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ .فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ"[٢].**

يلاحظ من النصوص والأقوال السابقة جوهر التشريع الذي جاء به عيسى عليه السلام وحقيقته؛ حيث يأمر بالالتزام بما جاء بشريعة موسى من أوامر ونواهٍ، وأن يكون المقصد في ذلك نيل رضا الله تعالى مبيناً السبل التي تساعد المرء على تحقيق ذلك، ومنها الإقبال على تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه حباً به وليس طمعاً في الجزاء، وكذلك الابتعاد عن المظاهر والأشكال، وأن تكون الأعمال نابعة من القلب، ومصاحبة لنية صادقة خالصة؛ ولذلك سعى في أقواله إلى توسيع دائرة الأمور المنهي عنها لتشمل أموراً دقيقة لا يلتفت لها ويلتزم بتطبيقها إلا من كان ذا عقيدة صافية، وفهم عميق لحقيقة التوحيد؛ فشريعة النهي عن القتل لا تقتصر على تحريم إراقة الدماء؛ بل تجاوزت ذلك إلى تحريم قتل مشاعر الآخرين بسبهم وشتمهم، وفي ذلك يساوي المسيح بين القتل والغضب والكلام القبيح حيث يستوجب جميعه القضاء، فليس القتل بإراقة الدماء فقط بل يعد الشتم والاستهزاء بالآخر قتلاً دون إراقة الدماء.

وكذلك يؤكد المسيح أن تحريم الزنا لا يعني الامتناع عن ارتكاب الفاحشة فقط؛ بل يشمل أيضاً زنا القلب، وإطلاق العنان للنظر إلى ما حرم الله.

وهكذا يؤكد المسيح في شريعته حقيقة التشريع وموقفه من الآخر؛ ففي كل وصية من وصاياه نلمس تلك الروح التي رمى المسيح إلى تدعيمها في نفوس أتباعه، وهي تدور حول معاني الرحمة والسلام والطهر، كما أنها تقضي باتخاذ الوسائل الكفيلة بترويض الجسد، وكبح جماحه إذا ما أصبح مدعاة للإثم[٣]، ولا شك أن هذا الطهر الذي يجب أن تتحلى به النفس يوضح موقف المسيح من الآخر في نظرته إليه؛ فلا يمكن أن يتحقق للآخر قبول في ظل شريعة تنظر إلى الإنسان نظرة خالية من مشاعر الرحمة والعدل والتسامح والمساواة.

ومما يجب التنبيه عليه أن قبول شريعة عيسى للآخر، ودعوتها إلى التسامح والرحمة والمساواة إنما تنبع من عقيدة صافية واضحة، تؤمن بوجود إله واحد، وتدعو إلى عبادته وحده دون سواه، ففي ظل عقيدة التوحيد لا بد أن يتحقق العدل والمساواة والحرية والتكامل؛ فمن التوحيد يستمد الآخر وجوده، ويتساوى مع غيره، إذ لا يتميز عن المخلوق إلا الخالق، وكل

---

(١) إنجيل متى ٥: ٤٢
(٢) إنجيل متى٥: ٢٧-٢٩
(٣) بتصرف، جومبير، جاك سامي، **المسيح ابن مريم**، دار الكلمة، بيروت، ١٩٦٦م، ص٥١

العباد أمام الله سواء، وبالتوحيد لا يكون الحكم إلا لله، فلا تخضع الأحكام لأهواء البشر وشهواتهم، وكل الناس بعد ذلك مسؤولون، وفي ظل عقيدة التوحيد لا يكون مالك الكون كله إلا الله، فلا وجود لسيطرة البشر على بعضهم البعض، ولا مجال لأن يستعبد أحدهم للآخر فالملك لله والرزق والاحياء والاماتة في يده وحده، وفي ضوء هذه العقيدة الصافية والواضحة لا بد من وجود تشريع يجمع الناس جميعاً تحت مظلة ربانية إنسانية، تقبل الناس جميعاً وتساوي بينهم، **وهذا يعني أن صحة التشريع المسيحي في مرحلته الأولى، وموقفه من الآخر يعود إلى عقيدة صافية، وفهم صحيح لحقيقة التوحيد؛ لأن فساد العقيدة يستلزم فساد الشريعة.**

أما أدلة ذلك من نصوص الأناجيل فهي متعددة حيث تذكر أن قبول شريعة المسيح للآخر انطلقت من عقيدة واضحة، كما تذكر أيضاً أن المسيح كثيراً ما كان يقرن مسألة قبول الأعمال بصحة الإيمان، ومنها ما ذكره إنجيل مرقس عندما سأل أحد الكهنة يسوع: "**أية وصية هي أول الكل**"(١)، فأجابه يسوع: "**إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ .وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ**"(٢).

وفي نص آخر يقرن المسيح بين طاعة الله والتقرب إليه بحسن معاملة، الآخر وتأدية الحقوق لأصحابها، حين عد معاملة الآخر بالحسنى وسيلة يتقرب بها الإنسان إلى الله، وهي تفوق تقديم القربان، وفي ذلك يقول: "**فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ. كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ**"(٣).

إذاً تظهر وصايا عيسى المستمدة من نصوص الأناجيل أن شريعة عيسى وموقفها من الآخر مستمدة من عقيدة أساسها التوحيد ويصدقها العمل، فالنظرة إلى الآخر في المرحلة الأولى للتشريع المسيحي تحددها أسس عقدية صحيحة.

المرحلة الثانية: مرحلة بولس وموقفها من الآخر

تعرضت الشريعة المسيحية بعد عهد المسيح عليه السلام إلى التبديل والتغيير، وخصوصاً بعد ضياع مصدرها الأصيل المتمثل في الإنجيل، واضطهاد أنصار المسيح وتلاميذه، وفقدان دعوة المسيح شريعتها الحقة بعد أن امتلأت بالفلسفات والخرافات التي كان من شأنها أن تنقل المسيحية

(١) إنجيل مرقس ١٢: ٢٨
(٢) إنجيل مرقس ١٢: ٢٩-٣١ وانظر: إنجيل متى ٢٢: ٣٥- ٤٠
(٣) إنجيل متى ٥: ٢١-٢٥

من البساطة والوضوح إلى التعقيد والغموض. وترجع المصادر أسباب التغيير والتبديل في المسيحية إلى شخصية **بولس** الذي عمل على إفساد الشريعة التي نادى بها المسيح، التي تم من خلالها قبول الآخر والاعتراف به تحت مظلة الإنسانية، وتغييرها بل والتخلص منها، وقد استطاع بولس أن يحقق هذا من خلال قيامه بعدد من الأمور التي يمكن اعتبارها أهم العوامل التي أدت إلى القضاء على الشريعة، وتغير نظرتها للآخر وهي كالآتي:

العامل الأول: إفساد العقيدة المسيحية، ونقلها من التوحيد والعبودية لله الواحد إلى عقيدة تدور حول شخص محوري هو يسوع، وقد تم ذلك بعد دخول بولس المفاجئ في المسيحية حيث ابتدأ بإشاعة القول بألوهية عيسى وبنوته لله، تمهيداً للقول بالخطيئة، ثم تحقيقه للخلاص من خلال عملية الصلب، وقد أشار سفر أعمال الرسل إلى ذلك حيث يقول: "**وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلاَمِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّامًا .وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ (أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ) . فَبُهِتَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ**"(١). وقد جعل بولس عقيدة البنوة التي تؤكد ألوهية المسيح طريقاً يحقق الخلاص للبشرية من الخطيئة الأصلية، كما أوضح أن الخلاص بالمسيح هو الخطوة الأساسية في فك الأسر، وإنقاذ الإنسان من عبودية الخطيئة والموت، ورفع غضب الله المعلن من السماء على بني الإنسان(٢). وليضمن بولس انتشار عقيدته بين الأمم فقد ربط تحقق الخلاص لأي إنسان بالإيمان القلبي الذي ينص على الاعتقاد بأن المسيح ابن الإله المتجسد وقد نزل ليخلص كل إنسان من الخطيئة الأصلية التي أورثت في الإنسان الطبيعة الفاسدة، والميل إلى الشر، وارتكاب المحرمات، فكل من يؤمن بذلك يخلص.

أما علاقة الشريعة المسيحية بهذا الإيمان الذي ابتدعه بولس فتكمن في إحلال الإيمان القلبي بالمسيح فادياً ومخلصاً مكان الشريعة، حيث لا حاجة إليها بعد أن تمت مهمة الخلاص؛ فالشريعة عند بولس غايتها تحقيق الخلاص للإنسان من خلال اشتمالها على أحكام توضح الحلال والحرام، وبما أن الخلاص حسب اعتقاد بولس قد تحقق بالمسيح المخلص؛ فلا حاجة للشريعة، يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: " **وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ، بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ**"(٣) ويقول أيضاً: "**فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ. إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ**

---

(١) سفر أعمال الرسل ٩: ١٩-٢١

(٢) بتصرف، عزيز، القس فهيم، **المدخل إلى العهد الجديد**، ص٣٨٩

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٣: ٢١-٢٣

بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ"[١]، ولا يقف الأمر عند بولس إلى إلغاء الشريعة فقط مقابل الإيمان القلبي؛ بل يتعداه إلى اعتبار الناموس والشريعة خطيئة في حد ذاتها؛ لأن الشريعة تحدد قواعد الحلال والحرام، وبذلك يقع الناس في الخطيئة؛ لأن من يفعل الحرام الذي تنص عليه الشريعة سيقع بالخطأ والإثم، وبدون الشريعة لا يوجد حلال وحرام؛ بل يكفي الإيمان ليعصم من الخطأ.

ويؤكد هذا قوله: "**لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ**"[٢]. ويقول أيضاً: "**بل لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيَّةَ إِلاَّ بِالنَّامُوسِ .فَإِنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ: (لاَ تَشْتَهِ)، وَلكِنَّ الْخَطِيَّةَ وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ أنشأت فيَّ كل شهوة (...) عَاشَتِ الْخَطِيَّةُ، فَمُتُّ أَنَا**"[٣]

وهكذا كان الفساد الذي ألحقه بولس بالعقيدة المسيحية طريقاً للخلاص من الشريعة وأحكامها، وقد كان لهذا التغيير الذي أحدثه بولس أثر واضح على الآخر من جوانب عدة، فإفساد العقيدة المسيحية وجعلها تدور حول شخص يسوع، فتح الباب على مصراعيه للحديث عن طبيعة المسيح، وتخبر الحقب التي عاشتها المسيحية بعد بولس كيف أدى القول بألوهية المسيح وصلبه المزعوم إلى تعدد المذاهب، وتباين الرؤى، حتى قاد هذا إلى حملات من الاضطهاد والتعذيب للآخر المخالف لهذه العقائد، كما حدثت عدة مجازر ومذابح دموية في حقه، ويتجلى ذلك في أمثلة عدة منها اضطهاد آريوس وجماعة الموحدين بعد إصدار مجمع نيقية المنعقد بأمر الإمبراطور قسطنطين قرار ألوهية المسيح، وكذلك المذابح الرهيبة التي وقعت بين الكنيسة وأتباعها المنشقين، أو المجازر التي عانى منها المسلمون في البوسنة والهرسك على يد الصرب الأرثوذكس، وإذا اضفنا قبل هذا ما فعله المسيحيون بالمسلمين في الحروب الصليبية وفي الأندلس بعد سقوط غرناطة؛ ليتبين أن الشريعة المسيحية التي نادت بالرحمة والتسامح والرضا بالضيم، قد تحولت إلى شريعة العنف والحقد والفتك بالآخر، ولعل هذا التغير يمثل التحول من مرحلة شريعة المسيح إلى مرحلة شريعة بولس[٤].

ومن جهة أخرى أيضاً؛ فقد أدى التحرر من الشريعة وإلغاؤها إلى آثار مدمرة على الإنسانية والآخر، فالتحلل من الشريعة وضوابطها يجعل الإنسان يطلق العنان لشهواته وأهوائه،

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٣: ٢٧-٢٨

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٤: ١٥

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٧: ٧-٩

(٤) انظر: أبو طاحون، عدلي علي، **سوسيولوجيا التطرف الديني**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٩م، ص١٨٧-١٩١

ويتبع السبل كافة إلى تحقيقها، ضارباً بالمبادئ والقيم عرض الحائط، ما دام يؤمن بالمسيح مخلصاً، فإذا اقتضت مصلحته قتل الآخر وإبادته يقتل، وإذا اقتضت مداهنته زوراً يداهن، فالآخر يدور مع المصالح والأهواء البولسية حيث دارت.

العامل الثاني : استخدام الغش والمكر والخداع مع الآخر

لجأ بولس إلى استخدام وسائل عدة ليحقق غايته ويغير الشريعة؛ وأهمها التملق والجدل والخداع، كما أكد في رسائله أن الخداع والمكر هو جسر التواصل مع الآخر، فهو مثلاً يكون يهودياً مع اليهود ورومانياً مع الرومانيين. وفي ذلك يقول: "**فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ - مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلاَ نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ - لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ، لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَال قَوْمًا**"(١).

كما يوجه التلاميذ إلى انتهاج طريق التملق والتلون لخداع الآخر وتضليله، لتحقيق ما يطمح إليه فيقول: "**كُونُوا بِلاَ عَثْرَةٍ لِلْيَهُودِ وَلِلْيُونَانِيِّينَ وَلِكَنِيسَةِ اللهِ. كَمَا أَنَا أَيْضًا أُرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِي، بَلِ الْكَثِيرِينَ، لِكَيْ يَخْلُصُوا.**"(٢) ويؤكد أيضاً أن حيلته وخداعه للناس كان السبيل لنجاح دعوته وشريعته، فيقول: "**فَلْيَكُنْ. أَنَا لَمْ أُثَقِّلْ عَلَيْكُمْ، لكِنْ إِذْ كُنْتُ مُحْتَالاً أَخَذْتُكُمْ بِمَكْرٍ!**"(٣). ومعلوم أن هذا يخالف أقوال المسيح الذي طلب من تلاميذه قول الحق والصدق مهما كان الثمن فيقول: " **إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ**"(٤)(٥).

وقد استطاع بولس بانتهاجه شريعة الكذب والتلون أن يكسب جموعاً وأمماً عدة للدخول في شريعته الجديدة، وتذكر الرسائل التي رواها بولس بنفسه استخدمه الحيلة والنفاق في كل شيء فهو يدعو الناس إلى التمسك بالقانون الروماني؛ ليكسب قلوب الرومانيين، وينسف شريعة عيسى ويجعل الإيمان مكانها(٦).

كما استطاع بالنفاق والكذب أن يجذب أهل اثينا من اليونانيين إليه، حتى لو كان ذلك على حساب دين المسيح فيقول: "**أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينِوِيُّونَ! أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ**

---

(١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٩: ٢٠-٢٢
(٢) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٠: ٣٢-٣٣
(٣) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس ١٢: ١٦
(٤) إنجيل يوحنا ١٥: ١٨
(٥) انظر يكن، **يهوذا الاسخريوطي على الصليب**، ص٣٠٣
(٦) انظر: المصدر نفسه، ص٢٩٨

كَثِيرًا، لأَنَّنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ، وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ:«لإِلهٍ مَجْهُولٍ». فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ، هذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ"[١][٢].

وبذلك يكون بولس قد هاجم دعوة عيسى ونسف شريعته بأكملها، عندما استبدل ما تدعو إليه من الصدق مع الآخر إلى الكذب والنفاق، كما عمد إلى تحطيم الشريعة بعد أن جعلها خطيئة؛ فلم يعد هناك ميزان للحكم على الأعمال بحلال أو حرام، وبتغييره وإفساده للعقيدة حول المسيحية من شريعة التسامح والصفح مع الآخر إلى شريعة العنف والاضطهاد بعد أن أوقع الناس في خلاف حول طبيعة المسيح.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكنيسة وموقفها من الآخر

تعد مرحلة الكنيسة أهم أطوار التشريع المسيحي؛ لما لها من أثر بالغ في تغير نظرة المسيحية إلى الآخر، وخصوصاً بعد أن انتقل إليها حق التشريع، وإصدار الأحكام والقرارات. ويمكن القول إن التشريع المسيحي قد استقر وانتهى في هذه المرحلة.

أما أسباب امتلاك الكنيسة حق التشريع التي منحت الكنيسة القدرة والشرعية على صياغة موقف جديد من الآخر فتعود إلى أمور عدة: أهمها قرارات المجامع، حيث كان لها دور بارز في انتقال حق التشريع إلى الكنيسة وامتلاكها إياه، وذلك من خلال القرارات التي أصدرتها بعض المجامع المسكونية الهامة في التاريخ المسيحي، التي مكنت الكنيسة من امتلاك حق التشريع؛ فمثلاً **مجمع نيقية** الذي عقد بأمر الإمبراطور قسطنطين عام ٣٢٥م الذي تقررت من خلاله عقيدة التثليث وألوهية المسيح، يعد أخطر المجامع التي عقدت في تاريخ الكنيسة. فقد استطاع هذا المجمع أن يفرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين، وكان من أهم قراراته التي ساهمت فيما بعد بنقل التشريع إلى الكنيسة حكر تعاليم الدين ووصاياه على رجال الكهنوت، دون الالتفات إلى الكتب والمصادر المسيحية. فأقوال رجال الدين حجة سواء خالفت النصوص أم وافقتها[٣].

ويتوالى انعقاد المجامع بعد ذلك لتقرر حق الكنيسة ورجالها في التشريع، ويعد مجمع روما المنعقد عام ١٨٦٩م نقطة تحول فاصلة؛ فبه تم إقرار عصمة البابا، وبذلك يكون حق التشريع قد انتقل إلى البابا كرأس للكنيسة، وعن طريقه أصبحت الكنيسة تملك حق التشريع

---

(١) سفر أعمال الرسل ١٧: ٢٢-٢٣

(٢) ومعلوم أن أهل أثينا أكثر الناس شروراً وفساداً في الأرض في ذلك الزمان

(٣) بتصرف، الخطيب، **مقارنة الأديان**، ص٢٨٩-٢٩٠

بشكل رسمي. و ينسب المسيحيون عصمة الكنيسة و البابا إلى المسيح نفسه[١]، يقول الأب بولس الياس: "لقد خوّل السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه كما أرسلني الآب هكذا أنا أرسلكم"[٢]. ويؤكد عبد الأحد داود ذلك حيث يقول: "إن المسيحيين عندما أثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة في إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام إلى حبر روما، وأصبح حكمه قطعياً"[٣]

ويعتقد المسيحيون أيضاً أن امتلاك الكنيسة حق التشريع كان بسبب تكليف المسيح لها ووراثتها للرسل، كما يرون أن المسيح نفسه هو الذي أسس الكنيسة لهذا الغرض، بعد أن اختار بطرس ليبنيها، يقول إنجيل متى: " **أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْني كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا**"[٤]، وبما أن الكنيسة وريثة بطرس إذاً فقد وصلت حتماً إلى مرتبته، كما تمتلك نفس الصلاحيات، كما أصبح البابا بذلك الممثل الشرعي للمسيح؛ لاعتقادهم بأن المسيح لا يتجسد في طقوس العشاء الرباني، والقربان، والتعميد فقط؛ بل يتجسد في منصب البابوية ذاته فيصبح البابا معصوماً عن الأخطاء والذنوب، كما يملك حق الغفران؛ لأنه مندوب عن الرب ويسوع؛ ولأن يسوع تجسد فيه[٥] وهذا ما دعى مجمع روما الأول ١٨٦٩م إلى إقرار عصمة البابا وبكل ضمير مرتاح.

ويؤكد الأساقفة ورجال الدين المسيحي مكانة الكنيسة وامتلاكها للتشريع، يقول الأسقف ايرينايوس: "من المتوجب إطاعة الكهنة الذين هم في الكنيسة (...) الذين يمتكون الخلافة من الرسل فهؤلاء – مع الذين يملكون الخلافة من الأساقفة – قد تسلموا منحة خاصة من الصدق"[٦]، ومن هنا أعطي البابا وأتباعه سلطة كاملة وتامة على كل الشؤون الدنيوية والروحية، كما سمح له بناء على ذلك توزيع القداسات، وفرض عقوبة الحرمان الكنسي [٧]، ويقول كتاب اللاهوت النظامي: إن الكنيسة تعد ترتيباً إلهياً، فكل سلطان كنسي هو من الله، وكل أصحاب الرتب الكنسية يعملون باسمه وسلطانه، فتكون مقاومتهم هي مقاومة للترتيب الإلهي[٨][١].

(١) المصدر نفسه، ص٣٠٠
(٢) الخطيب، **مقارنة الأديان** ، ص٣٠٠
(٣) المصدر نفسه، ص٣٠٠
(٤) إنجيل متى ١٦: ١٨
(٥) انظر: البار، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية** ، ص٣٨٩-٣٩٠
(٦) إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي**، ص٢٤
(٧) بتصرف، المصدر نفسه، ص٧٧
(٨) بتصرف، عبد النور، **اللاهوت النظامي**، ص٤٩٩

وبناءً على ذلك اتسم التشريع في مرحلة الكنيسة بسمات عدة يصدقها واقع الكنيسة وسلوكها مع الآخر، وقد جاءت كما يلي:

أولاً: مخالفة الوصايا والتشريعات التي جاء بها عيسى مكملاً ما ورد في الوصايا العشر من أوامر، وقد انعكس ذلك بالضرورة على نظرة المسيحية للآخر، وسبل التعامل معه، فالمسيح يوجه أتباعه قائلاً: "**لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ**"(٢)؛ ولكن أفعال الكنيسة وسلوكها تجاه الآخر تظهر تحولاً واضحاً في التشريع، ونقضاً صريحاً لما جاء به عيسى من تعاليم، وخصوصاً بعد أن اتسع مدلول كلمة الآخر عندها ليشمل كل مهرطق أو مخالف لأوامر الكنيسة وأفعالها؛ فوصية لا تقتل اقتصرت على أتباع الكنيسة المخلصين؛ أما المخالف والمهرطق فيجب قتله .

ويعتبر قتل الآخر في نظر الكنيسة وسيلة لخلاصه، وخصوصاً بعد تبنيها آراء القديس أوغسطين ونظريته في الحرب العادلة، وقتل الآخر بدافع الحب؛ لأجل تخليصه من خطاياه وآثامه، وبناء على ذلك عملت الكنيسة على تنفيذ أحكام القتل والإبادة، وخوض الحروب في حق مخالفيها، وكل من لا يدين لها بالولاء تحت مسمى الحرب المقدسة أو محاكم التفتيش.

وقد وردت شهادات عدة حتى من رجال الدين أنفسهم حول انتهاج الكنيسة شريعة العنف ضد الآخر تحت مسمى الإيمان، يقول البابا جون بول الثاني في رسالة سرية له بعثها إلى الكرادلة، ثم تسربت إلى الصحافة الايطالية عام ١٩٩٤م: "كيف يمكن للإنسان أن يبقى صامتاً تجاه الأشكال الكثيرة من العنف التي اقترفت باسم الإيمان، والحروب الدينية، ومحاكم التفتيش، وأشكال العنف الأخرى التي مورست ضد حقوق الأفرد"(٣).

وتقف الباحثة كارين آرمسترونغ أمام التحول المفاجيء في شريعة التسامح التي نادى بها المسيح مع الآخر إلى العنف والاضطهاد، حيث تقول: لم ينقض القرن الأول إلا وكان الدين المسالم ليسوع قد غزته أفكار أشد ميلاً إلى العنف والحرب، فجنباً إلى جنب مع مسالمة يسوع نما وكبر دين للمعارك والفظائع، لقد بشر يسوع بدين يهودي إنساني الطابع لعب دوراً تكوينياً

---

(١) حاول كتّاب التشريع المسيحي أن يخففوا من حدة سلطة الكنيسة وحقها في التشريع واصدار القرارات والأحكام من خلال شروحات وتقسيمات معينة للشرائع الكنسية إلا أن التاريخ يثبت فشل هذه المحاولات، انظر: مجموعة الشرع الكنسي، جمع وتأليف وترجمة حنانيا إلياس كساب، منشورات النور، بيروت، ص٣٨-٣٩

(٢) إنجيل متى ١٩: ١٨-١٩

(٣) إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي**، ص١٣

بالغاً في صياغة العديد من المثل العليا الغربية؛ ولكن النزعة العدوانية لدى المسيحية في قت جد مبكر من تاريخ الكنيسة غيرت ذلك[١].

ويصف قاسم عبده في كتابه (**الخلفية الأيديولوجية**) هذا التحول الواضح في شريعة المسيح، حيث يقول: "فمن الرفض الفكري لفكرة الحرب في المسيحية الباكرة إلى فكرة الحرب المقدسة التي جعلت من الحرب أمراً من الرب بنفسه وينفذه من خلال المسيحيين جنود المسيح، هذا التطور يكشف عن مثال فذ ومذهل لكيفية تسخير الأفكار الدينية في خدمة السياسة، بحيث يتم نسج فكرة أساسية، مثل الحرب المقدسة، على الرغم من تناقضها الواضح مع التعاليم المسيحية ذاتها"[٢]، ومن يقرأ بعض نصوص الأناجيل يدرك تحول شريعة عيسى من التسامح مع الآخر إلى رفضه واضطهاده، فهو يقول لأحد الذين معه عندما رفع سيفه ليدافع عنه: " **رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ!**"[٣].

ثانياً: موافقة الشريعة لأهواء رجال الدين ومصالحهم: كانت الرغبة الجامحة في تحقيق المصالح والأطماع المادية والسياسية أهم الأسباب التي دعت الكنيسة إلى مخالفة شريعة المسيح، وبالتالي إقصاء الآخر، وسلبه حقوقه بحجة الهرطقة، حيث عمد البابوات إلى صياغة قرارات وتشريعات جديدة وفق اعتبارات دنيوية خالصة، ووفق مصالح مادية وسياسية، مما أدى إلى ارتكاب أبشع ألوان التجاوزات الأخلاقية، حتى سجّل التاريخ صفحات إجرامية لبعض البابوات جراء انتهاك شريعة المسيح[٤].

والأمثلة الدالة على انتهاك الكنيسة لشريعة المسيح متعددة؛ فشريعة الزهد التي حث عليها المسيح تغيب عن سلوك رجال الدين المسيحي، والتاريخ يثبت حرص رجال الدين على جباية الأموال، واكتناز الذهب مهما كانت الوسائل المتبعة لذلك، ويصف المؤرخ (ادوارد جيبون) هذا الواقع في كتابه **"اضمحلال الإمبراطورية الرومانية"** حيث يقول: "إن بولس السمسطي الذي كان يشغل كرسي الأسقفية في أنطاكية أيام حكم أوديناوس وقد كان ثراء هذا الحبر دليلاً على جرمه لأنه لم يرث عن آبائه، ولم يكسب عن طريق العمل الشريف؛ لكنه اعتبر خدمة الكنيسة تدر الربح الوفير، فكثيراً ما ابتز التبرعات من الموسرين، وحوّل لمصلحته الخاصة قدراً كبيراً من الدخل العام، وغدت المسيحية نتيجة غروره وبذخه مقيتة في أعين غير

---

(١) بتصرف، آرمسترونغ، **الحرب المقدسة**، ص٥٧
(٢) قاسم، **الخلفية الأيديولوجية**، ص١٣
(٣) إنجيل متى ٢٦: ٥٢، وانظر: إنجيل متى ٥: ٣٨-٤٢
(٤) بتصرف، سعفان، كامل، **الصليب سيفاً وحرفاً**، ط١، دار الأمين، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٨٥-٨٦

المسيحيين، وكانت قاعة مجلسه وعرشه وهالة الأبهة التي أحاط بها نفسه لا تليق إلا بحاكم مدني (...) وقد كان يبعثر أموال الكنيسة على القساوسة التابعين له، والذين اقتدوا به في اشباع شهواتهم"[١].

ولم تقتصر مخالفة الكنيسة لشريعة عيسى على المال فقط؛ بل شمل أيضاً إباحتها للزنا على الرغم من تحريمه، وهذا ما تشهده الأوساط الأوروبية في وقتنا الحالي؛ حيث أباحت الكنيسة لأتباعها الزنا، ونكاح المحارم، وزواج المثليين، تقول جريدة الأهرام في تقرير لها حول هذا الموضوع : "وافق تسعون من رجال الدين الأمريكيين في ندوة عقدوها في نيويورك على عدم استنكار ممارسة الشذوذ الجنسي إذا كانت قائمة على عاطفة الحب"[٢] ، و في نفس الجريدة جاء أيضاً : "اقترح قس بريطاني اسمه استيفان أن يصبح الشذوذ الجنسي والانتحار من الوسائل المقبولة من أجل الحد من زيادة سكان العالم، وطلب القس مناقشة هذه الفكرة في مؤتمر الكنيسة الأسقفية "[٣]

مما سبق يلاحظ أن الشريعة المسيحية قد دخلت مرحلتها النهائية، وذلك بعد امتلاك الكنيسة حق التشريع بسبب اعتقادها أنها الممثل الحقيقي للمسيح في الأرض، ونتيجة ذلك اكتسب التشريع في مرحلة الكنيسة ملامح عدة: كان أبرزها مخالفة شريعة عيسى، واكتساب الشريعة الجديدة طابع المادية، والسعي لتحقيق مصالح رجال الدين وأهوائهم حتى انعكس ذلك على سلوكهم فكانوا نموذجاً سيئاً لكل مسيحي، كما أن الكنيسة بمخالفتها لشريعة عيسى واتباعها لمصالحها المادية والسياسية قد وضعت أسساً جديدة للتعامل مع الآخر وفق شريعة تنتهج العنف والقسوة، وارتكاب الوسائل الأخلاقية وغير الأخلاقية كافة لتحقيق الأهداف المنشودة.

---

(١) كامل سعفان ،**الصليب سيفا وحرفاً**، ص٩٢

(٢) أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٤، ص٢٠١

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٠

المبحث الثاني

حقوق الآخر في الشرائع المسيحية

في ظل المراحل التي مرَّ بها التشريع المسيحي تفاوتت النظرة إلى الآخر، وبناءً عليه إصدرت القرارات ونُفذت الأحكام. ويظهر من خلال مراحل التشريع السابقة أن النظرة إلى الآخر قد خضعت إلى أسس وقواعد هامة؛ أهمها أحوال العقيدة وصحتها، والنظرة إلى الإنسان بشكل عام، وقد ظهر ذلك من خلال النصوص والوقائع التي تم من خلالها دراسة ملامح التشريع المسيحي في كل مرحلة من مراحله التاريخية، كما يتبين أن مسألة حقوق الآخر في كل مرحلة إنما تنبع وتستند إلى درجة قبوله كإنسان ، والعقل يقضي أن قبول الآخر والنظرة إليه كإنسان خلقه الله مكرماً يؤدي بالضرورة إلى احترامه، وإقرار حقوقه أياً كان عرقه أوجنسه أولونه أو دينه؛ وفي المرحلة الأولى تؤكد بعض النصوص أن نظرة المسيح ﷺ إلى الآخر قد استندت إلى عقيدة عمادها التوحيد، وبناءً عليه جاءت الشرائع تدعو إلى احترام الإنسان وإقرار حقوقه وحرياته، حيث تقر في البداية بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله وتصرفاته، فقد جاء على لسان عيسى: " **لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، ...**"[(١)].

ويلاحظ من جملة النواهي والزواجر اعترافاً ضمنياً بأحقية الآخر في الحياة، وتجنب قتله أو الاعتداء على حياته، يقول القس اندرواس واطسون معلقاً على هذه الوصية : إن هناك واجباً مزدوجاً يحتم علينا فعله تجاه حياة الآخر، الأول سلبي وهذا يقوم بعدم الاعتداء على حياة الآخرين، والثاني إيجابي وهو يعني عمل كل ما في جهدنا لصيانتها، ولذلك نحن مكلفون بصيانة حياة الآخرين بحكم الناموس، ولا يتم ذلك إلا من خلال مقاومة كل الأفكار والمقاصد وإخضاع كل الأهواء، وتجنب كل الفرص التي تدفعنا إلى إعدام حياة الآخر ظلماً[(٢)].

أما وصيتة "لا تسرق" فتدعو إلى المحافظة على أموال الآخرين وممتلكاتهم، وتجنب استلابها أو العبث بها، وهي تنطلق أساساً من إقرار حقوق الآخرين في التملك، وصيانة أموالهم، وكذلك تسير الوصايا على هذا المنوال مثبتة حقوق الإنسان بشكل عام، دون اقتصارها على فئة محددة، وهو ما تؤكده كلمة "قريبك" التي اختتم النص السابق بها ، ويفسر علماء المسيحية المراد بالقريب أنه كل عضو في العائلة الإنسانية[(٣)] ويؤكد إنجيل لوقا ذلك فيما ورد على لسان المسيح عندما سأله أحد اليهود عن كيفية الحصول على الحياة الأبدية، يقول النص:

---

(١) انظر: إنجيل متى ١٩: ١٨-١٩

(٢) بصرف، واطسون، **شرح أصول الإيمان**، ص٣٨٧

(٣) المصدر نفسه، ص٤٠١

"**وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟فَقَالَ لَهُ:«مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ**"[١] ويقصد المسيح بذلك إن القريب لا يقتصر على طائفة أو عرق بعينه؛ وإنما يشمل الآخر تحت مظلة الإنسانية.

أما **المرحلة الثانية** من مراحل التشريع المسيحي التي توجت بظهور شخصية بولس، فيلاحظ أن تغير العقيدة الذي تم على يديه قد ساهم إلى حد كبير في إحداث خلل واضطراب واضح بين ما يؤمن به المسيحيون من وصايا وتشريعات، وما آلت إليه المسيحية من تغير في العقيدة والشريعة ، حيث حصر بولس العقيدة في شخص يسوع، وأصبح الإيمان بذلك فقط يغني عن الأعمال والشرائع، ويمكن تحديد النظرة إلى الآخر في هذه المرحلة، وما ترتب عليها من حقوق من خلال مناقشة مجمل أفكار بولس؛ فبما أن بولس هو صاحب فكرة الخطيئة الموروثة، فمعنى ذلك أن الإنسان في نظره يمتلك طبيعة فاسدة وشائنة، هي مصدر شروره وآثامه؛ ولذلك هو في حالة شقاء دائم نتيجة لخطاياه وذنوبه التي تربت عليه جراء سلبه الإرادة، ولا سبيل إلى التخلص من هذا الشقاء والشر إلا بالإيمان بأن المسيح قد جاء ليخلص كل إنسان بعينه من خطيئة آدم، وإذا آمن الإنسان بذلك فلا حاجة له إلى شريعة توضح له الحلال والحرام؛ فإيمانه بالمسيح ينجيه ويعيد له طبيعته السليمة التي خلق عليها؛ أما الإنسان الذي لا يؤمن بذلك فسيبقى في حالة فساد وشقاء، كما سيظل مكبلاً ومقيداً ومسلوب الإرادة بفعل خطيئته الموروثة.

وعلى هذا يمكن السؤال عن أي حقوق سيعترف بها بولس للآخر وهو يرى أن الإنسان الذي لا يؤمن بالمسيح مخلصاً يعد مسلوب الإرادة والحرية والاختيار، كما ستظل الخطيئة متلبسةً به، فهو يعيش في حالة فساد عام نتيجة عدم إيمانه، ولا يمكن الوثوق به، والاعتماد عليه، أو الاعتراف بحقه في التملك والاختيار والتعليم والشهادة والزواج والتدين وغير ذلك.

وهذا ما عملت الكنيسة على تطبيقه وتنفيذه على أرض الواقع، فإذا كان بولس قد حرّف تعاليم المسيح ووصاياه في إطار نظري، فإن الكنيسة وهي جسم المسيح وممثله، قد عملت على تحريف وصايا عيسى وشرائعه بشكل عملي استناداً إلى ما أحدثه بولس من تغيير في العقيدة.

ويمكن القول إن نظرة الكنيسة للإنسان والآخر، وما ترتب على ذلك من حقوق وحريات قد استندت إلى أمرين أساسيين:

الأول: مسألة الخطيئة وخضوع إرادة الإنسان لها وحاجته إلى المسيح مخلصاً وفادياً.

---

(١) إنجيل لوقا ١٠: ٢٥-٣٧

الثاني: اعتقادها بأنها ممثل المسيح في الأرض ووريثه وجسده، واحتكارها حق الخلاص (الأسرار السبعة) وحق الحرمان.

وبناءً على ذلك أصبحت جميع الحقوق الخاصة بالإنسان والآخر بشكل خاص كالحياة والتدين، والتعلم، والفكر، والرأي، والعلاج، والتملك بيد الكنيسة، ففي ظل إرادة الإنسان المسلوبة لا بُدَ من وجود موجه وممثل ومخلص لئلا يفسد العالم، ولذلك نصّبت الكنيسة من نفسها وصياً على البشرية قاطبة، يقول كامل سعفان معلقاً على هذا الاعتقاد، وما أحدثه من نتائج مدمرة أهمها التخلي عن الدين نهائياً: "وقد ساعدت هذه الدعوى (الخطيئة) الكنيسة على أن تقبض على الرقاب، إذ ورثت القدرة على المغفرة، وباعت صكوك الغفران، ووصلت إلى قدس الأقداس عن طريق (الاعتراف)، وألزمت شعب الكنيسة بما تفرضه من قرارات، فلا تفكير إلا بوحي منها، ولا علم إلا لخدمتها، وكل رأي مخالف يُقتل صاحبه ويصلب ويحرق ويُطرد من رحمة الله، وبهذا فُتح الطريق أمام التمرد الفكري، وأمام النفاق الديني حتى إذا امتصت القرون سلطة الكنيسة أعلن الثوار عن كفرهم بكل ما تقدمه الكنيسة، فإذا كان الله قد تجسد ومشى في الأسواق، وانتصر عليه أعداؤه وتمكنوا من صلبه فعلى كل عاقل أن يكفر به وأن يتخذ من القوة إلهاً"(١).

وقد ظهر أثر تبني الكنيسة مسؤولية الوصاية على البشرية في احتكارها حقوق الإنسان والآخر، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أولاً: احتكار الكنيسة حق الإنسان في الاعتقاد وحرية التدين

ارتكبت الكنيسة باسم الدعوة إلى الدين عدة مجازر ومذابح، ويعد ذلك مثلاً صارخاً على رفضها وجود أي دين آخر سوى المسيحية؛ بحجة أن الإنسان لا يعرف ما يصلح لنفسه، وأن حرية التدين والاعتقاد التي يرددها لا يمكن أن تترك إليه؛ لأنه غير قادر على الاختيار بين الخير والشر، وأنه يتعين على الكنيسة أن تختار له ما تراه صواباً(٢) كما " أصرت الكنيسة على أنها الأفق الوحيد، والمكان المسموح فيه للإنسان أن يعرف الرب من خلاله"(٣) وقد ظهر التعصب للديانة المسيحية في سلوك الكنيسة خلال حقبها المختلفة، ومما ساعد على إذكاء روح التعصب الكنسي تدخل السلطة السياسية في فرض المسيحية، وخصوصاً بعد أحداث مجمع

---

(١) سعفان، كامل، **مسيحية بلا مسيح**، دار الفضيلة، القاهرة، ص٤٢
(٢) بتصرف، عبد العزيز، زينب، **تنصير العالم**، ص١٢٨
(٣) هيلين إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي** ، ص٩١

نيقية، وصدور مرسوم ميلان الذي يقضي بجعل الديانة المسيحية ديناً رسمياً للدولة الرومانية وذلك بعد إخراج المسيحية من ثوبها نهائياً وصياغتها بشكل يوائم وثنية الرومان، ومنذ ذلك الوقت قويت شوكة المسيحية؛ فانقضت على مخالفيها، ففي عام ٣٨٠م أصدر الأمبراطور (ثيودوسيوس) مرسوماً جاء فيه "نحن سوف نؤمن بإله واحد هو الآب والابن، وروح القدس وبثالوث مقدس (...). نحن نأمر الأشخاص الذين سوف يتبعون هذا القانون، سوف ينالون اسم مسيحيين كاثوليك، أما البقية فهم (...) الذين حكمنا بأنهم بلا عقل وحمقى، سوف يكابدون من وصمة العقائد الهرطقية، ولن تتسلم أماكن اجتماعهم اسم كنائس، ولسوف يضربون أولاً بالانتقام الرباني، وثانياً بعقوباتنا الأولية، التي سوف نمارسها وفقاً للأحكام الربانية" [١].

وقد توالى اضطهاد الآخر وسلب حقه في الاعتقاد باسم الدعوة إلى الدين تحت مظلة الحرب المقدسة بحجة تحقيق الخلاص للبشرية، وتكشف وقائع محاكم التفتيش والحروب الصليبية جانباً من الوحشية والعنف الذي استخدمته الكنيسة ضد الآخر؛ لإجباره على دخول المسيحية، وترك ما يعتقده، ويؤكد أحد الكتّاب أن هدف الصليبيين من تلك الحروب كان"الإبادة أو اعتناق المسيحية"[٢].

وأثناء طريقهم إلى الأرض المقدسة تعمد المسيحيون اضطهاد اليهود وإذلالهم، والأدلة واضحة على رغبة الصليبيين في إكراه اليهود على التنصير أكثر من الرغبة في سلب أموالهم ونهبها ، فقد تعرضت المعابد اليهودية، والكتب المقدسة، والمقابر اليهودية للدنس[٣] ومن حين لآخر استخدم المسيحيون وسائل لإثارة الذعر؛ فبالقرب من كولونيا مثلاً "قام الصليبيون بتغطية سيوفهم بدماء الحيوانات لبث الرعب في قلوب اليهود، وجعلهم يعتقدون أن عمليات القتل قد تمت بالفعل، وفي كل قرية تعرضت للاضطهاد كان القتل مصير اليهود الذين رفضوا اعتناق المسيحية، وأصيب اليهود باليأس الشديد حتى إنهم كانوا يقتلون أنفسهم بأيديهم حتى لا يقتلون على أيدي المسيحيين؛ أما من استسلم من اليهود للمعمودية فهم الذين كتبت لهم النجاة"[٤][٥].

يلاحظ أن حكر الكنيسة حرية الاعتقاد لم ينج منه الحجر أو البشر؛ و يتساوى في ذلك البشر وأماكن العبادة والمقابر؛ فغالباً ما يكون البديل عن امتهان أماكن العبادة سفك الدماء

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٢
(٢) سميث، **الحملة الصليبية الأولى**، ص٦٠
(٣) بتصرف، المصدر نفسه، ص٦٠
(٤) سميث، **الحملة الصليبية الأولى**، ص٦٠
(٥) لم يقتصر حكر الاعتقاد في المسيحية على أتباع مذهب معين بل نجده في معظمها، فمارتن لوثر يرخص إبادة اليهود ويدعو إلى استعبادهم والإلقاء بهم خارج الأراضي المسيحية، ويرى وجوب إحراق أحيائهم وكنائسهم. بتصرف، إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي**، ص١١٥

وحصد الأرواح، وهما مرهونان بمدى الجرم ودرجة التعصب، وتحكم العقل والعاطفة والسبب في ذلك أن المسيحية تعد ديانة مانعة لا تقبل أن تعيش معها ديانة أخرى(١).

وبهذا الفكر المتعصب الذي توجته الكنيسة بأفعالها وسلوكها نحو الآخر، وحكرها لمسألة الاعتقاد يمكن تفسير سر بناء أبرهة الأشرم (كنيسة القليس)، واجتهاده لتكون بناء شامخاً وعظيماً، وقد صرح أبرهة عن سبب بنائها واهتمامه بها في رسالة بعثها إلى النجاشي يقول فيها: "ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب"(٢).

كما تدلل سلوكيات حملة اكتشاف الامريكيتين بقيادة كريستوفر كولومبوس عام ١٤٠٢م على روح التعصب للمسيحية، والعداء لكل ما سواها من الأديان والمعتقدات، وانتهاج قاعدة كل من لا يعتنق المسيحية ديناً لا يستحق الحياة، وقد كتب المطران برثولومي دي لاس في كتابه **(المسيحية والسيف)** مشاهداته للمذابح التي أقامها الأسبان المسيحيون ضد الهنود الحمر تحت سمع الكنيسة وبصرها، مما اضطره إلى أن يكتب لملك أسبانيا كتاباً يوضح فيه ما شاهده من مجازر وانتهاكات تجاه سكانها الذين أسماهم كولومبوس بـــ(الهنود الحمر) ظناً منه أنه اكتشف بلاد الهند(٣).

وتحكي الباحثة (هلين إيليربي): أن الهدف الذي سعى كولومبوس إلى تحقيقه في تلك الأرض هو "تحويل الكفار الهنود إلى إيماننا المقدس"(٤) على حد تعبيره.

وقد كان ذلك ترخيصاً باستعباد آلاف من الأمريكيين المحليين، وتصديرهم، وكانت الإبادة هي الوسيلة المتبعة لذلك، ولم يشكل ذلك قضية ذات بال في نظر المكتشفين طالما أن هؤلاء السكان قد منحوا الفرصة لحياة سرمدية من خلال عرضهم على المسيحية(٥).

وقد سارت الحروب التي شنتها أوروبا تحت مسمى الاستعمار على منوال حكر حق الاعتقاد، وقتل الآخر بعد رفضه اعتناق المسيحية، فراح نتيجة ذلك ملايين من البشر، وخصوصاً ممن يعتنقون الإسلام، وقد ظهرت روح التعصب في أقوال شعراء المسيحية وزعمائهم؛ ففي نشيد ايطالي يصف روح التعصب التي يكنها الجنود المسيحيون المستعمرون تجاه الإسلام يقول: "أماه، لا تبكي بل اضحكي وتأملي، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني؟ أنا ذاهب

(١) بتصرف بسيط، الحسيني، **الحروب الصليبية مواقف وتحديات**، ص١٢١
(٢) الحسيني، **الحروب الصليبية مواقف وتحديات**، ص١٢١
(٣) انظر: كارلس، المطران برتولومي دي لاس، **المسيحية والسيف**، (ترجمة سمير عزمي الزين)، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ص٢٣-٢٦
(٤) إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي** ، ص١٠٣
(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٠٣

إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن (...) إن سألك أحد عن عدم حدادك عليّ فأجيبيه! إنه مات في محاربة الإسلام"(١).

ويذكر أحمد شلبي نقلاً عن مجلة العالم الإسلامي، مؤكداً تلك النظرة التي حملتها جيوش الاستعمار للعالم الإسلامي حيث تقول: "العالم النصراني على اختلاف شعوبه وأممه عرقاً وجنسية هو عدوٌ قاسٍ مناهض للشرق على العموم، وللإسلام على الخصوص، فجميع الدول النصرانية متحدة معاً على دك الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، والروح الصليبية كامنة في صدور النصارى كمون النار في الرماد، وروح التعصب لم تنفك حية معتلجة في قلوبهم حتى اليوم، كما كانت في قلب بطرس الناسك من قبل، فالنصرانية لم يزل التعصب مستقراً في عناصرها ومتغلغلاً في أحشائها، متمشياً في كل عرق من عروقها، وهي أبداً ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الديني الممقوت"(٢) وهذا بالفعل ما أصلته الكنيسة في نفوس أتباعها ضد أي دين أو معتقد آخر غير المسيحية.

ثانياً: احتكار الكنيسة حق الفكر والتعبير عن الرأي

لم تقبل الكنيسة منذ بسط سيطرتها ونفوذها أي مخالف لها في رأي أو فكرة أو من يحاول إعمال عقله في تفسير مسألة، أو توضيح قضية سواء أكانت من اهتماماتها، أو من خارج اهتماماتها؛ لذلك عمدت إلى قمع كل من سولت له نفسه بممارسة حق الفكر أو التعبير عن الرأي واضطهاده ، كما عملت على إغلاق جميع المنافذ التي تؤدي إلى ذلك، ومن هنا كان موقفها من العلم والعلماء والمفكرين صارماً؛ أما سبب انتهاجها لهذا السلوك فيقوم على إيمانها بأنها تملك مفاتيح الحقيقة والعلوم بصفتها ممثلة المسيح، ووريثه المنزه عن الخطأ والخطيئة. والبشر في نظرها مخطئون، ولا يقدرون على ممارسة التفكير أصلاً؛ لأن نتائجه ستكون فساداً ودماراً.

ومن هنا نظرت المسيحية إلى الآخر بأنه كل مخالف لها، أياً كان دينه أو لونه أوجنسه أو عرقه، وقد ترتب على ذلك اضطهاده أو حرقه، يقول البابا أنوسنت الثالث "إن أي إنسان سوف يحاول بناء رأي شخصي عن الرب يتعارض مع عقيدة الكنيسة، ينبغي حرقه من دون شفقه"(٣).

---

(١) شلبي، احمد، **الحروب الصليبية** ، النهضة المصرية ،القاهرة، ص١٤٣-١٤٤
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٤
(٣) إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي** ، ص٩٢

وقد ظهر ذلك خلال مراحل التاريخ المسيحي، ومنها الاضطهادات التي لحقت بآريوس وأتباعه بعد قرار مجمع نيقية، أو نسطور ويوحنا ومارون، وكل من أبدى رأياً مخالفاً للكنيسة في ذلك الوقت، كما يتوضح ذلك من خلال المجازر والمذابح التي ارتكبتها الكنيسة بعد قيام حركة الاصلاح الديني بين الكاثوليك والبروتستانت، ومنها حرب المئة عام، وحرب الروزيس التي راح ضحيتها ملايين من البشر[١] ، كما قامت الكنيسة أيضاً بإحراق كل مخالف بحجة الهرطقة أو السحر الذي كانت تستخدمه الكنيسة كسلاح لقتل أي مخالف، ويحكي الأديب الفرنسي فولتير أن الكنيسة قد أحرقت ملايينا من البشر بسبب هذه التهمة، كما ذكرت مجلة (دير شبيجل) الألمانية أن الكنيسة قد أحرقت مليون امرأة بتهمة السحر بين الأعوام (١٤٥٠-١٧٥٠)[٢].

وقد امتهنت الكنيسة الإنسان بصورة عامة عندما نصبت من نفسها متحدثاً باسمه ومفكراً بالنيابة عنه، ويذكر سليمان مظهر في (قصة الديانات) أن الكنيسة قد أصدرت قوانيناً تم فيها تطويق الإنسان بحصار لا يمكنه من خلاله ممارسة أي حق من حقوقه، فيقول: "أصبح البابا يستطيع أن يقرر ما يجب على الناس أن يقرأوه، وما يجب ألا يقرأوه؛ بل ما يجب أن يدرسه الناس، وما يجب ألا يدرسوه، وأصبح كل ما يقرره البابا شريعة ملزمة، والعقاب الصارم ينزل بكل من يجرؤ على عصيان أمر البابا"[٣].

ويصف الكتّاب المعاصرون الحالة التي وصل إليها الإنسان بشكل عام بعد أن سلب حق التفكير والتعلم والكلام، يقول الكاتب جوان دي ماريانا: "كان الناس قد حرموا من حرية أن يسمعوا وأن يتكلموا كما يريدون، بحكم أنه كان هناك في جميع المدن والبلدات والقرى أشخاص معينون لإعطاء المعلومات عما حدث، وقد عُدّ هذا من قبل البعض أنه أكثر أنواع العبودية سوءاً وأنه معاول للموت"[٤].

ولم تقف ممارسات الكنيسة عند حد الحرمان من حق الفكر والتعبير؛ بل مارست أيضاً حق التطبيب والعلاج زاعمةً أنها تعرف مفاتحه، والمالك الوحيد له، وقد اشتهر ذلك بعد انتشار مرض الطاعون؛ حيث انتهزت الكنيسة هذه الفرصة، واعتبرت أن هذا المرض عقوبة من الرب

---

(١) حتى الحروب العالمية التي اندلعت كانت بفعل ما أذكته الكنيسة في نفوس أتباعها من تعصب ورفض للآخر؛ فالحرب العالمية الثانية التي قتل فيها خمسون مليون شخص كان القائمون عليها متعصبون للمسيحية، وكلاهما يرفع الصليب، وإن كان أحدهما معقوفاً والآخر غير معقوف انظر: البار، **دراسات معاصرة**، ص٨٥٢

(٢) انظر: البار، **دارسات معاصرة**، ص٤٥٨-٤٥٩

(٣) مظهر، **قصة الديانات**، ص ٤٣٧

(٤) إيليربي، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي** ، ص١٠٠

لعدم إطاعة سلطة الكنيسة، ومن خلال ذلك أعلنت أن ميدان الطب اليوناني والروماني بلا فائدة، وأن كل من يمارس الطب يعد مهرطقاً فاحتكرت بذلك حق التطبيب، وكان العلاج المستخدم لكل مرض هو (الفصد). ومع حلول القرن السادس عشر كانت هذه الممارسة تقتل عشرة آلاف إنسان كل عام، ومع هذا عندما كان إنسان يموت أثناء جريان الدم كان اللوم يقع على الضحية؛ لأنه لم يبدأ المعالجة في وقتها[١].

(١) المصدر نفسه، ص٥٦-٥٧

الفصل الثالث

النظرة إلى الآخر في الشريعة الإسلامية وأثرها على السلوك

البحث الأول

النظرة إلى الآخر في مقاصد الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: التعريف بمقاصد الشريعة

أولاً: المقاصد لغةً

جاء في كتب اللغة أن المقاصد جمع مقصد، من قصد الشيء، وقصد له، وقصد إليه قصداً، بمعنى طلبه وأتى إليه، والقصد هو طلب الشيء، أو إثبات الشيء، أو العدل فيه[١].

وعلى هذا فإن المقاصد في اللغة هي جمع مقصد وتعني طلب الشيء أو إثباته.

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً

لم يذكر العلماء القدامى والأصوليون تعريفاً محدداً لمقاصد الشريعة، وإنما اكتفوا ببيان حقيقتها، ومحتوياتها، وبعض متعلقاتها؛ أما المعاصرون فقد ذكروا تعريفات عدة تقاربت في المعنى والدلالة واختلفت في العبارات والألفاظ والتراكيب[٢].

ولعل أهمها تعريف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فقد ذكر أن مقاصد الشريعة إما أن تكون عامة أو خاصة؛ أما مقاصد التشريع العامة فهي "المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاصّ من أحكام الشريعة"[٣].

---

(١) انظر: ابن فارس، **معجم مقايس اللغة**، ج٥، ص٩٥ ، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت، ص٥٠٤ ، الرازي، **مختار الصحاح**، ج١، ص٢٥٤

(٢) بتصرف، الخادمي، نور الدين مختار، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ط١، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٢-١٣

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ط١، (تحقيق محمد الطاهر المساوي)، دار النفائس، عمان، ١٩٩٩م،ص ١٨٣

كما عرف العلماء المعاصرون المقاصد أيضاً بأنها "الغايات، والأهداف، والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام وسعت إلى تحقيقها، وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان"[١].

وللمقاصد تعريفات أخرى توخى أصحابها إظهار المقصد العام من التشريع تأسياً بالتعريفات السابقة، وهو تحقيق مصالح الناس، وحفظ نظام العالم، وقد أكد الشاطبي على هذا المقصد في كتابه "الموافقات" حيث يقول: "إن الهدف الأعلى للوجود هو قيام مصالح الخلق في الدين والدنيا معاً"[٢].

وبناءً على ذلك قسم الشاطبي المقاصد على أساس حفظ مصالح الخلق.

من هنا يمكن القول إن مقاصد الشريعة تعني الغاية التي قصدها الشارع أو الغاية التي سعى الشارع إليها من خلال كل حكم من أحكام الشريعة، وهي تتضمن مراعاة مصالح الناس عامة في الدنيا والآخرة وذلك، بجلب المنافع لهم ودفع المفاسد عنهم.

ثالثاً: أقسام المقاصد وأثرها على الآخر

تعددت أقسام المقاصد تبعاً لاعتباراتها[٣]، وستتركز هذه الدراسة على ما تم تقريره سابقاً، وهو أقسام المقاصد باعتبار آثارها أو مدى الحاجة إليها بالنسبة لمصالح الناس، وبيان أثرها على نظرة الشريعة الإسلامية للآخر؛ فمقاصد الشريعة بأقسامها ما جاءت إلا لتحقيق مصالح الناس، ومصالح الناس متفاوتة الآثار قوة وضعفاً في صلاح أحوال الأمة[٤].

وقد خَلصَ الإمام الشاطبي في كتابه (الموافقات) إلى أن المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام وهي:

---

(١) مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص٧٠

(٢) انظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ)، **الموافقات**، ط١، ج١، (تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان)، دار ابن عفان، ١٩٩٧م، ص٥

(٣) قسّم العلماء مقاصد الشريعة تبعاً لمصالح الناس وفق اعتبارات عديدة، منها تقسيم باعتبار آثارها ومدى الحاجة إليها، وتقسم إلى ضرورية، وحاجيه، وتحسينية، كما تنقسم المصالح باعتبار تعلقها بعموم الأمة أو جماعاتها إلى كلية، وهي التي تعود على عموم الأمة، والجزئية المتعلقة بأحكام جزئية أو ف رعية. كما تقسم المقاصد باعتبار القطع والظن إلى عدة أقسام وهي المقاصد القطعية التي توافرت إثباتها عدد لابأس به من الأدلة والنصوص، الأمن وحفظ الأعراض، أو المقاصد الظنية التي تقع دون مرتبة القطع، ومثالها مقصد سد ذريعة إفساد العقل الذي يأخذ منه تحريم القليل من الخمر، ومقاصد وهمية وهي التي يتخيل أنها صلاح وخير، إلا أنها غير ذلك. انظر: ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص١٩ ، الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص١٦-١٧

(٤) ابن عاشورة، **مقاصد الشريعة الإسلام**، ص٢١٨ ، مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص٧٩ ، الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص١٦-١٧

١. المقاصد الضرورية: وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم. ويشمل هذا النوع من المقاصد الضروريات الخمس وهي: حفظ الدين، والنفس والنسل والمال والعقل[١]. وهي التي ستكون محور هذه الدراسة
٢. المقاصد الحاجية: وهي التي يحتاج إليها للتوسعة ورفع الضيق والمشقة[٢]، ومثالها: "الترخص وتناول الطيبات، والتوسع في المعاملات المشروعة"[٣].
٣. المقاصد التحسينية: "وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال والمدنسات التي تأنفها العقول الراجحات"[٤]، ولا يؤدي تركها إلى الضيق والمشقة ومثالها الطهارة وستر العورة، وآداب الأكل[٥].

وتكمن أهمية توضيح أقسام المقاصد بالنسبة لهذه الدراسة في أثرها المباشر على الآخر، وما له من حقوق نصت عليها أحكام الشريعة الإسلامية، فالمقاصد الضرورية، هي التي يتوقف على وجودها وجود الإنسان في الدنيا ونجاته في الآخرة، وفي حال فقدها يختل نظام الحياة، وتفسد مصالح الناس، وتعم الفوضى، ويتعرض وجودهم للخطر والدمار والضياع، وتعد الأساس لحقوق الإنسان والسند لها، والركيزة التي تعتمد عليها؛ لأنها تتصل بالإنسان ومطالبه الأساسية اللازمة في بدنه وروحه، وعليها قامت حقوق الآخر[٦].

أما المقاصد التحسينية فهي التي ترتبط بمنظومة الأخلاق، ويكون التعامل مع الآخر بمقتضاها، وقد شرعها الإسلام في مختلف أبواب العبادات والمعاملات والعقوبات، بقصد التحسين والتجميل، وما يهمنا هنا ما تعلق بباب المعاملات؛ كتحريم الغش، والتدليس، والكذب، والتزوير. وكذلك ما شرعه الله في أبواب الأخلاق بما يهذب الفرد والمجتمع، ويسير بالناس إلى أقوم السبل[٧] فتنتظم حياتهم مع أنفسهم ومع الآخرين.

---

(١) بتصرف، الشاطبي، **الموافقات**، ج١، ص٢٠
(٢) بتصرف، الشاطبي، **الموافقات**، ج١، ص٢٠
(٣) الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص١٦
(٤) الشاطبي، **الموافقات**، ج١، ص٢٠
(٥) بتصرف، **الخادمي، أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص١٦
(٦) بتصرف، مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص٨٠ ، الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص٤٢
(٧) بتصرف، عثمان، محمد فتحي، **حقوق الأنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي**، ص٤٣

المطلب الثاني: الآخر في مقاصد الشريعة الإسلامية

جاءت شريعة الإسلام عامة لجميع الناس؛ ولأنها خاتمة الشرائع فقد استلزم ذلك عمومها سائر أقطار المعمورة، وفي سائر أزمنة هذا العالم، يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سبأ:٢٨] وفي الحديث الصحيح "**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: (...) كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً** "(١)، ولم تخلُ الشريعة في الإسلام من مقاصد مرادة لمشرعها الحكيم سبحانه وتعالى، فقد ثبت بالأدلة القطيعة أن الله تعالى لا يفعل الأشياء عبثاً، وقد دل على ذلك صنعه في الخلقة(٢)، يقول تعالى: ﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الدخان:٣٨-٣٩].

وكما ذكر سابقاً، فإن لأحكام الشريعة الإسلامية مقصداً عاماً هو "**تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم، وتوفير حاجياتهم، وتحسينياتهم، فكل حكم شرعي ما قصد به إلا واحد من هذه الثلاثة التي تتكون منها مصالح الناس**"(٣) وقد أكد العز بن عبد السلام -رحمة الله عليه- ذلك بقوله: "إعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكماً من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة وآجلة، تفضلاً منه على عباده"(٤) ومصالح الناس تشمل كل ما فيه نفعهم وصلاحهم وسعادتهم وراحتهم، وكل ما يساعدهم على تجنب الأذى والضرر ودفع الفساد إن عاجلاً أو آجلاً(٥).

وعلى هذا الأساس جاءت الأحكام الشرعية، فكل حكم شرعي إنما نزل لتأمين أحد المصالح أو لدفع أحد المفاسد، أو لتحقيق الأمرين معاً، ويظهر ذلك من خلال الاستقراء الكامل للنصوص الشرعية سواء ما تعلق منها في العقائد أو العبادات أوالأخلاق أو المعاملات وغيرها(٦).

وقد مرّ سابقاً أن ما ترتب على العقائد من أحكام لا يقتصر أثرها على الإنسان المسلم فقط، بل تشمل الآخر فالعقيدة بأصولها وفروعها لها انعكاس واضح، وأثر مباشر في نظرة المسلم للآخر، وسلوكه تجاهه، وفي مجال العبادات فإن طاعة الله تعالى والتزام أوامره يعود على الناس بالخير والمنفعة، وكذلك في المعاملات؛ فقد بين الله تعالى أن الهدف منها تحقيق مصالح الناس بجلب المنافع لهم ودفع المضار عنهم؛ ولذلك جاءت الأحكام عامة في منع الفساد

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التيمم، ج١، رقم:٣٢٥، ص٧٤
(٢) انظر: ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص١٢٩، ٢٣١
(٣) خلّاف، عبدالوهاب، **علم أصول الفقه**، ط٧، مكتبة دار التراث، القاهرة، ص١٩٧
(٤) أمامة، عدنان محمد، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ، ص٢٩٩
(٥) بتصرف، مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان**، ص٧٢
(٦) المصدر نفسه، ص٧٣

والغش والكذب والظلم، ولا يقتصر المسلم في تطبيقها على المسلمين فقط؛ بل يلتزم بها تجاه الآخر.

كما تظهر مصالح الإنسان بشكل قطعي من خلال مكارم الأخلاق، وحسن التعامل ووجوب الالتزام دون تخصيصها بفئة أو أمة، وإذا كان المقصد العام من الشريعة وأحكامها تحقيق مصالح الناس بجلب المنافع ودفع المفاسد؛ فإن تنظيم علاقة المسلم بالآخر وتأطير النظرة إليه وفق المنهج الإسلام الصحيح المستند إلى ما ورد في مصادر الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها، والتعامل مع الآخر وفق الأوامر والنواهي الإلهية، فإن ذلك يعني أن الآخر داخل تحت مظلة المقاصد مشمول بها؛ فالتزام الأحكام التي وضعتها الشريعة مع الآخر فيه تحقيق للخير، ونشر للأمن والاستقرار، وفي المقابل فإن عدم تحقيقها مدعاة للشر والفساد والفوضى.

أما الأسباب التي جعلت من المقاصد وعاء شرعياً رحباً يشمل الآخر ويخاطبه فهي[1]:

١. تعلق المقاصد مباشرة بالمعاني والأسرار والمرادات والحقائق، وعدم اقتصارها على الظواهر والأشكال الخارجية في التعامل مع النصوص والحوادث والأفعال الإنسانية، بغية ملازمة العدالة، ولذلك قال العلماء "العبرة للمقاصد والمعاني، وليس للألفاظ والمباني" ولا شك أن تعلق المقاصد بالمعاني يشكل سبيلاً لوقوع تفهم أكبر وتعامل أرحب مع الآخر.

٢. تعلق المقاصد بمراد الخالق الشارع سبحانه وتعالى، ولذلك يمكن القول إن نظرة **مقاصد الشريعة إلى الآخر تنطلق من أساس رباني إنساني،** فالله تعالى دعا إلى التعارف مع الآخر، والنظرة إليه من خلال بوابة الإنسانية يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣] وما دام الشارع تعالى يريد هذا التعارف بين الشعوب المختلفة من بني الإنسان الذي يعدُ سنة كونية، فهذا يعني أن التعارف سهل وميسور، وأنه أمر خلقي وفطري مركوز في النفس ومبثوث في بواطنها؛ فالناس مجبولون على حب معرفة الآخر، ومعرفة عاداته وبيئته وحضارته وتاريخه، وكذلك مجبولون على حب السلم والعدل والأمان، ولا شك أن تعلق المقاصد بمراد الخالق تعين على فهم المقاصد، والتعبد بها، وضرورة ملازمتها في

---

(١) انظر: الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص٧٨-٨١

معاملة الآخر، وبناء التكليف الشرعي إلى اتباع أوامر الله المتضمنة مراده ومقصوده.

٣. ارتباط المقاصد بسيرة النبي ﷺ وسنته، وأحواله الفردية والأسرية والاجتماعية، فقد كانت سيرته ﷺ منوطة بمقاصد الشريعة وغاياتها الإصلاحية، كما كانت أفعاله وأقواله مكملة لمنظومة القيم والأخلاق والمعاني الإنسانية، يقول تعالى: ﴿**وانك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم:٤] وكذلك كان سلوكه وعمله يهدفان إلى بث الرحمة والخير للإنسانية جمعاء يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٧] ولا شك أن ارتباط المقاصد بالسيرة النبوية سيسهم في استحضار المقاصد في سيرة الإنسان الخاصة والعامة، لاسيما سيرته مع الآخر، ونظرته إليه، تأسياً بنظرة رسول الله ﷺ للآخر وتعامله معه، التي تنطلق من تقرير إنسانيته وحريته وكرامته ليصل إلى معرفته ومحاورته ومعاونته في بناء المشترك الحياتي والحضاري، لتنتهي في بعض أحوالها إلى إقناعه بالإسلام، وترغيبه في تحمله فكراً والتزاماً.

٤. ارتباط المقاصد بسير الصحابة والتابعين وسائر الأئمة على مر تاريخ الإسلام، فقد كانت سيرهم وتعاملهم مع الآخر ونظرتهم إليه مبنية على فهم عميق لمقاصد الشريعة، وقائمة على أداء جيد لإعمال الزاد المعرفي الثقافي المقاصدي في التعامل مع الآخر؛ الديني أو الثقافي أو اللغوي الذي عاش في الحضارة الإسلامية أو الذي كان له تواصل معين مع هذه الحضارة وبيئتها.

ومن حيث شمول الآخر بالمقاصد انطلاقاً من ربانيتها وإنسانيتها، فإن المقاصد بجميع أقسامها تتكون من "المبادئ والقواعد والقيم الإنسانية والأخلاقية التي ينشرها الناس جميعاً كقيمة التعاون والأمن والسلم، كمبادئ العدالة والمساواة والانتظام والاحترام، وكقواعد الصلاح والنفع والخير، وهذا التعميم لا يغفل الضبط والتحديد ولا يشغل عن الخصوصية الدينية والاعتبار الشرعي ولا يشوش الأفكار أو يخلط الأوراق إنما هو تعميم في ما يتعلق بالعامة وفي ما يتصل بالمشترك الحياتي والتاريخي والحضاري"(١) .

ولعل استعراض أقسام المقاصد يوضح ذلك، وأهمها المقاصد الضرورية، وتقتصر على الدين، والنفس، والعقل، والنسل والعرض (النسب) والمال، وقد جاءت الشريعة الإسلامية لحفظ هذه المقاصد، من خلال تشريع الأحكام التي تحفظها وتصونها، يقول الغزالي في كتابه (المستصفى): "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٣

ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"[١].

ويؤكد الغزالي أيضاً على أهمية حفظ هذه الأقسام من المقاصد وحمايتها لما تؤدي إليه من انتظام الحياة وصلاحها، ولذلك كانت مراعاتها مقصد الشرائع السماوية جميعها، وفي ذلك يقول: "وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر"[٢].

وإذا كان فقد هذه المصالح وعدم حفظها يؤدي إلى اختلال نظام الحياة وفساده وخرابه، فليس من الممكن أن يقتصر الأمر بحفظها وصيانتها بين المسلمين فقط؛ بل لا بد أن تشمل الناس جميعاً مراعاة لفطرهم؛ لأن النفوس جبلت عليها، يقول الشاطبي: "فلو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتديّن، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش"[٣].

وليحفظ الإسلام حياة المسلم، ويكفل أسس التعامل مع الآخر، شرع لهذه الضرورات أحكاماً وضوابط تحفظها وتحميها؛ فحفظ الدين الذي يراد به حفظ العقيدة والقيم الإيمانية والأحكام العينية يعد أرقى المقاصد الشرعية المقررة في كل أمة وملة، وفي كل مكان وزمان[٤].**وحفظ النفس** يراد به "حفظ حياة الإنسان وحقوقه وحرمة جسده وروحه وكرامته ودوره في البناء الحياتي والإعمار الحضاري"[٥]،

وحفظ العقل "ويراد به حفظ مناط الاستخلاف والتكليف، والذي هو التفكير والإدراك والتمييز والتدبر والتدبير بما يحقق عبادة الخالق وعمارة الأرض"[٦] ولضمان حفظه فقد حرم الشرع المسكرات والمخدرات، كما شرع عليها عقوبات وزواجر رادعة، ودعا في مواطن عدة إلى إعمال النظر والتفكر في الكون والنفس، والحث على التعلم والإبداع، وتحدي مسالك التجهيل والتشويه والتدليس، وجعله حقاً لكل إنسان؛ ولذلك كان منهج المسلمين طوال تاريخهم وحياتهم عدم حكر العلم بينهم، بل شمل الآخر. ففي الأندلس مثلاً كانت حضارة مفتوحة لكل

---

(١) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، **المستصفى**، ط١، (تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي)، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م، ص١٧٤

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٤

(٣) الشاطبي، **الموافقات**،ج٢، ص٣٢

(٤) بتصرف، الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص١٤٢ ، وانظر: ص٢٩٠

(٥) المصدر نفسه، ص١٤٢

(٦) الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص١٤٢

اليهود والمسيحيين من أقطار العالم كافة وتعد نقطة انطلاقهم في ثوراتهم الصناعية ونهجهم العلمي[١].

وحفظ النسل ويراد به "حفظ النوع الإنساني بإيجاده وإكثاره مع مراعاة حفظ نسبه، وصون عرضه، واحترام رابطته الدموية والقرابية"[٢].

وأخيراً حفظ المال وهو وسيلة أساسية تساعد الناس على تأمين العيش، وتبادل المنافع، والاستفادة من جوانب الحياة الكثيرة، ولذلك شرع الإسلام أحكاماً عدة لتنظيمه وحمايته العبث به.

---

(١) انظر: الخادمي، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ص٢٩٢

(٢) المصدر نفسه، ص١٤٢

المبحث الثاني

حرية الآخر وحقوقه في الشريعة الإسلامية

حظيت قضية حقوق الإنسان على اهتمام واسع في الدراسات السياسية والقانونية والإجتماعية، والشائع فيها أن عهد الإنسان بالوثائق التي بلورت حقوقه الإنسانية، أو تحدثت عنها قد بدأ بعد انطلاق الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م فإبان هذه الثورة وضع (إمانويل جوزيف سيس) وثيقة حقوق الإنسان التي استقت مضامينها من نظريات المفكر الفرنسي (جان جاك روسو)، ثم جرى تدويل هذه الوثيقة فدخلت مضامينها عصبة الأمم تحت عنوان (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) الذي أقرته الأمم المتحدة في ١٩٤٨م[١].

ولكن مصادر الإسلام بما حوته من عقائد وشرائع تؤكد أن مسألة الإنسان وحقوقه كانت جوهر الإسلام وأساس دعوته، فمنذ أربعة عشر قرناً، أثبت الإسلام حقوق الإنسان وأيدها وأقامها على دعائم أخلاقية وروحية تسمو كثيراً على ما جاء به ميثاق هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م[٢].

وتستمد حقوق الإنسان في الإسلام سموها وتميزها من خلال أمور عدة وأهمها:

أولاً: ربانية مصدرها

الله تعالى هو مصدر الحقوق، وتشريعه هو العدل المطلق الذي لا يحابي ولا يتحامل ولا يظلم؛ لأنه رب الناس جميعاً وخالقهم من نفس واحدة، ومن هنا كان الإيمان بالله تعالى والتزام أوامره واجتناب نواهيه ضمان لحقوق الإنسان من ناحية تقريرها، ومن ناحية إنفاذها وتدعيمها والنضال لأجلها[٣]، "فتقرير الحقوق من قبل الحكمة الإلهية والعدالة الربانية، ليس معناه تخدير المشاعر وتبرير الاستسلام والخضوع والتواكل؛ بل إنه يرفع مرتبة حقوق الإنسان إذ يجعلها مستمدة من العقيدة، ويجعل الإيمان حارساً عليها، دافعاً إلى الحفاظ عليها والنضال لأجلها"[٤]، وربانية الحقوق تعني أنها ترتكز على أسس العدل، والمساواة، دون تمييز بين الناس على أساس عرق أو دين أو لون أو جنس، والسبب في ذلك إيقاف تسلط البشر على بعضهم البعض، وعدم القبول بأن يكون الإنسان المخلوق مصدراً لوضع القيم والحقوق للآخرين المخلوقين مثله، ومعلوم ومشاهد أن أهم أسباب انتهاك حقوق الإنسان وسفك الدماء والفساد يعود إلى تسلط

---

(١) بتصرف، عمارة، محمد، **الإسلام وحقوق الإنسان**، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥م، ص١٣-١٤
(٢) انظر: مدكور، إبراهيم، **في الفكر الإسلامي**، ط١، سميركو للطباعة والنشر، ص١٦٩
(٣) عثمان، محمد فتحي، **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي**، ص١٦-١٨
(٤) المصدر نفسه، ص٢٠-٢١

الإنسان على الإنسان عندما يكون مصدر الحقوق وواضعها، فمهما حاول الإنسان أي إنسان توخي العدل فسيقع تحت تأثير بيئته ومجتمعه وأهوائه ونزواته، إضافة إلى علمه المحدود وعمره المحدود، الذي لا يمكن أن يحيط بالحاضر والمستقبل، فالإنسان يرى في وقت ما لا يراه في وقت آخر[1].

ثانياً: سيرها مع رؤية الإسلام للإنسان

فمسألة حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من تصور واضح لقيمة الإنسان ومكانته في الكون. حيث يتساوى الناس جميعاً في الكرامة الإنسانية، التي توجب لكل إنسانٍ حق الاحترام والرعاية، إياً كان دينه أو جنسه أو لونه؛ فمفهوم الإسلام للكرامة الإنسانية، يتسم بخاصيتي الشمولية والتعميم؛ بحيث لا يستثنى عنصر دون آخر، وإذا كان الناس جميعاً متساوين في القيمة الإنسانية فهذا يعني تساويهم في الحقوق، فلا تمييز بسبب الميل والأهواء والعواطف، ولا تمييز في الحقوق بسبب الأثرة ومحاباة القربى[2]، ومسألة الاختلاف لا تعني هضم الحقوق والتعدي عليها؛ لأن الاختلاف سنة الله ومشيئته[3]، يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [هود:١١٨]، ويقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء:١٣٥]

ثالثاً: ارتباط حقوق الإنسان بمقاصد الشريعة الإسلامية

فحقوق الإنسان في الإسلام شرعت بأصل الخلق – كما ذكر سابقاً – ولم تأت ثمرة معاناة أو صراعات بين حاكم ومحكوم، أو بين عمال وأرباب العمل، أو بين الفقراء والأغنياء، فانتزعت انتزاعاً؛ وإنما هي مقاصد الدين وغاياته العليا، وجميع مرتكزات العقيدة والشريعة والأخلاق في الإسلام تتمحور حول الحقوق والمقاصد؛ إيماناً وتشريعاً ورقابة؛ مما يجعلنا نقول إن حقوق الإنسان في حقيقة أمرها مقاصد الشريعة[4]، من هنا أيضاً اعتبرت حقوق الإنسان ضرورات إنسانية أكثر من كونها حقوقاً. فلا سبيل لأن يعيش الإنسان بدونها[5].

---

(١) انظر: مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص١٦،١٢

(٢) بتصرف، طبيشات، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص١٤٥ ، انظر: الزحيلي، وهبة، **حق الحرية في العالم**، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص١٨

(٣) بتصرف، القرضاوي، يوسف، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٩ ، احمد، مريم أيت، **العلاقة مع الآخر في ضوء الوسطية في الإسلامية**، منتدى الوسطية للفكر والثقافة، عمان، ٢٠٠٧م، ص١٦-١٧

(٤) بتصرف، مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص٢٦-٢٧

(٥) انظر: عمارة، **الإسلام وحقوق الإنسان** ، ص١٤-١٥

ولأن مسألة الحقوق في الإسلام تتصف بعمومها وشموليتها، فقد حظي الآخر من خلالها باهتمام بالغ، فتحت مظلة الإنسان أقرت الشريعة الإسلامية حقوق الآخر وحرياته، وأضحت القاعدة العامة التي تحكم ذلك "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"(١) وهذه القاعدة جرت على لسان فقهاء الحنفية، وتدل عليها عبارات فقهاء المالكية والشافعية كما روي عن على بن أبي طالب ﷺ قوله: "إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا"(٢).

وقد ذكر القرافي في كتابه (الفروق) أن الإسلام منح الآخر حقوقه من باب البر الذي أمر الله تعالى لهم به في قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة:٨] فقال مفسراً البر: "أمر الإسلام ببر غير المسلمين من غير مودة باطنية، فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منّا بهم، لا خوفاً وتعظيماً، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم فإن ذلك من مكارم الأخلاق..."(٣).

المطلب الأول: الحرية الدينية(٤)

منذ بداية دعوته حث الإسلام الناس على التفكر والتأمل في كون الله ومخلوقاته، وفي أمر هذا الدين، كما أمر أتباعه إلى مجادلة الناس بالتي هي أحسن(٥)، يقول تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ**

---

(١) انظر: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ)، **رد المحتار على الدر المختار**، ط٢،ج٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣١٢ ، سراج الدين، عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، **النهر الفائق شرح كنز الدقائق**، ط١، ج١، (تحقيق أحمد عزو عناية)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م، ص٤٤٥

(٢) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج١٧، ص١٤٨

(٣) القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت ٦٨٤هـ)، **الفروق**، ج٣، عالم الكتب، بيروت، ص١٥

(٤) جاء عنوان المطلب (الحرية الدينية) بدلاً من (حرية الاعتقاد) لأنه سيشتمل الحديث عن مظاهر هذه الحرية والتسامح الإسلامي مع الآخر، ولا يقتصر على دائرة الفكر، بل يتعده إلى السلوك، وهو ما يقع تحت الحرية الدينية؛ وهي الحرية التي ترتبط بالتصور العقدي الذي يتبناه صاحبه على أنه دين، وما يترتب عليه من أثر التكاليف والسلوك، فهي حرية تتعدى جانب التصور الفكري إلى صعيد الحركة والعمل، أما حرية الاعتقاد فتتعلق بالتصور الفكري الذي يتبناه الإنسان تجاه الإنسان والكون والحياة. انظر:حلمي، عبد الرحمن، **حرية الاعتقاد في القرآن الكريم**، المركز الثقافي المغرب العربي، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٦-٢٧

(٥) بتصرف، الصلابي، **موسوعة السير تاريخ الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)**، ص١٠٧

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]، ويقول تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [العنكبوت:٤٦].

وإذا كان الإسلام يدعو إلى التفكر والتأمل للوصول إلى حقيقة الوجود بكل ما فيه، ومجادلة المخالف بالتي هي أحسن فمعنى ذلك أن الإسلام يرفض مبدأ الإكراه والإجبار الذي يعتمد بشكل كلي على إلغاء كل طريق يؤدي إلى تذكية الشعور بحرية الاختيار. من هنا كان الإسلام واضحاً في النهي عن الإكراه في الدين؛ لأن ذلك يتنافى مع جوهر الإسلام وطبيعته، يقول تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** [يونس:٩٩].

وتعد الحرية شرطاً لصحة العقيدة، والدليل على ذلك "أن الله تعالى أمر ببناء عقيدة الإنسان على أساس من النظر والتأمل، وحرّر الإنسان والعقل البشري من الخرافات والأوهام والتقليد الأعمى للآباء والأجداد والقادة، ونددّ بالمقلدين دون تفكير"(١) لأن الإيمان الصحيح لا يتحقق إلا بيقظة عقلية واقتناعة قلبية؛ فهو استبانة الإنسان العاقل للحق، ثم اعتناق عن رضا ورغبة، وقد عرض الإسلام نفسه على الناس في دائرة هذا المعنى المحدد، غير مجاوز له في قليل أو كثير(٢).

وتأصيل هذه الحرية وارد في نصوص القرآن الكريم، وقد جاءت على نوعين: أحدهما، مانع من الإكراه على الدين، والآخر للدفاع عن الحرية الدينية(٣). ولعل أهم النصوص القرآنية قوله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾** [البقرة:٢٥٦] وتذكر التفاسير أن سبب نزول هذه الآية: أن الأنصار كانوا في الجاهلية إذا كانت منهم امرأة لا يعيش لها ولد تنذر إن عاش لها ولد، أن تهودّه، فلما جاء الإسلام وأسلموا، كان كثير من أبناء الأنصار يهوداً، فقالوا لا ندع أبناءنا بل نكرههم على الإسلام فنزلت الآية(٤). وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: "نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك"(٥).

---

(١) الزحيلي، **حق الحرية في العالم**، ص١٤٢
(٢) بتصرف، الغزالي، محمد، **حقوق الإنسان**، ط١، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٦٣م ، انظر: الزحيلي، **حق الحرية في العالم**، ص١٣٧
(٣) بتصرف، الزحيلي، **حق الحرية في العالم**، ص١٣٩
(٤) انظر: الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ج٥، (تحقيق أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م، ص٤٠٨ ، انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٣، ص٢٨٠
(٥) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٥، ص٤٠٧

كما يذكر ابن كثير أن تفسير هذه الآية يعني "لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه"(١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن "الإسلام في إقراره لهذه الحرية، فإنه لا يقرها تسامحاً ومجاملة ومسالمة فحسب، بل إنه يقرها ديناً وعقيدة وسلوكاً"(٢).

وتعتبر الحرية الدينية التي منحها الإسلام للآخر أهم حقوق الإنسان، لأن الدين أحد الضرورات الخمس، وهو أهم الضروريات ويقدّم على حق الحياة، لذلك شرع الجهاد في سبيل الدين، وشرع الجهاد بالنفس في سبيل الدعوة والحفاظ على الدين(٣) وضماناً لهذه الحرية وبالتالي فإن الإسلام لم يشرع هذه الحرية تشريعاً أدبياً، إنما هو تشريع حقوقي له ضمان يتجسد من خلاله، وأي ضمان أكثر من أن تستنفر طاقات الأمة لتقف في وجه الظالم الذي يُكره الناس في الدين إلى أن يمتنع الظلم والفتنة في الدين، وحتى يتم تقرير الحرية لجميع الناس فيمارسوا حقوقهم في الاعتقاد والتدين دون أي إكراه أو ضغط(٤).

وعلى الرغم من أن الإسلام منح للناس حريتهم الدينية وعدّها أهم الحقوق؛ إلا أنه منع التلاعب في المعتقدات السليمة، واتخاذ الأديان هزواً ولعباً، ومنع استحداث معتقدات جديدة تتناقض مع الإسلام، ولهذا جعل عقوبة المرتدين في الإسلام القتل، فهو يناقش أولاً ويعرف لماذا ترك الإسلام، وتقام عليه الحجة، فإن كان لظلم وقع عليه يدفع عنه وإن كان لشبهة، عرضت له تزال عن عقله فإن أصرَّ على الكفر يعاقب بالقتل، كما يمنع التلاعب بالأديان الأخرى حرصاً على حرية الاعتقاد والأديان، وحرصاً على ثبات المجتمع ومنعاً له من الذبذبة والتقلب مما يؤدي بالمجتمع إلى الفوضى والضياع(٥).

وقد تعددت مظاهر الحرية الدينية التي منحها الإسلام للآخر وأهمها:

أولاً: ممارسة الآخر شعائره الدينية وحماية أماكن عبادته

ترك الإسلام للآخر حرية ممارسة العبادات والشعائر التي تتفق مع عقيدته، ثم أمر بالمحافظة على بيوت العبادة التي تمارس فيها هذه الشعائر، وحرم الاعتداء عليها، أو تخريبها، أو الاعتداء على القائمين فيها، سواء في حالتي السلم والحرب، والوثائق التاريخية كثيرة في وصية الخلفاء لقادة الجيوش، وفي المعاهدات التي أبرمت في التاريخ الإسلامي وعند الفتوحات،

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٦٨٢
(٢) طبيشات، **الإنسان في القرآن الكريم**، ص١٤٧
(٣) بتصرف، مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص٨٨-٨٩
(٤) بتصرف بسيط، حللي، **حرية الاعتقاد في القرآن الكريم**، ص١٦٣
(٥) بتصرف بسيط، الخياط، **المجتمع المتكافل في الإسلام**، ص٧١

ومنها الوثيقة العمرية مع أهل بيت المقدس والدليل المادي الملموس شاهد على ذلك ببقاء أماكن العبادة التاريخية القديمة لليهود والنصارى وغيرهم في معظم ديار الإسلام والمسلمين(١). ولم يكتف الإسلام بإقرار حق الآخر في ممارسة شعائره وعباداته؛ بل سيّج هذا الحق بضمانات كثيرة تصل إلى إعلان الجهاد ضد الطغاة والجبارين الذين لا يحترمون هذا الحق(٢) يقول تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾** [الحج:٣٨-٣٩].

وقد حظيت مسالة أماكن عبادة الآخر من حيث إقامتها وبناؤها باهتمام الفقهاء وعلماء المسلمين، فجرى فيها تفصيل وبحث طويل(٣)، ويذكر عبد الكريم زيدان في كتابه **أحكام الذميين والمستأمنين** القول الراجح في ذلك أنه يجوز لأهل الذمة إحداث الكنائس والمعابد في أمصار المسلمين، وفيما فتحوه عنوة إذا أذن لهم الإمام ذلك؛ لأن الإسلام يقرهم على عقائدهم، ومن لوازم هذا الاقرار السماح لهم بإنشاء معابدهم؛ إلا إذا وجد مانع من ذلك(٤).

أما فيما يخص إقامة الآخر لشعائره الدينية فإنه يحق له ذلك داخل معابده؛ ولكنه يمنع من إظهارها في خارجها في أمصار المسلمين؛ لأن أمصار المسلمين مواضع إعلام الدين وإظهار شعائر الإسلام، والسبب في ذلك مراعاة المصلحة العامة، ولئلا يحدث من إظهار الشعائر شيء من الفتنة والاضطراب، **فليس المنع إذن منصباً على ذات الشعائر الدينية وإنما هو تحقيق لمصلحة عامة الناس**(٥)، وقد روى أبو يوسف في رسالته (الخراج) توضيحاً لشعائر الآخر وأماكن عبادته، وذلك في رده على سؤال الخليفة العباسي هارون الرشيد حيث يقول: "وأما ما سألت عنه يا أمير المؤمنين من أمر أهل الذمة، وكيف تركت لهم البيع والكنائس في المدن والأمصار حين افتتح المسلمون البلدان ولم تهدم، وكيف تُركوا يخرجون بالصلبان في أيام عيدهم؛ فإنما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة في أداء الجزية، وفتحت المدن على أن لا تهدم بيعهم ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها، وعلى أن يحقنوا لهم دماءهم، وعلى أن

---

(١) بتصرف بسيط، مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة**، ص٩١

(٢) بتصرف، الفاعوري، المهندس مروان (٢٠٠٨)، الوسطية: التأصيل – والتطبيق المنتدى العالمي للوسطية نموذجاً، **الوسطية مشروع الإنسانية الحضاري أبحاث المؤتمر الدولي للوسطية**، طرابلس، لبنان، ص٧٥ ، انظر: القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ص١٩

(٣) انظر: زيدان، عبد الكريم، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ط٢، مكتبة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٩٦-١٠٠ ، انظر: غزوي، محمد سليم، **الحريات العامة في الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص٧٠-٧٤

(٤) بتصرف، زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص٩٨-٩٩

(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠

يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم، ويذبوا عنهم، فأدوا الجزية إليه على هذه الشرط، وجرى الصلح بينهم عليه وكتبوا بينهم الكتاب على هذا الشرط على أن لا يحدثوا بناء بيعة ولا كنيسة، فافتحت الشام كلها والحيرة إلا أقلها على هذا؛ فلذلك تركت البيع والكنائس ولم تهدم"(١).

ثانياً: إباحة بعض الأمور للآخر التي يحرمها الإسلام على أهله، ويمنعها منعاً باتاً، ويعد هذا أعلى درجات التسامح مع الآخر؛ فلا يضيق عليه فيما يعتقد حله في دينه أو مذهبه، وإن كان الإسلام يحرمه، وأهمها مسألتا شرب الخمر ولحم الخنزير، فقد حرم الإسلام الخمر، وأقام الحد على شاربها من المسلمين، ومع ذلك أباح للآخر شربها كما حرم لحم الخنزير على المسلمين، ومنع أكله ولكنه أباح للآخر أن يأكله على الرغم من معرفة الإسلام أن ذلك محرم في نصوص الإنجيل والتوراة وقد بالغ الإسلام في حماية حرية الآخر إلى حد أن المسلم إذا أراق خمراً لذمي يعيش تحت حكم الإسلام، أوقتل خنزيراً له، وجب أن يدفع قيمة ما أتلفه، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة في فقهه(٢).

ثانياً: نبذ التعصب، وانتهاج الحوار مع الآخر

دعا الإسلام إلى انتهاج الحوار والجدال الأمين البناء مع الآخر يقول تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٦] ولنا في سيرة رسول الله خير شاهد ودليل؛ فقد تحاور رسول الله مع وفد نصارى نجران في مسألة عيسى بن مريم، وذلك عندما جاؤوا إلى المدينة المنورة، فدخلوا المسجد وقد حانت صلاتهم، فأقبلوا يضربون الناقوس، وصلّوا داخله، فقال أصحاب رسول الله يا رسول الله هذا في مسجدك، فقال دعوهم، فصلوا إلى المشرق، ثم تحاوروا مع رسول الله في جو من الحرية والصفاء، وقد انتهى الحوار معهم إلى الدعوة إلى المباهلة؛ أي دعوة الأبناء والنساء، والتوجه إلى الله بطلب اللعنة على الكاذبين، ولكن وفد نجران رفض الملاعنة وانتهى الحوار(٣)، يقول تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:٦٤].

---

(١) أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ)، **الخراج**، (تحقيق طه عبد الرؤوف وسعد حسن محمد)، المكتبة الأزهرية للتراث، ص١٥٢

(٢) بتصرف، طبّارة، **روح الدين الإسلامي**، ص٢٨٢ ، انظر: القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ص٤٣-٤٤

(٣) ابن هشام، **سيرة ابن هشام**، ج١، ص٥٧٣-٥٧٤

يقول د.عبد العزيز الخياط: "هذا حوار سادت فيه حرية العبادة، وصلى النصارى في مسجد رسول الله، ودقوا الناقوس فيه ودخلوا كل ما لديهم من طقوس ثم جرى الحوار في جو من المودة وحرية القول وانتهوا إلى موادعة رسول الله ﷺ"[١].

كما حرص الإسلام على تربية المسلم على عدم تعميم الأحكام على سائر الأفراد في قضايا الاعتقاد والسلوك؛ بل لا بد من التبيّن الصحيح والحكم العادل الأمين، فلا تزرُ وازرة وزر أخرى يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:٧٥] ويقول تعالى أيضاً: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١١٣-١١٥] ويقول أيضاً: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۞ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [المائدة:٨٢-٨٥][٢].

ويذكر التزام المسلمين بأحكام دينهم في التعامل مع الآخر في عصور ساد فيها تعصب الملة على الملة، واشتدت ضراوة النحلة على النحلة، وتظالم اليهود والنصارى وتصارعوا وسفكوا دماء بعضهم البعض، وقد ذكر القرآن الكريم جانباً من هذا التعصب والغلو ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [البقرة:١١٣]. كما امتد التعصب بين طوائف النصارى أنفسهم، فتشاحنوا، وتقاتلوا، وسفكوا دماء بعضهم البعض، واشتعلت نيران الحروب الصليبية ضد المسلمين الذين أنصفوا الجميع منذ فتحوا بيت المقدس وحكموها وأبدوا للآخر جوانب عدة من التسامح والقبول[٣].

---

(١) الخياط، عبد العزيز، **أدب الحوار**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٧م، ص٧٧

(٢) بتصرف، عثمان، **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي** ، ص٩٣-٩٤

(٣) بتصرف، المصدر نفسه ، ص٩٤

يقول محمد الغزالي معلقاً على كفالة الإسلام لحرية الآخر الدينية وبعده عن التعصب الذميم ضد الآخر "إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام"[١].

وواقع الإسلام التاريخي حافل بمشاهد عدة تؤكد التزام المسلمين بما نص عليه الإسلام من كفالة الحرية الدينية للآخر، وعدم إجباره أو إلزامه على الدخول في الإسلام، واعتناقه ديناً. فقد أمن النبي ﷺ في وثيقة المدينة المنورة حرية اليهود بطوائفهم الثلاث على ممارسة شعائرهم الدينية وجاء فيها "فإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم إلا من ظلم وأثم، فعنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته"[٢].

وكذلك منح الرسولﷺ نصارى نجران حريتهم الدينية، وكتب لهم ذلك بقوله: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهنته..."[٣].

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا النهج، فأبوبكر الصديق رضي الله عنه يوصي أسامة بترك الناس أحراراً في عقائدهم، وأمره بأن لا يقتل الرهبان، وأن يتركهم في ديارهم وصوامعهم[٤]. وفي عهده أيضاً صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة، ولا يمنعون من ضرب نواقيسهم، ولا إخراج الصلبان يوم عيدهم[٥].

وكذلك أيضاً ينتهج قادة المسلمين وصحابة رسول الله من سبقهم في التعامل مع الآخر؛ فأبو عبيدة عامر بن الجراح يقر لأهل بعلبك حريتهم الدينية في كتاب عاهدهم فيه ونصه "... هذا كتاب أمان لفلان بن فلان، وأهل بعلبك: رومها، وفرسها، وعربها، على نفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم، داخل المدينة وخارجها (...) ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها"[٦] وفي مصر كفل عمرو بن العاص لأهلها الأمان والحرية في إقامة

---

(١) الصلابي، **موسوعة السير تاريخ الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)**، ص١٠٩

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، م١، ج٢، ص١١

(٣) أبو يوسف ، **الخراج**، ص٨٥

(٤) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٣، ٢٢٦

(٥) أبو يوسف ، **الخراج**، ص١٦٠

(٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ج١، ص١٣٢

شعائرهم الدينية، ولم يضع يده على شيء من ممتلكات الكنائس ولم يرتكب عملاً من أعمال السلب والنهب [(١)].

واستمر المسلمون كذلك في جميع عهودهم في إعطاء الآخر حريته الدينية، ففي العهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أقام (إثناس) كنيسة ووقفها على السيدة العذراء وبإذن من والي مصر عبد العزيز بن مروان بنيت كنيسة (مارجرجس) وبنيت كنيسة يعقوبية بإذن من الخليفة الوليد بن عبد الملك[(٢)].

وتؤكد شهادات بعض علماء الغرب المسيحيين ما شهده الآخر من تسامح ديني عبر تاريخ الإسلام، ومنها شهادة (عيشويابه) الذي تولى كرسي البطريركية من سنة ٦٤٧-٦٥٧هـ إذ كتب يقول: "إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية؛ بل يمتدحون ملتنا ويوقرون منتسبينا وقدسينا وقسيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا"[(٣)].

وقبل الانتهاء من الحديث عن حرية الآخر الدينية لا بد من توضيح بعض القضايا الجدلية التي قد يساء فهمها في ظل منح الإسلام الآخر حقه وحريته في دينه وشعائره، وأماكن عبادته وسأقصرها على أمرين هامين: **الأول** تشريع الإسلام للقتال **والثاني** قضية الجزية

أما تشريع الإسلام للقتال فيسأتي الحديث عنه مفصلاً في نهاية هذا الفصل، ويكفي التأكيد هنا أن تشريع الإسلام بالقتال لا يتناقض مع جوهر دعوته ومنعه الإكراه في الدين، ويظهر ذلك من خلال غاياته وأهدافه التي شرع لأجلها كما جاء في نصوص القرآن الكريم، وأهمها: أن الإذن بالقتال في مختلف آيات القتال جاء لدفع الظلم أو قطع الفتنه، وحماية الدعوة، أو حماية حرية الآخر الدينية؛ فالله تعالى أذن للمسلمين بالقتال بعد أن أمعن المشركون في إيذاء المسلمين بألوان العذاب حتى يرجعوا عن دينهم، ويثبطوا عزيمتهم، ولذلك أوجب الله قتالهم دفعاً لاعتدائهم وظلمهم، وإزالة لعقباتهم حتى لا تكون فتنة ولا محنة يقول تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [الحج:٣٩] وقال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة:١٩٠][(٤)].

---

(١) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص١٢٣

(٢) بتصرف، غزوي، **الحريات العامة في الإسلام**، ص٧٧

(٣) د. ا. س ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، (ترجمة حسن حبشي)، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٥٩

(٤) بتصرف، غزوي، **الحريات العامة في الإسلام**، ص٨٦

ومما يؤيد عدم التناقض والتقارب بين تشريع القتال وحرية التدين للآخر، ما اتفق عليه جمهور المسلمين من أنه لا يحل قتل النساء و الصبيان والرهبان والشيوخ ونحوهم في الحروب؛ لأنهم ليسوا بمقاتلة، ولو أن القتال كان لإكراه الناس على إجابة الدعوة، وطريقاً من طرقها لما استثني من أمر القتل أحد[(١)].

ويعد السلوك الفعلي والواقعي الذي سلكه الرسول ﷺ وأصحابه والمسلمون من بعده مع الآخر خير دليل على أن القتال لم يكن طريقاً لإكراه الناس وإجبارهم على الإسلام؛ فالرسول ﷺ بدأ دعوته بإرسال الرسل إلى الملوك والرؤساء في عصره، يدعوهم إلى الإسلام، ويحثهم على قبوله ، وكذلك سار الصحابة الكرام والمسلمون من بعده، فلم تكن الفتوحات مسلكاً يكره الناس من خلاله على اعتناق الإسلام؛ بل كان القتال في الإسلام في كثير من الأحيان يهدف إلى حماية حق التدين للناس كافة، وقد كان ذلك التسامح سبباً في دخول الناس في الإسلام وقبولهم دعوته.

وقد روى البلاذري ما يؤكد غاية المسلمين في قتالهم، وأنه لدفع السلطة المتحكمة في الاعتقاد، وليس لفرض عقيدة المسلمين. حيث قال: "لما استخلف عمر بن عبد العزيز، وفد عليه قوم من أهل سمرقند، فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا: فإن قضى بإخراج المسلمين أخرجوا، فنصب لهم (جميع بن حاضر الناجي)، فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء، فكره أهل سمرقند الحرب، وأقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم"[(٢)].

وقد كان التسامح الذي أظهره المسلمون في فتوحاتهم وواقعهم، وأسس دعوتهم مع الآخر وإقرار حقوقه، سبباً في انتشار الإسلام، وقبول الانصياع لحكمه، فقد أثبت التاريخ أن قبط مصر فرحوا أشد الفرح بفتح المسلمين لمصر بعدما سمعوا عن عدل الإسلام ورحمته وتسامحه، ولم يكن عجيباً أن يعاونوا المسلمين الفاتحين على الخلاص من سطوة الرومان الذي ظل جاثماً فوق صدورهم أمداً طويلاً على الرغم من أنهم يتفقون معهم في معظم عقائدهم[(٣)].

ويذكر أن تسامح المسلمين وحسن معاملتهم مع أقباط مصر وإقرار حقوقهم كان سبباً في نشر الإسلام فيها رغبة لا رهبة وخوفاً، وذلك بعد أن نالوا ما تطلعوا إليه من حقوق وعزة وكرامة في ظل الإسلام، وتذكر كتب التاريخ أنه لما كثر الداخلون في الإسلام من أهل مصر تناقصت ايرادات بيت مال المسلمين؛ فأرسل والي مصر في زمن الخليفة عمر بن العزيز

---

(١) بتصرف، المصدر نفسه، ص٨٦-٨٧

(٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٠٧

(٣) انظر: الشرقاوي، عثمان، **شريعة القتال في الإسلام**، ط١، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص٦٧-٧٩

يستأذنه منع الأقباط من دخول الإسلام فكتب إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز "قبّح الله رأيك (...) ما بعث الله محمداً جابياً ولكن بعثه هادياً"[(١)].

ثالثاً: الجزية

تعد الجزية من المسائل المهمة في الفقه الإسلامي؛ ولذلك حظيت باهتمام الفقهاء والعلماء، كما أفردت بالبحث والتصنيف لكثرة ما تعلق بها من أحكام ومسائل، وليس الغرض في هذا الجزء من الدراسة التطرق إلى تفاصيلها الفقهية كافة ؛ إنما لدفع **ما يتوهم من وجود تعارض وتناقض بين كفالة الإسلام لحرية الآخر الدينية وفرض الجزية عليه،** وتعد هذه المسألة أكثر الشبهات جدلاً في الفقه الإسلامي ولتجلية هذه المسألة دون إغراق في التفاصيل أناقشها على النحو الآتي:

اولاً: معنى الجزية ومقصودها

جاء في لسان العرب أن الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة والجمع الجزي بالكسر (...) وهي عبارة عن المال الذي يعقد الذمة عليه الكتابي، وهي فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتله[(٢)].

كما يذكر النووي أن الجزية مشتقة من الجزاء كأنها جزاء إسكاننا إياه في دارنا وعصمتنا؛ دمه وماله وعياله[(٣)]؛ أما الجزية في المصطلح الفقهي فهي "الالتزام الذي يترتب في ذمة رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين"[(٤)].

مما سبق يلحظ أن تعريف الجزية يؤكد أنها مبلغ من المال يؤخذ من غير المسلمين مقابل جزاء معين يجب لهم في حق الدولة، أي أنها مقيدة بأمر ما وتدفع على أساسه.

ثانياً: أصل الجزية ومشروعيتها في الإسلام

يربط موضوع ظهور الجزية بالإسلام؛ إلا أن التاريخ يثبت أن الجزية نظام قديم معروف قبل الإسلام؛ ففي العهد الجديد نقرأ عنوان (يسوع يؤدي جزية الهيكل) يقول إنجيل مرقس: "**أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ (...) فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ**

---

(١) بتصرف، أرنولد ، توماس، **الدعوة إلى الإسلام**، ص١٢٤، الشرقاوي، **شريعة القتال في الإسلام** ، ص٧٠

(٢) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤ ، ص١١٦-١١٧

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى (ت ٦٧٦هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**،ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٥١

(٤) الموسوعة الإسلامية الميسرة، ج٣، ص١٥٣

وَمَا لِلهِ للهِ"[١]. وقبل ذلك في عهد سليمان بن داود عليهما السلام كان سكان فلسطين الذين بقوا فيها غرباء بين الإسرائيليين فرضت عليهم الجزية كما ذكر ذلك سفر الملوك[٢] كما كانت الجزية مقررة عند مختلف الأمم التي سبقت الإسلام؛ كالرومان والبيزنطيين والفرس[٣] وفي الإسلام ثبت مشروعية الجزية بقوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة:٢٩].

وقد أسهبت التفاسير في توضيح مقصد الآية والمراد منها؛ ففي تفسير الطبري أنها من أواخر ما نزل على رسول الله، حيث نزلت بعد فتح مكة أواخر السنة الثامنة. ومعنى (عن يد) أي تدفع من يد الذمي إلى يد من يدفعه إليه، وقد كانت العرب تستخدم هذا التعبير لكل معط شيئاً طائعاً أو كارهاً[٤] ؛ أما تفسير كلمة (صاغرون) فقد ذكر ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة أن الناس اختلفوا في تفسيرها على معانٍ عدة وأغلبهم أنها تعني الامتهان والذل؛ ولكنه يرى أن ذلك يخالف جوهر الإسلام وأسس دعوته وسماحته في معاملة الذميين، وما عليه حال القرآن والسنة والإجماع فيقول: "وهذا كله مما لا دليل عليه، ولا هو مقتضى الآية، ولا نقل عن رسول الله، ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك، والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم بجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية، فإن التزام ذلك هو الصغار"[٥].

كما فسر ابن حزم ذلك في المحلى بقوله: "والصغار هو أن يجري حكم الإسلام عليهم، وأن لا يظهروا شيئاً من كفرهم، ولا مما يحرم في دين الإسلام"[٦].

ومما لا شك فيه أن غير ذلك من الأقوال مردود؛ لأنه يخالف سماحة الإسلام وعدله مع الآخر، بما ورد من نصوص صريحة في القرآن والسنة وأفعال الصحابة الكرام وأقوالهم.

وللجزية شروط أهمها العقل والبلوغ والذكورة؛ فلا تجب على الصبيان والنساء والمجانين؛ لأن الله تعالى أوجبها على من هو أهل للقتال، كما يشترط فيها الحرية فلا تجب على العبد لأنه

---

(١) إنجيل مرقس١٢: ١٤-١٧

(٢) انظر: سفر الملوك الأول ٤: ٢١

(٣) بتصرف، حللي، **حرية الاعتقاد في القرآن الكريم**، ص١٦٩

(٤) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٤، ص١٩٩

(٥) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص٢٤

(٦)ابن حزم الظاهري، **المحلى بالاثار**، ج٥، ص٤١٤

ليس من أهل ملك[١] ، ولا تجب أيضاً على الفقير الذي لا قدرة له على العمل والكسب ومن شروطها أيضاً ألا تؤخذ من راهب ولا من شيخ كبير، لا يملك مقدارها...[٢].

وفي هذه الشروط تظهر سماحة الإسلام مع الآخر، كما أن المقصد من الجزية لم يكن عقوبة[٣] للآخر على عدم قبوله الإسلام ديناً، فلو كان هذا هو المقصود لفرضت الجزية على الجميع دون تفريق بين الطفل أو الشيخ أو المرأة، ولما سقطت أيضاً عن الرهبان المنقطعين في صوامعهم، ويمكن حصر أسباب دفع الجزية في أمرين يتضح من خلالهما مبلغ التسامح مع الآخر هما:

أولاً: عدم تكليف القادرين من أهل الكتاب على حمل السلاح للدفاع عن البلاد التي يعيشون في حماها؛ ولذلك يدفعون هذه الضريبة نظير إعفائهم من واجب الدفاع عن الدولة[٤] قال الماوردي رحمه الله: "ويلتزم –الإمام– لهم ببذلها حقان، **أحدهما:** الكف عنهم، **والثاني:** الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين، روى نافع عن ابن عمر قال: كان آخر ما تكلم النبي ﷺ أن قال احفظوني في ذمتي"[٥].

وقد ذكر العلماء والمؤرخون سقوط الجزية عن الآخر حال عدم تحقق هذا السبب فغير القادر على حمل السلاح من الطفل والمرأة والشيخ لا تجب الجزية عليه وتسقط في حقه كما فعل عمربن الخطاب ﷺ حيث مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي. فقال له عمر فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضح له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه؛ فوالله ما أنصفناه

---

(١) انظر: ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ج٢، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٦٦

(٢) انظر: زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين**، ص١٣٩-١٤٢ ، انظر:الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) **الأحكام السلطانية**، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ص١٢٨ ، انظر: ابن القيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص١٢٢

(٣) يذكر عبد الكريم زيدان ان قول بعض الفقهاء كابن قدامة في المغني، وكذلك الحنفية كالجصاص، وغيرهم أن الجزية فرضت عقوبة في حق الذمي (الآخر)، لبقائه على الكفر لا يتفق مع جوهر الإسلام وعمل الصحابة وعهودهم، وما تدل عليه أقوال الفقهاء من أن الجزية بدل عن الحماية فاعتبارها عقوبة لا يتفق مع المبدأ الإسلامي (لا إكراه في الدين)، فحرية العقيدة مضمونة لهم، ولو كانت الجزية عقوبة لوجبت على جميع أهل الذمة، ولما نجا منها لا شيخ كبير ولا طفل ولا أمرأة وأيضاً لو كانت عقوبة لبقائهم على الكفر كما يقولون لما سقطت باشتراكهم مع المسلمين في الدفاع عن دار الإسلام. زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص١٤٦

(٤) حوى، **الإسلام**، ص٤٩٤ ، انظر: زيدان، **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، ص١٤٤ ، انظر: غزوي، **الحريات العامة في الإسلام**، ص٩٣-٩٤

(٥) الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص١٢٧-١٢٨

أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، إنما الصدقات للفقراء والمساكين. والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه"(١).

وكذلك تسقط الجزية أيضاً في حال عجز الدولة عن أداء واجبها في حماية البلاد(٢)، وقد ذكر أن **خالد بن الوليد** سجل في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قوله: "فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا"(٣).

ولم يكن ذلك مجرد حبر على ورق؛ بل يذكر التاريخ التزام المسلمين بهذه الشروط، ومن ذلك ما حدث في خلافة عمر بن الخطاب حيث حشد الروم جيشاً عظيماً بقيادة هرقل الصد قوات المسلمين، ولما علم أبو عبيدة ما جمعه الروم من الجموع طلب من عمال المدن المفتوحة في الشام ردّ ما جبي من الجزية، وكتب إلى الناس يقول: "إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم"(٤)وبذلك ردت مبالغ طائلة من مال الدولة.

كما التزم الإسلام بربط أداء الجزية بالذكور البالغين القادرين على حمل السلاح، وهو كما ذكرت سابقاً ليس من باب التسلط؛ بل للدفاع عن البلاد. والدليل على ذلك أيضاً سقوطها في حال قبولهم المشاركة في الدفاع عن البلاد، وقد ذكر التاريخ أمثلة عدة لذلك منها ما حدث مع قبيلة (**الجراجمة**) وهي قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية حيث سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم، وان تقاتل معهم شريطة أن لا تؤدي الجزية وأن تعطى نصيبها من الغنائم(٥) وهناك أمثلة عدة من واقع التاريخ الإسلامي تؤكد سقوط الجزية عن الآخر لما ذكرناه من أمور وهذا يدلل على أن الجزية لم تكن قصاصاً أو عقوبة أو إهانة للآخر، وحملاً له على اعتناق الإسلام.

ثانياً: اشتراك أهل الكتاب في نفقات المرافق العامة مع المسلمين؛ كالقضاء والشرطة وما تقوم به الدولة من إصلاح الطرق، وإقامة الجسور، وما يلزمها من كفالة المعيشة الملائمة لكل فرد يستظل بظلها(٦).

---

(١) أبو يوسف ، **الخراج**، ص١٣٩ ، انظر: ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص٣٨
(٢) بتصرف بسيط، زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين**، ص١٥٤
(٣) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك** ، ج٣، ٣٦٨
(٤) أبو يوسف، **الخراج**، ص١٥٣
(٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص١٦٣
(٦) بتصرف، حوى، **الإسلام**، ص٤٩٤ ، القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ص٣٤

وهنا أيضاً يظهر أن الجزية بهذا المعنى هي ضريبة زهيدة يدفعها الآخر لقاء انتفاعه بمرافق الدولة العامة التي يتحمل المسلمون قسطها الأكبر؛ فالمسلمون يسهمون في ذلك بما يدفعون من زكاة عن نقودهم وتجاراتهم وأنعامهم وزروعهم وثمارهم، فضلاً عن صدقة الفطر وغيرها، ومن المعروف أن الجزية التي يدفعها الآخر مقابل ما يدفعه المسلم للزكاة ليست إلا مبلغاً يسيراً زهيداً، وإذا كان الآخر سيدفع المتوجب عليه عن يد وهو صاغر؛ فحال المسلم في دفع الزكاة ليس اختيارياً أيضاً؛ بل للحاكم وضع الحد على المسلم الذي يمتنع عن أداء فريضة الزكاة، ولعل ما حدث في أخبار حروب الردة التي جردت في خلافة أبي بكر حيث رفضت بعض القبائل دفع الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، وقتال أبي بكر لهم دليل واضح على أن المسلم يدفع الزكاة في بعض الأحيان وهو ملزم قسراً عنه، كما هو حال الآخر مع الجزية[١].

مما سبق يتبين انتفاء التعارض بين إقرار الإسلام للآخر حريته الدينية، وفرض الجزية عليه، فلم تفرض الجزية عقوبة للآخر على عدم قبوله اعتناق الإسلام؛ لأن ذلك يتناقض مع جوهر الإسلام وصحة الاعتقاد؛ فالحرية والاختيار شرطان أساسيان لتحقق الإيمان الصحيح.

كما أن الإسلام واضح وبين في أحكامه وعقائده، ولا يحتاج أن يكره الناس على اعتناقه، أما موضوع الجزية فهي ضريبة زهيدة مشروطة تؤخذ من الآخر على أساس مواطنته، وذلك لقاء حمايته وانتفاعه بما تتيحه الدولة من مرافق وخدمات كما أن فرض الجزية على الآخر دليل على ضمان الإسلام حرية الآخر الدينية وحمايتها، وليس العكس، وبذلك تكون الجزية "عقد شراكة بين جماعة تمثل أقلية في المجتمع ذات طابع خاص، مع سلطة هذا المجتمع بما يضمن الحقوق للفريقين والانتظام في الحياة، ويمكن أن يتسع هذا المفهوم ليشمل عقود السلم بين الدول أو عقود الحماية، والدفاع. والجزية بهذا المفهوم لا تتعارض مع حرية الاعتقاد بل في نظامها ما يضمنها"[٢].

وينبغي الإشارة هنا إلى أنه على الرغم من فرض الإسلام الجزية على الآخر؛ فقد أمر بالترفق واللين وتجنب القسوة والغلظة، أو تكليفه بما لا يطيق. وفي حرص الإسلام على ذلك دليل على المقصد الأساسي من فرض الجزية؛ فلو كانت عقوبة وتنكيلاً لكانت القسوة طريقة تحصيلها، وقد وضع ابن قيم الجوزية في كتابه **أحكام أهل الذمة** قاعدة لذلك، ثم أسهب في شرحها والتدليل عليها، فقال: "ولا يحل تكليفهم ما لا يقدرون عليه، ولا تعذيبهم على أدائها ولا

---

(١) بتصرف، السحمراني، **الإسلام بين المذاهب والأديان** ، ص٨٦-٨٧

(٢) حللي، **حرية الاعتقاد في القرآن الكريم**، ص١٨٠

حبسهم وضربهم"[١]، وقد ذكر أبو يوسف في كتابه **الخراج**، وفي معرض حديثه عن الجزية: " وقد ينبغي يا أمير المؤمنين (...) أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك، وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من اموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه" وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب ﷺ عند وفاته "أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم" قال: وحدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد أنه مرّ على قوم قد أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام، فقال: ما شأن هؤلاء؟ فقيل له: أقيموا في الشمس في الجزية، قال: فكرهَ ذلك ودخل على أميرهم، وقال: أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من عذب الناس عذبه الله"[٢].

وقال أيضاً: "حدثني بعض المشايخ المتقدمين أن النبي ﷺ ولّى عبد الله بن أرقم على جزية أهل الذمة، فلما ولى من عنده ناداه فقال: ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أنتقصه أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامه"[٣].

وهذه الأخبار وغيرها تدلل على أن الآخر لقي من الرسول ﷺ وصحابته الكرام حسناً في المعاملة، وكرماً في الأخلاق، وعدلاً وإنصافاً ورفقاً وإحساناً، وقد تم ذلك في أعلى الدرجات من عز الدولة وقوة السلطة، فتتابع الانتصارات والفتوحات لم يخرجهم عن منهج العدل الذي جاء به الإسلام فكانوا بذلك أسوة حسنة لمن جاء بعدهم من الخلفاء والأمراء [٤]

المطلب الثاني: حقوق الآخر في الشريعة الآسلامية

منحت الشريعة الإسلامية الآخر حقوقاً عدة، وذلك استناداً للقاعدة التي تداولتها كتب الفقه عن الذميين "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"[٥]، ومن الحقوق التي أقرها الإسلام للآخر ما يلي:

أولاً: حق الحماية، وتشمل حمايتهم من كل عدوان خارجي، ومن كل ظلم داخلي، وحماية دمائهم وأموالهم[٦]. أما حمايتهم من العدوان الخارجي فهو ما ذكره القرافي في كتابه الفروق نقلاً عن ابن حزم: "أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن

---

(١) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص٣٤
(٢) أبو يوسف ، **الخراج**، ص١٣٨
(٣) أبو يوسف ، **الخراج**، ص١٣٩
(٤) الموصلي والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ص٤٢٠
(٥) ابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار**، ج٢، ص٤٤٥
(٦) بتصرف، القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ص٩-١٢

نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة"[(١)].

كما ينبغي حمايتهم من الظلم الداخلي وهو "أمر يوجبه الإسلام، ويشدد في وجوبه ويحذر المسلمين أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم إلى أهل الذمة بأذى أو عدوان"[(٢)]. وقد توافرت الآيات والأحاديث في تحريم الظلم والنهي عنه، وكذلك جاءت الأحاديث تحذر من ظلم الآخر، أو إيذائه، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: " ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"[(٣)].

كما يشمل حق الحماية أيضاً حفظ دماء الآخر، وأمواله، وأعراضه، أما حفظ دمه فيندرج تحت حق الحياة الذي فرضه الله تعالى لكل إنسان على وجه الأرض، وهو في الحقيقة منحة من الله تعالى وليس للإنسان فضل في إيجاده، وكل اعتداء عليه بغير حق يعتبر في نظر الإسلام جريمة[(٤)].

يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الانعام:١٥١] وقد ورد عن رسول الله أحاديث تحرم الاعتداء على الآخر منها ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد في مسيرة أربعين عاماً"[(٥)] وفي رواية أخرى "من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً"[(٦)].

كما حمى الإسلام أموال الآخر فقد روى أبو يوسف في كتاب الخراج أن النبي ﷺ عهد لأهل نجران بذلك فقال: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي ﷺ على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير"[(٧)].

وتتضمن حماية أموال الآخر في الإسلام إقامة الحد على المسلم إذا سرق من ذمي؛ فلا خلاف بين الفقهاء في وجوب قطع يد المسلم في سرقته للذمي[(٨)]. وقد بلغ من حماية الإسلام

---

(١) القرافي، **الفروق**، ج٣، ص١٤

(٢) القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ص١٠-١١

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب تَعْشِير أهلِ الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ج٣، رقم: ٣٠٥٢، ص١٧٠

(٤) مجموعة من الباحثين، **حقوق الإنسان في مقاصد الشريعة**، ص١٠١

(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، ج٤، رقم: ٣١٦٦، ص٩٩

(٦) أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ج١١، رقم: ٦٧٤٥، ص٣٥٦

(٧) أبو يوسف، **الخراج**، ص١٢٥

(٨) بتصرف، أبو العينين، بدران، **العلاقات الاجتماعية**، ص٢٩٩-٣٠٠

لأموال الآخر أنه يحترم ما يعد في دينهم مالاً متقوماً، وإن لم يكن مالاً في نظر المسلمين؛ كالخمر والخنزير. فقد أفتى فقهاء الحنفية أن من أتلف للذمي أياً منهما يغرم بقيمتهما؛ لأنهما تعدان مالاً متقوماً عندهم، فلا يجوز الاعتداء عليه، وهو في حفظ الدولة الإسلامية، ومن ضرورات الحفظ والحماية وعدم الاعتداء عليه إيجاب الضمان على متلفه أو غاصبه(١) ولحرص الإسلام على أموال الآخر فقد أنشئ في فترة الخلفاء العباسيين ديوان خاص مهمته المحافظة على أموال الذميين ورعاية مصالحهم، وكان اسم رئيسه (كاتب الجهباذ)(٢).

وقد يتكفل الإسلام أيضاً بحماية عرض الآخر وكرامته "فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل، أو يشنع عليه بالكذب أو يغتابه، ويذكره بما يكره في نفسه أو نسبه أو خلقه أو خلقه أو غير ذلك مما يتعلق به"(٣).

ثانياً: حق العمل

ضمنت الشريعة الإسلامية للآخر حق العمل وممارسة ما يراه مناسباً للكسب، فيشتغل بالتجارة والصناعة، كما يحق له تولي الوظائف العامة باستثناء بعض المناصب التي تقتضي طبيعتها أن لا يتولاها إلا مسلم؛ كالخلافة، والإمامة، والإمارة على الجهاد، وقد كان لهذا الحجب أسباب أهمها أن الوظيفة في الشريعة الإسلامية تعد تكليفاً وليس حقاً، وبالإضافة إلى أن طبيعة هذه المناصب تقضي أن يكون القائم عليها مسلماً؛ لأنها تقوم على أساس العقيدة الإسلامية أو تتصل بها، ويظهر فيها عنصر التدين واضحاً فكان قصرها على المسلم سائغاً مقبولاً(٤).

أما فيما عدا ذلك من أعمال فيحق للآخر توليها والاشتغال بها إذا تحققت فيه الشروط التي لابد منها من الكفاية والأمانة والإخلاص، بخلاف الحاقدين أو من يبطنون السوء، كالذين قال الله فيهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران:١١٨]. وفي السيرة النبوية ما يوضح ذلك، وفي التاريخ الإسلامي شواهد عدة تؤكد ذلك؛ فقد اشتهر من غير المسلمين من اشتغل بالطب، ومن تولى الوزارة أيضاً، والأمثلة على ذلك كثيرة منهم بليطيان النصراني، وهو طبيب، وقد ولاه المنصور بطريركية الإسكندرية، وإبراهيم بن عيسى وهو طبيب لأحمد بن طولون، والموفق بن شوعه اليهودي، وقد اشتهر بطب العيون،

---

(١) زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص٥٥٢-٥٥٣
(٢) الزين، حسن، **أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي**، ط١،بيروت، ١٩٨٢م، ص١٧
(٣) القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي** ، ص١٥
(٤) بتصرف، زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص٧٧-٧٩

وأبو المعالي ابن تمام اليهودي، وأهمهم موسى بن ميمون، وقد كان رئيس أطباء اليهود في مصر، وكان من أهم أطباء صلاح الدين الأيوبي[(١)].

وكذلك حظي الآخر بمناصب أخرى في الدول الإسلامية حتى إن معظم الوزارت الهامة كانت حكراً على اليهود والنصارى، وقد أورد ذلك المقريزي في خططه. ومن الأمثلة على ذلك تولي ابن النغريلة اليهودي الوزارة في الأندلس في عهد باديس بن حبوس، ومنهم أيضاً بحربن إسحاق القرطبي النصراني حيث تولى الوزارة لدى عبد الرحمن الناصر الثالث، وكذلك يعقوب بن كلس الذي تولى الوزارة في عهد المعز لدين الله الفاطمي[(٢)].

وقد شهد المؤرخون بتسامح الإسلام مع الآخر في تولي الأعمال والوظائف على الرغم من أن في بعضها تضييعاً لحق المسلمين، يقول فيليب حتي: "إن النصارى كثيراً ما تقلدوا مناصب هامة في دوائر المال والكتابة والمهن الحرة حسدهم عليها بعض المسلمين"[(٣)].

بل أثار موضوع كثرة إسناد الوظائف للآخر مؤرخي الغرب يقول آدم متز: " من الآمور التي نعجب منها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية"[(٤)].

وقد كان ذلك سبباً في تكديس الثروات واكتناز الأموال، فكثيراً ما نرى الثروات الضخمة والتجارات الكبيرة يملكها يهود أو مسيحيون يعيشون في ظل حكومات إسلامية[(٥)].

رابعاً: حق التنقل

يحق للآخر التنقل في بلاد الإسلام والإقامة حيثما شاء وارتياد الأماكن العامة ولا يرد عليه الا استثناءات قليلة حددها الفقهاء في مكة والمدينة[(٦)].

وقد شرع الإسلام للآخر حق التنقل لتحقيق منافع شتى؛ كطلب الرزق، وتحصيل العلم، وطلب المنافع، وذكر المؤرخ الغربي برنارد لويس ما ناله الآخر في بلاد الإسلام قياساً على ما فعلته أوروبا من مصادرة الحقوق والحريات. حيث يقول: "وبخلاف يهود وهراطقة أوروبا فإن اليهود والنصارى نادراً ما عانوا من النفي أو الاستشهاد بسبب عقائدهم في الإسلام. لم يكونوا معزولين ضمن حدود الغيتو سواء الجغرافي أو المهني. لم تكن أية مهنة محرمة عليهم، ولم يمنعوا من ارتياد أية مساحة جغرافية باستثناء بعض الأماكن المقدسة"[(٧)].

---

(١) البار، **معاملة غير المسلمين**، ص١٤٨-١٥٢

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٤-١٨١

(٣) السحمراني، **الإسلام بين المذاهب والأديان**، ص٧٥ ، فيليب حتي، **تاريخ العرب**، ج٢، ص٤٣٦

(٤) زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص٨١

(٥) بتصرف، شلبي، **مقارنة الأديان (الإسلام)**، ص١٤٦

(٦) زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص٩١-٩٣

(٧) الزين، **أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي**، ص١٢٦

وقد كفل الإسلام للآخر حقوقاً أخرى منها حق التعليم[١]، وحق المأوى[٢] (السكن) وحق التملك[٣] وغيرها من الحقوق؛ وذلك انطلاقاً من قاعدة التكريم الإنساني، وعلو شأن الإنسان وقيمته في الإسلام. مما يتطلب إقرار حقوقه وصون حرياته ما لم يكن في ذلك ضرر على الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر: الخياط، **المجتمع المتكافل**، ص٧٥-٧٦ ، انظر: زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص١٠١-١٠٢ ، طبيشات، **الإنسان في القرآن**، ص١٥٠-١٥١

(٢) انظر: الخياط، **المجتمع المتكافل**، ص٦٨-٦٩ ، انظر: غزوي، **الحريات العامة في الإسلام**، ص٤٥ ، انظر: زيدان، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ص٩٤

(٣) انظر: الخياط، **المجتمع المتكافل**، ص٧٧-٧٩

المبحث الثالث

العلاقات الاجتماعية مع الآخر في الشريعة الإسلامية

نظمت الشريعة الإسلامية مجالات الحياة كافة في المجتمع الإسلامي؛ فما من مسألة صغيرة أو كبيرة إلا نصت عليها صراحة أو ضمناً، أو تركت لعلماء الأمة أن يستنبطوا حكمها وفقاً لضوابط معينة؛ أهمها أن لا يتعارض هذا الاجتهاد مع النصوص القطعية.

ومن المسائل التي حظيت باهتمام الشريعة الإسلامية وعنايتها مسألة تنظيم العلاقات الاجتماعية؛ ولشمولية الشريعة وعالميتها فإنها لم تقتصر على تنظيم العلاقات الاجتماعية بين المسلمين فقط؛ بل كان للآخر فيها نصيب وافر، ولا بد من التأكيد هنا أن وجود تشريع ينظم العلاقات الاجتماعية بين المسلم والآخر لم يكن ليوجد دون إقرار الإسلام للآخر حريته الدينية، فلو كان الآخر في الإسلام مجبراً أو مكرهاً على ترك دينه لما كان له وجود أصلاً داخل المجتمع الإسلامي؛ إذاً فمنح الآخر حريته الدينية كان الأساس الذي رتبت عليه مسألة العلاقات الاجتماعية مع الآخر.

وفي تنظيم الشريعة الإسلامية لهذه المسألة إظهار لسماحة منقطعة النظير مع الآخر. يقول سيد قطب في ظلال القرآن: "وهنا نطلع على صفحة من صفحات السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين، ممن يعيشون في المجتمع الإسلامي (...) إن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية، ثم يعتزلهم، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين، أو منبوذين؛ إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية، والمجاملة والخلطة، فيجعل طعامهم حلاً للمسلمين، وطعام المسلمين حِلاً لهم كذلك، ليتم التزاور، والتضايف، والمؤاكلة، والمشاربة، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة"[(١)].

ولأن الآخر في الإسلام داخل مع المسلم في أخص العلاقات، حيث أباح الإسلام زواج المسلم بالكتابية – سيتم توضيح ذلك بالتفصيل – كما رتب على المسلم واجبات تجاه الآخر إذا كان أحد والديه، أو تربطه معه صلات رحم وقرابة. من هنا يمكن مناقشة هذه المسالة على النحو التالي:

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص٨٤٨

المطلب الأول: العلاقة مع الآخر داخل نطاق الأسرة

بلغ تسامح الإسلام مع الآخر ذروته أن جعل الآخر أحد أفراد الأسرة الإسلامية؛ فبعد إقراره للآخر حريته الدينية، أباح للمسلم أن يتزوج من الآخر ويصاهره، كما أمر بالإحسان إليه وبرِّه وصلته إذا كان من الوالدين أو من الرحم؛ ولتوضيح العلاقة مع الآخر داخل الأسرة فلا بد من إيضاح لمسألة الزواج من الآخر في الشريعة الإسلامية وبر الوالدين.

أولاً: الزواج من الآخر في الشريعة الإسلامية

للزواج في شريعة الإسلام مكانة سامية، لما له من أثر في حياة الفرد، والأسرة، والأمة، كما أنه أهم وسائل الترابط والتواصل بين الناس ومن أقوى دواعي التراحم والإخاء ومن الأسباب ذات الشأن في إشاعة الروح الطيبة بين الافراد والجماعات(١).

ولهذا حظي الزواج في الإسلام باهتمام واضح حيث جعله "ميثاقاً" و"عهداً قوياً" يربط القلوب ويحفظ المصالح، ويندمج به كلا الطرفين بصاحبه. والمتتبع لكلمة الميثاق ومواضعها في القرآن الكريم يجدها حيث يأمر الله تعالى بعبادته وتوحيده والأخذ بشرائعه وأحكامه(٢) وقد وصف القرآن عقد الزواج بالميثاق الغليظ يقول تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴿ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [النساء:٢٠-٢١]

وفي ظل هذه الأهمية والمكانة السامية التي حظي بها الزواج في الإسلام، وعلى الرغم من حساسيته وخصوصيته؛ إلا أن الإسلام قد جعل للآخر مكاناً فيه، حين أباح للمسلم الزواج من الكتابية، وهذا ما عليه جمهور العلماء في الأمة، وذلك استناداً لقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة:٥] والمقصود أن الله سبحانه وتعالى قد أباح للمسلمين المحصنات من أهل الكتاب، والمحصنات(٣)

---

(١) انظر: شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص١٥٨ ، أبو العينين، بدران، **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون**، دار النهضة العربية، بيروت، ص٦٦

(٢) بتصرف، شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص١٥٨-١٥٩

(٣) اختلفت الآراء في تفسير المحصنات الورادة في الآية فهناك من قال إنهن الحرائر، ولذلك منعوا الزواج بالأمة الكتابية، وهناك من قال هن العفيفات، وقد رجّح ابن القيم ذلك لوجوه عدة أهمها أن الحرية ليست شرطاً في نكاح المسلمة، والآية عطفت النساء الكتابيات على المسلمات، والثاني: أن ذكر الاحصان في جانب الرجل كما ذكره في جانب المرأة قال " إذا آيتمتوهن أجورهن محصنين" وهذا إحصان عفة بلا شك، فكذلك الإحصان

هنا أي العفيفات عن الزنا[١] وقد أكدت الآية الأخرى ذلك ﴿ **مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ**﴾ [النساء:٢٥].

ويذكر سيد قطب في تفسيره لهذه الآية أن تسامح الإسلام في الزواج من الآخر جعله يقرن العفيفات من نساء (أهل الكتاب) بالعفيفات من المسلمات "وهي سماحة لم يشعر بها إلا أتباع الإسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل، فإن الكاثوليكي المسيحي ليتحرج من نكاح الارثوذكسية، أو البروتستانتية، أو المارونية المسيحية. ولا يقدم على ذلك إلا المتحللون عندهم من العقيدة! وهكذا يبدو أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يسمح بقيام مجتمع عالمي، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة. التي تظلها راية المجتمع الإسلامي. فيما يختص بالعشرة والسلوك، وشرط حل المحصنات الكتابيات هو شرط المحصنات المؤمنات، يقول تعالى: ﴿**مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ**﴾ [المائدة:٥]"[٢].

ويذكر أن بعض صحابة رسول الله قد تزوج من الكتابيات، فتزوج عثمان ﷺ من نائلة بنت الفرافصة الكلبية وهي نصرانية وأسلمت عنده[٣] وقد أورد البيهقي ذلك في سننه[٤]، وكذلك تزوج طلحة بن عبيد الله من الكتابيات، "عَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ: أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ: تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً" [٥].

المذكور في جانب المرأة. والثالث: أنه سبحانه ذكر الطيبات من المطاعم والطيبات من المناكح في قوله: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة:٥] والزانية خبيثة بنص القرآن والله تعالى حرّم على عباده الخبائث من المطاعم والمشارب والمناكح، ولم يبح لهم إلا الطيبات، وبهذا يتبين بطلان قول من أباح تزوج الزواني، كما يؤكد أن الاحصان الوارد في الآية هو العفة. بتصرف، ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ج٢، ص٤١٩-٤٢٠ ، انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٤٢ وانظر: الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن**، ط١، ج٢، (تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص٢٠٦

(١) ابن القيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص٤١٩-٤٢١

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢، ٨٤٨

(٣) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج٢، ص٣٤٢ ،

(٤) انظر: البيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم حرائر أهل الشرك دون أهل الكتاب، وتحريم المؤمنات على الكفار، ج٧، رقم: ١٣٩٨١، ص٢٧٩

(٥) عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ)، **المصنف**، كتاب الطلاق، باب نكاح نساء أهل الكتاب، ط٢، ج٧، رقم:١٢٦٧٣، (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي)، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص١٧٧

ولا يخفى مبلغ قبول الآخر في الحياة الأسرية للمسلم وأخصها بين الزوجين؛ فإباحة الزواج من الكتابية يعني أن تكون شريكة حياة المسلم، وأم أولاده، وأن يكون أخوال أولاده وخالاتهم من غير المسلمين(١).

كما يعني ذلك شمول الزوجة الكتابية ما ورد في الزواج من أحكام، وأهمها ضرورة قيام الحياة الزوجية على المودة والرحمة يقول تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم:٢١].

ولم تكتف الشريعة الإسلامية بإباحة زواج المسلم بالكتابية (الآخر) بل قرر لها حريتها الدينية داخل بيت الزوجية؛ فلها حق أداء عباداتها، والذهاب إلى معبدها أوكنيستها لأداء شعائر دينها، وقد ذكرفقهاء المسلمين حقوقاً عدة للزوجة الكتابية، منها ما ذكره ابن قدامة في كتابه (المغني) التي يظهر من خلالها احترام الإسلام للآخر، واعترافه بحقوقه، ومن هذه الحقوق ما يلي(٢):

١. ليس على المسلم إجبار زوجته الذمية على الاغتسال وهذا عند مالك والثوري ورواية عن أحمد والشافعي.

٢. ليس على الزوج المسلم منع زوجته الذمية من شرب(٣) ما يسكرها؛ لأنها تعتقد إباحته في دينها؛ أما المسلمة فله منعها؛ لأنها تعتقد تحريمه وهذا ما نص عليه أحمد.

ومما يجدر ذكره أن لإباحة الزواج من الآخر (المسلم بالكتابية) حكم بالغة تنطلق من تصور عقدي صحيح فبإباحة هذه الزواج تهيئة لفرص التعارف الإنساني مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣]، كما أن فيه إظهار لمحاسن الإسلام من خلال معاملة

(١) بتصرف، عبد الوهاب، **الإسلام والأديان الأخرى**، ص٢٥

(٢) انظر: ابن قدامة، **المغني لابن قدامة** ، ج٧، ص٢٩٤-٢٩٥

(٣) ربما يعد السماح للآخر بتناول الاطعمة المحرمة كلحم الخنزير من أعلى درجات التسامح معه على الرغم من تحريمه في الإسلام والعلم بتحريمه في أصل ديانتهم ونصوص مصادرهم ففي التوراة " **وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلاً لَهُمَا: (...) إِلاَّ هذه فَلاَ تَأْكُلُوهَا (...) وَالْخِنْزِيرَ، لأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفًا وَيَقْسِمُهُ ظِلْفَيْنِ، لكِنَّهُ لاَ يَجْتَرُّ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. مِنْ لَحْمِهَا لاَ تَأْكُلُوا وَجُثَثَهَا لاَ تَلْمِسُوا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ لَكُمْ**" سفر اللاويين١١: ١-٨. ويقول سفر إشعياء: "**لأَنَّ الرَّبَّ بِالنَّارِ يُعَاقِبُ وَبِسَيْفِهِ عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، (...) الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ وَيُطَهِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْجَنَّاتِ وَرَاءَ وَاحِدٍ فِي الْوَسَطِ، آكِلِينَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَالرِّجْسَ وَالْجُرَذَ، يَفْنَوْنَ مَعًا، يَقُولُ الرَّبُّ**" سفر اشعياء٦٦: ١٦-١٨ وكذلك يقول المسيح موصياً أتباعه" **عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ، ٣فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ**" إنجيل متى٢٣: ٢- ٣ وكذلك تحريم نصوص الكتاب المقدس شرب الخمر يقول سفر اللاويين: "**وَكَلَّمَ الرَّبُّ هَارُونَ قَائِلاً: خَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ (...) فَرْضًا دَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ**" سفر اللاويين ١٠: ٨-٩ ويقول إنجيل لوقا واصفاً علامات الطهر عند الله ليحيى عليه السلام : "**وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ يَشْرَبُ**" لوقا١: ١٥

المسلم لزوجته بالحسنى، وأن يكون قدوة صالحة لها في الصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق وهذا أدعى إلى تعرفها وأهلها على الإسلام عن قرب وبشكل عملي واقعي فيكون ذلك طريقاً إلى الهداية والخير[١].

وقبل الانتهاء من هذه المسالة، ينبغي القول إن الشريعة الإسلامية تواجه قضية جدلية تخص مسألة الزواج من الآخر **وهي زواج المسلمة من الآخر** ولذا كان لزاماً توضيحها وبيان حكم الشرع فيها؛ أما سبب الجدل فيها فيعود إلى اجتماع جمهور علماء المسلمين وفقهائهم[٢] على تحريم زواج المسلمة من الآخر سواء كان كتابياً أو مشركاً لوضوح النص القرآني في التحريم يقول تعالى: **﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** [البقرة:٢٢١] وكذلك يقول تعالى: **﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾** [الممتحنة:١٠] وقد أجمع المفسرون في وضوح النص القرآني في تحريم المسلمة على الآخر[٣].

وقد أورد النسائي في سننه عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال: "خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مِثْلُكَ يَا أَبَا طَلْحَةَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَزَوَّجَكَ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَاكَ مَهْرِي وَمَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَأَسْلَمَ فَكَانَ ذَلِكَ مَهْرَهَا" [٤].

وتؤكد الحِكم الشرعية في تحريم زواج المسلمة من الآخر أن سبب المنع يعود إلى حقيقة الأديان الأخرى، ونظرتها العقدية إلى الآخر. ويتوضح ذلك بما يلي[٥]:

١. إن الإسلام يعترف بالديانتين اليهودية والمسيحية كديانتين منزلتين في الأصل من الله تعالى، وإن كانتا قد نسختا بعد نزول الإسلام ، كما يعتبر الإيمان بجميع الأنبياء

---

(١) بتصرف، أبو العنين، بداران، **العلاقة الاجتماعية بين المسلمين وعير المسلمين في الشريعة الإسلامية،** ص٦٦ ، الصلابي، **الوسطية في القرآن الكريم** ، ص٧١٠-٧١١

(٢) انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت ٤٥٠هـ)، **الحاوي الكبير،** ط١، ج٩، (تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٢٥٥ ، الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،** ط٢، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص٢٧١

(٣) انظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن،** ج٤، ص٣٧٠ ، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن،** ج٣، ص٧٣ ، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم،** ج١، ص٥٨٤ ، رشيد رضا، **المنار،** ج٢، ص٢٧٩

(٤) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، **المجتبى من السنن،** ط٢، ج٦، رقم: ٣٣٤١، (تحقيق عبد الفتاح أبو غدة)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م، ص١١٤

(٥) بتصرف، الموصلي ، والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية،** ص٢٠٣-٢٠٥ ، انظر: أبو العينين، **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين،** ص٨٧

والرسل وما أنزل إليهم من كتب كالتوراة والإنجيل شرطاً لتحقق الإيمان ولا يجوز للمسلم الكفر بها أو سبها، وإذا فعل يكون مرتداً تطبق عليه أحكام الردة كطلاق زوجته منه.

٢. إن اليهودية والمسيحية لا يعترفان بالإسلام ديناً منزلاً من الله تعالى، ولا بمحمد ﷺ نبياً، ولا بالقرآن الكريم كتاباً إلهياً من عند الله تعالى؛ فلو سب اليهودي أو النصراني دين الإسلام ورسوله وكتابه وأعلن تكذيبه لذلك، ولم يكن عليه حرج في نظر ديانته، بل إن تمام إيمانه بدينه أن يعتقد أن الإسلام دين باطل، وأن محمداً مدع للنبوة وإن اعتقد غير ذلك يكون كافراً في نظر دينه.

٣. استقرار الحياة الزوجية وسعادتها إنما يكون بحرص الزوج على شاعر زوجته وخصوصاً فيما يتعلق بعقيدتها وشعائرها الدينية، فكل إهانة من الزوج لزوجته في شعورها وعواطفها بشكل عام، وعقيدتها ودينها بشكل خاص يعرض الحياة الزوجية للانفصال قطعاً.

٤. إن الزوج له رئاسة الأسرة والقوامة على الزوجة، والسيطرة الأدبية عليها في كل شرائع العالم وقوانينه، وله القدرة على التأثير في أفكارها واتجاهاتها أكثر مما للمرأة على الرجل.

٥. إن الرجل أقدر على التطاول على زوجته عند الغضب والخصام، وحين يحتدم الخصام قد يتلفظ الزوج بما يجرح شعور المرأة في دينها ومقدساتها العقائدية فلا بد للمشرع الحريص على إقامة بناء الأسرة على دعائم وطيدة من الحب والتعاون وإيجاد الضمانات القوية التي تحول دون تصدّع الأسرة وشقاء الحياة بين الزوجين.

٦. إن عقيدة الزوج المسلم ضمان بالنسبة للزوجة الكتابية؛ فهو يعتقد بأصل دينها وبأنبيائها وكتابها، ومهما استبد به الغضب فيحرم عليه أن يجرح شعورها الديني بسب أو احتقار، وإلا ارتد عن دينه وبانت منه امرأته.

إذاً فسبب تحريم زواج المسلمة من الآخر يعود إلى مسألة نظرة الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية للآخر المسلم، وعدم اعتقادهما برسالة الإسلام عقيدة وشريعة، وفي ذلك خطورة كبيرة على عقيدة المسلمة ودينها، بينما أباح في المقابل زواج المسلم من الكتابية وتوضيح ذلك "لأن الرجل هو رب البيت والقوّام على المرأة والمسؤول عنها، والإسلام قد ضمن

للزوجة الكتابية في ظل الزوج المسلم حرية عقيدتها، وصان لها بتشريعاته وإرشاداته حقوقها وحرمتها، ولكن ديناً آخر كاليهودية والنصرانية لم يضمن للزوجة المخالفة في الدين أي حرية ولم يصن لها حقها، فكيف يغامر الإسلام بمستقبل بناته، ويرمي بهن في أيدي من لا يرقبون في دينهن إلاً ولا ذمة"[(١)].

ثانياً: بر الوالدين

أمر الإسلام ببر الوالدين والإحسان، إليهما وتحريم عقوقهما، يقول تعالى: ﴿ **قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ [الإسراء:٢٣] وقد قرن الله تعالى برهم والاحسان إليهم بعبادته وتوحيده، و جاء الأمر الإلهي ببر الوالدين عاماً وشاملاً لجميع الناس وليس خاصاً بالوالدين المسلمين فقط، ومن هنا كان للآخر مكانة متميزة في الأسرة المسلمة، وليست أي مكانة! فهو أحد الوالدين أو كلاهما، فلا يعد اختلاف الدين سبباً في عقوقهما، أو النهي عن برهما والإحسان إليهما، بل إن المسلم مأمور بطاعتهما ما لم يأمراه بمعصية والتقرب إليها، فحقهما بالإحسان والبر لا يسقط بكفرهما.

ولعناية الإسلام بالوالدين حتى لو كانا على غير الإسلام فقد وضع العلماء أحكاماً عدة للتنبيه على حقهما وأهمها:

١. وجوب الإنفاق عليهما ورعايتهما، يقول ابن القيم: "والذي يقوم عليه الدليل وجوب الإنفاق وإن اختلف الدينان، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان:١٥]، وليس من الإحسان، ولا من المعروف ترك أبيه وأمه في غاية الضرورة والفاقة، وهو في غاية الغنى، وقد ذم الله تبارك وتعالى قاطعي الرحم، وعظم قطيعتها وأوجب حقها وإن كان كافرة، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾ [البقرة:٢٧] وفي الحديث "لا يَدْخُلُ الْجَنَّة قَاطِعُ رَحِمٍ"[(٢)] و" **اللَّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي،**

(١) القرضاوي، يوسف، **الحلال والحرام في الإسلام**، المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٨٠م، ص١٧٩-١٨٠

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر وصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج٤، رقم: ٢٥٥٦، ص١٩٨١

وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي"[١] وليس من صلة الرحم ترك القرابة تهلك جوعاً وعطشاً وعرياً، وقريبه من أعظم الناس مالاً"[٢].

وهذا يعني أن الأمر بالإنفاق والبر والإحسان للوالدين أمر واجب على كل مسلم حتى لو كان الوالدان كافرين، ومما يذكر أيضاً أن الأمر بالإنفاق والإحسان، والتواصل مع الآخر لا يقتصر على كونه أحد الوالدين؛ بل يشمل أقارب المسلم ورحمه، فالأدلة التي ساقها ابن القيم تأمر بصلة الأرحام على وجه العموم ودون تخصيص، وحتى يتضح ذلك بصورة أخرى فإن الإسلام أباح للمسلم الزواج بالكتابية، وهذا يعني أن لأولاد المسلم رحم وقرابة مع الآخر، فهو من أخواله أو خالاته أو جده وجدته لأمه، ويستحيل أن يبيح الإسلام الزواج من الآخر وهو الأعظم وينهى عن بر الأقارب والرحم منهم، كما أن في الإسلام أحكام أخرى تتعلق بكيفية تعامل المسلم مع الآخر في حياته الاجتماعية؛ كعيادته إذا كان مريضاً، أو الإحسان إليه إذا كان جاراً ممن باب أولى الأمر بصلته إذا كان رحماً أو قريباً.

يقول ابن القيم: وصلة الرحم واجبة وإن كانت للكافر فله دينه، وللواصل دينه، ونفقته واجبة إذا كان غير مقتدر فإنها صلة ومواساة وقد جعل الله للقرابة حقاً وإن كانت كافرة، فالكفر لا يسقط حقوق الرحم في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾ [النساء:٣٦] وكل ما ذكر في هذه الآية فحقه واجب وإن كان كافراً فما بال ذي القربى وحده يخرج من جملة من وصى الله بالإحسان إليه؟ ورأس الإحسان الذي لا يجوز إخراجه من الآية هو الإنفاق عليه عند ضرورته وحاجته، وإلا فكيف يوصى بالإحسان إليه في الحالة التي لا يحتاج إلى الإحسان ولا يجب له الإحسان أحوج ما كان إليه؟ والله سبحانه وتعالى حرم قطعية الرحم وإن كانت كافرة، وترك رحمه يموت جوعاً وعطشاً، وهو من أغنى الناس، وأقدرهم على دفع ضرورته أعظم قطيعة[٣].

المطلب الثاني: العلاقة مع الآخر خارج نطاق الأسرة

---

(١) أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الأدب، ما قالوا في البر وصلة الرحم، ط١، ج٥، رقم: ٢٥٣٩٢، ت(تحقيق كمال يوسف الحوت)، مكتبة الرشد، الرياض، ولى، ١٤٠٩هـ، ص٢١٧

(٢) ابن القيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج٢، ص٤١٧-٤١٨

(٣) بتصرف، ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، **أحكام أهل الذمة**، ط١، ج٢، (تحقيق صبحي الصالح)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١م، ص٤١٨

قررت الشريعة الإسلامية أحكاماً تضبط علاقة المسلم بالآخر خارج نطاق الأسرة، وذلك استناداً لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من نصوص وشواهد، وكما ذكر سابقاً فإن وجود الآخر في المجتمع الإسلامي يحتم على المسلم الاختلاط، به ومزاورته، والتعامل معه بما يضمن للمجتمع وحدته وتماسكه وصلاح أموره ومن هذه الأحكام:

١. ضرورة الإحسان للآخر وصلته إذا كان جاراً لقوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾ [النساء:٣٦].

وقد ذكر الطبري في تفسيره عن نوف بن فضالة الشامي أن معنى قوله (الجار ذي القربى) أي المسلم (والجار الجنب) قال اليهودي والنصراني(١). ويقول القرطبي موضحاً الإحسان المأمور به المسلم مع الآخر في الآية السابقة: "وعلى هذا فالوصية بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلماً كان أو كافراً، وهو الصحيح، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى، والمحاماة دونه"(٢).

وفي السنة النبوية أدلة عدة تؤكد الإحسان للجار حتى لو كان غير مسلم، "فعن مجاهد أن عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"(٣).

وفي حديث آخر عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "قلت يارسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى اقربهما منك باباً"(٤). وهذ يدل أن الإحسان للجار وصلته حق للمسلم وغير المسلم. كما أن الأولية في صلة الجار لقرب الدار وليس للدين أو النسب(٥).

وللإحسان للجار غير المسلم صور عدة منها تقديم الهدايا لهم، كما ورد في قصة عبد الله بن عمرو عندما ذبح الشاة. وكذلك كف الأذى عنه، فمن حق الجار أن يعامل معاملة حسنة دون

---

(١) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٨، ص٣٣٧، ٣٣٩ ، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٢٩٨

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٥، ص١٨٤

(٣) انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، ج٨، رقم: ٦٠١٥، ص١٠، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، ط٢، ج٤، رقم: ١٩٤٣، (تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥م، ص٣٣٣

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشفعة، باب أي الجوار أقرب؟، ج٣، رقم:٢٢٥٩، ص٨٨

(٥) بتصرف، الموصلي، والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ص٨٤-٨٥

سب أو شتم أو قهر أو إذلال، أو أي نوع من المعاملات التي قد تسبب له الأذى. وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك، وربط ذلك بموضوع الإيمان للدلالة على أهميته، وضرورة تجنب فعله. فقد روى البخاري عن سعيد عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه[١].

ومن صور الإحسان إلى الجار غير المسلم أيضاً احتمال أذاه، والصبر على ذلك، لأن ذلك أدعى لتأليف قلبه وهدايته، مما يذكر في ذلك أن التابعي الخليل الحسن بن أبي الحسن البصري، كان له جار نصراني وكان له كنيف على السطح، وقد نقب ذلك في بيته وكان يتحلب منه البول في بيت الحسن، وكان الحسن أمر بإناء فوضع تحته فكان يخرج ما يجتمع منه ليلاً، ومضى على ذلك عشرون سنة، فمرض الحسن ذات يوم فعاده النصراني فرأى ذلك فقال: يا أبا سعيد مذ كم تحملون مني هذا الأذى؟ فقال: منذ عشرين سنة، فقطع النصراني زناره وأسلم[٢].

٢. زيارة الآخر وعيادته إذا كان مريضاً

حث الإسلام على عيادة المريض أياً كان: رجلاً، أو امرأة، أو طفلاً، مسلماً، أو كافراً، لما في ذلك من توطيد للعلاقات الإنسانية والاجتماعية بين المسلم ومن حوله، والقول بمشروعية عيادة المريض عام يشمل الآخر أيضاً وعلى هذا ذهب العلماء، قال الماوردي " وقد عاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سعدا وجابرا، وعاد غلاما يهوديا. ويستحب أن يعود لعيادته جميع المرضى ولا يخص بها قريبا من بعيد، ولا صديقا من عدو، ليحرز بها ثواب جميعهم"[٣]، وجاء في صحيح البخاري "عودوا المريض"[٤].

وقد جزم البخاري بوجوب عيادة[٥] المريض على وجه عام فقال: "باب وجوب عيادة المريض. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الوجوب للكفاية: كإطعام الجائع، وفك الأسير، ويحتمل أن يكون الوارد فيها محمولا على الندب"[١].

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه، ج٨، رقم:٦٠١٦، ص١٠

(٢) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ)، **الإمتاع والمؤانسة**، ط١، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ص٢٤٧

(٣) الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج٣، ص٤

(٤) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهد والسير، باب فكاك الأسرة، ج٤، رقم:٣٠٤٦، ص٦٨

(٥) تباينت آراء العلماء والفقهاء في جواز عيادة المريض غير المسلم والغالب في ارائهم جواز ذلك وفق ضوابط، وتحقيقاً لأهداف تعود بالخير عليه. ومن هذه الآراء ما قاله الشافعية: " لا تستحب عيادة الذمي لكن تجوز إن كان هناك جوار أو قرابة أو نحوهما، كرجاء إسلامه، وفاء بصلة الرحم وحق الجوار" وقد ورد عن أحمد المنع والجواز، كما قال ابن تيمية بجواز عيادة غير المسلم لما في ذلك من مصلحة تأليفه على الإسلام. انظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ)، **المجموع شرح المهذب**،ج٥، دار الفكر،

وفي السنة النبوية شواهد من التعامل النبوي مع الآخر وعيادته حال مرضه، فعن أنس ﷺ قال: "**كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**"(٢).

٣. شهود جنازة الآخر ودفنه وتعزيته

كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً، والاعتقاد بكرامة الإنسان لا يرتبط بدين أو جنس أو لون بل هي كرامة عامة قال تعالى: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء:٧٠]. وكذلك لا تتعلق مسألة التكريم للإنسان في حال حياته فقط بل وبعد موته، ومن هنا لا بد أن يدفن الإنسان مسلماً أو غير مسلماً كما يحرم التمثيل به أو حرقه(٣).

وقد جاءت الشواهد من السنة النبوية واقوال الصحابة على جواز شهود جنازة غير المسلم والقيام بتعزيته باعتباره نفساً مكرمة فعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا(٤)، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ: أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: "أَلَيْسَتْ نَفْسًا" (٥)، وعن عامر الشعبي قال: "مَاتَتْ أُمُّ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَهِيَ نَصْرَانِيَّةٌ فَشَهِدَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ"(٦)

كما أجاز الإسلام للمسلم المشاركة في تشييع الآخر ودفنه إذا كان أحد والديه، فعن سعيد بن جبير قال: مات رجل نصراني وله ابن مسلم فلم يتبعه فقال ابن عباس: كان ينبغي له أن يتبعه، ويدفنه ويستغفر له في حياته، وفي رواية: مات رجل نصراني فوكله ابنه إلى أهل دينه، فذكر ذلك لابن عباس فقال: ما كان عليه لومشى معه، ودفنه، واستغفر له ما كان حياً. ثم تلا

ص١١٢ ، الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م، ص٢٠٣

(١) ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١٠، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ص١١٢ ، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار**، ط١، ج٤، (تحقيق عصام الدين الصبابطي)، دار الحديث، مصر، ١٩٩٣م، ص٢٢

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ج٢، رقم:١٣٥٦، ص٩٤

(٣) انظر: الموصلي، والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ص١٣٦-٢٣٧

(٤) ذكر القاضي عياض اختلاف الفقهاء في مسالة الوقوف بجنازة غير المسلمين، فقال: "مالك وأبو حنيفة والشافعي: أن القيام منسوخ، وقال أحمد واسحاق وابن حبيب: هو مخير وقال الإمام أحمد أن قام لم أعبه وإن قعد فلا بأس" النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٣، ج٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، ٣٧

(٥) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ج٢، رقم: ١٣١٢، ص٨٥

(٦) ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، ج٣، رقم: ١١٨٤٣، ص٣٢ ، انظر: عبد الرزاق، **المصنف**، ج٦، رقم: ٩٩٢٦، ص٣٦

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]"[١].

وقال السرخسي في المبسوط " ولا بأس بأن يغسل المسلم أباه الكافر إذا مات ويدفنه لما بينا أن الغسل سنة الموتى من بني آدم، وهو مع كفره منهم، والولد المسلم مندوب إلى بر والده وإن كان مشركاً. قال الله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] (...) ومن الإحسان والبر في حقه القيام بغسله ودفنه بعد موته[٢]".

ومما يجدر ذكره هنا أن مشاركة المسلم للآخر في تشييع جنازته أو تعزيته يجب ان تقتصر بضوابط، وكذلك كافة العلاقات الاجتماعية معه، فلا يترتب على ذلك مخالفة لما أمر به الإسلام في العقائد أو الشرائع يقول الدكتور الشرباصي: يجوز للمسلم الاشتراك في تشييع جنازة غير المسلم في حدود اللياقة والمجاملة، والعلاقات الإنسانية والاجتماعية بين المسلمين وغيرهم من الناس بشرط أن لا تؤدي هذه العلاقات إلى تحليل حرام أو تحريم حلال (...) ثم قال: وبما أن العقيدة أمر والمجاملة الاجتماعية أمر آخر، فإنه لا يجوز للمسلم أن يشارك في أي عمل يعمل من دين غير الإسلام أو شعائر ملته، كحمل الصليب أو لبس الثياب الخاصة لهم، أو ما شبابه ذلك، لأن المجاملة الاجتماعية بعيدة عن نطاق الدين والاعتقاد والله تعالى يقول في ختام سورة الكافرون: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] [٣].

ومن هنا يظهر أنه لا مانع من اشتراك المسلم في جنازة الآخر وفاء لحق صحبة، أو جوار، أو مصاهرة أوة معاملة دنيوية، إذا كان اشتراكه لا يمس بكرامته كإنسان، ولا بعقيدته كمسلم، ولا يجر إلى مضرة[٤]، وهذا من باب إظهار سماحة الإسلام وسمو تعاليمه، ونظرته إلى الآخر، على اعتبار إنسانيته وكرامته التي خلقه الله عيها.

٤. طعام الآخر وذبائحه

اتفق جمهور الفقهاء على إباحة طعام الكتابي وذبائحه[٥] واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع: أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ [المائدة:٥] وقد

---

(١) ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، ج٣، رقم: ١١٨٤٩، ص٣٣ ، انظر: ابن القيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص٢٠٢-٢٠٣

(٢) السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس (ت ٤٨٣هـ)، **المبسوط**، ج٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣م، ص٥٥

(٣) بتصرف، الشرباصي، **أحمد**، **يسألونك عن الدين والحياة**، ج١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٣٠

(٤) رحمه الله، احمد بري، **أحكام تشييع الجنائز في الفقه المالكي**، مؤسسة الوطينة للكتاب، الجزائر، ١٩٩٢، ص١٢٧

(٥) انظر: الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، **الأم**، ج٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م، ص٦ ، ابن حزم الظاهري ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)، **المحلى بالآثار**، ج٦، دار الفكر، بيروت، ص١٤٣-

فسر أهل اللغة كالجوهري الطعام باللحم وغيره، ولكن الطعام الوارد في الآية هو الذبائح لأن غيرها لم يختلف على حله كالحبوب والفواكه والخضار وعلى ذلك أكثر المفسرين[(١)] وأما في السنة فمنها ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ"[(٢)].

وكذلك روى أنس ﷺ، "أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، فَأَجَابَهُ "[(٣)]، وعن قبيصة بن هُلب عن أبيه قال: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ طَعَامِ النَّصَارَى، فَقَالَ: لا يَخْتَلِجَنَّ فِي صَدْرِكَ طَعَامٌ ضَارَعْتَ فِيهِ النَصْرَانِيَّةَ"[(٤)].

وأما الإجماع فقد انعقد إجماع المسلمين على حِل ذبائح الآخر من أهل الكتاب. يقول ابن تيمية: " ومن المعلوم أن حل ذبائحهم ونسائهم ثبت بالكتاب والسنة والإجماع (...) ما زال المسلمون في كل عصر ومصر يأكلون ذبائحهم، فمن أنكر ذلك فقد خالف إجماع المسلمين"[(٥)]، أما الطعام والذبائح التي تحل للمسلم فقد ضبطه ابن القيم بما أحله الله تعالى لا ما يستحلونه لأنفسهم إذ يقول: " ليس المراد من طعامهم ما يستحلونه وإن كان محرما عليهم، فهذا لا يمكن القول به، بل المراد به ما أباحه الله لهم فلا يحرم علينا أكله، فإن الخنزير من طعامهم الذي يستحلونه، ولا يباح لنا (...) وسر المسألة أن طعامهم ما أبيح لهم، لا ما يستحلونه مما حرم عليهم"[(٦)].

أما سبب إباحة طعام الآخر من اهل الكتاب فيرجع إلى أمرين:

الأول: ديني عقائدي يعود إلى إيمانه بنبي وكتاب سماوي

---

١٤٤ ، القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (المتوفى: ٥٢٠هـ)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ط٢، ج٣، (تحقيق د محمد حجي وآخرون)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص٢٧٢ ، الحموي، أحمد بن محمد مكي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ)، **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، ص٤٠٣

(١) بتصرف، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ج٣، (تحقيق علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ص٢٣٧

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج٦، رقم:٤٤٢٨، ص٩

(٣) أحمد بن حنبل، **مسند احمد**، مسند المكثرين من الصحابة، **مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه**، ج٢٠، رقم: ١٣٢٠١، ص٤٢٤

(٤) أحمد بن حنبل، **مسند احمد**، تتمة مسند الأنصار، حديث هلب الطائي، ج٣٦، رقم: ٢١٩٦٦، ص٢٩٨

(٥) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**،ج٣٥، (تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م، ص٢٣٢

(٦) ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج١، ص٢٥٥ ، انظر: الموصلي، والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ص٢١٥-٢١٦

الثاني: اجتماعي إنساني: فقد أباح الله نساءهم للزواج والانجاب، وبالتالي يكون الأبناء مسلمين تبعاً لآبائهم، فالحل بالنسبة لأهل الكتاب ورد على طعامهم ونسائهم(١).

مما سبق يتبين أن الآخر قد حظي في الشريعة الإسلامية باهتمام واسع، خصوصاً فيما يتعلق بالأحكام التي تضبط العلاقات الاجتماعية مع المسلمين، والتي ترتكز في أساسها على الالتزام بأوامر الله تعالى، فكانت النظرة إلى الآخر، بناءً على ذلك، فالله تعالى أمر بالعدل وحسن المعاملة والمجاملة والاختلاط مع الآخر ولا شك أن ذلك يتحقق بالعلاقات الاجتماعية المنضبطة بأحكام الشريعة الإسلامية، يقول تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة:٨]

---

(١) بتصرف، الدمرداش، فرج، **أحكام الذبائح عند المسلمين وأهل الكتاب**، ط٢، دار المعرفة الأزهرية، الاسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٩٩

المبحث الرابع

شريعة القتال في الإسلام وموقفها من الآخر

بنى الإسلام سياسته الإصلاحية فيما بين المسلمين وأنفسهم، أو فيما بينهم وبين الآخرين من الأمم المختلفة على أساس واضح وبيّن وهو المسالمة والأمان، ليتحقق بذلك التعارف والتعاون، وعمارة الأرض التي خلق الله الإنسان لأجلها؛ فالسلم هو الحالة الأصلية التي تهيء التعارف والتعاون وتشيع الخير بين الناس عامة، وعلى هذا يمنع الإسلام قتل النفس لمجرد أنها تدين بغير الإسلام، ويأبى أن يتخذ الإكراه طريقاً للدعوة إليه ونشر تعاليمه، يقول تعالى: ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس:٩٩] بل يأمر أتباعه بمعاملة الآخرين المخالفين بالحسنى ومبادلتهم المنافع وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة:٨].

ولذلك يحرص الإسلام على السلم أشد الحرص بوصفه الحالة الطبيعية التي تحكم العلاقة بين الناس، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة:٨] ويقول تعالى: ﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾ [النساء:٩٠] وكذلك خطب رسول الله ﷺ أصحابه فقال: "لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا"[١].

ولا يقف الأمر عند ذلك؛ بل إن الله تعالى يأمر نبيه ﷺ أن يجنح إلى السلم حالما يجنح له العدو حتى ولو كان هناك احتمال بأن يكون هذا الجنوح خداعاً؛ لأن المقصود من القتال ضمان حرية المسلمين وأمنهم، وحماية دعوتهم ومصالحهم[٢] وفي هذا يقول تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ **[الانفال:٦١].**

وفي ذلك دلالة على أن الرسول ﷺ ينهى عن الرغبة في القتال وتمنيه حتى مع العدو ويسأل الله أن يديم نعمة السلام[٣].

والإسلام لا يخرج عن هذه الحالة الطبيعية إلا إذا امتدت يد العدوان وتفشت الفتنة والفساد والظلم، وتعرض للإيذاء والتنكيل، من هنا يرى الإسلام ضرورة رد العدوان، ودفع الظلم فيأذن لأهله بذلك، إقراراً للسلم، وإقامة للقسط. ومن هنا شرع القتال[٤] يقول تعالى: ﴿**أُذِنَ**

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الوصايا، باب كان النبي ﷺ إذ ا لم يقاتل اول ، ج٤، رقم:٢٩٦٥، ص ٥١
(٢) بتصرف، دروزة، محمد عزة، **الجهاد في سبيل الله**، دار اليقظة، دمشق، ١٩٧٥م، ص٥٣
(٣) بتصرف، مؤسسة آل البيت، **الحضارة الإسلامية**، ج١، عمان، ١٩٨٧م، ص١٥٦
(٤) انظر: شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص٤٦٥-٤٦٦ ، طبّارة، **روح الدين الإسلامي**، ص٣٩١

لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج:٣٩-٤٠] وعلى الرغم من سماح الإسلام بالقتال لرد الظلم والاعتداء والإيذاء؛ إلا أنه لا يتركه دون ضوابط تمنع أصحابه من إيقاع انتهاكات أو اعتداءات بحق الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [البقرة: ١٩٠]﴾

وبذلك تتضح نظرة الإسلام إلى السلم والقتال. " فالسلم قاعدة، والحرب ضرورة لتحقيق خير البشرية لا خير أمة، ولا خير جنس ولا خير فرد، ضرورة لتحقيق المُثل الإنسانية العليا التي جعلها الله غاية للحياة الدنيا، ضرورة لتأمين الناس من الخوف، وتأمينهم من الظلم، وتأمينهم من الضرر، ضرورة لتحقيق العدل وإيصاله للناس كافة. ولذلك جاء النبي ﷺ ليعلن دعوة الله خالصة دون منّ ولا أجر، وأن يسلك بالدعوة طريق الجدل بالحسنى، والاقناع بالحجة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير قسوة ولا غلظة"[١] يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

مما سبق يظهر أن السلم في نظر الإسلام هو الأصل الذي يحكم جميع العلاقات الإنسانية، وأن القتال ما كان إلا علاجاً لشذوذ طارئ لم تنفع فيه الحكمة ولا الموعظة الحسنة، فيكون بذلك ضرورة حتمية، ولكنها تقدر بقدرها؛ دون بغي ولا عدوان ولا بد من إيضاح أثر هذه النظرة التي يكنها الإسلام لكل من السلم والقتال على الآخر؛ فالأصل في علاقة المسلم معه التعارف والتشارك في التكريم الإنساني، وهذا مقصد سنة الاختلاف الكونية التي خلق الله البشر عليها، ولا يتحقق ذلك بطبيعة الحال إلا من خلال السلم والأمان فينتشر الخير ويقام العدل، وحال وقوع اعتداء وظلم وفساد يرى الإسلام في القتال ضرورة للرجوع إلى قاعدة السلم؛ ليسود الخير في البشرية جمعاء، وهذا يشمل جميع الناس وليس خاصاً بفئة أو أمة أو جنس بعينه.

المطلب الأول: غايات القتال في الإسلام وأثرها على الآخر

انطلقت شريعة القتال في الإسلام بأهداف ثابتة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجوهر دعوته وغاية وجوده، وهو الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبودية، وهداية الناس وتحريرهم من أغلال العبودية لغيره؛ كالمال والثروة والسلطة والجاه؛ ولسمو هذا الهدف ورفعته، وخلوه من سيطرة أهواء البشر وشهواتهم وأنانيتهم جاءت نتائج هذا التشريع موائمة لذلك، فليس هناك انتهاك لحقوق الآخر.

(١) الشرقاوي، عثمان، **شريعة القتال في الإسلام** ص٣٣

وغايات القتال في الإسلام توضحها أول الآيات القرآنية نزولاً في تشريعه والإذن به[(١)]، يقول تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [الحج:٣٩] فالآية الكريمة تؤكد أموراً عدة منها: أن هدف القتال في الإسلام دفع الظلم والبغي وإزالة أسبابه، وليس تحقيقاً لمكاسب مادية ومطامع شخصية، واسترقاق الناس وإذلالهم. فالله تعالى "أمر المسلمين بكل حزم ألا يظهروا أبداً أي ضعف في مواجهة من يحاول سلب حقوقهم الإنسانية، ومن يوقع بهم الظلم والقهر، أو من يعمل على سلب حرية الإيمان والضمير، ومن يمنعهم من الحياة طبقاً لتعاليم دينهم، أو من يود إثارة الفوضى والفساد داخل النظام الاجتماعي"[(٢)] وفي الآية توضيح لمبلغ الظلم الذي وقع على المسلمين، وتعليل لسبب السماح بالقتال؛ فقد أخرجوا من ديارهم بغير حق لقولهم ربنا الله، قال ابن العربي: "قال علماؤنا كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب، ولم تحل له الدماء؛ إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل مدة عشرة أعوام لإقامة حجة الله تعالى عليهم فاستمر الطغيان (...) وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم، فمنهم من فرّ إلى أرض الحبشة، ومنهم من خرج إلى المدينة، ومنهم من صبر على الأذى، فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا أمره، وكذبوا نبيه عليه السلام وعذبوا من آمن به ووحده وعبدوه وصدق نبيه عليه السلام واعتصم بدينه أذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم"[(٣)].

ثانياً: إن الغاية التي من أجلها شرع القتال في أول ظهور له في القرآن الكريم، تهدف إلى حماية أماكن العبادة لدى الآخر وما يعتقده من توحيد الله تعالى، قال ابن خويز منداد: "تضمنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذمة، وبيعهم، وبيوت نيرانهم، ولا يتركون أن يحدثوا ما لم يكن، ولا يزيدون في البنيان لا سعة ولا ارتفاعاً، ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها ولا يصلوا فيها"[(٤)] ، فجاء الإذن بالقتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة، وقد ذكر القرطبي في تفسيره أن تشريع القتال أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع، واجتمعت المتغيرات؛ ولولا ما

---

(١) يذكر القرطبي في تفسيره أن هذه الآية هي أول آية نزلت في القتال قال ابن عباس وابن جبير: "نزلت عند هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة" القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٢، ص٦٨

(٢) المودودي، أبو الأعلى، **شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية**، ط١، (ترجمة سمير عبد الحميد)، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٤١ ، انظر: خان، محمد ظفر الله، **الإسلام والإنسان المعاصر**، ص١٣٨

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٢، ص٦٩

(٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط١٢، ص٧٠

شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء؛ لاستولى أهل الشرك، وعطلوا ما بينته الديانات الأخرى من مواضع العبادة، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة[١].

وعلى هذا يتوضح ان القتال في الإسلام لم يشرع لأجل إرغام الآخر على الإسلام وإجباره عليه، وأن مقاصده النبيلة وأخلاق مقاتليه العالية كانت سبباً في نشر الإسلام في الآفاق، يقول الأستاذ العقاد: "يحسن بنا أن نلقي نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر؛ نعلم أن السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين إلا القليل مما عمله الإقناع والقدوة الحسنة، فإن البلاد التي قلت فيها حروب الإسلام هي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم، وهي بلاد إندونيسيا والهند والصين وسواحل القارة الافريقية (...) فإن عدد المسلمين فيها قريب من ثلاثمائة مليون (...) ونقارن بين هذه البلاد والبلاد التي اتجهت إليها غزوات المسلمين لأول مرة في صدر الدعوة الإسلامية وهي بلاد العراق والشام؛ فإن عدد المسلمين فيها اليوم قلما يزيد على عشرة ملايين، يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود (...) ومن المفيد في هذا الصدد أن نعقد المقارنة بين البلاد التي قامت فيها الدولة الإسلامية، والبلاد التي قامت فيها الدولة المسيحية من القارة الأوروبية، فلم يبق في هذه القارة أحد على دينه الأول قبل دخول المسيحية، وقد أقام المسلمون قروناً في الأندلس، وخرجوا فيها وأبناؤهم اليوم كلهم مسيحيون"[٢].

ويؤكد هذا ما أورده المؤرخ الانجليزي (أرنولد) حيث يقول: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناندو وإيزابيلا دين الإسلام في إسبانيا"[٣] وهذا يعني أنه لو كان القتل والاضطهاد للآخر هو غاية القتال في الإسلام لما وجد مسيحي أو يهودي في بلاد الإسلام اليوم، كما فعل فرديناندو وإيزابيلا بمسلمي الأندلس؛ ولكن الإسلام انتشر بتسامحه وموعظته بالحسنى، ولم يكن تشريع القتال فيه للظلم والتنكيل بالآخر، بل لحمايته، والذود عن حقوقه.

كما يؤكد القرآن الكريم خلو شريعة القتال في الإسلام من أي أغراض دنيوية ومكاسب مادية، يؤدي السعي في تحقيقها إلى ظلم الآخرين واستعبادهم يقول تعالى: ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا**

---

(١) بتصرف، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٢، ص٦٩-٧٠

(٢) الشرقاوي، **شريعة القتال في الإسلام**، ص٣٦-٣٧

(٣) أرنولد، توماس، **الدعوة إلى الإسلام**، ط٣، (ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عبدين)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٩٨-٩٩

عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٤] ويقول تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾** [النساء:٧٥] ففي هاتين الآيتين إشارة إلى أن القتال في الإسلام مرهون بتحقيق العدالة في الأرض، ورفع الظلم عن المستضعفين الذين فقدوا النصير والمعين، واستغاثوا بالله، دون أن يكون هناك غاية شخصية أو علو في الأرض[١].

وتدلل نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية على الغايات والأهداف التي شرع القتال لأجلها، وأثرها المباشر على الآخر من خلال مشاهد عدة: منها امتداح الله تعالى الجهاد والمجاهدين الذين يتمتعون بالأخلاق العالية، المبرأة من الإجرام والنهب والسلب، يحدوهم في المقام الأول هداية الناس ودخولهم في دين الله تعالى، في أسمى صور التهذيب النفسي الذي رافقته أحكام نبوية تفصيلية في النهي عن سلب الآخر منهجه، وقتل الأطفال والنساء وغيرها من معاني الرحمة[٢]. يقول تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** [البقرة:٢١٨]

المطلب الثاني: سلوك المسلم نحو الآخر في القتال

يخضع تعامل المسلم مع الآخر في ساحات القتال إلى قواعد وضوابط محددة تعتمد في أساسها على اعتبار أن "الحرب ضرورة، والضرورة تقدر بقدرها في قواعد الإسلام، فيلزم تخفيف الويلات بقدر الإمكان، والمحافظة على الكرامة الإنسانية، والتزام قواعد الرحمة والفضيلة والأخلاق العالية، والعدالة المطلقة، والكرامة الإنسانية"[٣]، وهذا يعني أن الإسلام شرع القتال وأباحه بعد أن أحاطه بسياج من الرحمة والتسامح، ما لم تبلغه مدنية القرن العشرين فسن لذلك قواعد وأحكاماً[٤] ومن القواعد والضوابط التي تحكم سلوك المسلم نحو الآخر في القتال متعددة وأهمها:

أولاً: التمسك بالعقيدة وطاعة الله تعالى في السر والعلن، وتحري رضاه بلا رياء ولا سمعة، ولا بغياً ولا عدواناً، ومعلوم أن طاعة الله ورضاه تستلزم من المسلم الانضباط والتقيد بما جاء به الدين من أحكام في حق نفسه والآخر، ولهذا كان عمر بن الخطاب يوصي جيوش المسلمين قائلاً: "إنكم إنما تفضلون المشركين بطاعة الله، فإن ساويتموهم في المعصية تفوقوا

---

(١) طبّارة، **روح الدين الإسلامي**، ص٣٩٥

(٢) بتصرف بسيط، المعايطة، عطا الله بخيب، **الأسس الشرعية والأخلاقية للحرب في السيرة النبوية**، ط١، الدار الأثرية ، عمان ٢٠١٣م، ص٣٤

(٣) مؤسسة آل البيت، الحضارة الإسلامية، ج١، ص

(٤) بتصرف، طبارة، **روح الدين الإسلامي**، ص٣٩٧

عليكم بكثرة عددهم وعدتهم"[١] المقصود أن يكون القتال مع الآخر مستنداً لقاعدة الإحسان وهو كلمة جامعة لكل معاني الخير والسمو[٢].

ثانياً: النهي عن الإفساد في الأرض وانتهاك كرامة الإنسان؛ لأن القتال في الإسلام لم يشرع إلا لإعلاء كلمة الله تعالى التي يتحقق بها العدل، وصلاح الناس، وتحريرهم من الطغيان والاستبداد، ويمثل هذه القاعدة حديث رسول الله ﷺ عن أنس بن مالك أنه قال: "انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلا امْرَأَةً، وَلا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[٣] وعن صفوان بن عسال قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَقَالَ: سِيرُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ تُقَاتِلُونَ عَدُوَّ اللهِ، وَلا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلا تُمَثِّلُوا[٤]، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا"[٥].

كما يؤكد ذلك وصية أبي بكر الصديق لقائد جيش الشام يزيد بن أبي سفيان: "إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله عز وجل، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له... وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن"[٦]. وللالتزام المسلم بهذه القاعدة أثر واضح في سلوكه نحو الآخر؛ فعدم قتل النساء والأطفال والشيوخ يدل على التزام المسلم باحترام النفس الإنسانية حتى لو كان ذلك في ساحات القتال، وقد وصف الإسلام هذه الأفعال بالفساد، وقد كان ذلك عادة الأمم الأخرى أثناء الحروب؛ ففي أثناء سيرها تخرب المحاصيل، وتدمر الحقول، وتقتل أهل القرى، وتشعل الحرائق[٧] ولذلك نهى الإسلام عنها بشدة يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة:٢٠٥]، من تحريم التخريب، وقطع الأشجار، وقتل الحيوانات، وحرق النخل، كل ذلك يعني أن سلوك المسلم في القتال والتزامه بضوابط الشرع لا

---

(١) مكرم عبد العال سالم، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع** ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٦٣
(٢) بتصرف، التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية، ص٢٦٠-٢٦١
(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، ج٣، رقم: ٢٦١٤، ص٣٧
(٤) **وقوله «ولا تمثلوا» هو من حد دخل والاسم منه المثلة وهو أن يجدع المقتول أو يسمل أو يقطع عضو منه.** نجم الدين النسفي، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل (ت ٥٣٧هـ)، **طلبة الطلبة**، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١هـ
(٥) ابن ماجة، **سنن ابن ماجه**، كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، ج٢، رقم: ٢٨٥٧، ص٩٥٣
(٦) البيهقي، **سنن الكبرى**، جماع أبواب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما، ج٩، رقم: ١٨١٤٨، ص١٥٣ ، انظر: البغوي ، **شرح السنة**، ج١١، ص٤٨
(٧) بتصرف، المودودي، **شريعة الإسلام في الجهاد**، ص١٧٤

تقتصر على الآخر أي الإنسان فقط؛ بل الأشجار والحيوانات والجمادات أيضاً، وبالتالي يحقق القتال غايته وهدفه المنشود.

ثالثاً: النهي عن المثلة والتعذيب والتنكيل والتحريق في التعامل مع الآخر، ومعلوم أن المثلة التي تعد من مستنكرات الطبع الإنساني السليم كانت شائعة قبل الإسلام؛ فالرومان كانوا يقلعون ألسنة من غلبوا عليهم من أعدائهم، والفرس كانوا يسلخون جلد قائد العدو ويملأونه بالتبر ويعرضونه للعامة؛ أما الإسلام فقد حرّم جميع المستنكرات العقلية والإنسانية، وعدها من المعاصي، ولم يبح للمسلمين إلا المعاملة بالمثل إن أرادوا ذلك، وفي نفس الوقت رغبهم ترغيباً نحو الصبر، وصرح أن الصبر خير من المعاملة بالمثل(١).

ومثال ذلك ما حدث مع المسلمين في غزوة أحد ٣هـ حيث قام المشركون بالتمثيل بشهداء المسلمين بكل وحشية، كما مثل بحمزة بن عبد المطلب ﷺ حتى إن هنداً زوجة أبي سفيان قد بقرت بطنه ولاكت كبده، ولما رآه رسول الله تأثر كثيراً وقال: "والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك" فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾ [النحل:١٢٦]"(٢).

وهناك أحاديث أخرى تنهى عن المثلة وتحرمها فقد روى البيهقي عن سموة بن جندب أنه قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ المُثْلَةِ"(٣) وكذلك نهى رسول الله عن الإحراق بالنار، وقد كانت هذه عادة وحشية متبعة عند الأمم السابقة ولذلك قال رسول الله ﷺ: "لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّار"(٤).

رابعاً: النهي عن قتال الآخر قبل إعلامه بمدة تفي وصول خبرها إليه(٥)، وهذا يتلاءم مع غايات القتال في الإسلام ومقاصده، فهداية الناس وإزالة العوائق، ورفع الظلم هي الهدف الأسمى، وليس المغنم أو القتل والسبي، أو إذلال الآخرين غاية القتال وهدفه(٦)، ولذلك دعا الرسول أصحابه إلى التمسك بقاعدة هامة من قواعد القتال على اعتبار أنه ضرورة، هي الإنذار

---

(١) بتصرف، الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ص٧٧ ، مؤسسة آل البيت، **الحضارة والإسلامية**، ج١، ص١٨٩

(٢) الحسيني، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ج١، ص٧٧ ، انظر: محيي السنة البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، **تفسير البغوي**، ط١، ج٣، (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص١٠٤ ، انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، ط١،ج٣، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، ص٢٤٥

(٣) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة، ج٣، رقم:٢٦٦٧، ص٥٣

(٤) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة، ج٣، رقم:٢٦٧٥، ص٥٥

(٥) بتصرف، شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص٤٦٧

(٦) بتصرف، المعايطة، **الأسس الشرعية**، ص٤٥

والإعلان والدعوة قبل الهجوم، والمتابعة، وتعد من آداب الإسلام العالية في القتال، حتى لا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة للآخر من جانب المسلمين. يقول تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ [الانفال:٥٨]، ففي غزوة خيبر دعا النبي ﷺ علياً وقال علي مستوضحاً: نقاتلهم حتى يكون مثلنا فقال رسول الله: "عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"[(١)].

خامساً: النهي عن إساءة معاملة الأسرى أو التنكيل بهم، فضلاً عن قتلهم، وقد وضع الإسلام في ذلك قاعدة إنسانية فاضلة تمثلها الآية الكريمة ﴿**فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**﴾ [محمد: ٤] وكما جعل إطعامهم من صفات الأبرار المقربين إلى الله ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨][(٢)].

وقد طبق هذا الأمر واقعاً مشهوداً؛ فقد روى ابن إسحاق عن نبيه بن وهب، أن عزيز بن عمير كان أسيراً "قال كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا"[(٣)] وقد طبق المسلمون هذه القاعدة في معظم حروبهم مع الآخر، فهذا صلاح الدين الإيوبي في فتح حطين ١١٨٧م واسترجاع بيت المقدس يعامل الأسرى الصليبيين برفق ويمنهحهم الأمان والرعاية والكرامة، حيث عمد إلى الموافقة على إخراجهم من بيت المقدس محروسين بالجيش الإسلامي، وأوصلهم آمنين إلى مدينة صور[(٤)].

مما سبق يتبين أن الإسلام عدّ القتال ضرورة وخروجاً عن الأصل؛ ولذلك عمد إلى الجمع بين أمرين، **الأول:** تحقيق الغاية من القتال التي تتمثل في دفع الاعتداء ورفع الظلم والطغيان، والأمر **الثاني:** المحافظة على كرامة الإنسان، وقيمته، وحقوقه، وضبط التعامل معه وفق ميزان الشرع.

وعلى هذا يكون الإسلام قد **جمع بين قتال الآخر والتسامح معه،** وقد شهد لذلك مؤرخو الغرب، يقول جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) "إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، ج٤، رقم: ٢٩٤٢، ص٤٧
(٢) شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، ص٤٦٧ ، انظر: الشرقاوي، **شريعة القتال في الإسلام**، ص٥٣
(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ج٢، ص٢١٧
(٤) بتصرف، مكرم، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع** ، ص١٥٠-١٥١

بين الجهاد والتسامح نحو اتباع الأديان الأخرى الذين غلبوهم وتركوهم أحراراً في إقامة شعائرهم الدينية"[١]

وفي ظل تشريع الإسلام للقتال عمد إلى ضبط سلوك المسلم نحو الآخر بقواعد تستوجب تخفيف ويلات الحرب؛ من تجنب الإفساد، والتنكيل بالآخر، والمثلة، والإيلام الشديد، أو إتلاف مالا تدعو الحاجة إلى إتلافه، "لأن الإسلام ما قصد من تشريع القتال إزهاق الأرواح، وتعذيب عباد الله وتدمير المدنيات وتقويض صرح الحضارات؛ وإنما أراد نشر دعوة الإسلام من أجل خير البشرية قاطبة ودفع العدوان وحماية المسلمين ودعوتهم من الاعتداء فهو وسيلة لا يلجأ إليها إلا للضرورة تقدر بقدريها"[٢].

(١) طبّارة، **روح الدين الإسلامي**، ص٤١١
(٢) مؤسسة آل البيت، **الحضارة الإسلامية**، ج١، ص١٩٠-١٩١

الباب الثالث

شواهد تاريخية في التعامل مع الآخر بتن الأديان الثلاثة

الفصل الأول

نماذج من التاريخ اليهودي في التعامل مع الآخر.

المبحث الأول

اليهود في المدينة المنورة

المطلب الأول: موقف اليهود من الآخر في المدينة المنورة

هاجر اليهود إلى المدينة المنورة بعد تدمير أورشليم على يد تيطس الروماني عام ٧٠م، حيث استقرت جموع من المهاجرين اليهود شمالي الحجاز، وكانت منهم بطون بني النضير وبني قينقاع، وبني قريظة.

وقد تعددت مكائد اليهود ومؤامراتهم ضد الآخر في المدينة المنورة، على الرغم من كل ما تمتعوا به من حرية وحقوق في ظل الوجود الإسلامي، كما يؤكد تاريخهم نقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها مع رسول الله، أو بمعنى آخر رفضهم قبول الآخر من خارج عرقهم وديانتهم، فقد تعقبوه بالمكر والخداع، وإذكاء نار الفتن والدس والإرجاف، ويمكن مناقشة ذلك من خلال شواهد تاريخية متعددة منها:

أولاً: محاولة الإطاحة بالإسلام والقضاء عليه

حوى القرآن الكريم آيات كثيرة تبدو من خلالها خطورة الدور الذي قام به اليهود ضد النبي ﷺ ودعوته ، ومن ذلك مناصرتهم لكفار قريش وتأييدهم على عبادة الأوثان، والطعن في دين الإسلام ، حيث كانوا يؤكدون لهم أن الأوثان أفضل من دين الإسلام، وأنفع لهم، وقد قصّ ابن هشام ذلك في سيرته، حيث ذكر أن أهل قريش كانوا يسألون اليهود فيقولون : "يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه"[(١)]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾ [النساء:٥١].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية** ، ج٣، ص١٧٠

وأما مسلكهم في الطعن بالإسلام والكيد له فقد اتبعوا بذلك طرقاً عدة منها، تتبعهم الرسول ﷺ بالأسئلة ليحرجوه، حتى يتمكنوا من زلزلة الإيمان في نفوس أتباعه فطلبوا إليه كتاباً من السماء، وقد هوّن الله أمرهم على رسوله، فقال تعالى: ﴿**يسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء:١٥٣] ، وقد أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: "جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله ، فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك! فأنزل الله : ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ**﴾ [النساء:١٥٣]"(١)، ومن قبيل الأسئلة المتعنتة والمحرجة أيضاً سؤالهم رسول الله عن الروح قاصدين من ذلك إحراجه والإساءة إليه، لا بقصد المعرفة والوصول إلى الحق، فقد جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال:"بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رأيكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي، قال: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: ٨٥]"(٢).

ومن الأساليب التي اتبعها اليهود أيضاً للقضاء على الإسلام، ومحاولة رد المسلمين عن دينهم إظهارهم الإيمان لفترة من الوقت ثم رجوعهم بعد ذلك إلى الكفر، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنهم في سورة آل عمران: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [آل عمران:٧١-٧٤]

ويتحدث الشيخ محمد عبده عن أثر هذه الطريقة في نفوس أتباع دين الإسلام، ودورها في خلخلة عقيدة ضعاف العقول والإيمان. حيث يقول : "هذا النوع الذي تحكيه الآية من صد اليهود عن الإسلام مبني على قاعدة طبيعية في البشر، وهي أن من علامة الحق ألا يرجع عنه

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ج٩، ص ٣٥٦

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ويسألونك عن الروح، ج٦، رقم الحديث: ٤٧٢١، ص٨٧ ، مسلم، **صحيح مسلم**، ج٤، رقم الحديث: ٢٧٩٤ ، ص٢١٥٢

من يعرفه، وقد فقه هذا (هرقل) ملك الروم، فكان مما سأل عنه أبا سفيان من شئون النبي ﷺ عندما دعاه إلى الإسلام: هل يرجع عنه من دخل في دينه؟ فقال أبو سفيان: لا" وقد أرادت هذه الطائفة أن تغش الناس من هذه الناحية ليقولوا: لولا أن ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه، واطلعوا على باطنه وخوافيه؛ إذ لا يعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته، ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب"(١).

كما أظهرت الآيات السابقة جانباً من عنصرية اليهود ضد الآخر وما يحمله من فكر وعقيدة حتى ولو كانت حقاً في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾ [آل عمران:٧٣] حيث تواصوا بينهم بألا يذعن أحد منهم لغير يهوديته، وألا يظهروا سرهم وما عندهم من دلائل على صدق النبي إلا لمن اتبع دينهم(٢).

ومن الأساليب التي اتبعها اليهود في حق الآخر المسلم أسلوب الاستهزاء والتهكم والسخرية بشعائر المسلم وعباداته، وقد فضح القرآن الكريم مسلكهم هذا في سورة المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة:٥٧-٥٨]، فقد بينت الآيات استهزاء اليهود بشعيرة الصلاة وهي أخص شعائر الدين وسخريتهم منها؛على الرغم من أن المسلمين منحوهم حرية في ممارسة دينهم وتطبيق شعائره، يقول الإمام القرطبي واصفاً حال اليهود وسخريتهم من الصلاة عند المسلمين: "كان إذا أذن المؤذن، وقام المسلمون إلى الصلاة، قال اليهود: قد قاموا لا قاموا، وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا، وقالوا في حق الأذان : لقد ابتدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم، فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟، فما أقبحه من صوت، وما أسمجه من أمر. وقيل إنهم كانوا إذا أذن مؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم، وتغامزوا على طريق السخف والمجون، تجهيلاً لأهلها، وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي إليها"(٣).

---

(١) رضا، **تفسير المنار**، ج٣، ص٢٧٥

(٢) بتصرف، طنطاوي، **بنو إسرائيل في الكتاب والسنة**، ص٢٠٠

(٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ج٦، ٢٢٤ ، انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، ط١، ج٦، (تحقيق د. عبد المعطي قلعجي)، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ، ص ٢٧٤ ، نظر: المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، ط١، ج١٤، (تحقيق محمد عبد الحميد النميسي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ، ص٩٢

ثانياً: السعي لإيقاد الفتن والحروب

اشتغل اليهود في المدينة المنورة في إشعال الفتن وإيقاد نار الحروب قبل مجيء الإسلام، ويعد تاريخ الحروب بين قبيلتي الأوس والخزرج شاهد على ذلك ؛ حيث يذكر وقوف اليهود خلفها ودأبهم في إشعال فتيلها[١]، وبعد مجيء الإسلام وإقراره وثيقة المدينة، لم يستطع اليهود تقبل فكرة الالتزام بالعهود، فسعوا جاهدين إلى نقضها عند أول فرصة تلوح لهم، ومثال ذلك ما حدث بعد غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، فبعد أن منّ الله على المسلمين النصر ظن المسلمون أن اليهود سيكونون أشد الناس فرحاً؛ لأنهم أهل كتاب وجيران معاهدون؛ ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد أشاعوا بين الناس مقتل الرسول، ومقتل أصحابه وانهزامهم[٢].

ومثال ذلك ما فعله كعب بن الأشرف، يقول الشيخ الزرقاني: كان كعب بن الأشرف قد عاهد النبي ﷺ ألا يعين عليه أحداً ، فنقض العهد، وسب النبي ﷺ، وسب أصحابه، وكان من عداوته أنه لما قدم البشيران (زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحه) يخبران بقتل من قتل من قريش ببدر، وأسر من أسر منهم، قال كعب: أحقاً هذا؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما أيقن الخبر ورأى الأسرى مقرنين، كبتَ وذلّ وخرج إلى قريش يبكي قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي ﷺ ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ... [٣].

ولم يكتف اليهود بإطلاق الإشاعات ونقض العهود والفتن؛ بل لجأوا إلى تأكيد ذلك بالفعل، رغبة منهم في إشعال فتيل حرب لا تهدأ حتى تأتي بآخرهم تطبيقاً لشريعتهم في القتال لولا تدارك رسول الله الأمر، حيث يذكر تطاول قبيلة بني قينقاع واعتداؤهم على امرأة مسلمة قدمت إلى سوقهم وجلست إلى صائغ منهم، فجعلوا يريدون كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت

---

(١) بتصرف، سعفان، كامل، **اليهود تاريخاً وعقيدة**، ط٢، القاهرة: دار الاعتصام. ، ص٢٧

(٢) بتصرف، طنطاوي، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، ص٢٥٥-٢٥٦ ، وانظر: الواقدي، **المغازي**، ط٣، ج١، ص١١٥

(٣) بتصرف، الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي (ت١١٢٢هـ)، **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، كتاب المغازي، قتل كعب بن الأشرف وهي سرية محمد بن مسلمة، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ص٣٦٨

اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، ووقع الشر بينهم وبين بني قينقاع[١].

وبناء على هذا التحدي السافر الذي أظهره اليهود تجاه الآخرين من المسلمين لم يبق أمام الرسول ﷺ إلا مقاتلتهم وإيقافهم عند حدهم؛ لأن في تركهم والعفو عنهم تطاول على المسلمين وتعرض المدينة للضياع وطمع الأعداء، وانتشار الدسائس والفتن؛ لذلك سار رسول الله إلى بني قينقاع في شوال من السنة الثانية بعد الهجرة وحاصرهم مدة خمس عشرة ليلةً حتى نزلوا لحكمه فأجلاهم من المدينة[٢].

وفي سياق الحديث عن حياكة الفتن للآخر، ونقض العهود والمواثيق، تجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود وجدوا في هذه الطرق السبيل الوحيد للوصول إلى السيادة والتسلط على الشعوب الأخرى، فالإبقاء على حالة النزاع والفوضى والحروب يؤمن الطريق نحو هدفهم المنشود الذي تغذيه جملة الاعتقادات والشرائع المجحفة بحق الآخر. وموقف يهود بني قريظة أيضاً يؤكد ذلك حيث رفضوا التعايش مع الآخر المسلم بسلام وأمان، وأصروا على إشعال فتيل الحروب والقتل، وتذكر المصادر التاريخية أن يهود بني قريظة خططوا لقيام حرب تشبه الحروب العالمية التي نشبت في العصر الحديث؛ رغبة في الانتقام من المسلمين، حيث أسرع حيي بن أخطب ومعه نفر من اليهود إلى أهل مكة من بني غطفان وقبيلة بني مرة وفزارة وأشجع وسليم وأسد، يستنفرونهم لحرب المسلمين معلنين لهم الولاء والطاعة والنصرة موجبين عليهم قتال محمد وأتباعه واستئصال وجودهم ونجحوا في تجميع الأحزاب من شتى الأقطار حتى أحاطت المدينة المنورة؛ ولكن رسول الله وقد أيده الله تعالى بالنصر والتوفيق من عنده وبعد مشورة أصحابه تم حفر خندق في الجهة الشمالية وتحصين المدينة ولم ينته عمل اليهود عند هذا الحد بل أخذوا يبثون الشائعات داخل المدينة ويتحسبون على المسلمين، وقد كفى الله المؤمنين شر الاحزاب فسار الرسول إلى حصون بني قريظة وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة فانهاروا لذلك وطلبوا تحكيم سعد بن معاذ فحكم بقتل رجالهم وسبي نسائهم وتقسيم أموالهم[٣].

---

(١) بتصرف، ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٤٠-٤١ ، انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**، ج٣، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٣٩٥ هـ، ص٦ ، انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط٢، ج٢، (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ، ص١٤٦

(٢) بنصرف، الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط٣،ج٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧ هـ، ص٤٨٠

(٣) انظر، ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص١٨٨

ثالثاً : انتهاج سياسة القتل والاغتيالات

ذكر سابقاً شغف اليهود وحبهم للقتل، فهو غاية في حد ذاته، وعقيدة توصلهم إلى تحقيق أهدافهم وبسط سلطتهم على الأرض التي وعدهم الرب بامتلاكها، كما تبين أن سياسة القتل والإبادة والإفناء للآخر كان شغل اليهود الشاغل أينما حلوا وارتحلوا .

ولعل أبرز الأمثلة على محاولات القتل التي دبرها اليهود في المدينة محاولتهم قتل الرسول ﷺ أكثر من مرة وهذا ليس بالأمر المستغرب؛ فقد سجل التاريخ انتهاكاتهم بحق الأنبياء، فقد طالت أياديهم أنبياء الله تعالى، ولم يكتفوا بتكذيبهم و الإعراض عن شريعتهم وحسب؛ وإنما أعملوا فيهم السيف وآلة القتل بكل وحشية وإجرام، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع عدة يقول تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ** ﴾ [المائدة:٧٠](١).

وكذلك كان حال يهود بني النضير في محاولتهم قتل الرسول ﷺ بعد ذهابه إليهم مع أبي بكر وعمر؛ ليستعين بهم في شأن دية القتيلين من بني عامر حسب المعاهدة المعقودة معهم، وقد روى ابن هشام في سيرته تخطيطهم لهذه الجريمة بقوله: ثم خلا بعضهم إلى بعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه – ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد – فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فقال أحدهم أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة(٢).

وبعد فتح خيبر قام اليهود بمحاولة جديدة لقتل الرسول؛ حيث أهدت إليه يهودية شاة مشوية مسمومة، وكان مع الرسول وقتها بشر بن البراء، فلما لاك الرسول منها مضغة لم يسغها فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ولما سأل الرسول المرأة اعترفت بذلك فقال لها رسول الله: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز الرسول عنها، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل، وروي أن رسول الله قال في مرضه لأخت بشر بن البراء وكانت تكنى بأم بشر: يا أم بشر: إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر (٣).

---

(١) انظر: [النساء:١٥٥-١٥٧] ، [البقرة:٨٧]

(٢) بتصرف بسيط، ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص١٥١

(٣) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب قبول الهدية من المشركين، ج٣، رقم الحديث:٢٦١٧، ص١٦٣ ، وبتصرف، ابن هشام ، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٢٦٢ ،

وهذه الرواية وغيرها تظهر أن هذه المحاولة التي أقدمت عليها اليهودية لم تكن وليدة نزوة حقد فردية؛ بل قد تكون تدبيراً جماعياً من جميع اليهود الموتورين بفتح خيبر، وهذا ديدن اليهود منذ سالف الأزمان، فلا يذكر التاريخ إلا مكائدهم مع الآخر.

مما سبق تُظهر النماذج السابقة صورة واقعية صادقة حول نظرة اليهود للآخر في المدينة المنورة ، وسلوكهم تجاه أهلها، ومحاولاتهم العقيمة لقطع كل أنواع العلائق والمعاملات معه، وإنهاء حالة التعايش والسلام والأمان، وما هذا إلا تطبيق عملي واقعي لما يؤمنون به من معتقدات، تجعل منهم شعب الله المختار المستحق للسيادة، المتحكم في الآخر المستعبد له، والتي تملكهم الأرض، وتجعل منهم مركز الخلاص ومحوره .

المبحث الثاني

اليهود في فلسطين

تعد فلسطين أنموذجاً واقعياً حديثاً يجسد نظرة اليهود العقدية والشرعية للآخر، فعلى أرضها سطرت فصول أعظم مؤامرة تاريخية ضد الإنسانية والآخر، وقد لعبت كتابات عزرا التي دونها في التوراة بعد رحيل موسى بخمسة قرون دوراً هاماً في تثبيت العقائد والشرائع العنصرية ضد الآخر، وأهمها عقيدة الميثاق الإلهي المزعوم التي تقضي بتملك اليهود أرض فلسطين، وضرورة اغتصابها من أصحابها الأصليين، تقول التوراة: " **ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ**"(١). وكذلك توجه التوراة سلوك اليهود نحو الآخر حال الدخول إلى الأرض الموعودة حيث تقول: " **وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ** "(٢).

وكان دخول يوشع بن نون نابعاً من تلك القناعات والتطلعات التي رسختها نصوص التوراة حيث تزعم أنه عمد إلى إبادة سكان فلسطين دون أن يفرق بين الرجل والمرأة، أو الشيخ والطفل، أو حتى الحيوانات، حتى وصل الأمر إلى حد إحراق مدن بأكملها وبمن فيها(٣) وقد استمر اليهود على ذلك النهج الذي تنسبه التوراة ليوشع في التعامل مع الآخر والتنكيل به لاغتصاب أرضه، والاستيلاء على ممتلكاته حتى مجيء العصر الحديث حيث سجل تاريخ اليهود محطة جديدة في فلسطين، وذلك بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بقيادة (تيودور هرتزل) في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧م. وقد قرر إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ولتحقيق ذلك تم تنظيم عمليات الهجرة اليهودية، والاستيطان وتنمية الشعور القومي اليهودي، والحصول على الموافقات الحكومية اللازمة، ولم يكن اغتصاب فلسطين وتعبيدها لليهود ليتم لولا الجهود البريطانية التي تم من خلالها إصدار وعد بلفور (في عام ١٩١٧م) الذي يقضي بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وإقامة انتداب بريطاني عليها ليبدأ فيه التعاون بين اليهود والسلطات البريطانية من أجل بناء الدولة اليهودية(٤).

---

(١) سفر التثنية١: ٨
(٢) سفر اللاويين٢٥: ٤٦
(٣) انظر: يشوع ٦: ٢٤ ، ٨: ١٩
(٤) انظر: شاش، طاهر، التطرف الإسرائيلي، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م،ص٧١

وفور اقتحامهم أرض فلسطين عمد اليهود إلى استخدام الوسائل والأساليب كافة التي تكفل لهم اغتصاب الارض والسيادة عليها، وتحكي الأحداث والوقائع شواهد مؤلمة من التاريخ اليهودي في حق الآخرفي فلسطين والتنكيل به واضطهاده. وقد جاءت هذه الأساليب كما يلي:

المطلب الأول: الهجرة غير الشرعية والتوسع في الاستيطان

تُعدّ هجرة اليهود غير الشرعية إلى فلسطين وتوسعهم في بناء المستوطنات إحدى الوسائل والأساليب التي استخدمها اليهود لاستلاب الأرض من الآخر، تحقيقاً للوعد الإلهي المزعوم بامتلاك الأرض الموعودة .

ويذكر أن عمليات الهجرة غير الشرعية إلى فلسطين قد بدأت قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م، وكان أغلب المهاجرين اليهود يؤمنون بإرث شرعي لهم فيها، ثم تزايدت أعدادهم حتى أنشئت أول مستعمرة يهودية عام (١٨٧٨م) وسميت (بتكاح تيكسفيا)[١]. وبعد وقوع البلاد تحت الانتداب البريطاني، تعهدت بريطانيا بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين حيث عملت على إنشاء دائرة خاصة للمهاجرين[٢]. وتشهد الوثائق الرسمية المحفوظة في مكتبة البرلمان البريطاني أنه قد تم إدخال ٣٠٠٠٠٠ يهودي إلى فلسطين بين (١٩٢٢ – ١٩٣٩ م)، ومع ازدياد عدد اليهود الذين أدخلوا تحت حماية الانتداب البريطاني ازداد بناء المستوطنات التي ظلت تتضاعف باطراد حتى لو كان ذلك على حساب الآخر؛ مسكنه وبيته وأرضه؛ ففي الفترة ما بين (١٩٤٨–١٩٦٣م) تحولت أكثر من ٤٠٠ قرية عربية فلسطينية إلى مستوطنات ومستعمرات يهودية بعد إزالتها وطرد سكانها[٣].

ويؤكد ذلك موشى ديان (وزير الدفاع الإسرائيلي السابق) حيث يقول: " ليس هناك قرية يهودية واحدة في هذه البلاد لم يتم بناؤها فوق موقع لقرية عربية، كانت كل قرية عربية يشرد أهلها ويقام مكانها قرية إسرائيلية"[٤].

وتشير الدراسات إلى أن عدد المستوطنين اليهود في الضفة وقطاع غزة قد وصل إلى ١٩٣ ألف يهودي في منتصف عام ٢٠٠٠م، بالإضافة إلى ١٨٠ ألفاً يسكنون داخل القدس، وبذلك يصبح عددهم ٣٩٣ الفاً يسكنون في ١٤٤ مستوطنة في الضفة، و١٥ في القدس، و١٧ في قطاع

---

(١) انظر: أبو المجد، صبري، **نهاية إسرائيل**، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠، ص٥٨
(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص٥٨-٥٩
(٣) سعفان، **اليهود تاريخ وعقيدة**، ص١٦٠
(٤) سويدان، **فلسطين التاريخ المصور**، ص٢٧٨

غزة[١]، كما قام اليهود أيضاً بإنشاء مناطق صناعية في تلك المستوطنات، ومنحها امتيازات كبيرة من أجل أن تكون هدفاً لعمل المستوطنين، بالإضافة إلى إقامة مناطق صناعية كبرى فيها[٢].

أما المواقع التي تم فيها إنشاء المستوطنات فقد اختارها اليهود بعناية، وبما يحقق مصالحهم ويخدم أهدافهم، فمنها ما أنشئ على رؤوس الجبال، أو فوق الأحواض المائية، أو قريباً من مدن تاريخية يدعي اليهود أحقيتهم فيها، وقد سعى اليهود إلى تحقيق ذلك من خلال سن بعض القوانين مثل قانون أملاك الغائبين، وأملاك الدولة[٣]. ولا بد من الإشارة إلى أهم الوسائل التي استخدمها اليهود ضد الآخر سعياً للاستيطان، وهي القتل والإفناء، ثم الطرد والترحيل لمن تبقى؛ فمنذ اقتحام اليهود أرض فلسطين تعرض الشعب الفلسطيني بسلاح المنظمات اليهودية الإرهابية لعملية اقتلاع، وطرد، ونفي، وإبادة من وطنه بقوة السلاح والعنف، وليس أدل على ذلك من حادثة مجزرة قرية دير ياسين التي قامت بها عصابات الأرغون[٤] برئاسة مناحيم بيغن[٥] سنة ١٩٤٨م حيث تم فيها إبادة جميع سكان القرية تقريباً، وإلقاء جثثهم في مقابر جماعية؛ لإحراقها بعد أن قطعوا أوصال بعضها[٦]. وقد استخدم اليهود دماء الآخر في هذه المجزرة كنوع من الحرب النفسية، وبث الرعب والخوف عند أهل فلسطين؛ لإفراغ الأرض من سكانها، وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم، وهذا ما ألمحه الكاتب الصهيوني "آرثر كوستيلر" في كتابه (Promise and Fulfilment) نقلاً عن ضباط احتياط في الجيش الإسرائيلي أوضح فيه استخدام اليهود مكبرات الصوت لإخافة الناس بعد إحداث المجزرة حيث يقول: "عندما انتشر الرعب مجتاحاً كل الأحياء العربية بمكبرات للصوت التي تذيع تسجيلات (أصوات الرعب) وتضمنت هذه التسجيلات الصرخات والعويل والأنين المكروب للنساء العربيات وزعيق صفارات الإنذار، ورنين أجراس سيارات الإطفاء، حيث قاطعها صوت صادر من أعماق القبور

---

(١) انظر: التفكجي، خليل ، **مقالة بعنوان الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة واقع واشكاليات،** الأحد 1425/8/18هـ - الموافق 3/10/2004م، شبكة الجزيرة الإعلامية.
(٢) انظر: التفكجي، المصدر نفسه
(٣) التفكجي، المصدر نفسه
(٤) الأرغون: مختصر للمنظمة الصهيونية الإرهابية التي تعني المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل. تأسست عام ١٩٣١م ، وكان جابوتنسكي الزعيم الصهيوني المتطرف هو الأب الروحي للمنظمة، وشعارها يداً تمسك بندقية مكتوباً تحتها (هكذا فقط)، وكان بينها وبين المخابرات البريطانية تعاون ، حيث لعبت دوراً في تهجير اليهود إلى فلسطين، وكذلك لجأت إلى إرهاب العرب لإجبارهم على مغادرة البلاد فهاجمت المدنيين والسيارات العربية، وقامت بتنفيذ مذبحة دير ياسين. انظر: الكيالي، **موسوعة السياسة**،ج١، ص١٥٠
(٥) مناحيم بيغن: زعيم صهيوني ورئيس حزب حبروت الفاشي وتحالف ليكود. والقائد السابق لمنظمة الإرغون الإرهابية. ورئيس وزراء الكيان الصهيوني منذ حزيران ١٩٧٧م. الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج١، ص٦٥٠
(٦) انظر: الزوابي، ممدوح، **القتل عقيدة يهوه**، ط١، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص١٣٧

ينادي "يا جميع المؤمنين أنقذوا أرواحكم اهربوا وانجوا بحياتكم! اليهود يستعملون الغاز السام والأسلحة الذرية"[١].

وما هذا إلا تطبيق عملي لأبواق أريحا التي تزعم التوراة أن يوشع وجيشه قد استخدمها ضد شعب أريحا [٢].

ويذكر مناحيم بيغن الأثر الذي خلفته هذه المجازر على سكان فلسطين، ودورها في توسع الاستيطان اليهودي، حيث يقول: "كان لهذه الحملة الصهيونية نتائج كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي لا حدود له، فأخذوا بالفرار للنجاة بأرواحهم، وسرعان ما تحول هذا الهروب الجماعي إلى اندفاع هائج جنوني لا يمكن كبحه أو السيطرة عليه، فمن أصل **ثمانمائة ألف** عربي كانوا يعيشون على أرض إسرائيل الحالية لم يتبق سوى **مائة وخمس وستين** فقط إن الأهمية الاقتصادية والسياسية لهذا التطور لا يمكن المبالغة فيها مهما قيل"[٣].

المطلب الثاني: المجازر والاغتيالات

انتهج اليهود أسلوب الإبادة والإفناء للآخر في فلسطين في سبيل الاستيلاء على الأرض التي تزعم التوراة أن الإله قد وعد اليهود بها، وملكهم إياها ميراثاً وملكاً أبدياً، ولتحقيق ذلك عمد اليهود إلى ارتكاب المجازر والاغتيالات أياً كان المتضرر فيها، تأسياً بما تسرده التوراة من أحداث ومجازر لم تبق مجرد أساطير وحكايات؛ بل كانت بمثابة المرشد والموجه لحملات الإبادة التي قادها اليهود خلال العصر الحالي في فلسطين، تقول التوراة: "**فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاُ إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ**"[٤].

ومن الجدير بالذكر أن التوراة تعد أول كتاب في العالم يبيح قتل الآخر بشكل علني، و يأخذ الأبناء بجريرة الآباء كما يقرر عقوبات مشتركة ذهب ضحيتها الأطفال والشيوخ والنساء ممن لا ذنب لهم[٥]، وكذلك قتل الحيوانات التي لا تعقل، والتي لم يعاقبها أي تشريع من شرائع

---

(١) انظر: امين، **الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية**، ص ١٥٥-١٥٦
(٢) انظر: يشوع :٦
(٣) الكيلاني، **الإرهاب يؤسس دولة**، ص ١٧٤
(٤) انظر: سفر التثنية٧: ٢٢-٢٤ ، وسفر التثنية ١٣: ١٥-١٦
(٥) انظر: يشوع ٧: ٢٤-٢٦

العالم[١] وقد ترجم اليهود ما ورد في التوراة من مجازر واغتيالات على أرض الواقع في فلسطين والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها:

- **مجزرة الطنطورة** (٢٢ أيار ١٩٤٨م) وهي مجزرة حاول اليهود إخفاء معالمها حيث قامت عصابات الهاجاناة[٢] بقتل ٢٠٠ شخص من مختلف الأعمار والأجناس كما اختاروا شباباً بشكل عشوائي، وكانوا يقتادون كل مجموعة على حدة إلى المقبرة ويأمرونهم بالحفر، ثم يقومون برمي الجثث فيها دون أدنى احترام، وقد كان معظمهم على قيد الحياة حتى بعد إطلاق النار عليهم، فقد دفنوا وأعضاؤهم تتحرك[٣].
- **مجزرة الحرم الإبراهيمي:** ففي الركعة الأولى من صلاة الفجر من يوم الجمعة (١٩٩٤/٢/٢٥) قام مستوطن يهودي يدعى باروخ جولدشتاين باقتحام الحرم الإبراهيمي وقتل ٢٩ شخصاً وجرح أكثر من ٣٠٠ آخرين، وقامت حركة كاخ[٤] بتأييد هذه العملية، وأصدر الحاخام (بروج) فتوى يشيد فيها بهذا العمل قائلاً: إن ما قام به (جولدشتاين) هو تقديس لله، ومن الواجبات الدينية اليهودية[٥]، ويقصد بذلك أن ما قام به هذا اليهودي تجاه الآخر في فلسطين إنما هو قربان يتقرب بها اليهودي إلى الله، وهذا ما تأكده أسفار التوراة فالقتل زكاة الرب و" فريضة الشريعة التي أمر بها موسى "[٦] كما يزعمون.
- **مجازر غزة** حيث توج اليهود أسلوب الإبادة والإفناء للآخر في مجازرهم ضد أهل غزة التي تعرضت لحملات عدة من القتل والتدمير، ومنها عملية الشتاء الساخن في ٢٠٠٨/٢/٢٧م فقد شن اليهود هجوماً عنيفاً على القطاع بلغ فيه حصيلة الشهداء ١٠٧ شهيداً بينهم ٢٧ طفل وست نساء، في حين كان عدد الجرحى ١٦٦ جريحاً، بينهم ٤٦

---

(١) بتصرف، التل، عبدالله ، **جذور البلاء**، ط١، دار الإرشاد للطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م، ص٤٥ ، انظر: سفر العدد ١٦: ٢٧-٣٣

(٢) الهاجاناه: منظمة عسكرية صهيونية استيطانية. أسست عام ١٩٢١م ، فكان العمل الرئيسي للهاجاناه القيام بأعمال مسلحة ضد العرب خاصة "السرايا الليلية" التي قادها الضابط البريطاني وينغيت، وتلميذه موشي ديان، لمحاربة الثوار العرب، وعندما حان وقت اعلان الدولة الصهيونية كانت الهاجاناه قد تكاملت، وبلغ عدد أفرادها ٦٠ ألف عنصر و٧٠٠ ضابط، فتحولت إلى "جيش الدفاع الإسرائيلي". انظر: الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج٧، ص٣٩-٤٠

(٣) انظر: علي، ياسر، **المجازر الإسرائيلية تجب العشب الفلسطيني**، ط١، مركز الزيتونه للدراسات، ٢٠٠٩م، ص٤٥-٤٨

(٤) حركة كاخ: حركة سياسية صهيونية أسسها الحاخام مائير كاهانا من العام ١٩٧٢م، تعني كلمة "كاخ" بالعبرية "هذا هو الطريق"، وهي إشارة إلى القوة من أجل حمل العرب على الهجرة إلى الخارج، ولهذا السبب فإن شعار حركة كاخ هو السيف والتوراة. انظر: الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج٥، ص٢١

(٥) بتصرف، سويدان، **فلسطين التاريخ المصور**، ص٣٦١

(٦) سفر العدد ٣١: ٢١

طفلاً، وقد تعدت انتهاكات اليهود إلى تدمير المنازل والمساجد والطرقات والمدارس، وككل مرة فهناك جثث تحت الأنقاض وفي الطرقات، وجرحى ينزفون حتى الموت، وفي نهاية سنة ٢٠٠٨م وتحديداً صباح ٢٠٠٨/١٢/٢٧م بدأ اليهود عملية أخرى على غزة أسموها **(الرصاص المصبوب)**، وقد كانت أشد ضراوة ووحشية في التعامل مع أهل غزة حيث استشهد منذ اليوم الأول ٢٣٠ شهيداً، ثم تجاوز عدد الشهداء خلال الأيام الخمسة حوالي ٤٠٠ شهيد[(١)]. واستمرت مجازر اليهود ضد أهل غزة؛ ففي عام ٢٠١٤م بدأ اليهود هجومهم على غزة عند الساعة الواحدة من فجر يوم ٨ تموز ٢٠١٤ تحت حملة عسكرية أسموها **(الجرف الصامد)**، ومنذ اليوم الأول من الحرب استدعى جيش الاحتلال أربعين ألفاً من قوات الاحتياط وارتكب مجزرة في مدينة خان يونس بالقطاع وراح ضحيتها ١١ شهيداً و٢٨ جريحاً فلسطينياً، ثم توالت المجازر وقصفت المباني والمساجد والبنية التحتية في غارات جوية مكثفة، وبلغت ضحايا هذه المجزرة ١٧٤٢ فلسطينياً: ٨١% منهم من المدنيين بينهم، ٥٣٠ طفلاً، و٣٠٢ امرأة، و٦٤ لم يتم التعرف على جثثهم لما أصابهم من حرق وتشويه، كما قتل فيها ٣٤٠ مقاوماً فلسطينياً، وجرح ٨٧١٠ من مواطني القطاع، وقتل ١١ عاملاً من وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (اونروا)، و٢٣ شخصاً من الطواقم الطبية والإسعاف، و١٦ صحفياً. كما دمر اليهود أيضاً ٦٢ مسجداً بالكامل، و١٠٩ مسجد جزئياً، وكنيسة واحدة جزئياً، كما فقد نحو مائة ألف فلسطيني منازلهم وعددها ١٣٢١٧ منزلاً وأصبحوا بلا مأوى[(٢)].

أما سياسة الاغتيالات التي انتهجها اليهود فقد كانت ولا تزال إحدى أخطر الوسائل التي يحاول اليهود من خلالها إرهاب الآخر. ومن الجدير بالذكر أن "الإرهاب اليهودي الذي استخلص اليهود وسائله وأساليبه من التوراة المزورة، ليس شرطاً أن يكون موجهاً للفلسطينيين أو العرب أو لأي إنسان بريء أو شريف في العالم ... فالإرهاب في فلسفة شريعة التوراة والتلمود هو من أجل تحقيق الأهداف والغايات، إنه وسيلة للوصول إلى الأغراض مهما كانت هذه الوسيلة قاسية أو مؤلمة أو مهينة أو مذلة"[(٣)] وتعامل اليهود مع الآخر خير شاهد على ذلك؛ فكما تقول التوراة:" على كل واحد منكم أن يحمل سيفه ويطوف المحلة من باب إلى باب ويقتل

---

(١) انظر: علي، ياسر، **المجازر الإسرائيلية**، ص٨٧-٨٩

(٢) Aljazeera media network Aljazeera encyloped

(٣) حجازي، عرفات، **الإرهاب الصهيوني والسيطرة على القرار الدولي**، دار الصباح للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٦م،ص٣٤

أخاه وصديقه وجاره"[١] أما الشواهد العملية في تطبيق ذلك فهي متعددة وجلها تهدف إلى إفناء الآخر إذا وقف عائقاً في سبيل تحقيق المصلحة القومية اليهودية ومنها: تفجير فندق الملك داود في القدس على يد عصابة شتيرن في ٢٢ تموز ١٩٤٦م بهدف تسريع الانسحاب البريطاني من فلسطين دون مراعاة للدماء التي ستسفك في سبيل تحقيق ذلك، وقد أسفرت تلك العملية عن مقتل حوالي مئة بريطاني ومسؤولين آخرين[٢] وقد تم لهم ما أرادوا. ومن الاغتيالات التي اقترفها اليهود في حق الآخر اغتيال الكونت برنا دوت، وهو أحد أعضاء الأمم المتحدة، بعد رفضه تهديد اليهود له، وقيامه بوضع مشروع تضمن الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بأرضه، ورفض الاحتلال الإسرائيلي[٣]. ومن الاغتيالات أيضاً قتل كورت فالدهايم، وهو أحد المرشحين لرئاسة النمسا، لأنه رفع شعار التفهم والتفاهم، واعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية[٤]، وقد طالت الاغتيالات اليهودية كل من حاول أن يظهر مقاومة لأطماعهم ومصالحهم التي تستمد جذورها من أسس عقدية عنصرية أذكر منها: اغتيال المقاوم الفلسطيني بحركة حماس يحيى عياش في كانون الثاني ١٩٩٦م[٥]، واغتيال القائد أحمد ياسين مؤسس حركة حماس ٢٠٠٤/٣/٢٣م، وغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في ٢٠٠٤/٤/١٧م الذي اختارته حماس قائداً له خلفاً للشهيد أحمد ياسين[٦].

مما سبق يظهر أن سلوك اليهود نحو الآخر بكل ما يحمل من معاني القتل والإبادة والإرهاب ما هو إلا وسيلة سريعة المفعول استطاع اليهود من خلالها تحقيق مآربهم وغاياتهم، غير مبالين بأعداد الضحايا وجنسياتهم ومناصبهم، وهذا ما يؤكده البروتوكول الخامس عشر إذ جاء فيه "ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقاً يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل، وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين يجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية إننا لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأممين، ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته فقد بوأناه الآن مقاماً في العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل.

---

(١) سفر الخروج ٣٢: ٢٧
(٢) بتصرف، هالسل، **جريس، النبوءة والسياسة**، ص٧٦
(٣) انظر: حجازي، **الإرهاب الصهيوني والسيطرة على القرار الدولي**، ص٢١ ، مركز دراسات الشرق الأوسط، الاغتيال جريمة حرب ثانية في السياسة الإسرائيلية، ط١، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط ، ٢٠٠٤م، ص١٥-١٨
(٤) انظر: حجازي، **الإرهاب الصهيوني والسيطرة على القرار الدولي**، ص٢١، مركز دراسات الشرق الأوسط، الاغتيال جريمة حرب ثانية في السياسة الإسرائيلية، ص١٥-١٨
(٥) بتصرف، **الاغتيال جريمة ثابتة في السياسة الإسرائيلية**، مركز دراسات الشرق الأوسط، ص١٨
(٦) انظر: سويدان، طارق، **فلسطين التاريخ المصور**، ص٤٠٦

إن ضحايانا قد صانوا شعبنا من الدمار، كل إنسان لا بد أن ينتهي حتماً بالموت، والأفضل أن نعجل بهذه النهاية إلى الناس الذين يعوقون غرضنا، لا الناس الذين يقدمونه"[١].

المطلب الثالث: الاعتداء على المسجد الأقصى وغيره من المقدسات

طالَ السلوك اليهودي العنيف نحو الآخر في فلسطين المقدسات وأماكن العبادة، حيث تم الاعتداء عليها والاستهانة بمكانتها، وقد ظهر ذلك منذ بدايات دخول اليهود إلى فلسطين ، ففي ٧ حزيران ١٩٦٧م أي في اليوم الثالث من بداية حرب ٦٧ دخل الجنرال موردخاي جور وجنوده المسجد الأقصى ورفعوا العلم الإسرائيلي على قبة الصخرة، وحرقوا المصاحف ومنعوا المصلين في الصلاة فيه، وصادروا مفاتيح أبوابه، وفي صباح يوم ٢٢ اغسطس (آب) عام ١٩٦٨ أضرم اليهود النار في المسجد الأقصى المبارك فأتت النار على الجناح الشرقي له وأزالت منه مقدسات ظلت مصونة لأكثر من ١٣٠٠ عام، ويذكر أن سلطات الاحتلال تركت النيران تسري في الجناح الشرقي للمسجد[٢]، موحية بانتهاك متعمد لحقوق الآخر وحريته الدينية بعد اغتصاب أرضه.

ولعل أهم الاعتداءات الحالية على المسجد الأقصى والتي تعتبر الأخطر ما تواصله السلطات اليهودية منذ عام ١٩٦٧م حتى يومنا هذا من حفريات تحت المسجد الأقصى بحجة البحث عن الهيكل المزعوم، حيث حفر اليهود تحته نفقاً عميقاً وطويلاً تم إدخال التوراة بداخله كما أنشئ فيه كنيس يهودي[٣].

وفي إطار الاعتداءات على مقدسات الآخر وأماكن عبادته، فقد احتل اليهود عدداً من الكنائس المسيحية وعملوا على تدميرها وإفسادها؛ كدير القديس جاور جيوس للروم الارثوذكس الذي تم احتلاله في ١٩٤٨/٥/١٤ وكذلك كنيسة القديسين قسطنطين وهيلانه، حيث قذفها اليهود بقنبلة في ١٩٤٨/٥/١٧، فألحقوا بها أضراراً كبيرة كما أصيبت بطريركية الأرمن الأرثوذكس بنحو مائة قذيفة من مدافع الهاون، أطلقها اليهود عليها، ودمرت القنابل دير القديس يعقوب ودير رؤوس الملائكة وكنيستهما ومدرستيهما الابتدائية والعالمية، والمكتبة، وقتل ثمانية وجرح ١٢ من اللاجئين[٤] ولا يزال اليهود في فلسطين يواصلون استفزازهم وإقصاءهم للآخر، واستهتارهم

---

(١) التونسي ، **الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)**، ص ١٩٣
(٢) الطنطاوي، حسين، **الصهيونية والعنف**، (تقديم حسن ظاظا وآخرون)، مطبوعات الشعب، ١٩٧٤م، ص١٥٨
(٣) بتصرف، الكيلاني، **الإرهاب يؤسس دولة**، ص٢٦٦
(٤) انظر: أبو الروس، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ص٣٧-٤١

المتعمد والصريح للمقدسات الإسلامية كالسرقات والمضايقات وتمزيق المصاحف والدوس عليها بأقدامهم، ومنع المصلين من دخول المسجد الأقصى لأداء الصلاة فيه[١].

---

(١) انظر:عبد الرؤوف الأرناؤوط، مقالة بعنوان: **الاعتداءات الإسرائيلية على الأقصى منذ ١٩٦٧م اشدها وقعت في العام ٢٠١٥** ، صفحة وكالة الاناضول ٢٠١٧

الفصل الثاني

نماذج من التاريخ المسيحي في التعامل مع الآخر.

المبحث الأول

المسيحيون في الأندلس

المطلب الأول: نظرة عامة حول تاريخ الوجود المسيحي في الأندلس

أُطلقت تسمية الأندلس على المناطق التي فتحها العرب المسلمون من شبه الجزيرة الأيبيرية[١][٢]، وطوال تاريخها خضعت أيبيريا لحكم شعوب مختلفة أولها (الترتيسوس)[٣] ثم جاء (الأيبيريون) في العصر الحديدي من شمال أفريقيا، وفي نفس الفترة جاءت شعوب من وسط أوروبا وهم (السلت) حيث انصهروا مع الأيبيريين في شبه الجزيرة الأيبيرية، وفي حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد غزا البلاد شعب جديد هم (الفينيقيون)[٤] وأنشأوا مدينة قاوش عاصمة لهم وأسسوا مدينة تجارية بالقرب من تونس هي (قرطاجة) وقد أشرفت على مضيق جبل طارق والبلاد الأفريقية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي، ومع مجيء القرن الثالث قبل الميلاد غزا الرومان الفينيقيين فكان النصر حليفهم فبسطوا سيطرتهم على أيبيريا وحولوها إلى مدينة ذات طابع روماني، كما نشروا فيها اللغة اللاتينية والديانة المسيحية، وذلك بفعل حركات التبشير والمسيحيين الفارين من اضطهاد الرومان[٥].

---

(١) وهي مكّونة حالياً من إسبانياً والبرتغال وقد اكتسبت اسمها من السكان الذين قطنوها الذين عرفوا بـ (الأيبيريين) في القرن الأول قبل المسيح. انظر: الكيالي، **موسوعة السياسة**، ج١، ص٤١٩

(٢) انظر: حتاملة، محمد عبده، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٠، ص٩ ، الخلف، سالم بن عبد الله، **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، ط١، ج١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م، ص١١

(٣) هم شعوب من جزر البحر الابيض المتوسط واليونان قدموا إلى أليبيريا في العصر البرونزي.

(٤) الفينيقيون: أمة سامية عاشت على الساحل الشرقي للبحر المتوسط جاءوا على هيئة هجرات وفدت من الجنوب الشرقي من بابل أو الخليج العربي. محمدين، محمد محمود، والفراء، طه عثمان، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ط٤، دار المريخ، ص ٣٣

(٥) انظر: حتاملة، محمد عبده، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، ص٩-٢٦ ، السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ص ١٢

ومما يجدر ذكره أن البلاد قد بقيت في حال صراع وقتال وخصوصاً بعد مجيء القوط الغربيين[١] واستيلائهم على أيبيريا الذين كانوا يعتنقون مذهب آريوس، وبين رعايا أيبيريا الذين يعتنقون المذهب الكاثوليكي فانتشر العنف والقتل جراء ذلك.

وفي سنة (٩٢هـ/٧١١م) دخل المسلمون إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد، وموسى بن نصير، وقد تم ذلك بعد فتح الشمال الأفريقي أيام الخلافة الأموية، وتحديداً في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك[٢].

وقد أقام المسلمون في الأندلس دولة عظمى استمرت أكثر من ثمانية قرون بلغت أوجها في خلافة عبد الرحمن الناصر (٩١٢م-٩٦١م)، حيث أصبحت أكثر دول العالم علماً وتحضراً ومدنية، وعلوماً وقوة عسكرية[٣] ، وعاش فيها المسلمون مع اليهود والنصارى في رغد من العيش وتسامح منقطع النظير، ولم يقف تسامح المسلمين عند من يعايشونهم في الأندلس من أبناء الأديان والملل الأخرى؛ بل امتد قبولهم للآخر من خارج الأندلس حيث سمحوا لطلبة العلم من الأعراق والأجناس والأديان كافة الدخول إلى الأندلس، والنيل من علمها وثقافتها، فكانت الأندلس بحق الفتيل الذي أشعل أوروبا بالتقدم والتطور بعد عصور من الظلمة والجهل والتخلف، قضاها الأوروبيون تحت سلطة الكنيسة وعقائدها.

ويذكر أن الأندلس قد مرت بثمانية عهود[٤] كان آخرها عهد مملكة غرناطة، حيث انتهى فيه الحكم الإسلامي في الأندلس والذي كان سببه الضعف الداخلي، والصراعات بين زعماء المسلمين مما أحدث انقساماً وشرخاً سهل وقوع البلاد، والمدن الأندلسية في أيدي الإسبان الواحدة تلو الأخرى، وقد كانت غرناطة الخاضعة لحكم بني الأحمر التي كان يرأسها أبو عبدالله الصغير آخر مدن الأندلس سقوطاً في أيدي الإسبان المسيحيين، وقد تم تسليمها إلى ملكي إسبانيا

---

(١) كانت مملكة القوط الغربيين هي الأخيرة في سلسلة ممالك البرابرة التي خلفت الإمبراطورية الرومانية، ولقد تمت عملية استيطان القوط الغربيين في إسبانيا في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس للميلاد. كانوا يمثلون أقلية صغيرة فقط ضمن السكان الأصليين، وكان نظام الحكم القوطي ملكياً قائماً على مبدأ الانتخاب، حيث ينتخب الملك من قبل النبلاء ورجال الدين. انظر: السامرائي، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،** ص ١٣

(٢) انظر: الطبري، **تاريخ الطبري،** ج٦، ص ٤٩٦ ، الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار،** ط٢، ج٢ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، البنان، ٢٠٠٨ م، ص٢٢

(٣) انظر: عطيات، احمد محمد، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش،** ط١، أمواج للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٢م، ص٢ ، عبد اللطيف، عبد الشافى محمد، **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي،** ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ص٣٤٦

(٤) هي عهد الفتح، وعهد الولاة، وعهد الأمارة الأموية وعهد الخلافة الأموية، وعهد ملوك الطوائف وعهد المرابطين وعهد الموحدين، انظر حتاملة، **مدخل الدراسة تاريخ الأندلس،** ص٤١-٦٠ ، الخلف، سالم بن عبد الله، **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس،** ج١، ص١٦٥

المسيحيين (فرديناندو) و(إيزابيلا)[١] وفق معاهدة ضمت سبعين شرطاً تم خلالها التأمين على حياة أهل غرناطة، ودينهم وأموالهم وأعراضهم وأملاكهم وحريتهم، وإقامة شعائرهم، واحترام مساجدهم، ومعابدهم، وفك أسراهم وإجازة من يريد منهم الهجرة إلى المغرب وإعفائهم من الضرائب والمغارم سنين معلومة[٢].

"وقد وقع على المعاهدة الملك الإسباني (فرديناندو) والبابا في روما، وكان التوقيعان كافيين لكي تكون المعاهدة ضمانة للمسلمين في إسبانيا"[٣] وبعد أن استقر المسيحيون الإسبان في الأندلس وفور استلامهم زمام الأمور ظهرت النظرة التي يكنونها إلى الآخر واضحة جلية من خلال نقضهم المعاهدة وبنود الشروط التي تم من خلالها تسليم غرناطة ومدن الأندلس قاطبة.

المطلب الثاني: أحوال الآخر بعد سقوط الأندلس

لاقى الآخر في الأندلس صنوف العذاب وألوانه؛ فبعد دخول المسيحيين الإسبان ونقضهم للعهود والمواثيق التي تم من خلالها تسليم غرناطة، عَمِدَ الإسبان إلى استخدام أساليب الاضطهاد والتعذيب كافة والقمع ضد الآخر، ويُقدّر بعض المؤرخين عدد من عُذّب من المسلمين وغيرهم بعد سقوط الأندلس بثلاثة ملايين نسمة منهم من قتل، ومنهم من حُرق، ومنهم من هُجّر[٤]، ومن الأساليب التي اتخذها الأسبان في قمع الآخر واضطهاده: التنصير، والتهجير، والتعذيب وتفصيلها على النحو الآتي:

أولاً: التنصير

عمدت الكنيسة ممثلة بالبابا ورجال الدين إلى إصدار قرار تنصير جميع سكان الأندلس، وبناءً عليه أصدر عاهلا إسبانيا (فرديناندو) و(ايزابيلا) مجموعة من المراسيم المتتابعة زمنياً، تقضي باضطهاد المسلمين، ووجوب تنصيرهم، كما تحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم خشية أن يتأخر تنصيرهم، ويحظر عليهم كذلك الاتصال بمن تنصّروا لئلا يفسد عليهم إيمانهم

---

(١) انظر: عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص٢٣-٢٢ ، الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، **دولة الموحدين**، دار البيارق للنشر، عمان، ص٣٦٩-٣٧٠

(٢) بتصرف، قطب، محمد علي، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش**، مكتبة القرآن ، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٣٩ ، انظر: الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، **دولة الموحدين**، ص٣٧١ ، انظر: الكتاني، علي بن محمد المنتصر بالله (ت١٤٢٢هـ)، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥ م، ص٤٢٩-٤٣٨

(٣) عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٧٤

(٤) بتصرف، قطب، محمد علي، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس**، ص٤١ ، انظر: انظر: الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، **دولة الموحدين**، ص٢٨١

بمخالطتهم، وكل من خالف تلك الأوامر فجزاؤه الموت وتُصادر أملاكه[١] ، ويذكر أن الملكين فرديناندو وايزابيلا قد أعلنا مع صدور قرارات التنصير أن الله قد اختارهما لتخليص الأندلس من الكفر (ويقصدان بذلك المسلمين)، ولذلك يحظر وجود المسلمين في بلاد الأندلس. أما من أراد البقاء فعليه أن يتنصر[٢]، وقد كانت قرارات فرديناندو وايزابيلا تخرج من روح مفرطة في التعصب للمسيحية[٣] ولذلك عملا على صب هذا التعصب في إطار مؤسسي رهيب تحول إلى أكبر منظمة اضطهاد ديني في أوروبا وربما في العالم كله، وهذه المؤسسة هي محاكم التفتيش[٤]. التي سنتحدث عنها لاحقاً بالتفصيل.

أما بوادر التنصير فقد ظهرت فور دخول الإسبان إلى غرناطة؛ " إذ كان أول عمل قام به الكاردينال مندوسي عند دخول القصر الحمراء هو نصب الصليب فوق أعلى أبراجها، وترتيل صلاة الحمد الكاثوليكية"[٥]، أما أسقف غرناطة فقد أرسل إلى ملك إسبانيا رسالة عاجلة يعلمهُ فيها أنه قد أخذ على عاتقه تنصير المسلمين في غرناطة وغيرها من مدن إسبانيا وذلك تنفيذاً لرغبة المسيح الذي ظهر له، وأمره بذلك، فأقره الملك على أن يفعل ما يراه مناسباً ليتم تنفيذ رغبة المسيح [٦]، ولأجل إتمام رغبة المسيح وتنفيذها، اتبع رجال الدين المسيحي وسائل عدة لتنصير المسلمين واليهود على حد سواء، منها:[٧]

١. التعذيب والقتل، وسنتحدث عنه لاحقاً في معرض الحديث عن محاكم التفتيش.

٢. إحتلال المساجد ومصادرة أوقافها وتحويلها إلى كنائس.

٣. إحراق المصاحف، وكتب التفسير، والحديث، والفقه، والعقيدة.

---

(١) بتصرف، قطب، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش**، ص45

(٢) بتصرف بسيط، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٢٧-١٢٨

(٣) كان لروح التعصب التي اكتنفت فرديناندو وإيزابيلا دوراً واضحاً في خدمة المسيحية، وقيادة حملات التنصير والاضطهادات في حق الآخر، فبعد أن تمكنا من إزالة آخر حكم للمسلمين في الأندلس، كانا الأداة التي مكنت من اكتشاف العالم الجديدة تحت قيادة كريستوفر كولومبوس، وبدأت بذلك حملات تنصير واضطهاد واسعة مع أكثر من ٥٠٦ ملايين شخص في أمريكا اللاتينية و٥٨ مليوناً في الفلبين. بتصرف، حتاملة، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، ص١٦٣

(٤) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٦٣ ، انظر: المؤرخ المصري، محمد عبد الله عنان (ت١٤٠٦هـ)، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط٤، ج٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ص٨٣

(٥) عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٧٥ ، انظر: المؤرخ المصري، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج٥، ص٨٣

(٦) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٧٥

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص١٧٥-١٧٦ ، انظر: الكتاني، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ص٢٤-٢٥

٤. حرق من رفض التنصير من المسلمين أحياءً على أعواد الحطب في الساحات العامة، ويذكر المؤرخون الغربيون أن أكثر من نصف مليون مسلم قد قضوا بسبب الحرق ورفضهم ترك الإسلام.

٥. تعقب علماء المسلمين واضطهادهم حيث تم إعدام مئتين من العلماء المسلمين حرقاً في الساحات الرئيسة؛ بحجة مقاومتهم للمسيحية، ولكن السبب الحقيقي لذلك أن العلماء هم المحرك الذي سيبقي جذوة الإسلام موقدة في قلوب أتباعه، وبالتالي تفشل مهمة التنصير.

وبهذه الوسائل بدأت حملة تنصير المسلمين، وتم إجبارهم على التنصر، فوافق البعض مكرهاً، وأبى الباقون فقتلوا شر قتلة، وهجروا بعد أن أصبحت الحلول تتأرجح بين التنصير أو الموت والقتل والتنكيل، وسلب الأموال والممتلكات ويذكر أن عملية التنصير كانت مركزة في إقليم غرناطة، ثم انتقلت إلى باقي بلاد الأندلس[١] ولم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي جراء ما يحصل لهم من تنصير وقمع واضطهاد، فقد اندلعت الثورات في أماكن عدة من الأندلس؛ ولكنهم لقلة السلاح والعتاد والمؤن قمعوا بمنتهى الشدة؛ فقتل الرجال، وسبيت النساء وقضي بالموت على مناطق بأسرها ماعدا الأطفال الذين هم دون الحادية عشرة حيث تم تنصيرهم، وبعد قمع الثورات أصدر فرديناندو منشوراً يوجب على المسلمين اعتناق النصرانية، وذلك في سنة ٩٠٦هـ ومنذ ذلك الوقت ظهر ما يعرف بالموريسكيين [٢].

وقد كان للبابوية دورٌ واضح في عملية التنصير حيث تم إرسال عشرات الكهان والقساوسة والرهبان إلى مملكة غرناطة؛ لنشر المذهب الكاثوليكي، وتحقيق التنصير القسري من خلال العنف والمطاردة، وتم إناطة عملية التنصير بمجموعة من الأحبار والرهبان الذين نفذ بعضهم أبشع المذابح والمجازر، وارتكبوا أفظع الجرائم بحق الآخر في الأندلس[٣] "وكان أكثر هؤلاء الرهبان والأحبار عنفاً في ممارسة سياسة الاضطهاد والتنكيل هو الأب خمنيس مطران طليطلة ورأس الكنيسة الإسبانية الذي اتبع سياسة إحراق الكتب والمخطوطات العربية القيمة، والوثائق التاريخية، والمصاحف، وكتب الأحاديث، والآداب، والعلوم، وغيرها، بهدف التخلص

---

(١) بتصرف، المصدر نفسه ، ص١٣١

(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٣٢

(٣) بتصرف، حتاملة، **المدخل لدراسة تاريخ الأندلس** ، ص١٦٤

من أي إشارة إلى اللغة العربية، وذلك حتى لا يجد المسلمون أي مصدر للتشريع يستعينون به كالقرآن الكريم والسنة النبوية"[١].

والسؤال الآن: هل كانت حملات التنصير نهايةً لعذاب الآخر وآلامه؟

الجواب يصفه واقع المتنصرين (الموريسكيين) وأحوالهم والظروف التي ألزموا على العيش، فيها، والقرارات، والقوانين التي صدرت بحقهم، ومنها[٢]:

١. منع استعمال اللغة العربية.

٢. منع امتلاك المتنصرين للأسلحة.

٣. منع اللباس الإسلامي.

٤. إقرار ضريبة على المتنصرين تسمى (الفارضة).

٥. حرق جميع الكتب الإسلامية.

٦. منع ما ذبح من الحيوانات على الشريعة الإسلامية.

٧. الزام المتنصرين بالسجود في الطرقات عند مرور موكب حبر كبير.

٨. الزام المتنصرين تعميد أولادهم والتكفير عن خطاياهم داخل الكنيسة.

٩. منع المتنصرين من بيع الذهب والفضة والحرير والأحجار الثمينة.

١٠. منع الوضوء ودخول الحمامات.

١١. وجوب إتمام مراسيم الزواج والولادة والموت وفق الشعائر والطقوس المسيحية.

١٢. حظر الختان.

١٣. منع التوجه إلى القبلة.

١٤. تحريم الزواج بأكثر من امرأة واحدة.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٦٥

(٢) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش،** ص١٧٧وانظر: قطب، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش،** ص٥٢-٥٣

١٥. تتبع المتنصرين وملاحقتهم والتجسس عليهم للتأكد من تركهم لدينهم، وجعل ذلك واجباً على كل مسيحي يريد الخلاص والنجاة من خطاياه، وذلك بعد أن ترددت الأنباء بأن المسلمين لا زالوا على دينهم، ويمارسون شعائرهم وعباداتهم سراً، وقد كان ذلك سبباً رئيساً في إيجاد محاكم التفتيش التي خضع المتنصرون من خلالها إلى أشد أنواع التنكيل والعذاب والاضطهاد.

ثانياً: التهجير

كان التهجير من الوسائل القسرية التي اتبعها الإسبان والمسيحيون مع الآخر في الأندلس، فكل من رفض التنصير والخضوع لرغبة رجال الدين والقرارات والمراسيم الملكية اضطر للفرار بدينه، وقد أصدرت الملكة إيزابيلا في ١٢ شباط ١٥٠٢م مرسوماً تم فيه تخيير أهل الأندلس بين التنصير والتهجير، وأمهلتهم حتى نهاية نيسان من العام نفسه وقد رحل خلال هذه الفترة نحو ثلاثمائة ألف اندلسي إلى المغرب(١)، ولم يكن التهجير قراراً سهلاً بالنسبة للآخر لأن شروط السماح به تضمنت مصادرة جميع أمواله وممتلكاته وشهوده لذلك، كما يتوجب عليه مغادرة بلاده دون أن يحمل معه أي شيء من أمواله، ودون راحلة يركبها هو أو أحد أفراد أسراته(٢) ومع كل هذه الشروط القاسية خرج عدد كبير من الناس وفضلوا الفرار والهجرة بدينهم، تاركين خلفهم الأموال غير عابئين بمشاق الطرقات وأخطار السفر، ولم تكن مأساتهم تنتهي عند هذا الحد؛ بل كانت تنتظرهم عصابات الرعاع الإسبانية والجنود الإسبان(٣).

وعلى هذا يكون الموت مصيراً محتماً، وبذلك يكون الآخر قد وقع بين فكي الموت في جميع اختياراته وأحواله؛ فبقاؤه في بلاده وتنصره سيخضعه إلى الموت والإهانة والتعذيب، وفي تهجيره من بلاده خضوع للموت أيضاً، وهذا يعني أن الخيارات المطروحة للآخر كانت في الحقيقة الموت ولا شيء غيره.

ثالثاً: التعذيب

لم يكن التنصير وما رافقه من اضطهادات وقمع نهاية آلام الآخر؛ بل تمت ملاحقته وتعقبه من خلال جواسيس استعانت بهم السلطة الحاكمة؛ للتأكد من ترك المتنصرين

---

(١) بتصرف، حتاملة، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، ص١٦٣-١٦٤

(٢) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش** ، ص١٧٦، انظر: الكتاني، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ص١٢٣

(٣) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٧٦

(الموريسكيين) دينهم وشعائرهم وخضوعهم للمسيحية، ثم تبين من خلال تلك الملاحقات أن عملية التنصير القسري لم تجدي نفعاً "ففي أحد التقارير التي رفعها أسقف غرناطة الموكل بتنصير مسلمي غرناطة الكاردينال ورد أن الموريسكيين لم يتراجعوا خطوة واحدة عن الإسلام، وأنه لم يتم إيجاد طرق فاعلة لوقفهم وإن لم يتم إيجاد تلك الوسائل فإنهم سيدخلون مسيحي غرناطة وبلنسية ومدناً أخرى في الإسلام بشكل جماعي"[١] وبناءً على هذه التقارير وغيرها تقرر عقد محاكم للتفتيش مع وجوب إخضاع جميع المتنصرين إليها؛ ولأهمية محاكم التفتيش ودورها في القضاء على الآخر وقتله، وقتل تراثه وحضارته ومجده كان لا بد من إيضاح لتاريخ ظهورها في الأندلس وأهدافها وطرق المحاكمة فيها ونتائجها على الآخر.

رابعاً: محاكم التفتيش

تعود فكرة إنشاء محاكم للتفتيش في الأندلس إلى راهب دومنيكي يتقدُ تعصباً اسمه (هو توركويمارا) بعد أن عمل على إقناع الملكة إيزابيلا وزوجها الملك فرديناندو، وقد تمت بعد مباركة البابا سيكوستس الرابع الذي أصدر مرسوماً يقضي بإنشاء محاكم التفتيش، فنشأت هذه المحكمة في قشتالة عام ١٤٧٨م، ثم في أشبيلية وغرناطة وغيرها من مدن إسبانيا بعد ذلك[٢].

وتهدف هذه المحاكم إلى كشف أحوال المتنصرين سواء كانوا من المسلمين أو اليهود، وبث الرعب والخوف في قلوبهم، وإبقائهم في حالة توتر وقلق واضطراب، وقد اعترف بذلك بعض القضاة في محاكم التفتيش. يقول قاضي محكمة التفتيش فرانسيسكو بينا في عام ١٥٧٨م: "ينبغي أن نتذكر أن المقصد الأساسي من المحاكمة، وتنفيذ الإعدام ليس إنقاذ الأرواح العائدة للمدانين، بل الوصول إلى الصلاح العام، وزرع الخوف في الآخرين"[٣].

وتظهر ظروف المحاكمات ومجرياتها وما اشتملت عليه من قوانين وقواعد هذه الأهداف والمقاصد؛ فلم يكن المتهم بريئا حتى تثبت إدانته؛ بل اعتبر كل متهم مذنباً حتى تثبت براءته – إن كان ذلك ممكناً – كما توكل إليه مهمة التدليل على براءته[٤]، "وكان قاضيه هو

---

(١) المصدر نفسه، ص١٧٨
(٢) انظر: الطويل، توفيق، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ص٧١ ، حتاملة، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس**، ص١٦٨-١٦٩
(٣) ايليربي، **الجانب المظلم**، ص٩١
(٤) بتصرف، الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ٧٣

المدعي عليه، وكل من تقدم للشهادة ضده قبلت شهادته ولو كان من أرباب السوابق"[١] وفي الوقت ذاته يمنع أي أحد من الشهادة في صالحه.

ومن القواعد التي استخدمتها محاكم التفتيش في إيذاء الآخر وقمعه "لأن يُدان مائة بريء زوراً وبهتاناً ويعانوا العذاب ألونا خيرٌ من أن يهرب من العقاب مذنب واحد"[٢].

وقد كانت مجريات المحاكمة وملابساتها تتم وفقاً لعقيدة بولس في الخلاص؛ فكل من يساهم بالكشف عن الموريسكيين والتجسس عليهم، أو من يساهم في تقديم الوقود الذي يحرق به المتهم بعد محاكمته، يكون قد استحق المغفرة الكاملة من خطاياه، كما أحلت له الكنيسة ارتكاب جميع الجرائم التي يريدها بعد ذلك، مهما كان نوعها ومهما يعقبها من عظائم الأمور[٣].

أما طبيعة التهم التي توجهها محاكم التفتيش إلى المتهم فقد كانت تنم عن روح متعصبة، رافضة لقبول عقائد الآخرين وأديانهم، وقد ذكر مؤرخ التحقيق الإسباني (دون لورنتي) بعضاً من تلك التهم التي توجب تعذيب الآخر وقتله فيقول: يعتبر الموريسكي قد عاد إلى الإسلام إذا امتدح دين محمد، أو قال إن يسوع المسيح ليس إلهاً، أو أن الموريسكي يباشر بعض العادات الإسلامية كالاحتفال بيوم الجمعة، ولبس الثياب النظيفة، أو استقبال المشرق قائلاً باسم الله، أو أن يوثق أرجل الماشية قبل ذبحها، أو يتسمى بأسماء عربية، أوينشد الأغاني العربية، أو يتزوج طبقاً لرسوم الشريعة الإسلامية[٤]، وبناءً على ذلك كان المتهم، الذي يمثل أمام المحكمة يخضع لاختبارات تنفي عنه هذه التهم حيث يوضع أمامه كؤوس من الخمر، ثم يعرض عليه لحم الخنزير ويطلب منه أن يأكله[٥]، وحتى لو اجتاز المتهم هذه الاختبارات بنجاح وأثبت عدم تمسكه بدينه ومعتقده الذي كان عليه فإن ذلك لا يعني نجاته؛ لأن ذلك ليس إلا الخطوة الأولى من رحلة طويلة شاقة من التعذيب والاضطهاد تنتظره بعد ذلك، حيث يوضع المتهم في زنزانة داخل سجن سري، ويكون السجن عادة غاية في الفظاعة والسوء كما تنتشر فيه الأوبئة والأمراض؛ لشدة رطوبتها وظلمتها ومع ذلك كان الماء يصب فيها باستمرار حتى لا تتشرب الأرض الدماء النازفة عليها من المعذّبين، وكان المتهم يلقى فيها مصفداً بالأغلال، ويتزامن إلقاء القبض عليه مع مصادرة جميع أمواله وممتلكاته، على اعتبار أن هذه الأملاك ما هي إلا نفقات

---

(١) المصدر نفسه، ص٧٣

(٢) المصدر نفسه، ص٧٣

(٣) انظر: قطب، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش**، ص٧٥ ، الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**، ص٧٣

(٤) بتصرف، حتاملة، **مدخل لدراسة تاريخ الأندلس** ، ص١٧٠-١٧١ انظر: الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، **دولة الموحدين**، ص٢٨٩

(٥) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٧٩

للسجن، وقد يستغرق سجنه عاماً على الأقل أو ثلاثة أعوام لا يعرف السجين من خلالها شيئاً عن حياته ومصيره وأهله أوحتى تهمته(١).

أما أساليب التعذيب التي يواجهها المتهم في سجنه فلا يمكن أن تخطر على بال أحد لشدة وحشيتها وفظاعتها، وتبدأ بمنع المتهم من الطعام والشراب لكي يصبح نحيلاً غير قادر على الحركة(٢) ثم تبدأ عمليات التعذيب وقد تعددت وتنوعت ومنها:

١. **المخلعة:** التي كان يتم من خلالها شد المتهم من ساقيه إلى طرف بينما يبقى جذعهُ مثبتاً إلى الطرف الآخر، ويستمر الشد بقوة إلى أن تنفصل عظام المعذّب(٣).

٢. **الماء:** حيث يوثق المتهم (الآخر) فوق أداة تشبه السلم وتربط ساقاه وذراعاه إليها مع خفض رأسه إلى الأسفل، ثم يوضع قمع في فمه ويصب الماء في فيه بعد أن يسد منخر المعذب بقطعتين خاصتين من الخشب بينما توضع في فمه قطعة من قماش يضطر المعذب أحياناً إلى ابتلاعها ثم يبدأ تحريك المتهم يمنة ويسرة حتى تتشقق قدماه ويداه ويعتصر رأسه(٤).

٣. **الصحن الساخن:** وفيه يربط المتهم بإحكام إلى الأرض ثم يوضع صحن كبير فوق بطنه وبه فئران، وكانت النار تسلط تدريجياً على الصحن فتحاول الفئران الاحتماء من الحرارة فلا تجد إلا بطن الضحية تبقر فيه إلى أن يموت(٥).

٤. **السيدة الجميلة:** وهي عبارة عن تابوت فيه صورة أمرأة جميلة ومن جوانب التابوت يبرز عدة سكاكين حادة يتم وضع المعذب في داخله ثم يطبق عليه بسكاكينه الحادة حتى يتقطع ويموت(٦).

ومن أساليب القتل والإفناء التي اتبعتها محاكم التفتيش ضد الآخر المقابر الجماعية، ودفن المتهمين أحياء، ويذكر أن إحدى هذه المقابر قد اكتشفت أوائل سنة ١٩٧٩م في جنوبي إسبانيا وعلى حدود البرتغال في كنيسة مدينة يريبا فعندما كان العمال يحفرون في الساحة العامة

---

(١) بتصرف، حتاملة، **مدخل لدراسة تايخ الأندلس**، ص١٧٥-١٧٤ ، ونظر: عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش** ، ص١٧٩، قطب، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش**، ص٧٥-٧٦

(٢) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش** ، ص١٨٠

(٣) بتصرف بسيط، حتاملة، **المدخل لدراسة تاريخ الأندلس** ، ص١٧٧

(٤) بتصرف بسيط، المصدر نفسه ، ص١٧٧

(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٧٧

(٦) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٧٩

للكنسية لاحظوا فتحة، تابعوها وانتهوا إلى دهليز دخلوه، فإذا بقبر كبير يحوي ستة الألف جثة قطعت أشلائها وتركت أكواماً بعد أن أهيل عليها التراب[١].

ومما يجب ذكره أن أثر محاكم التفتيش[٢] لم يقتصر على ذلك العذاب والألم الذي يواجهه الآخر؛ بل تعدى أثره حتى شمل مجتمعاً وأسراً بأكملها ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

١. أشاعت محاكم التفتيش روح الصرامة والقسوة في نفوس الناس، وقد كان لطريقتها البشعة في التعذيب دور واضح في صياغة فقه القانون الجنائي في أوروبا كلها، وذلك عندما بدأت أوروبا تقلد ما اتبع فيها من وسائل واساليب متوحشة[٣].

٢. إفساد الأخلاق واشاعة روح الانتقام والشر بين الناس[٤].

٣. تحطيم الروابط الاجتماعية بين الأسرة الواحدة، فالابن يتنكر لأبيه، والزوجة لزوجها، مما أدى ذلك إلى خلق حالة من الفساد العام، فكل من يدلي بمعلومات حول المتهم من أفراد أسرته ينجو وتحفظ حقوقهم وميراثهم[٥]، وقد حدث أن امرأة سمعت زوجها يتلفظ بألفاظ مبهة (يهذي) وهو غارق في نومه، فما كان منها إلا أن أسرعت إلى قساوسة التفتيش في الكنيسة وأخبرتهم بذلك ثم مكثت

---

(١) بتصرف، حاملة، **المخل لدراسة تاريخ الأندلس**، ص١٧٩

(٢) بعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس وتحديداً في سنة ١٨٠٨م أرسل نابليون بونابرت حملة إلى إسبانيا لإلغاء محاكم التفتيش ويروي ضابط في الجيش الفرنسي (الكولونيل ليمونسكي) مسؤول في هذه الحملة أنه وبعد دخولهم إلى إسبانيا كانوا يتعرضون كل ليلة لهجوم فيقتل أحدهم خلسة وبعد أن هوجم في إحدى الليالي تبين من هوية المهاجمين أنهم جنود ديوان التفتيش الذين قرروا إخافة الجيش الفرنسي وطرده حتى لا يتم الغاء محاكم التفتيش، فأصدر الأمر بمهاجمة الديوان والتأكد من صحة ما سمع، فلما دخلوا فوجئوا بأنه عبارة عن قصر فخم مليء بوسائل الترف والملذات واللهو، حتى ليظن الناظر أن ساكنه ملك، وبعد البحث في أرجاء الغرف لم يتم العثور على سجون أو غرف تعذيب، وكادت المحاولات تفشل حتى رأى الضابط أن يفحص أرضية الغرف فاكتشف باباً سرياً يؤدي إلى باطن الأرض، ولما هموا بالنزول أخذ الضابط شمعة لأن الظلام حالك فوضع أحد الرهبان يده على كتفه بلطف قائلاً: "يا بني لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوثة بدم القتال إنها شمعة مقدسة" فأجابه الضابط سنرى من النجس فينا، ومن القاتل السفاح، وعند نزولهم شاهدوا ما لا يمكن أن يخطر على بال أحداً غرفاً مظلمة ومرعبة، وأدوات التعذيب، وغرفاً صغيرة في حجم جسم لإنسان بعضها عمودي وبعضها أفقي يبقى فيها السمين على وضعية معينة حتى يموت وتبقى الجثة حتى يتساقط اللحم وتأكله الديدان، كما شاهدوا هياكل بشرية، لا زالت في أغلالها ووجدوا فيها رجالاً ونساءً تتراوح أعمارهم بين ١٤-٧٠، كان بعضهم قد أصابه الجنون، وكان جميع السجناء عراة، ثم أخرجوا السجناء تدريجياً إلى النور حتى لا تذهب أبصارهم، وكانوا يبكون فرحاً، وهم يقبلون أيدي الجنود وأرجلهم لأنهم أنقذوهم من العذاب، وأعادوهم إلى الحياة، ثم شاهدوا ألآت التعذيب الرهيبة؛ ألآت تكسير العظام، وسحق الجسم البشري، وكذلك تابوت السيدة الجميلة الذي يطبقونه بسكاكينه وخناجره على جسم الضحية ليقطعه إرباً إرباً. انظر: عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص٢١١-٢١٦ ، قطب، **جرائم محاكم التفتيش**، ص١١٠-١١٩

(٣) بتصرف، الطويل **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام** ، ص٧٤

(٤) بتصرف، المصدر نفسه، ص٧٤

(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ص٧٨

الكنيسة برهة من الوقت، وعندما عادت لم تعثر على أثر لزوجها حيث حمل إلى محاكم التفتيش للتحقيق معه حول ما كان يهذي به[١] كان ذلك نتيجة لحالة الخوف والذعر الذي أصاب المجتمع، وكثرة الجواسيس الذين ينتشرون بين الناس دون أن تعرف شخصياتهم وهوياتهم.

٤. ضياع أسرة الضحية بالكامل، حتى لو اعترف على نفسه حيث تقضي قوانين محاكم التفتيش بمصادرة أموال المتهم وجميع ممتلكاته، ولا يبقى شيء لأبنائه لأن الشريعة تقضي بأن يحمل الأبناء والأطفال ذنب أبيهم فيسلبون جميع حقوقهم من ممارسة الأعمال، أو مزاولة المهن، وكثيراً ما كان أبناء المتهم يتركون للفقر والعوز المطلق، وتسد أمامهم كل أبواب الأمل فيتركون للجوع والموت[٢].

ومما يجب التأكيد عليه أنه على الرغم من كل محاولات القمع والقتل التي شهدها الآخر في الأندلس؛ إلا أن محاكم التفتيش لم تنجح في القضاء على الآخر كلياً؛ فلجأت إسبانيا في القرن السابع عشر إلى الطرد الجماعي بعد مصادرة جميع الأملاك، حيث أصدر الملك فيليب الثالث قراراً بطرد مئات الآلاف من الموريسكيين بعد أن اقتنع بفشل محاكم التفتيش في إجبار المسلمين على ترك دينهم، واشترط لذلك الطرد إبقاء الأطفال الذين كانت أعمارهم بين العاشرة أو أقل في إسبانيا؛ ليقوم الرهبان بتعليمهم مع إبقائهم عبيداً بغير زواج، وفي عامي (١٦٠٩-١٦١٤م) تم طرد ما لا يقل عن ٥٠٠ ألف شخص إلى المغرب وتونس والجزائر؛ ونهبت أموالهم وثرواتهم، وكان سكان إسبانيا حوالي ٨ ملايين وقد تمت إبادة كثير منهم أثناء الترحيل حيث كانت تلقيهم السفن ليموتوا غرقاً[٣].

ومن هذا النموذج يتضح أن المسيحية خلال تواجدها في الأندلس لم تقبل الآخر بأي وجه من الوجوه؛ حيث عملت على سلب حقوقه، والمبالغة في امتهانه، و تجريده من معتقده ودينه وطرده، وباختصار هي لا تريد أن تقبل أي دين آخر؛ ولذلك لم تقبل وجود مسلمين أو مدجنين في البلاد التي تم اغتصابها.

---

(١) بتصرف، قطب، **مذابح وجرائم محكم التفتيش**، ص٩٠-٩١

(٢) بتصرف، الطويل، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام**، ص٧٦-٧٧ ، انظر: اليربي، **الجانب المظلم**، ص٩٥

(٣) بتصرف، عطيات، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ص١٦٩-١٧١

المبحث الثاني

الحرب على العراق

تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية في ١١ أيلول من العام ٢٠٠١م إلى هجوم استهدف مراكز تجارية ورسمية، راح ضحيتها عدد من الأبرياء، وبناءً على ذلك أعلنت الولايات المتحدة عن تشكيل تحالفٍ دولي لمكافحة الإرهاب، رافقه تأييد دولي، وقد تجاوبت دول عدة مع هذا التحالف[١].

أما هوية الإرهاب الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تعقبه ومعاقبته فلم تكن مجهولة في نظرها؛ ولذلك أعلنت ودون أدنى تريث اتهام العرب والمسلمين بهذه الحادثة، وإلصاق الإرهاب بهم على الرغم من أن العنف والإرهاب ظاهرة عالمية موجودة في كل مكان.

وبذلك يظهر مدى الظلم والإجحاف الذي لحق بالآخر – العربي والمسلم – في ظل هذه الاتهامات، وتؤكد الأدلة والتحقيقات ذلك؛ ففي ظل وجود أعداء كثر للولايات المتحدة؛ إلا أن أصابع الاتهام قد وجهت إلى الآخر (العربي، والمسلم) فقط [٢].

ويبرر البعض سبب حصر الاتهامات الأميركية للعرب والمسلمين بحالة الغضب والانفعال التي أصابت الأمريكيين في ذلك الوقت؛ إلا أن لائحة الأسماء المعروضة تكشف عكس ذلك، حيث لم يرد اسم واحد ولو عن خطأ لعنصر غير عربي أو غير مسلم ضمن لائحة الأسماء[٣].

وعلى الرغم من ذلك تحولت الاتهامات التي وجهت إلى الآخر إلى واقع، وذلك بعد ان اجتاحت الولايات المتحدة العراق متدرعةً بجملة من الاتهامات التي أثبت التاريخ والواقع زيفها وبطلانها؛ ولكن بعد فوات الأوان؛ فقد دفع الآخر دمه وماله وأرضه وعرضه ثمناً لذلك،

---

(١) بتصرف، حسين، خليل، **ذرائع الإرهاب الدولي**، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٢م، ص١٧٤.

(٢) **(الأعداء كثر والمتهم واحد)** مقولة تصدق بالفعل على الواقع الذي افتعلته الولايات المتحدة إبان هجمات ١١ أيلول؛ فعلى الرغم من كثرة أعدائها إلا أنها وجهت أصابع الاتهام نحو العرب والمسلمين فقط، فهناك أعداء لها في الصين وروسيا كوريا الشمالية، وكوبا، وغيرها من الدول. وكذلك توجد في الولايات المتحدة نفسها أكثر من ١٠٠٠ مجموعة مسلحة منتشرة على أرضها، تحرض على الإرهاب والعنف. من ضمنها أكثر من ٤٠٠ ميليشيا مسلحة تحمل كراهية شديدة للحكومة الأمريكية، ومن هذه المجموعات (الوطن الآري كوكلوس، الفهود السود ...). كما أنه قد سبق لبعض هذه الجماعات أن نفذت أعمالاً إرهابية خطيرة داخل أمريكا نفسها كحادث (روي لايرج) سنة ١٩٩٢م وحريق (الديفيدين) في واكو سنة ١٩٩٣م وحادث المبنى الفيدرالي في (أوكلاهوما) الذي خلف ١٦٨ قتيلاً و ٥٠٠ جريح سنة ١٩٩٥م. ويذكر أن الإتهامات في هذا الحادث قد وجهت إلى العرب والمسلمين ثم تبين خطؤها بعد ذلك. انظر: الكريني، إدريس، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١ أيلول**، ط١، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٥م، ص٢٤-٢٥

(٣) بتصرف، المصدر نفسه، ص٢٣-٢٤

ولتوضيح الأثر الذي خلفته هذه الاتهامات على واقع الآخر (العراقي)، وحياته، لا بد من استعراض الدوافع والوسائل التي جنّدت لذلك.

المطلب الأول: دوافع الحرب على العراق وموقفها من الآخر

تعددت الدوافع والأسباب التي أدت إلى الحرب على العراق؛ ففي ظل القول بضرورة قمع الإرهاب ومحاصرته، ظهرت دوافع أخرى تعقبها الباحثون والسياسيون بالبحث، مستندين بذلك إلى تصريحات صنّاع القرار السياسي، وما أعقب ذلك من وقائع وتحقيقات، منها:

أولاً: الدوافع الدينية[١]

ترجع بعض الآراء والتحليلات حرب أمريكا على العراق إلى دوافع دينية بحتة اعتماداً على دلائل عدة، منها انتماء الرئيس الأمريكي بوش الإبن إلى طائفة الإنجيليين التي تُعد أكثر التيارات الدينية تعصباً وانتشاراً منذ الحرب العالمية الثانية، حيث يصل عددهم إلى(٥٠٠ مليون) نسمة[٢]. واللافت في هذا التيار خطورة الأفكار التي يعتنقها، ومدى تأثيرها في صناعة القرار السياسي في أمريكا، ومن ذلك اعتقادهم باتصالهم المباشر بيسوع كاتصال رجل مع رجل أو رجل مع الله، وأن الله اختارهم لمساندته ومساعدته في تغيير الأحداث وتشكيل العالم تمهيداً لقدوم المسيح وإنهاء مهمته الكونية، ويؤكد ذلك أقوال المنتسبين إلى هذا التيار من المجالات والمواقع كافة ، ومنها ما أعلنه (بات روبرتسون) مؤسس التحالف المسيحي ورئيس قناة الأسرة التبشيرية في منتصف شهر كانون الثاني ٢٠٠٤م قائلاً: "إنه يسمع الله وهو يقول له إن

---

(١) تشير الوقائع إلى وقوع الآخر العربي ضحية لاتهامات تعكس خلفية صاحبها؛ فعلى الرغم من وجود أدلة صارخة تؤكد علم صناع القرار بهجمات ١١ أيلول؛ إلا أن الولايات المتحدة كانت مصرة على توجيه الإتهام إلى العرب والمسلمين لأهداف ودوافع مبيتة ومن هذه الدلائل:

١. عدم إقدام أية طائرة عسكرية أمريكية للتصدي لأي من الطائرات المختطفة التي ارتبطت بالبنتاغون ومركز التجارة العالمي.
٢. إنتهاء العمر الإفتراضي للبرجين حيث تم تفجيرهما من الأرض.
٣. رفض جهاز الأمن الإسرائيلي (الشاباك) التصريح للرئيس إرييل شارون بالسفر إلى أمريكا للمشاركة في مهرجان تضامني مع إسرائيل وذلك قبل الهجمات بيوم واحد.
٤. غياب مريب لحوالي ٤٠٠ عامل وموظف يهودي عن مركز التجارة العالمي يوم وقوع الحادث.
٥. القبض على خمسة سياح يهود قرب البرجين أثناء تصويرهم لأحداث الهجمات وهم في حالة ضحك ومرح هستيري. ومع هذه الأدلة وغيرها يبقى المتهم واحداً وسيبقى مداناً حتى تثبت براءته. انظر: الكتريني، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١ أيلول**، ص٢٥-٣٢

(٢) بتصرف، عبد العزيز، **تنصير العالم**، ص٩

انتخابات ٢٠٠٤م سوف تكون مدوية، وأن جورج دبليوبوش سوف يكسب بسهولة، ولا يهم إن كان قد أخطأ أو أصاب؛ فالمهم هو أن الله يسانده لأنه رجل تقي"[١].

وقد ظهرت هذه الادعاءات نتيجة الاعتقاد بأن مجيء بوش الابن ما كان إلا لتحقيق الرسالة السماوية التي تهدف إلى دحر الإرهاب أفراداً وجماعات ودول، دون مبالاة بالنتائج والعواقب، حتى لو راح ضحيتها كل المتهمين بذلك[٢]، وسعيه في تشكيل العالم ليحقق رسالته المنشودة، وهذا ما أعلنه بنفسه في إحدى خطاباته حيث يقول: "إننا نسعى إلى تشكيل العالم، وليس مجرد أن يشكّلنا هو، وأن نؤثر في الأحداث (...) بدلاً من أن نكون تحت رحمتها"[٣].

ويعد اعتماد بوش الابن والتيار الإنجيلي بالخصوص على النصوص المقدسة والتنبؤات الواردة في رؤيا يوحنا وغيرها من الأسفار سبباً أساسيا لتبني هذه الأفكار، والسعي إلى تحقيقها والتعجيل بقدومها، مما جعل الآخر يقع ضحية لتنبؤات لا يعلم صدقها من كذبها، وقد ظهرت آثار هذه التنبؤات على ألسنة الإنجيليين وصناع القرار الأمريكي؛ فقبل بدء الحرب بأيام على العراق، وتحديداً في ١٥ آذار ٢٠٠٣م أطلق المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض آري **فلايشر** تهديداً للعراق على شكل رسالة قال فيها: "**لا يزال هناك وقت لكي يرى صدام حسين ما كُتب على الحائط، ويرحل عن العراق**"[٤]. ويعلق د.احمد السقا على هذا التهديد من خلال ربطه مباشرةً بما ورد في **سفر دانيال**[٥] حيث يقول: ليس من قبيل المصادفة استخدام آري فلايشر فقرات من سفر دانيال ليهدد الرئيس العراقي؛ أما قصة هذا التهديد فتعود إلى ما يذكره السفر أن الملك (بيلشاصر) ابن نبوخذ نصر الذي سبى اليهود إلى بابل قد عمل حفلاً ضخماً، وأمر بإحضار آنية الذهب والفضة التي استولى عليها أبوه من الهيكل، ثم شربوا فيه الخمر؛ ولكن في لحظة فرحهم ظهرت يد إنسان على الحائط، مكتوب عليها ثلاث كلمات غامضة، وقد فسرها دانيال له بأنها تعني أن الله قد أحصى أيام مملكتك ووضع لها حداً، كما أنك وضعت في الميزان فلم يعد لك وزن، والكلمة الثالثة تعني أن مملكتك قد قسمت وتم تسليمها إلى الفرس، ثم يستطرد السفر موضحاً تحقق ما قاله دانيال، وما كتب على الحائط وهذا ما هدد به فلايشر صدام حسين ليرحل عن العراق[٦].

---

(١) عبد العزيز، **تنصير العالم**، ص٩
(٢) بتصرف، حسين، **ذرائع الإرهاب الدولي**، ص١٦٩
(٣) المصدر نفسه، ص١٦٩
(٤) السقا، احمد حجازي، **عودة المسيح المنتظر**، ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥
(٥) انظر: **سفر دانيال** ٥ : ١-٢٩
(٦) بتصرف، السقا، **عودة المسيح المنتظر**، ص٥-٦

كما استند الإنجيليون في حربهم على العراق إلى بعض نصوص التوراة، والنبوءات التي تدعو إلى الإنتقام من العراق وأهله، ثأراً لما قام به نبوخذ نصر مع اليهود عندما أنهى ملكهم، ودمر مملكتهم، وسباهم إلى بابل، ومنها ما يذكره المزمور: "**يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!**"(١)، ويقول أيضاً: "**عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ. عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا. لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ». كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ، تَنْسَى يَمِينِي! لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ، إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي! اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا، هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا». يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! ٩طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!**"(٢). وبالفعل استطاعت أمريكا تحقيق ما أورده المزمور من تهديد ووعيد، حيث لحق الدمار العراق في المجالات كافة ، كما شرد أهلها، وقتل أطفالها ونساؤها.

وترتبط قضية الحرب على العراق بعقيدة هامة يؤمن جميع الإنجيليين بضرورة حدوثها والتعجيل بقدومها، وهي **عقيدة المسيح المنتظر**، وبناءً عليها تأسست النظرة الأمريكية إلى الآخر في الشرق الأوسط التي تقوم على ثلاث قواعد دينية(٣):

الأولى: أن إدارة بوش هي أكثر إدارة ملتزمة بعقيدة (الولادة الثانية) التي تقول بالعودة الثانية للمسيح، وبأن من مستلزمات هذه العودة قيام إسرائيل دولة لكل يهود العالم في الأرض الموعودة.

الثانية: إنشاء ٢٠٠ محطة تلفزيونية، و١٥٠٠ محطة إذاعية؛ لنشر عقيدة العودة الثانية للمسيح، وضرورة تجمع اليهود في فلسطين؛ لتصبح ركناً ثابتاً من أركان الإيمان الديني والثقافة العامة في الولايات المتحدة.

الثالثة: دعم جهود القساوسة الذين يتزعمون عقيدة عودة المسيح والولادة الثانية، وقربهم من إدارة الرئيس بوش، ومواقع صنع القرار؛ بل إن كاتب خطابات وتصريحات الرئيس بوش هو أحد هؤلاء القساوسة وهو (مايكل جيرسون).

---

(١) المزمور ١٣٧: ٨-٩

(٢) المزمور ١٣٧: ٢-٩

(٣) السقا، **عودة المسيح المنتظر**، ص٢٧-٢٨

وبناءً على ذلك سعى القساوسة الأمريكيون أمثال **(جيري فالويل، وبات روبرتسون وغيرهم)** إلى دعم الصهيونية، والتشجيع على عودة اليهود إلى فلسطين؛ حتى يتمكن المسيح من العودة، يقول بات روبرتسون في بيانه المعروف **(النظام العالمي الجديد)**: " لن يكون هناك أي سلام عالمي قبل أن يتولى بيت الله وشعب الله دورهم القيادي في زعامة العالم"[(١)].

وتؤكد الباحثة الأمريكية (جريس هالسل) دور الحركة الدينية التي تتزعمها الإدارة الأمريكية بوجود رجال الدين في اتخاذ قرارات هامة تتعلق بمصير الآخر في الشرق الأوسط، وأن ذلك ينطلق من إيمانها العميق بضرورة عودة المسيح الثانية، فتقول في ذلك: إن للمشاركة الدينية دوراً بارزاً في توجيه القرار السياسي الأمريكي، بحيث يتوافق مع إرادة الله، ففي كل مرة يجد الرئيس الأمريكي نفسه مدعواً لاتخاد قرار جوهري يتعلق بالشرق، ومنذ حادث ١١ ايلول ٢٠٠١ يلعب القس جيري فالويل هذا الدور في إدارة الرئيس بوش[(٢)]، وتضيف الباحثة هالسل موضحةً المقصود من ضرورة توافق إرادة الله مع القرار السياسي الأمريكي حيث تقول: " وفي مفهوم هذه الحركة، فإن إرادة الله تحددها التفسيرات الموضوعة لمجموعة من النبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض أسفار التوراة، والعهد القديم، مثل سفر الرؤيا، وسفر حزقيال، وسفر يوحنا، وغيرها، ومن هذه النبوءات معركة هرمجيدون التي يتبعها مباشرة الظهور الثاني للمسيح"[(٣)].

ولذلك تعتقد السياسة الأمريكية أن الواجب على كل مؤمن توظيف جميع إمكاناته وقدراته ليحقق إرادة الله، وأن الله يختار الإرادة الإلهية[(٤)] وهذا ما جعل الرئيس السابق للولايات المتحدة **رونالد ريغان** يتمنى أن يمن الله عليه بشرف كبس الزر النووي لتحقيق إرادة الله في وقوع هرمجيدون، ومن ثم يعود المسيح[(٥)] وتتساءل الباحثة **هالسل:** كيف يمكن أن يكون موقف السياسة الأمريكية تجاه الآخر في الشرق الأوسط في ظل سيطرة النبوءات، ومعركة هرمجيدون التي ستقع في سهل مجيدو؟

وقد أثار موضوع كبس الزر الذي يتمناه ريغان الأمريكيين ورجال الدين أنفسهم لما فيه من آثار مدمرة على الآخرين، وما يحمله من تهور؛ ففي عام ١٩٨٥م أجرى المعهد المسيحي في واشنطن بقيادة القس **(اندرو لانغ)** دراسة حول ذلك، وقد جاء فيها: "إن إمكانية إيمان رئيس

---

(١) عبد العزيز، **تنصير العالم**، ص٩

(٢) بتصرف، هالسل، جريس، **يد الله**، ط١، (ترجمة محمد السماك)، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٩

(٣) المصدر نفسه، ص٩

(٤) بتصرف، المصدر نفسه، ص٩

(٥) بتصرف، المصدر نفسه، ص٩

الولايات المتحدة بأن الله قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام مثيرة: هل يؤمن بجدوى مباحثات التسلح رئيس يعتنق هذا النظام الديني؟ وخلال أي أزمة نووية هل سيكون متروياً وعاقلاً؟ أو إنه سيكون متهافتاً للضغط على الزر، وهو يشعر في قرارة نفسه أنه يساعد الله في مخططاته التوراتية المقررة مسبقاً لنهاية الزمن"[١].

ويذكر أن رجال الدين المشاركين في توجيه السياسة الامريكية أمثال جيري فالويل ولندسي وروبرتسون يعتقدون ان الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح، ولكن بعد حرب نووية عالمية، أو كوارث طبيعية وانهيار اقتصادي مروع، وهم يؤمنون بضرورة وقوعها ليأتي المسيح ويأخذ المسيحيين معه إلى السماء، ومن هناك سيراقبون بسلام الحروب والكوارث والفواجع، وفي نهاية ذلك يعودون مع المسيح؛ ليحكموا الأرض مدة ألف سنة[٢] يقول جيري فالويل وهول ليندسي: "إن الله يريدنا أن نخوض معركة رهيبة تضع حداً للتاريخ الإنساني؛ والآن مع حوالي اثنتي عشرة دولة تملك السلاح النووي نستطيع بالفعل أن نقضي على العالم"[٣]. ولا بد من التنويه إلى أن ذلك لا يتم، ولن تتحقق عودة المسيح إلا من خلال الدور الأمريكي، يقول المؤلف جون هاجي في الفجر الأخير: إن أمريكا رمز لتيتانيك حديثة (...) إننا الآن في سباق نحو الكارثة[٤].

وفي ظل هذه الأفكار والأجواء المشحونة بالتنبؤات تم استهداف الآخر في العراق، وإشاعة القتل والفوضى والدمار فيها بشكل مستفز، تحقيقاً للنبوءات الواردة في الكتاب المقدس. وقد كان الهدف منها التمهيد لاندلاع حرب عالمية، تدمر جميع سكان العالم، فتجبر المسيح على التدخل، والعودة من جديد، كما تصرح بعض الوقائع والأحداث أن استهداف العراق واحتلالها يمهد الطريق لحملات التنصير فيها، وقد حدث ذلك فعلاً بعد احتلال العراق حيث قامت جمعية القس فرانكلين جراهام بتوزيع أكثر من خمسين ألف نسخة إنجيل على العراقيين[٥].

ويتضح الدافع الديني في الحرب على العراق من خلال التصريحات التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش حيث أكد أن الحرب على العراق هي **حرب صليبية**، وأن الله تعالى قد كلفه بها مما أثار بذلك حفيظة الباحثين ، تقول الباحثة كارين آرمسترونغ: "ربما كان من غير المناسب على الإطلاق أن يسمي الرئيس بوش إجراءه الانتقامي هذا **(حملة صليبية)**؛ لأنه ما

(١) هالسل، **النبوءة والسياسة**، ص٧
(٢) بتصرف، المصدر نفسه ، ص٧
(٣) هالسل، **يد الله**، ص٩
(٤) بتصرف بسيط، المصدر نفسه، ص٩
(٥) بتصرف، عبد العزيز، **تنصير العالم**، ص١١

كان ليختار لفظة أدعى لإثارة – حفيظة إن لم نقل كراهية – حلفائه المحتملين من هذه اللفظة"[١]، وقد نشرت الصحف والمجلات مؤكدةً على أن هذه الحرب ضرورة لتحقيق إرادة الله؛ ففي تقرير نشرته مجلة (دير شبيجل) في ألمانيا تم وضع العنوان التالي ليكون غلافاً لعددها الصادر يوم الاثنين ١٧ فبراير ٢٠٠٣م حيث يقول: "**في مهمة إلهية، حرب جورج بوش الصليبية**"[٢].

ولم يكن هذا كلام المجلات والصحف فقط؛ بل إن هذا ما صرح به بوش الابن شخصياً حيث يقول: "إنني مقتنع بأن الله وضعني في منصبي في هذه اللحظة التاريخية وأرجو أن أكون قبل الجميع قوياً بما يكفي لتحمل هذه المهمة المقدسة"[٣]، ويرى القس جيري فالويل أن ما حدث في ١١ أيلول وما يحدث للعراق إنما يمثل "عودة المسيحيين لتحقيق كلمة الله بالقضاء على الأشرار"[٤] ويقصد بالأشرار هنا المسلمين، ويؤكد ذلك الاتفاق الذي ضم الرئيس بوش والقس فرانكلين جراهام حيث وصف الأخير الإسلام بأنه " أقصى أنواع الشر وبأنه دين ذميم"[٥] وكذلك يقول صديقه جيري فينز القس الأكبر لكنيسة باسيت في فلوريدا " إن المسيحية تأسست على يد سيدنا المسيح عيسى الذي ولد كابن لله من امرأة عذراء؛ إنما الإسلام تأسس على يد محمد الذي تلبسه الجن، وتزوج من ١٢ امرأة آخرهن كانت في التاسعة من عمرها"[٦].

وبناءً على ماسبق يلاحظ مدى الارتباط الوثيق بين الحرب التي شنتها أمريكا على العراق وبين الخلفية الدينية التي تتبناها السياسة الأمريكية التي تم من خلالها تحديد موقفها من الآخر، فقد رأت أن قتل الآخر واضطهاده وتخريب بلاده سيكون مقدمة لحرب عالمية يهلك فيها سكان العالم، وتمهد لمجيء المسيح المخلص، كما سينال العراقيون الخلاص بعد دخولهم في النصرانية المزمع نشرها في أرجاء العراق.

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى التشابه الواضح بين الدوافع الرئيسية للحرب[٧] على العراق والدوافع الرئيسية للحرب الصليبية؛ فأصحابها يزعمون أنها وقعت لأجل الآخر وتحقيق مصالحه

---

(١) آرمسترونغ، **الحرب المقدسة**، ص٩
(٢) السقا، **عودة المسيح المنتظر**، ص٣٩
(٣) المصدر نفسه، ص٤
(٤) المصدر نفسه، ص٤٢
(٥) المصدر نفسه، ص٤٢
(٦) المصدر نفسه، ص ٤٢
(٧) تجدر الإشارة إلى أن لجد بوش الإبن تأثيراً واضحاً على افكار بوش وابنه، مما كان له دور في حرب العراق وتدميرها، فمن أقواله: "حالما يتم تدمير امبراطورية السارزان – المسلمين – فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم" السقا، **عودة المسيح المنتظر**، ص٤٢ كما ينسب إلى بوش الجد أيضاً بعض الكتب والمؤلفات التي تنضح بالعنصرية ضد المسلمين، ومنها كتابه (حياة محمد). وهذا الكتاب هو الذي هدى

والرغبة في تخليصه من ذنوبه وآثامه؛ فالحروب الصليبية تزعم أنها خرجت بدافع المحبة للآخر، وكذلك الحرب على العراق فقد خرجت بدافع المحبة كما يزعم أصحابها، ورغبة في تخليص الآخر العراقي من حكم الاستبداد وتحقيق الديمقراطية، والعمل على تنصير العراقيين؛ ليتحقق لهم الخلاص من الشر والحياة البائسة التي كانوا يعيشونها.

الدافع الاقتصادي:

يبرز الجانب الاقتصادي بشكل واضح في الحرب الأمريكية على العراق، ويؤكد ذلك الثروات التي ملكها العراق، وأقوال صناع القرار السياسي في أمريكا: أما ثروات العراق فإن الدراسات تؤكد أن نفط العراق يحتل المركز الثاني من حيث الاحتياطي العالمي بعد السعودية، كما أن مخزونه الحقيقي أعلى بكثير من الأرقام المتداولة، مع احتمالات لاكتشافات جديدة، ومعظم التوقعات ترشحه كآخر نفط ينضب في العالم[١]، وهذا يعني أن السيطرة على العراق تؤدي إلى التحكم فيما يقارب ربع إجمالي احتياطي النفط العالمي، كما أن السيطرة على العراق التي تتميز بموقع استراتيجي متميز تعني امتلاك ثلثي الاحتياطي العالمي للنفط الذي يتركز في الخليج العربي[٢].

من هنا سعت الولايات المتحدة جاهدة للاستيلاء على العراق لتتمكن من تحقيق أهداف اقتصادية بحتة، دون النظر إلى ما سيلحق العراق وأهلها من دمار وقتل وتشريد، ما دام أن الغاية تبرر الوسيلة، يقول نائب وزير الدفاع الأمريكي (بول ولفوتر) في مقابلة له أجراها في سنغافورة: "دعونا ننظر إلى الأمر ببساطة، فالفرق الأهم بين كوريا الشمالية والعراق يكمن في الناحية الاقتصادية، ولم يكن أمامنا خيار آخر في العراق، فتلك البلاد تطفو على بحر من النفط"[٣].

وبناءً على ذلك يمكن القول إنه على الرغم من تعدد الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة لحرب العراق واحتلالها، فإن الآخر كان الخاسر الأكبر فيها؛ فالدافع الديني وما تؤمن به الإدارة

الكثيرين لفكر جورج بوش الإبن وأبيه قبل ذلك، ويعد من أشنع ما كتب عن العرب المسلمين. وقد طبع الكتاب سنة ١٨٣١م وهو موجود في مكتبة الكونغرس، ويحظر على أي أحد الاستعانة به، كماتنسب إلى بوش الجد كتب في شرح أسفار العهد القديم، ويعد كتابه المسمى (وادي الرؤى) عملاً علميا لإحياء دولة إسرائيل وتذاع نصوصه على المحطات الأمريكية، ويدعو إلى ضرورة تجميع اليهود في فلسطين، وسحق السارزان أي المسلمين. بتصرف، السقا، **عودة المسيح المنتظر**، ص٤٢-٤٣

(١) بتصرف بسيط، حسين، **ذرائع الإرهاب الدولي**، ص١٨٥

(٢) بتصرف، المصدر نفسه، ص١٨٥

(٣) الزبيدي، حسن هادي، **مستقبل العراق ودول الربيع العربي في ظل تحديات التغير**، دار امجد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥م، ص٤٧٥

الأمريكية من أفكار ومعتقدات تدعو إلى اضطهاد الآخر وإلحاق الضرر والأذى به لأجل تحقيق تنبؤات تكون نهايتها علو مجدهم وسلطانهم وسيادتهم، فالمسيح المخلص كما يعتقدون سيترك العالم في هرج ومرج يتقاتلون حتى يهلكوا، أما هم والمسيح فينظرون إلى هذا المشهد المسلي من السماء وكذلك وقع الآخر ضحية للدوافع الاقتصادية والمطامع الأمريكية؛ فأمواله وثرواته التي تجري على أرضه كانت سبباً في قتله وتشريده وتجويعه بدلاً من أن تكون مصدر رفاهيته وسعادته.

المطلب الثالث: وسائل السيطرة الأمريكية على العراق وأثرها على الآخر

استخدمت الولايات المتحدة الوسائل كافة في حربها على العراق، ولعل أهمها لجوؤها إلى الأمم المتحدة، ودفعها إلى إصدار قرار يبيح لها شن حروب عشوائية؛ بحجة تدارك الأمر في مواجهة الإرهابيين، وقطع الطريق عليهم قبل أن يقدموا على تنفيذ مخططات وهجمات إرهابية أخرى، وقد اسمتها الحروب الوقائية [١]، ولنا أن ندرك مدى الفوضى والتلاعب والاستهتار بالنفس البشرية وحقوقها وكرامتها، والنظرة الاحتقارية التي يؤكدها هذا النوع من الحروب، كما أن ارتكاب القمع والعنف الإنساني في كل بلد تدخلت فيه الولايات المتحدة لا يكشف عن جشع أحمق للسيطرة فحسب؛ وإنما عن اهتمامها بوأد الآخر واقتلاعه خوفاً منه[٢].

ومن الوسائل التي استخدمتها الولايات المتحدة في شن هجومها على العراق اللجوء إلى القوة العسكرية المسلحة، دون التفريق بين رجل وامرأة أو طفل؛ فالكل مستهدف ومعرض للقتل والإبادة ما دام أن المصلحة تفرض ذلك، وهذا ما أكدته السياسه الأمريكية في كل محفل. يقول (مايكل كلير):"إن أي رئيس أمريكي لن يتردد في استخدام القوة العسكرية أو التلويح باستخدامها من أجل حماية المصالح النفطية الأمريكية في منطقة الخليج، وقد كان هذا المبدأ حاضراً بقوة لدى مسئولي إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش أثناء التفكير في غزو العراق في أذار عام ٢٠٠٣م"[٣]. وقد كان للوسائل المسلحة أثر كبير ونتائج مروعة على الآخر ، حيث قتل الآلاف من المدنيين الذين كان غالبيتهم من الأطفال والنساء[٤].

كما تعد وسائل الإعلام من أهم الوسائل التي استخدمتها الولايات المتحدة في إلحاق الأذى بالآخر، وذلك من خلال تشوية صورته وسلوكه، وتحريف فكره للوصول إلى تحقيق أهدافها

---

(١) بتصرف،الزبيدي، **مستقبل العراق**، ص٤٧٢
(٢) بتصرف، عبد العزيز، **تنصير العالم** ، ص٨
(٣) الزبيدي، **مستقبل العراق**، ص٤٧٤
(٤) بتصرف، حسين، **ذرائع الإرهاب الدولي**، ص١٦٨

ومصالحها، وقد استطاعت الولايات المتحدة استغلال الإعلام بطريقة تعتمد على الغش والخديعة والأكاذيب، أدت إلى تخريب الإعلام، الأمريكي بطريقة مسرحية ما يعرف بحرب الإعلام حيث تتخطى تقنيات الدعاية كافة ؛ لتصل إلى استخدام التلفيق والتزوير تحت مسمى (الحرب الوقائية)[١]، وقد اعتمدت الولايات المتحدة في حربها ضد الآخر في العراق على سياسة التعتيم، وذلك بعد أن اجتهدت وسائل إعلامها في التحكم بالرأي العام العربي والدولي، فأعادت صناعته من جديد، و هيأته لكي يقبل الأكاذيب وكأنها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها [٢].

ولعل من المؤلم عند الحديث عن أحداث الحرب على العراق، أن نذكر ما لحق بالآخر فيها من دمار وقتل واضطهاد وعنف تجاوز الوصف، بناءً على كذبة تم فيها استخدام وسائل القوة والقمع والتضليل كافة ، كما تؤكد أيضاً مبلغ الاستهتار بالآخر كإنسان؛ فلو كانت النظرة إليه تنطلق من قاعدة الإنسانية التي تقتضي ضرورة المساواة والعدل لما كان هذا حاله وما آلت إليه حياته من بشاعة ودمار.

المطلب الثالث :أثر الحرب الأمريكية على الآخر في العراق

كشفت وقائع الحرب الأمريكية على العراق مدى هشاشة المبررات والدوافع التي أعلنتها السياسة الأمريكية في احتلالها للعراق؛ فالأحداث التي جرت على الأرض العراقية تؤكد وقوع كارثة إنسانية بكل المقاييس تتناقض مع خطط الديمقراطية وحقوق الإنسان التي طرحتها الإدارة الأمريكية؛ فلم تخل منطقة في العراق إلا وتعرض أهلها إلى القتل والتشريد والسرقة والنهب.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام أن الأضرار البالغة التي خلفتها الحرب على العراق لم تقتصر على العراقيين وحسب؛ بل إنها ألحقت ضرراً بليغاً بالعالم العربي في المجالات كافة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وذكر الكاتب الأمريكي (توماس فريدمان) في صحيفة نيويورك تايمز (٢٠٠٣/٦/٢٢م) أن تدمير العراق وسحقه أمر مقصود؛ حيث رغبت الولايات المتحدة من خلاله سحق العالمين العربي والإسلامي، وهذا نص قوله: "إن السبب الحقيقي للحرب الأمريكية على العراق ناشئ من حاجة أمريكا بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ إلى إرضاء النزوع إلى الانتقام بالضرب في قلب العالم العربي والإسلامي"[٣] وربما كان استهداف بغداد

---

(١)عبد العزيز، **تنصير العالم**، ص٨

(٢) بتصرف، اللاوندي، سعيد، **الشرق الأوسط الكبير**، ط٣، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٧، ص٧ ، وانظر: بتصرف، حسين، **ذرائع الإرهاب الدولي**، ص١٦٦

(٣) حسين، **ذرائع الإرهاب الدولي**، ص١٨٠

التي تعد رمز الحضارة العربية والإسلامية، ومركز العلم ومنارته خير شاهد على ذلك، ومن هنا كان اختيار العراق هدفاً مركزياً.

ويمكن مناقشة الآثار التي خلفتها الحرب الأمريكية على الآخر في العراق من خلال مسألة حقوق الإنسان التي تعد أهم المبررات التي تصدرت الخطابات الأمريكية في حربها على العراق(١)، فبالنظر إلى حق الإنسان في وطنه والانتفاع بخيراته وثرواته عانى الآخر في العراق جراء الحرب من نهب خيراته وثرواته، وتدمير اقتصاده وبنيته التحتية، مما أدى إلى تفشي البطالة والجوع والفقر بين شرائح المجتمع العراقي، ولم يكن أثر هذه الحرب آنياً على الاقتصاد العراقي؛ بل إنه سيكلف الأجيال القادمة الكثير من الجوع والمعاناة " فإعادة إعمار العراق تتكلف وفق التقديرات الأولية من مائة إلى مائتي مليار دولار؛ أي إن ما سيهدمه الأمريكان وحلفاؤهم هو بالأسلحة المدفوع ثمنها سلفاً، وسوف يحتاج شعب العراق إلى ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين عاماً لسداد فاتورة البناء من ثرواته النفطية، وبذلك لا تستطيع العراق الاستفادة من ثرواته في أي شيء يدعم الرخاء أو التنمية الاجتماعية والاقتصادية والصحية والثقافة (...) لأن كل هذه الأموال ستعود إلى من يعيد البناء لا إلى نفس اليد التي تملكه"(٢).

ولعل أهم الحقوق التي سلبت من الآخر بعد حرب العراق تجريم العمل النضالي المشروع ضد المحتل، بعد أن ألحت الولايات المتحدة على عدم التمييز بين المكافح لنيل الحرية، والإرهابي المجرم من جهة ثانية متذرعةً بأن الإرهاب مظهر من مظاهر العنف ولا يحمل قضية سامية، وليس له وجه إيجابي مشروع، وآخر سلبي محظور(٣).

وتعد قضية الأسرى العراقيين في سجن (أبو غريب) من أهم ما عاناه الآخر جراء احتلال العراق؛ لما تسطره من انتهاكات لحقوق الإنسان الأسير، حيث تمت معاملة الأسرى بوحشية بالغة تشبه كثيراً ما فعلته الكنيسة في محاكم التفتيش. ومن ذلك: اتباع سياسة التعري لتحطيم معنويات المعتقلين قبل بدء التحقيق معهم، يقول الضابط الأمريكي رويج :"كانت اللجان المتخصصة بالتعذيب تصر على إبقاء الشباب العراقي عرايا، والرافضون كانوا يقتلون في الحال"(٤). كما تم استخدام أدوات مختلفة للتعذيب ولإهانة الأسير، ومنها وضع حبل في عنق المعتقل وجره، أو ركل رؤوس المعتقلين بالأقدام حتى تصيبهم الجروح، واستخدام العصا

---

(١) الكريني، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١ أيلول**، ص٤٩

(٢) السقا، **عود ة المسيح المنتظر**، ص٨

(٣) الكريني، **التداعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١ أيلول** ، ص٦١

(٤) الفتلاوي، سهيل حسين، **حقوق الإنسان في معتقل أبي غريب**، دار الطليعة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص١٠٨

الكهربائية لجلد الظهر والبطن[١]،واستخدام الكلاب البوليسية لإخافة المعتقلين أو إطلاقها لتقطع أعضائهم في حال عدم تقديم إجابات غيرمرضية أثناء التحقيق، وقد وصل عدد الذين ماتوا بهذه الطريقة ٣٠٠ معتقل، ويصف أحد الضباط الأمريكيين أن الجنود كانوا يتلذذون بهذه المشاهد[٢]. ومن طرق التعذيب التي اتبعها الجنود الأمريكيون أيضاً التعذيب بالإذلال الجنسي حيث تعرض العراقيون للتعذيب الجنسي، وقد قام هذا النوع من التعذيب على أسس مدروسة وضعها خبراء متخصصون[٣] كما يعد مصدراً هاماً للحصول على المعلومات، وقد أدى ذلك إلى ازدياد حملات اعتقال النساء العراقيات، واغتصابهن حيث تذكر الوقائع أن أكثر من ٢٠٠٠ فتاة عراقية قد تعرضت للإغتصاب من قبل قوات الاحتلال[٤]. كل ذلك حدث في ظل ما تدعيه الولايات المتحدة من حماية حقوق الإنسان و حقوق المرأة وما لحق الإنسان والمرأة العراقية من تعذيب واغتصاب وسوء معاملة يعد وصمة عار في جبين السياسة الأمريكية ومواثيق حقوق الإنسان.

---

(١) انظر:المصدر نفسه، ص٩٥
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٨٩-٩١
(٣) انظر:المصدر نفسه، ص١٠٧
(٤) انظر:المصدر نفسه، ص١٨٢

الفصل الثالث

نماذج من التاريخ الإسلامي في التعامل مع الآخر

المبحث الأول

وثيقة المدينة المنورة

المطلب الأول: وثيقة المدينة المنورة وأهميتها للآخر

ارتبطت وثيقة المدينة المنورة بأهم أحداث التاريخ الإسلامي، وتتمثل في الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة .

وقد كان مجتمع المدينة قبل الهجرة يتألف من عرب ويهود؛ أما العرب فكان أصلهم من اليمن [(١)] ؛ وأما اليهود فهم ثلاث مجموعات هي بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وهم من الشتات اليهودي الذين هاجروا من فلسطين بعد أن قضى الرومان على دولتهم سنة (٧٠م)؛ فلما جاءوا إلى الجزيرة العربية بسطوا أيديهم على الاقتصاد والتجارة، وانقسموا إلى فريقين أحدهما تحالف مع الأوس، والآخر مع الخزرج وكانت السيادة في يثرب مثار خصومات بين الفرعين العربيين، وربما اشتدت فكانت حروباً دامية يذكيها اليهود؛ لإقامة توازن بينهما كان ضرورياً لبقائهم[(٢)].

وباختصار؛ فإن أحوال المدينة قبل الهجرة النبوية تتلخص في عدم قبول أي طرف من سكانها بالآخر أو الاعتراف به ، وبعد الهجرة ازداد تنوع السكان، وتعددت المنابع والاتجاهات والأفكار ، وأمام هذا التعدد والاختلاف أرسى رسول الله أسس المجتمع الجديد وقواعده على روابط العقيدة التي استعلت على ارتباطات القبيلة وعصبيتها وسائر الروابط الأخرى. وذلك من خلال وثيقة حدد فيها أسس العلاقة الصحيحة بين المجتمع الواحد، كما تضمنت حقوق وواجبات كل طرف تجاه الآخر، "وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب والصحيفة، وأطلقت الأبحاث الحديثة عليهما لفظ الدستور والوثيقة"[(٣)]؛ للدلالة على أهميتها وأثرها، وضرورة الالتزام

---

(١) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص١٣

(٢) بتصرف، الترميني، عبد السلام، **أحداث التاريخ الإسلامي**، ط٣، م١،ج١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٥م، ص٣١

(٣) العلي، إبراهيم بن محمد بن حسين (ت ١٤٢٥هـ)، **صحيح السيرة النبوية**، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥م، ص١٤٠

بمضامينها، وهي مأخوذة من الوثاق والحبل الذي يربط به، وإحكام الأمر العام والعهد والمعاهدة[(١)].

أما تعريفها فيمكن أن يستخلص من أهم المصادر والروايات التي ذكرته وهو كتاب السيرة النبوية؛ حيث مهد ابن إسحاق التعريف بها في قوله: "كتب رسول الله كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم"[(٢)].

أما تاريخ كتابة الوثيقة[(٣)]، فتؤكد المصادر[(٤)] أنه قد تم قبل موقعة بدر الكبرى، ومنها ما ذكره البلاذري إذ يقول: " قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ عند قدومه المدينة وادع يهودها، وكتب بينه وبينهم كتابًا، واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدَّوه وأن ينصروه عَلَى من دهمه وأن لا يقاتل عن أهل الذمة. فلم يحارب أحدًا، ولم يهجه، ولم يبعث سرية حتَّى أنزل اللَّه عزَّ وجلَّ عَلَيْهِ: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [الحج:٣٩]"[(٥)].

ومن هنا يمكن القول أن التعريف بوثيقة المدينة المنورة يضع القارئ على نقاط هامة يتضح من خلالها الأهمية الكبيرة التي اكتسبتها الوثيقة في تاريخ البشرية، وذلك من خلال ما يلي:

١. إن كتابة الرسول للوثيقة فور وصوله إلى المدينة المنورة، يؤكد أهميتها وضرورتها لبناء مجتمع عقدي إنساني سليم، خال من الفتن والقلاقل والاضطرابات التي يحدثها اختلاف المصالح والأهواء، مما يؤدي إلى رفض قبول أي طرف للآخر.
٢. إقرار الوثيقة جملة من الحقوق والواجبات في مجتمع تختلف طوائفه اختلافاً جذرياً، في أفكارها واتجاهاتها، وبنائها على أسس عقدية واضحة أكدها القرآن الكريم في آيات عدة،

---

(١) الفراهيدي، **العين**، ج٥، ص٢٠٢

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٢، ص١١٠ ، وانظر: البار، محمد علي، **معاملة غير المسلمين الحوار والتسامح في الإسلام**، ط١، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٢-٣٣

(٣) يذكر د. أكرم ضياء العمري مستدلاً بشواهد دالة أن وثيقة المدينة في أصلها وثيقتان: أحدهما تتعلق بموادعة اليهود، كتبت قبل بدر، أول قدوم النبي ﷺ المدينة. والثانية: تتعلق بحلف المهاجرين والأنصار، وتحديد التزاماتهم، وكتبت بعد، ولكن المؤرخين جمعوا بين الوثيقتين. انظر: العمري، أكرم ضياء، **المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى**، ط١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٨٣م، ص١١٧

(٤) يؤكد الطبري وقوع الوثيقة قبل معركة بدر الكبرى حيث يقول: " ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة منصرفه من بدر، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها، على أن لا يعينوا عليه أحداً، وإنه إن دهمه بها عدو نصروه، فلما قتل رسول الله ﷺ من قتل ببدر من مشركي قريش، اظهروا له الحسد والبغي، وقالوا: لم يلق محمد من يحسن القتال، ولو لقينا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد، وأظهروا نقض العهد" الطبري، **تاريخ الأمم والرسل والملوك**، ج٢، ص٤٧٩

(٥) البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ) **جمل من أنساب الأشراف**، ط١، ج١، (تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢٨٦

هي أن التنوع والاختلاف سنة كونية تحكم جميع مخلوقات الله؛ لتقودهم إلى التعارف لا للاخلاف وهو مصداق قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣]

وهذا يعني أن مجرد التعريف بالوثيقة يؤكد أن أول مجتمع أسس في الإسلام قد انطلقت أسسه من قاعدة قبول الآخر والاعتراف به، وهذا التعارف لم يكن مجرد واقع لا فكاك منه، ولا بد من التعايش معه؛ بل هو سنة من سنن الله، وإرادة من خالق هذا الوجود. وقد جسدها رسول الله ﷺ في كتابته للوثيقة، فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

المطلب الثاني: الآخر في بنود وثيقة المدينة المنورة

شملت وثيقة المدينة اثنين وخمسين بنداً، شغل الآخر منها أربعة عشر بنداً، ظهر من خلالها أرقى صور التقنين للاعتراف بالآخر، ومساواة الأقلية للأغلبية، وتقرير التعددية الدينية داخل الدولة الواحدة[١]، وإقرار الحقوق للآخر وفق أسس شرعية منضبطة بمعيار الشرع. ويتضح ذلك من خلال مناقشة بنود الوثيقة التي أوردها ابن هشام في سيرته، وسأقتصر على البنود المتعلقة بالآخر كنموذج عملي يقرر نظرة الإسلام للآخر وكيفية التعامل معه.

ونص الوثيقة كما يلي: " هذا كتب من محمد ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس (...) وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم (...) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بن عوف، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم (...)، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها

---

(١) بتصرف، عمارة، **الإسلام والآخر**، ص١٨

لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم (...)، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة"[١].

ومن خلال النص السابق يتضح حضور الآخر بارزاً في بنود الوثيقة، ويمكن مناقشة ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: بداية الوثيقة

ابتدأت الوثيقة بالبسملة والتأكيد على أن كاتبها هو نبي الله ورسوله، فهي إذاً بيان نبوي من الله تعالى، وهذا يعني علو قيمتها، وأهمية ما حوته من بنود، مما يستلزم قبول جميع الطوائف المعنية بالوثيقة، وتكليفهم للعمل بما جاء فيها، وترجمة ذلك في التقاليد والأعراف والقوانين، والسلوكات الفردية والجماعية، وذلك يستدعي تعاوناً، وتناصحاً، وتكافلاً، وتناه عن المنكر، وتعاوناً على البر والتقوى ووحدة الأهداف، وإن تعددت سبل تحقيقها[٢].

ثانياً: مساواة الآخر مع المسلمين في المصلحة العامة والحقوق الإنسانية داخل البلد الواحد، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: "وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم" وهذا يعني أن الوثيقة لم تجعل من لحق بالمدينة من اليهود تابعين وخاضعين لمن يتبعونهم، بل جعلت منهم طرفاً مساوياً في الحقوق والواجبات[٣].

ثالثاً: تقنين الحرية الدينية للآخر

فالوثيقة لم تقف عند مبدأ المساواة مع الآخر في المصلحة العامة، ونفي الوقوع في ظلمهم، أو التناصرعليهم؛ بل أكدت هذا المبدأ على نحو مغلظ مركب، من خلال النص على الترابط بين مكونات نسيج الأمة بصرف النظر عن الاختلاف في الدين، وهذا ما قررته الوثيقة حيث تقول: "يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم" وهو مبدأ عام لا يستثنى منه إلا من يظلم، ثم اتخذت الوثيقة بعد ذلك من وضعية يهود بني عوف إماماً لها في تقرير تسوية بطون اليهود كافة ومواليهم ومن لحق بهم، وقد تكرر ذلك ست مرات[٤].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ط١، م١، ج٢، (تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري)، دار الخير، دمشق، ١٩٩٦م، ص١١٠-١١٢ ، وانظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٣، ص٢٢٥ ، وانظر: الحميدي، عبد العزيز، **السيرة النبوية**، ط١، ج٣، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٩٧م، ص٤١-٤٤

(٢) انظر: عمر، السيد، **وثيقة المدينة المنورة**، جامعة حلوان، ص١٦

(٣) بتصرف، حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، ط٧، ج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٠٣ ، عمر، **وثيقة المدينة**، ص٢١

(٤) بتصرف، عمر، **وثيقة المدينة**، ص٢١ ، انظر : الشريف، محمد عبد الغفور (٢٠٠٨)، العلاقات الإنسانية مع الآخر في ضوء الوسطية، **أبحاث المؤتمر الدولي الثاني للوسطية**، ط١(الكويت)، الولايات المتحدة، وشنطن ، ٢٠٠٦م، ص٩٠-٩١

رابعاً: إقامة العلاقة مع الآخر بناءً على الشراكة في الأعباء، والتعاون على البر والتقوى ومجانبة الإثم، وذلك ما حدده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة:٢]، ويدخل في ذلك نصرة المظلوم، والإحسان للجار، والتسوية بينه وبين النفس، والدفاع عن المدينة ورد العدوان عنها، وعدم التآمر عليها أو الكيد لها، والدعوة إلى الوحدة في مواجهة العدو المشترك والظلم والإثم والعدوان والفساد(١).

ويلاحظ استخدام الوثيقة لفظة (البر) وتكرارها في التعامل مع الآخر، وهي أوسع من العدل، وقد تجاوزت الوثيقة إعطاء الآخر العدل إلى مرتقى إعطائه البر، والبر في القرآن يعني قيام الأمر كله على أحسن وجه ممكن(٢).

المطلب الثالث: موقف الآخر من وثيقة المدينة

تعد الوثيقة أنموذجاً عملياً لقبول الآخر والاعتراف به، وقد استخدمت فيها كل الوسائل لتحقيق ذلك الاعتراف وتأكيده، فإقرار الحقوق للآخر والحوار معه، وإخضاعه لمبدأ الاختيار وليس الإكراه، وإشراكه في الأعباء العامة، والتعاون معه على البر والنصيحة في حماية المدينة، كلها وسائل تؤكد حقيقة هذا الاعتراف الذي ينطلق أساساً من قاعدة عقدية تقرر سنة الله وقدرته في الاختلاف والتنوع بين الناس على الرغم من وحدة الأصل، وتساوي النوع الإنساني في الخلق؛ وعلى الرغم من ذلك إلا أن موقف الآخر اليهودي من الوثيقة كان الغدر والخيانة، ونقض العهد، والإخلال بما ورد فيها من بنود، ولا شك أن ذلك عائد لما يؤمن به اليهود من عقائد ترى فيهم شعب الله المختار، وأصحاب السيادة والعلو، وترى في الآخرين عبيداً لم يخلقهم الله إلا لخدمة اليهود فقط، ولذلك لم يستطع اليهود تقبل الآخر والتعايش معه.

وقد اتخذ نقض اليهود للوثيقة صوراً وأشكالاً عدة منها، مقاومة الإسلام وتشكيك الناس به، ومحاربة دعوته على الرغم من أن الوثيقة قد أقرت لهم حرية الاعتقاد الديني، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في مواطن عدة منها قول تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ**

---

(١) انظر: شلبي، احمد، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط٢، ج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١١٤-١١٥

(٢) بتصرف، عمر، **وثيقة المدينة**، ص٣٥ ، وانظر: الآيات: البقرة: ١٧٧، البقرة: ١٨٩ في استخدام القرآن لفظة البر.

بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة:١٠٩] ولم يقف الأمر عند محاولة إخراج المسلمين من دينهم ومحاربتهم؛ بل سعوا إلى التخلص من صاحب الدعوة وقتله، كما فعل بنو النضير في محاولة قتل الرسول ﷺ.

ولما فشلوا في ذلك عمدوا إلى نقض الوثيقة من خلال التآمر مع الأعداء ضد رسول الله ومناصرتهم، كما فعل ذلك يهود بني قينقاع ويهود بني قريظة.

من هنا يظهر أن موقف الآخر من الوثيقة التي أبرمها رسول الله ﷺ معهم لم يكن النقض لما ورد فيها من بنود وعدم الوفاء بالتزاماتها؛ بل تجاوز ذلك إلى اتخاذ مواقف عدائية ضد الإسلام والمسلمين.

المبحث الثاني

العهدة العمرية في التاريخ الإسلامي

سار السلف الصالح في معاملة الآخر سيرة القرآن الكريم، وسيرة الرسول ﷺ، وفي هذا النموذج يجسِّد الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ﷺ ما فقهه وعلمه من الإسلام عقيدة وشريعة من نظرة الإسلام للآخر، والتعامل معه تماشياً مع حقوقه، وما حوته الشريعة الإسلامية من مقاصد كان الإنسان بشكل عام محورها وأساسها.

المطلب الأول: التعريف بالعهدة العمرية

أصلُ كلمة العهدة من العهد، وقد جاء في لسان العرب أن العهد هو كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من مواثيق. وقد جاء الحث على الوفاء به وبيان قيمته في مواضع من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء:٣٤] والعهد أيضاً: الموثق، واليمين يحلف بها الرجل؛ تقول: على عهد الله وميثاقه. ومن معانيه أيضاً الوصية ومنه قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ**﴾ [يس:٦٠][(١)].

والعهد أيضاً بمعنى الأمان. يقول تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة:١٢٤] وفي كتاب التعريفات للجرجاني أن العهد "حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال "[(٢)] ، "وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً"[(٣)].

وبذلك تكون كلمة العهد قد جمعت عدة معانٍ هامة فهي الموثق واليمين والوصية والأمان، ومن هذه المعاني جاءت العهدة؛ أما لفظة العمرية فهي نسبة هذا العهد إلى واضعه وهو الصحابي الجليل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ . **والعهدة العمرية:** اسم أطلق على العهد الذي منحه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لأهل القدس حينما جاء لتسلم مفاتيحها من بطريركها صفرونيوس من العام الخامس عشر للهجرة.

وترتبط العهدة العمرية بإحدى الفتوحات الإسلامية التي حدثت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ وهو فتح بيت المقدس، وقد كانت في ذلك الوقت تحت حكم القائد الروماني (أرطبون) [(١)].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، فصل العين المهملة، ص٣١١

(٢) الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص١٥٩

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، (تحقيق صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ، ص ٥٩١

ويذكر الطبري في تاريخه أن أبا عبيدة عامر بن الجراح[٢] قد كتب إلى أهل إيليا (القدس) يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، فجهز جيشه وخرج إليهم وحاصر مدينة بيت المقدس، وبعد أن ضاق أهلها بالحصار أجابوه إليه شريطة أن يكون المتولي للعهد عمر بن الخطاب[٣].

ولما جاء عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس صالح أهلها وكتب معهم العهد، ثم دخل المسجد الأقصى وصلى بالمسلمين فيه، وجاء إلى الصخرة واستدل على مكانها من كعب الأحبار، ثم نقل التراب عنها في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك[٤].

وتذكر الروايات في هذا المقام النظرة التي كان يكنها المسيحيون لليهود أو العكس؛ فالصخرة كانت قبلة اليهود، وقد جعلها الروم مزبلة، ترمى فيها أقذر النجاسات، وذلك انتقاماً من اليهود الذين جعلوا من المكان الذي جرت فيه حادثة الصلب المزعومة للمسيح مكاناً يلقون فيه القمامة، حتى سمي ذلك بالقمامة إلى أن بنى المسيحيون عليها كنيسة سميت (كنيسة القيامة)[٥] وهذا يدل على عدم قبول أي من أصحاب الديانتين للآخر؛ ولكن عمر بن الخطاب والمسلمين من خلفه بما علموه من تعاليم الإسلام الخالدة ، كان موقفهم من الصخرة، وكنيسة القيامة الاحترام والقبول، فبعض الروايات تذكر أن عمر بن الخطاب في أثناء وجوده في كنيسة القيامة حان وقت الصلاة فخرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها وقال للبطريك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي وقالوا: هناك صلى عمر[٦].

---

(١) بنصرف، الصلابي، على محمد، **موسوعة السير تاريخ الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)**، ط١، مكتبة فياض، المنصورة، ٢٠١٣م، ص٤٩٢

(٢) تختلف الروايات فيما بينها على من حاصر بيت المقدس؛ فهناك روايات تذكر أنه عمرو بن العاص، وهناك من ترى إنه أبو عبيدة عامر بن الجراح، والأقرب أنه أبو عبيدة. قد توجه إلى إيليا وراسلها بعد أن فرغ من فتوح الشام بمساعدة خالد بن الوليد، واستعصت القدس على عمرو بن العاص فذهب إليها أبو عبيدة محاصراً. انظر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، **فتوح الشام**، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص٢٢٣ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ٦٠٨ ، البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٤٠

(٣) بتصرف، الطبري، **تاريخ الأمم والرسل والملوك**، ج٣، ص٦٠٨ ، انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧، ص٥٧-٥٨

(٤) انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧، ص ٥٥-٥٦ ، النجار، عبد الوهاب، **الخلفاء الراشدون**، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٦٤ ، الحميدي، عبد العزيز، **الخلفاء الراشدون**، ط١، ج٣، دار الدعوة، القاهرة، دار الأندلس، جدة، ١٩٩٨م، ص١٣١-١٣٢

(٥) انظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٧، ص٥٦

(٦) بتصرف، العقاد، محمود عباس، **عبقرية عمر**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٢م، ص٩٤ ، شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان الإسلام**، ص١٦٣

المطلب الثاني: الآخر في بنود العهدة العمرية

ذُكرت بنود العهدة العمرية في مصادر تاريخية متعددة، فقد ذكرها ابن جرير الطبري في سياقها التام، وأشار إليها اليعقوبي باختصار في تاريخه[١]، والأزدي في فتوح الشام[٢] وتذكر بعض المراجع أن بنود العهدة محفوظة إلى الآن في كنيسة القيامة بالقدس[٣].

وقد رويت بنود العهدة العمرية[٤] على طريقة ثابتة عند أهل التاريخ ، وقد سار عمر بن الخطاب في وصفها على الشروط والمبادئ المعروفة في معاهدات الصلح والأمان التي كان يكتبها الصحابة لأهل البلاد التي يفتحونها التي يمكن تقصيها من خلال كتاب "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة"[٥].

وقد دلت بنود المعاهدة على تمسك المسلمين بما ورد في الشريعة الإسلامية من أحكام وحقوق للآخر منضبطة بأحكام الشرع، وقد أورد الطبري هذه البنود في تاريخه، وفيما يلي نص المعاهدة: "**بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها**

---

(١) ذكر اليعقوبي في تاريخه نص العهدة العمرية مختصراً فجاء فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عمربن الخطاب لأهل بيت المقدس، إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم، وكنائسكم لا تسكن ولا تخرّب، إلا أن تحدثوا حدثاً عامّاً، وأشهد شهوداً" اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد ٢٩٢هـ)، **تاريخ اليعقوبي** ، ط١، م٢، (تحقيق عبد الأمير مهنا)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص٣٧

(٢) الأزدي، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله، **فتوح الشام**، (صححه وليم ناسوليس الايرلاندي)، مطبعة بيتست مشن، مدينة كلكتة، ١٨٥١م، ص٢٢٩

(٣) نصار، فتحي، **وثائق فلسطين من العهدة العمرية إلى وعد بلفور**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ٢٠٠٧م، ص٥ ، انظر: الموصلي، فتحي والتركماني، عبد الحق، ط١، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ٢٠١٠م، ص٤٣٠-٤٣١

(٤) خلط بعض الباحثين بين العهدة العمرية، والشروط العمرية وهما ليستا وثيقة واحدة، بل وثيقتان مختلفتان: الأولى كتبت عند فتح بيت المقدس، وأثناء رحلة الفاروق الشهيرة إلى بلاد الشام، أما الثانية فكتبت من قبل والي الشام، وبطلب من النصارى أنفسهم، وأرسلت إلى المدينة إلى عمر بن الخطاب لإقرارها والموافقة عليها. انظر: الموصلي والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ص٤٣٠

ويذكر أن الشروط العمرية قد تعرضت للنقد والتشكيك لما ورد فيها من بنود تخالف ما عليه منهج الإسلام فقد تضمن العهد ان لا يتشبهون بالمسلمين في شيء من لباسهم، كما ورد فيها منع تعلمهم القرآن، وقد أثارت هذه الشروط استغراب الباحثين من المستشرقين. منها ما قاله الدكتور (ا. س. ترتون) في كتابه (أهل الذمة في الإسلام): أن في هذا العهد نقاط بالغة في الغرابة؛ فلم تجر العادة أن يشترط المغلوب الشروط التي يرضونها ليوادعهم الغالب، وأضاف إلى ذلك أنه من الغريب أن يحرم المسيحيون على أنفسهم قراءة القرآن وتعلمه وفي ذات الوقت يقتبسون منه في خطابهم للخليفة (أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، وعلى هذا يشكك ترتون في نسبة هذا الشروط لعمر بن الخطاب. انظر: ترتون، **أهل الذمة في الإسلام**، ص ، انظر، الغزالي، محمد ، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، مطبعة حسان، القاهرة، ص٥٠-٥١

(٥) انظر: الموصلي والتركماني، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ص٤٣١

الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة(١).

يلحظ من نص المعاهدة أن بنودها قد دعت إلى العدل والحرية، وصيانة دماء الآخر وحقوقه، وكان أولها منح الأمان لنصارى القدس على أنفسهم وأموالهم، وكذلك الأمان على دينهم فلا يلزمون على تغييره، أو ترك شعائرهم وخصائصهم، وحماية أماكن عبادتهم وكنائسهم، ومنع إلحاق الضرر بهم وحمايتهم. كما منحتهم المعاهدة حرية ترك البلاد واللحاق بالروم دون أن يخافوا على أنفسهم وأموالهم، وأما من أراد البقاء فعليه الجزية، وقد أجل عمر بن الخطاب وقتها إلى أن يحين حصادهم.

ومما يجدر ذكره أن قبول الآخر والنظرة إليه باتساع وعدل لم يقتصر على هذه المعاهدة؛ بل يسجل التاريخ أن عمر بن الخطاب لم يكتف بهذه العهود التي قطعها على نفسه، وعلى قومه؛ بل كان يتبعها بوصايا متكررة إلى ولاته؛ حيث كان يأمرهم بمنع ظلم أهل الذمة، وأن يوفوا لهم بعهودهم، ويخففوا عنهم، وألا يكلفوهم فوق طاقتهم، وقد سجل ذلك في وصية له قبل موته(٢).

وبعد العهدة العمرية ظل الآخر في بيت المقدس آمناً على نفسه ودينه وماله وأهله. وصارت بيت المقدس ولاية إسلامية يتتابع عليها الولاة ويرعون مقدساتها، ويحمون أهل العهد فيها، ويعاملونهم بكل سماحة ورفق، حتى كانت الحروب الصليبية ودخول نصارى أوروبا إلى بيت المقدس سنة (١٠٩٩م) بقيادة (غود وفروا دوبيون) قائد الجيوش الصليبية آنذاك، فأعمل في أهلها الذبح والتقتيل والدمار، وقتل بالسيف سبعين الفاً من أهلها المسلمين، وكل ذلك تم باسم

(١) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٣، ص٦٠٩، انظر: الطماوي، سلمان، **عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة**، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٦٩م، ص٣٩٠ ، انظر: الصلابي، **موسوعة السير تاريخ الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)**، ص٤٩٧ ، انظر: الطنطاوي، علي والطنطاوي، ناجي، **أخبار عمر**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٥٩م، ص٢٩٨ ، النجار، **الخلفاء الراشدون**، ص١٦٣-١٦٤
(٢) بتصرف، شلبي، **مقارنة الأديان الإسلام**، ص١٦٣

المسيح ولأجل الخلاص، واستمر احتلالهم لها حتى جاء صلاح الدين الأيوبي فأخذها من الصليبين، وحررها سنة ١١٨٧م/٥٨٣هـ ودخلها دخولاً عمرياً؛ أمّن أهلها النصارى على نفوسهم وأولادهم ونسائهم(١)، ولم يتعرض لأحد منهم بأذى، وقد كان هذا الفتح شبيهاً بفتح عمر بن الخطاب ﷺ؛ أما سبب ذلك التشابه فيعود إلى استقاء المسلمين أسس نظرتهم للآخر وتعاملهم معه من عقيدة واضحة وشريعة محددة أقرت للآخر حقوقاً ونظرت إليه من خلال قاعدة التكريم الإنساني.

---

(١) انظر: النجار، **الخلفاء الراشدون،** ص١٦٥ ، فريق البحوث والدراسات الإسلامية، **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، مكتبة علاء الدين، ص٣٢

الخاتمة

- يمكن تلخيص النتائج التي تم الوصول إليها من خلال هذا البحث بما يلي:
- تعددت تعريفات الآخر تبعاً لطبيعة الدراسة التي تناولته؛ إلا أنها تتفق في أمور عدة أهمها، أن الآخر هو من كان خارج دائرة الأنا أو ما سوى الذات، وأن هناك تلازماً واضحاً بينهما، فلا يمكن دراسة أو معرفة أحدهما دون الآخر.
- إن الآخر هو المغاير للأنا في الدين أو اللغة أو العرق أو الجنس، وقد حمل مصطلح الآخر دلالة سلبية في معظم الدراسات النفسية والاجتماعية.
- يعد الدين أهم الروافد لمعرفة أول ظهور للآخر في التاريخ الإنساني، وقد أشار القرآن الكريم إلى مفردة الآخر من خلال قصة قابيل وهابيل.
- ظهر الآخر واضحاً عبر دعوة الرسل والأنبياء جميعاً؛ لأن جوهر دعوتهم تقنين العلاقة مع الآخر، وضبطها وفق المنهج الرباني؛ لتحقيق الخير للبشرية جمعاء.
- ظهر الآخر في العصور الحديثة كمصطلح ذي دلالات معينة وأهداف محددة من خلال مراحل عدة أهمها، الفلسفة الحديثة، والنهضة الأوروبية، وظهور الدراسات الاستشراقية.
- تألفت الديانة اليهودية من جملة عقائد وشرائع صاغها تاريخ اليهود وأحوالهم حتى وصل الأمر إلى التحامها بالقومية اليهودية التي غدت توجه عقائد هذه الديانة وطريقة حياتها وتعاملها مع الآخر.
- تعد المرحلة البابلية من أشد مراحل اليهودية أثراً؛ ففيها صيغت العقائد المبنية على التعصب والعنصرية، كما وضعت الأحكام والتشريعات التي حددت أسس التعامل مع الآخر والنظرة إليه.
- أدى ابتعاد اليهود عن عقيدة التوحيد إلى ابتداعهم توحيداً جديداً يقضي بوجود إله خاص لهم اختارهم من بين شعوب الأرض، وبناءً على ذلك تشكلت نظرتهم للآخر.
- كان لمفهوم النبوة عند اليهود عواقب وخيمة على الآخر، فكل من أظهر شجاعة في قتله وامتهانه وسلب حقوقه يعد نبياً.
- أدى اعتقاد اليهود بجواز وقوع الأنبياء في الصغائر والكبائر إلى تبرير جرائمهم وانتهكاتهم ضد الآخر.

- أدى إنكار اليهود عقيدة اليوم الأخر إلى إطلاق العنان لشهواتهم وأهوائهم وبالتالي تبرير أفعالهم في حق الآخر إذا كان الهدف منها تحقيق مكاسب دنيوية ما دام أن الدنيا هي الغاية والمآل.
- تعد المجامع أهم المصادر المسيحية وأشدها أثراً على نظرة المسيحية للآخر، حيث تم فيها مناقشة أصول الدين المسيحي وشرائعه، وكانت قرارتها في الغالب تدعو إلى إسكات الآخر وقمعه تحقيقاً لمصالح معينة.
- يرتكز الإسلام على قاعدة عقدية متينة مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية تحددت على أساسها النظرة إلى الآخر.
- أعلت اليهودية من شأن الإنسان على حساب الإله تمهيداً لحصر العلو بالجنس اليهودي، وحكره عليه ثم إقصاء الآخرين.
- أدى الصراع بين الله والإنسان كما تصوره التوراة إلى تحديد قيمة الإنسان في اليهودية، ومن ثم تشكيل النظرة إلى الآخر.
- لعبت الخطيئة في اليهودية دوراً هاماً في تشكيل صورة الإنسان وبيان قيمته، وذلك بعد أن أخذت أبعاداً أخرى؛ حيث حصرت الخطيئة في قصة زواج أبناء الله من بنات الناس الواردة في سفر التكوين، وبناءً عليها ظهرت التقسيمات الطبقية في السلالة الإنسانية بين اليهود والآخر.
- تدرجت الخطيئة في اليهودية في تضييق حلقة السمو والتكريم الإنساني وقصرتها على اليهودي، وإخراج الآخر منها، وقد أضفى ذلك مزيداً من الرفعة والقداسة على اليهود وحجبها عن الآخرين.
- قامت عقيدة الاختيار الإلهي عند اليهود على أسس واضحة تحددت من خلالها نظرتهم للآخر؛ حيث أدت إلى رفع مكانة اليهود وإعلاء شأنهم واستحقاقهم للسيادة، وفي المقابل الحط من قدر الآخر ومكانته واستحقاقه للعبودية.
- أفرزت عقيدة الاختيار الإلهي عند اليهود جملة من الوصايا العنصرية في حق الآخر تدور جلها في فلك التسخير والاستعباد والقتل.
- اشتمل الميثاق الإلهي عند اليهود على ثلاث مراحل أساسية هي: ميثاق الإله مع إبراهيم، ثم ميثاق الإله مع إسحق ويعقوب، ثم موسى ومن بعده. وقد تضمنت كل

مرحلة منه بنوداً خاصة انتهكت فيها حقوق الآخر حتى أتت على كل مكان تدوسه بطون أقدامهم.

- صاغ اليهود نظرتهم إلى الآخر وسلوكهم تجاهه على أساس عقيدة المسيح المنتظر؛ فلا عودة له إلا بعد المرور على جسر الآخر؛ أرضه، وماله، وأملاكه، ودمه.
- ربطت المسيحية قيمة الإنسان بخطيئة آدم الأولى، وبناءً عليها ظل الجنس البشري في حالة فساد عام بعد أن انتقلت الخطيئة إليه بموجب قانون الإنتقال الوراثي.
- أدى اعتقاد المسيحيين في خطيئة آدم إلى نتائج خطيرة على الإنسان والآخر، فقد رتبوا على هذا الذنب مسألة خطيرة حاقت بالإنسانية جمعاء حيث أصبحت النظرة إلى الإنسان سلبية جداً؛ فجسده موطن الشهوات، ونفسه تحكمها الشر، وهو مسلوب الإرادة ومن هنا جاءت عقيدة الخلاص.
- ربطت المسيحية عقيدة الخلاص بقضية الخطيئة الأولى، فهي تتضمن نجاة عامة وشاملة من جميع الذنوب والخطايا والآثام وأسبابها، كما أنها نجاة مطلقة ولا يحدها زمن؛ لأنها تتضمن التخلص من خطايا الماضي والحاضر والمستقبل.
- تعتقد المسيحية أن الخلاص محدود بفئة معينة اختارها الله منذ الأزل، يكون إيمانها بالمسيح متجسداً مخلصاً وفادياً دليلاً على اختيار الله لها، وبذلك يخرج من الخلاص كل من لا يؤمن بذلك، ويكون مصيره الهلاك والحرمان من الحياة الأبدية، وكل من لا يؤمن بذلك يعد **آخراً** خارجاً من مظلة الخلاص.
- قصرت المسيحية طرق الخلاص على شخص المسيح والكنيسة مما جعل الخلاص مختصاً بفئة معينة من البشر.
- استخدمت الكنيسة طرقاً عدة لتحقيق الخلاص أطلقت عليها اسم الأسرار الكنسية، وأهمها المعمودية والعشاء الرباني والتوبة، وقد كانت هذه الطرق سيفاً مسلطاً على رقبة الآخر.
- أدى اتساع مدلول الخلاص إلى إعطاء إذن مسبق بغفران الذنوب والخطايا لكل من أراد إيذاء الآخر أو الاعتداء عليه، مهما كانت دوافعه وأسبابه.
- يعد الصلب أهم أسس العقيدة المسيحية، وطريقاً هاماً لتحقيق الخلاص بما حوته من أحداث ومضامين صاغت رؤية المسيحي لنفسه وللآخر.

- كان لعقيدة الصلب أثر واضح في صياغة نظرة المسيحية للآخر حيث اعتبرته خارج دائرة الخلاص؛ لعدم إيمانه بالمسيح مخلصاً وفادياً، وهو بذلك يعيش حالة انفصال دائم عن الله جعلته يسقط في أوحال الشر والفساد.
- بما أن غاية الصلب تخليص العالم من الشر كما يعتقد المسيحيون فقد كان لزاماً التخلص من الآخر الذي يعيش محاطاً بشروره وآثامه، وبناءً على ذلك عانى الآخر من التعذيب والاضطهاد؛ فهناك من قتل بحجة الانتقام للمسيح كما فعلت المسيحية باليهود، وهناك من قتل بحجة تحرير أرض الصليب وهذا حال المسيحيين مع المسلمين.
- رفع الإسلام قيمة الإنسان وأعلى شأنه على سائر المخلوقات ويتمثل ذلك في أصل خلقته وغايته التي خلق من أجلها، وبناء على ذلك نظر الإسلام إلى الآخر مخلوقاً مكرماً تظله قاعدة التكريم الإنساني.
- كان لعقيدة التوحيد أثراً واضحاً في صياغة نظرة الإسلام إلى الآخر ويتضح ذلك من خلال ما يلي:
  - اعتبار الآخر شريكاً في دعوة التوحيد، وما تحمله من مضامين وهذا يقضي بأن الإسلام لم يتجاهل وجوده ويسعى لهدايته وتحقيق الخير له.
  - إن دعوة الآخر إلى التوحيد لم تكن دعوة تسلط وإجبار وإنما كان دعوة هداية واختيار، ومهما كان قراره فإنه يبقى في دائرة التكريم والاحترام.
  - إن العبودية لله هي أهم مضامين التوحيد تغرس في المسلم قوة معنوية تصده عن ظلم الآخر والاعتداء عليه، وتجعل سلوكه منضبطاً بأوامر الشرع ونواهيه.
  - إن مضمون التوحيد يجعل المسلم ينظر إلى الآخر بناء على قاعدة المساواة في الإنسانية مما يقتضي إقرار حقوقه، وإثبات كرامته، وانتفاء نظرة التعالي والتمايز والفوقية التي تؤدي إلى ظلم الآخر وقهره.
  - يعد التوحيد أساساً متيناً للأخلاق والعبادات التي تحكم سلوك المسلم، ولا يقتصر ذلك على المسلمين بل يشمل الآخر.
- نال الآخر في عقائد الإسلام حظاً وافراً من القبول والاعتراف، حيث يعد الإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وما أنزل عليهم من كتب سماوية أساس تمام الإيمان وتحققه، فلا يصح إيمان المسلم إلا بهما.
- كان لعقيدة اليوم الآخر أثراً واضحاً في حياة المسلم وسلوكه نحو الآخر؛ لأنه يجعل المسلم في حالة رقابة دائمة لما يصدر عنه من أقوال وأفعال.

- شجعت الشريعة اليهودية التمايز بين اليهودي والآخر من خلال سنها لتشريعات أذكت نار العنصرية والكراهية للآخر، وقد ظهر ذلك في أحكام عدة تشمل العقوبات، المعاملات، الزواج ، أحكام المطعومات والمشروبات، الأعياد، وغيرها.
- نظرت الشريعة اليهودية إلى أملاك الآخرين على أنها حق وإرث شرعي لليهود، ولذلك تحكم بضرورة تحصيله واسترداده، دون الالتفات إلى الوسائل المستخدمة في ذلك من الربا والاحتكار وافتعال الحروب والأزمات.
- حرمت الشريعة اليهودية على أتباعها الاندماج مع الآخر، أوالاختلاط به؛ لأنها تعتبر العزلة ضرورة لا بد منها للمحافظة على نقاء العرق اليهودي وقداسته؛ ولذلك عمدت إلى ابتداع أشكال عدة من التنظيمات الدينية والاجتماعية مثل: السنهدرين، القهل، الجيتو، والجدار العازل.
- استقت شريعة الحرب عند اليهود أحكامها من اعتقادات متطرفة كانت مسوغاً لجميع تصرفاتهم وممارساتهم في الحروب ضد الآخر، كما التزمت بقواعد للتعامل مع الآخر في أوقات الحروب، التي يظهر منها أن غاية الحروب عند اليهود إفناء الآخر والتخلص منه دون وجه حق، ودون أن يكون هناك رادع أو ضابط.
- لم تثبت المسيحية طوال أطوارها التاريخية ؛ بل ظلت في تطور مستمر ، وقد أدى ذلك إلى اختلاف الشرائع والأحكام في نظرتها للآخر ؛ فشريعة عيسى عليه السلام وموقفها من الآخر تختلف عما وصلت إليه المسيحية بعده.
- يعد دخول بولس المسيحية وإفساده لعقائدها أهم الأسباب التي أدت إلى تغير النظرة المسيحية للآخر، وذلك بعد دعوته إلى التخلص من الشريعة وأحكامها، والاقتصار على مسألة الإيمان بالمسيح مخلصاً وفادياً. وقد سارت الكنيسة على هذا المنوال بعد أن اعتبرت نفسها مصدر التشريعات والأحكام وممثل المسيح في الأرض ، وقد أدى ذلك إلى إقصاء الآخر وسلب حقوقه.
- شملت مقاصد الشريعة الإسلامية الآخر وذلك انطلاقاً من ربانيتها وإنسانيتها .
- تميزت حقوق الإنسان في الإسلام بربانية مصدرها، وسيرها مع رؤية الإسلام للإنسان، وارتباطها بمقاصد الشريعة ومصالحها ، ومن هنا كانت حقوق الآخر في الإسلام منضبطة بميزان البر والعدل والمساواة.

- تعد الحرية الدينية التي منحها الإسلام للآخر أهم حقوقه؛ لأن الدين أحد الضرورات الخمس وأهمها ، وقد ضبطها بمظاهر عدة وفق ميزان الشرع.
- ليس هناك تعارض بين إقرار الإسلام الحرية الدينية للآخر ومسألة فرض الجزية عليه؛ لأن الجزية لم تفرض عقوبة للآخر على عدم قبوله الإسلام لأن ذلك يتناقض مع جوهر الإسلام ودعوته؛ بل هي حماية له ودرء لما يكن أن يتعرض له من مفاسد.
- منحت الشريعة الإسلامية الآخر حقوقاً عدة انطلاقاً من قاعدة التكريم الإنساني، وعلو شأن الإنسان، وقيمته في الإسلام ما لم يكن في ذلك ضرر على الإسلام والمسلمين.
- نظمت الشريعة الإسلامية العلاقات الإجتماعية بين المسلم والآخر، وقد جاءت على قسمين: داخل نطاق الأسرة، حيث أباح الإسلام زواج المسلم بالكتابية، كما رتب عليه واجبات تجاه الآخر إذا كان أحد والديه. أما خارج نطاق الأسرة فقد قررت الشريعة أحكاماً لضبط علاقة المسلم بالآخر الذي يخالطه ويجاوره ويتعامل معه.
- يعد السلم في الإسلام الأصل الذي يحكم علاقة المسلم بالآخر؛ أما القتال فهو ضرورة شرعت لغايات محددة أهمها: دفع الظلم، ووقاية المجتمعات من الفساد، وليس لإجبار الآخر على دخول الإسلام.
- تعد العقائد الأساس الذي تبنى عليه النظرة إلى الآخر؛ فقبول الآخر والاعتراف به متوقف على صحتها وموقفها من الإنسان بشكل عام؛ أما مسألة رفض الآخر وإقصائه فتعود إلى فساد العقيدة واضطراب نظرتها إلى الإنسان بشكل عام.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- دار الكتاب المقدس في العالم العربي (١٩٨٢)، **الكتاب المقدس.**
- الأب متى المسكين(١٩٨٧)، **مع المسيح في آلامه حتى الصليب**، ط٥، القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار.
- إبراهيم، مجدي، **العقيدة علم (١٩٩٥)**، ط٢، القاهرة :الزهراء للإعلام العربي.
- إبراهيم، مصطفى وأحمد، الزيات، **المعجم الوسيط**، ج١، القاهرة: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- أتلخان، جواد (ت١٤٠٤هـ) ، **الإسلام وبنو إسرائيل**، (ترجمة يوسف شاه)، الرياض.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، ط١، ١٠ج، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج ٤، (تحقيق طاهر الزاوي)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله (ت٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط١، (تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.
- أحمد، إبراهيم خليل (١٩٨٩)، **الغفران بين الإسلام والمسيحية**، ط١، القاهرة: دار المنار.
- احمد، خليل إبراهيم (١٩٦٧) ، **إسرائيل والتلمود**، القاهرة: مكتبة الوعي العربي.
- أحمد، مريم أيت (٢٠٠٧)، **العلاقة مع الآخر في ضوء الوسطية في الإسلامية**، عمان: منتدى الوسطية للفكر والثقافة.
- آرمسترونغ، كارين، **الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم)**، (ترجمة سامي الكعكي)، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ارنولد، توماس (١٩٧٠)، **الدعوة إلى الإسلام**، (ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عبدين)، ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- الأزهري، محمد بن احمد (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ج٩، ط١، (تحقيق محمد عوض)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١.

- ابن إسحاق، محمد (ت١٥١هـ)، **سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)**، ط١، (تحقيق سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.
- الإسفراييني، أبي المظفر (ت ٤٧١)، **التبصير في الدين**، (تحقيق كمال الحوت) ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
- الأشقر، عمر سليمان (١٩٨٥)، **عالم الملائكة الأبرار**، ط٣، الكويت: مكتبة الفلاح.
- الاشقر، عمر(١٩٩٩)، **العقيدة في الله**، ط١٢، عمان: دار النفائس.
- **الاغتيال جريمة ثابتة في السياسة الإسرائيلية**، مركز دراسات الشرق الأوسط
- افندي، حبيب فارس (١٨٩١)، **صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية**، ط١، القاهرة: المطبعة الجامعة.
- آل عمر، محمد بن علي(٢٠٠٣)، **عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين**، ط١، الرياض: مجلة البيان.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ج٣، (تحقيق علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- الشريف، محمد عبد الغفور (٢٠٠٨)، العلاقات الإنسانية مع الآخر في ضوء الوسطية، **أبحاث المؤتمر الدولي الثاني للوسطية**، ط١(الكويت)، الولايات المتحدة، وشنطن، ٢٠٠٦م
- الفاعوري، المهندس مروان (٢٠٠٨)، الوسطية: التأصيل – والتطبيق المنتدى العالمي للوسطية نموذجاً، **الوسطية مشروع الإنسانية الحضاري أبحاث المؤتمر الدولي للوسطية**، طرابلس، لبنان
- أمامة، عدنان محمد، **التجديد في الفكر الإسلامي**، ط١، دار بن الجوزي، ١٤٢٤هـ.
- أمين، بديعة، **الجذور التوراتية للعنصرية الصهيونية**، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢.
- إيليربي، هيلين (٢٠٠٥)، **الجانب المظلم في التاريخ المسيحي**، ط١، (ترجمة سهيل زكار)، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر.
- ايوب، محمد(٢٠٠٠)، **دراسات في العلاقات المسيحية الإسلامية**، ج١، لبنان: مركز الدراسات المسيحية الإسلامية.

- الباجي، علاء الدين بن محمد (ت٧١٤هــ)، **كتاب على التوراة**، ط١، (تحقيق السيد يوسف أحمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
- ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هــ)،**العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبيوية**، ط٢، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر.
- البار، محمد علي (١٩٨٧)، **المسيح المنتظر وتعاليم التلمود**، ط١، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع.
- البار، محمد علي (١٩٩٠)، **الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم (دراسة مقارنة)**، ط١، دمشق: دار القلم، ، بيروت: الدار الشامية.
- البار، محمد علي (٢٠٠٤)، **معاملة غير المسلمين الحوار والتسامح في الإسلام**، ط١، دمشق: دار القلم، بيروت: والدار الشامية.
- البار، محمد علي (٢٠١١)، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية**، ط٢، دمشق: دار القلم.
- البار، محمد علي(١٩٩٠)، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، ط١، دمشق: دار القلم، ، بيروت: الدار الشامية.
- بحر الدين، اورانج كاي رحمات بن دانو (١٩٨٣)، **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام**، (عرض وترجمة وتعليق رؤوف شلبي)، الدوحة: دار الثقافة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله (١٤٢٢هــ)، **صحيح البخاري**، ط١، ٩ج، (تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة.
- بدوي، عبد الرحمن (١٩٨٤)، **موسوعة الفلسفة**، ط١، ج١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- براناتيس، الأب آي. بي. (١٩٧٤)، **فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)**، ط١، (إعداد زهدي الفاتح)، بيروت: دار النفائس.
- براون، بربارا (١٩٩٥)، **نظرة عن قرب في المسيحية**، بدون ط، شركة التوحيد للنشر.
- البستاني، بطرس (١٨٧٧)، **دائرة المعارف**، م١١، دار المعرفة ، بيروت.
- ابن بطه، بو عبد الله عبيد الله بن محمد (٣٨٧هــ)، **الإبانة الكبرى لابن بطة**، ج3،(تحقيق رضا معطي وآخرون)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، **تفسير البغوي**، ط١، ج٣، (تحقيق عبد الرزاق المهدي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ)، **شرح السنة**، ط٢، ج١١، رقم:٢٦٩٦، (تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت ٢٣٥هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، ط١، ج٥، رقم: ٢٥٣٩٢، ت(تحقيق كمال يوسف الحوت)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
- البهي، محمد (١٩٧٣)، **الإسلام في حياة المسلم**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة.
- بوست، جورج (١٨٩٤)، **قاموس الكتاب المقدس**، ٢م، بيروت: المطبعة الأميركانية.
- البوطي، محمد سعيد رمضان (١٩٩٧) ، **كبرى اليقينيات: وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، دمشق، سورية: دار الفكر.
- بوكاي، موريس، **القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**، تقديم الحسيني معدي، ط١، القاهرة: دار الحرم للتراث.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، ط١،ج٣، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
- البيهقي، أبو بكر (ت٤٥٨)، **الاعتقاد**، ط١، ج١، (تحقيق احمد الكاتب)، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٤٠١هـ.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، ط٣، ج٦، (تحقيق محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠٠٣.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، ط١، ٧ج، (تحقيق د. عبد المعطي قلعجي)، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ .

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت ٢٧٩هـ)، **سنن الترمذي**، ط٢، ج٤، (تحقيق وتعليق وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٥.
- الترميني، عبد السلام (١٩٩٥)، **أحداث التاريخ الإسلامي**، ط٣، م١،ج١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، (التعريب والجمع شركة ماستر ميديا)، القاهرة: مصر.
- التفكجي، خليل ، **مقالة بعنوان الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة واقع واشكاليات**، الأحد ١٤٢٥/٨/١٨هـ - الموافق ٢٠٠٤/١٠/٣، شبكة الجزيرة الإعلامية.
- التل، عبد الله (١٩٧١)، **جذور البلاء**، ط١، بيروت: دار الإرشاد للطباعة والتوزيع.
- مركز دراسات الشرق الأوسط (٢٠١١)، **التلمود البابلي**، ط١ ٢٤م.
- التونجي، عبد السلام (١٩٨٦)، **الإيمان بالأنبياء والرسل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية**، ط١، طرابلس.
- التونسي، محمد خليفة، **الخطر اليهودي (بروتوكولات) حكماء صهيون**، ط٣، القاهرة: مكتبة دار العروبة،.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس (ت٧٢٨هـ)، **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، (حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط)، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٨٥.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**،ج٣٥، (تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ط٢، ج٥، (تحقيق علي بن حسن وآخرون)، دار العاصمة، السعودية، ١٩٩٩
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت٧٢٨هـ)، **العبودية**، ط٧، (تحقيق محمد زهير الشاويش)، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥
- الجابري، محمد عابد، مقالة بعنوان "مفهوم الأنا والآخر" **www. Aljabriabed.net**

- الجابري، محمد عابد (٢٠٠٦)، **مسألة الهوية**، ط٣، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- جبور، جان (٢٠٠١)، **النظرة إلى الآخر في الخطاب الغربي**، ط١، بيروت: دار النهار.
- الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١، (ضبطه وحققه جماعة من العلماء)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- جرجس، حبيب، **إسرار الكنيسة السبعة**، ط٥، القاهرة: مكتبة المحبة.
- جرجس، صبري (١٩٧٠)، **التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي**، ط١، القاهرة: عالم الكتب.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٣٧٠هـ)، **أحكام القرآن**، ط١، ج٢، (تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م
- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**، ط١، ج٣، (تحقيق يوسف النبهاني)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣
- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ن٩١١هـ)، **الحبائك في أخبار الملائك**، ط١، (تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول)، ١٩٨٥.
- جماعة من علماء اللاهوت (١٩٩٤)، **قاموس الكتاب المقدس**، ط٩، القاهرة: دار الثقافة.
- الجندي، أنور(١٩٧٥)، **دراسات في الإسلام**، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- جنيبير، شارل ، **المسيحية نشأتها وتطورها**، (ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود)، بيروت: المكتبة المصرية.
- الجوزية، محمد أبي بكر بن قيم (١٩٨١)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ط١، بيروت: مطابع يوسف بيضون.
- جومبير، جاك والباقي(١٩٦٦)، سامي، **المسيح ابن مريم**، بيروت: دار الكلمة.
- **جيمس انس، علم اللاهوت النظامي**، راجعه وأضاف إليه: منيس عبد النور
- الحاج، محمد أحمد (٢٠٠٢)، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، ط٢، دمشق: دار القلم.

- حبيب، القس صموئيل، **الخلاص في مفهومه الكتابي والتطبيقي،** القاهرة: دار الثقافة المسيحية.
- حبيب، القس صموئيل، وآخرون، **دائرة المعارفة الكتابية،** م٣، ط٢، القاهرة: دار الثقافة.
- حتاملة، محمد عبده (٢٠١٠)، **مداخل لدراسة تاريخ الأندلس،** عمان: مطبعة الجامعة الأردنية.
- حجازي، عرفات (١٩٨٦)، **الإرهاب الصهيوني والسيطرة على القرار الدولي،** دار الصباح للصحافة والطباعة والنشر.
- ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي أبو الفضل، **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** ج١٠، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ)، **شرح نهج البلاغة،** ج١٧ (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ابن حزم الظاهري ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)، **المحلى بالآثار،** ج٦، دار الفكر، بيروت.
- ابن حزم، أبو محمد علي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** ج١، ط١، **مكتبة الخانجي، القاهرة.**
- حسن، إبراهيم حسن (١٩٦٤)، **تاريخ الإسلام،** ط٧، ج١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- الحسني، سهيلة (٢٠٠٣)، **الحروب الصليبية مواقف وتحديات،** ط١، القاهرة: دار التوزيع.
- حسيبة، مصطفى (٢٠٠٩)، **المعجم الفلسفي،** ط١ ، عمان، الأردن: دار اسامة للنشرو التوزيع.
- حسين، خليل (٢٠١٢)، **ذرائع الإرهاب الدولي،** ط١، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.
- حسين، علي فؤاد (١٩٦٨)، **اليهودية واليهودية المسيحية،** معهد البحوث والدراسات.

- الحسيني، أبو النصر بشر الطرازي (١٩٨٤)، **الإسلام الدين الفطري الأبدي**، ط١، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحفني، إبراهيم (ت ٩٥٦هـ)، ط١، **نعمة الذريعة في نصرة الشريعة**، (تحقيق علي الرضا)، دار المسير الرياض، ١٤١٩هـ.
- الحفني، عبد المنعم (٢٠٠٠)، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، ط٣، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- حفني، عصام الدين (١٩٧٩)، **المسيح في مفهوم معاصر**، ط١، بيروت: دار الطليعة.
- حللي، عبد الرحمن (٢٠١٠)، **حرية الاعتقاد في القرآن الكريم**، المركز الثقافي المغرب العربي.
- الحموي، أحمد بن محمد مكي الحنفي (ت ١٠٩٨هـ)، **غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر**، ط١، ج٣، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥.
- الحميدي، عبد العزيز (١٩٩٨)، **الخلفاء الراشدون**،ط١، ج٣، القاهرة: دار الدعوة، جدة: دار الأندلس، ١٩٩٨.
- الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني (ت٥٧٣هـ)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، ط١، ج٤، (تحقيق د حسين بن عبد الله العمري، وآخرون)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٩٩٩.
- الحوالي، سفر (١٤٢١هـ)، **يوم الغضب**، ط١، مكة المكرمة.
- حوى، سعيد، **الإسلام**، ج١، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ)، **الإمتاع والمؤانسة**، ط١، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤٢٤هـ
- الخادمي، نور الدين مختار(٢٠٠٨)، **أبحاث في مقاصد الشريعة**، ط١، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.
- خان، ظفر الإسلام (١٩٧١)، **التلمود تاريخه وتعاليمه**، ط١، بيروت: دار النفائس.
- خان، محمد ظفر الله (١٩٨١)، **الإسلام والإنسان المعاصر**، (ترجمة محمد جلال شرف)، بيروت: دار النهضة العربية.
- الخضري، القس حينا جرجس(١٩٨٢)، **تاريخ الفكر المسيحي**، م١، ج٣، القاهرة: دار الثقافة.

- الخطيب، عبد الكريم (١٩٧١)، **الله والإنسان** ، ط٢، القاهرة: دار الفكر العربي.
- الخطيب، محمد (٢٠٠٩)، **مقارنة الأديان** ، ط٢، عمان: دار المسيرة.
- الخطيب، محمد والهزايمة، محمد (١٩٩٠)، **دراسات في العقيدة الإسلامية**، ط١، عمان، الأردن: دار عمار.
- خلاف، عبدالوهاب، **علم أصول الفقه**، ط٧، القاهرة: مكتبة دار التراث.
- الخلف، سالم بن عبد الله(٢٠٠٣)، **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، ط١، ج١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- الخلف، سعود بن عبد العزيز(٢٠٠٤)، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط٤، الرياض: أضواء السلف.
- الخياط، عبد العزيز(١٩٨٦)، **المجتمع المتكامل في الإسلام**، ط٣، القاهرة: دار السلام.
- الخياط، عبد العزيز(٢٠٠٧)، **أدب الحوار**، عمان: وزارة الثقافة.
- د. ا. س ترتون (١٩٦٧)، **أهل الذمة في الإسلام**، (ترجمة حسن حبشي)، ط٢، القاهرة: دار المعارف.
- دانزول، البيرتو(٢٠٠٤)، **اليهودية والغيرية غير اليهود في منظار اليهودية**، ط ١، (تعريب ماري شهرستان)، دمشق: الأوائل.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، ج٣، رقم:٣٠٥٠، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت
- دروزة، محمد عزة (١٩٧٥)، **الجهاد في سبيل الله**، دمشق: دار اليقظة.
- درويش، عبد الحميد (١٩٩٠)، **إثبات الرسالة وصفات الرسل**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.
- الدمرداش، فرج (٢٠٠٢)، **أحكام الذبائح عند المسلمين وأهل الكتاب**، ط٢، الاسكندرية: دار المعرفة الأزهرية.
- ديب، سهيل (١٩٧٢) ، **التوراة تاريخها وغاياتها**، ط١، بيروت: دار النفائس.
- ذريل، عدنان (١٩٨٥)، **الفكر الوجودي غبر مصطلحه**، دمشق: منشورات اتحاد العرب.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط٢، ٢٧ج، (تحقيق: عمر عبد السلام التدمري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ
- الراجحي، عبده (١٩٦٨)، الشخصية الإسرائيلية، القاهرة: دار المعارف.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، ج١، ط٥ ، (تحقيق يوسف محمد)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي)، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٧.
- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، (تحقيق صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- رافع، ساهر (٢٠١١)، **التأملات لديكارت**، ط١، مصر: الدار العالمية للكتب والنشر.
- رحمه الله، احمد بري (١٩٩٢)، **أحكام تشييع الجنائز في الفقه المالكي**، الجزائر: مؤسسة الوطينة للكتاب.
- رخلافسكي، تسفي (٢٠٠٣)، **حمار المسيح**، (ترجمة اسماعيل درج)، ط١، دمشق: دار كنعان.
- رزوق، سعد (١٩٩١)، **التلمود والصهيونية**، ط٢، الناشر للطباعة والتوزيع والإعلان.
- رسل، براتراند (١٩٨٠)، **الفوز بالسعادة**، (ترجمة سمير عبده)، لبنان، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ج٢، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤.
- رضا، محمد رشيد بن علي (ت١٣٥٤هـ)، **تفسير المنار** ،١٢ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.
- رضوان، فتحي(١٩٧٥)، **الإسلام والإنسان المعاصر**، القاهرة: دار المعارف.
- الرفاعي، عبد الجبار (٢٠٠٢)، **نحن و الغرب**، ط١، بيروت: دار الهادي.
- الرقب، صالح (٢٠٠٣)، **العولمة**، ط١.

- الرماني، عايد (٢٠٠٨)، **اليهود يحكمون العالم رؤية اقتصادية**، ط١، الرياض: دار القطب للنشر.
- أبو الروس، أيليا (١٩٦٤)، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ط١، بيروت: منشورات دار الإتحاد.
- روهلنج (١٨٩٩)، **الكنز المرصود في قواعد التملود**، ط١، (ترجمة يوسف نصر الله)، مصر: مطبعة المعارف.
- رؤوف، شلبي عبد الجليل (١٩٩٧) ، **اليهود واليهودية**، القاهرة: دار أخبار اليوم.
- رؤوف، اسعد (١٩٩٩) ، **التلمود والصهيونية**، ط٢، الناشر للطباعة والتوزيع .
- زابوروف، ميخائيل (١٩٨٦)، **الصليبيون في الشرق**، موسكون: دار التقدم.
- زابوروف، ميخائيل، **بالسيف والصليب**، ط١، (ترجمة هاشم حمادي)، دمشق: دار الرأي.
- زاهر، رفقي (١٩٨٠)، **قصة الآديان (دراسة تاريخية مقارنة)**، ط١، دار المطبوعات الدولية.
- الزبيدي، أبو الفضل محمد بن محمد (١٢٠٥ هـ)، **تاج العروس من جواهر لقاموس** ، (تحقيق مجموعة من المحققين)، ج١٠، دار الهداية.
- الزبيدي، حسن هادي (٢٠١٥)، **مستقبل العراق ودول الربيع العربي في ظل تحديات التغير**، عمان: دار امجد للنشر والتوزيع.
- الزحيلي، وهبة (٢٠٠٠)، **حق الحرية في العالم**، دمشق: دار الفكر.
- الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي (ت١١٢٢هـ)، **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، كتاب المغازي، قتل كعب بن الأشرف وهي سرية محمد بن مسلمة، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
- الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)، **الأعلام**، ط١٥، ج٦، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢.
- الزعبي، الأرقم (١٩٩٠) ، **حقائق عن اليهودية**، ط١، الدار المتحدة للطباعة.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- أبو زهرة، (١٩٦٦)، **محاضرات في النصرانية**، ط٣، مطبعة المدني
- أبو زهرة، محمد بن احمد (ت١٣٩٤هـ) **المجتمع الإنساني في ظل الإسلام**، ج٢، مجلة الأزهر، ١٤٢٥هـ.
- أبو زهرة، محمد بن احمد (ت١٣٩٤هـ)، **شريعة القرآن من دلائل إعجازه**، دار العروبة، القاهرة، ١٩٦١.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، **زهرة التفاسير**، ١٠ج، دار الفكر العربي
- الزوابي، ممدوح (٢٠٠٠)، القتل عقيدة يهوه، ط١، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر.
- الزيات، حبيب (١٩٣٥)، **الصليب في الإسلام**، مطبعة القديس بولس.
- زيدان، عبد الكريم(١٩٨٢)، **أحكام الذميين المستأمنين في دار الإسلام**، ط٢، بيروت: مكتبة الرسالة.
- الزين، حسن (١٩٨٢)، أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، ط١، بيروت.
- الزين، محمد فاروق (٢٠٠٠)، **المسيحية والإسلام والاستشراق**، ط١، دمشق: دار الفكر.
- سابق، سيد، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت.
- السامرائي، خليل إبراهيم ،وآخرون (٢٠٠٠)، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الساموك، سعدون (٢٠٠٤)، **مقارنة الأديان**، ط١، عمان: دار اوئل.
- السباعي، مصطفى (ت١٣٨٤هـ)، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**،ط٣، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٩٨٢
- سبترس، المطران كيراس، والآب مشيرغون (٢٠٠١)، **جوهر المسيحية ومفارقاتها**، بيروت: المكتبة البولسية
- السحمراني، اسعد (١٩٨٦)، **الإسلام بين المذاهب والإديان**، ط١، بيروت: دار النفائس.
- السحمراني، اسعد (١٩٨٨)، **الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة**، ط١، بيروت: دار النفائس.
- السحمراني، أسعد (١٩٩١)، **العدل فريضة إسلامية**، ط١، بيروت: دار النفائس.

- سراج الدين، عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي (ت ١٠٠٥هـ)، **النهر الفائق شرح كنز الدقائق**، ط١، ج١، (تحقيق أحمد عزو عناية)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ)، **شرح السير الكبير**، ج١، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس (ت ٤٨٣هـ)، **المبسوط**، ج٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣.
- السعدي، غازي (١٩٤٤)، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، ط١، عمان: دار الجليل.
- سعفان، كامل (١٩٩٩)، **موسوعة الاديان القديمة**، ط١، مدبنة نصر: دار الندى
- سعفان، كامل (٢٠٠٠)، **الصليب سيفاً وحرفاً**، ط١، القاهرة: دار الأمين.
- سعفان، كامل، **اليهود تاريخاً وعقيدة**، ط٢، القاهرة: دار الاعتصام.
- سعفان، كامل، **مسيحية بلا مسيح**، القاهرة: دار الفضيلة
- سعيد، ادوارد (١٩٨١)، **الاستشراق**، (ترجمة كمال أبو ديب)، ط١، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- السفاريني، شمس الدين (ت ١١٨٨هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، ط٢، ج١، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ١٩٨٢ م
- السقا، احمد حجازي (٢٠٠٣)، **عودة المسيح المنتظر**، ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- السقار، منقذ **(٢٠٠٧)، هل اقتدانا المسيح على الصليب**، ط١، مكة: دار الإسلام.
- سلهب، نصري، **صلب المسيح ومسؤولية اليهود**، بدون ط، بدون ت
- السليماني، أحمد ياسين (٢٠٠٦)، **التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر**، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في النقد الأدبي، إشراف جابر عصفور، جامعة القاهرة
- سمبسون، أ.ب. (١٩٤٠)، **التعليم الشامل للتقديس الكامل**، (ترجمة يوسف سعفان)، القدس: أرسالية الاليانس المسيحية.
- سمعان، عوض، **العشاء الرباني**، القاهرة: دار الثقافة المسيحية.

- سمعان، عوض، **غفران الذنوب - فلسفة الغفران في المسيحية**، القاهرة: دار الإخوة للنشر.
- السمعوني، طاهر بن صالح (ت١٣٣٨هـ)، **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، ط١، ج١، (تحقيق عبد الفتاح أبو غدة)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٩٥.
- سميث، جوناثان ريلي (١٩٩٣)، **الحملة الصليبية الأولى**، (ترجمة محمد فتحي الشاعر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السندي، عبد القادر بن حبيب (١٩٧٥)، **حجية السنة ومكانتها في التشريع الإسلام**، ط٨، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
- السواح، فراس (٢٠٠٤)، **الوجه الآخر للمسيح**، ط١، دمشق: دار علاء الدين.
- سويدان، طارق، **فلسطين التاريخ المصور**، ط٣، الكويت: الابداع الفكري
- سيجموند، فرويد (١٩٩٨)، **الموجز في التحليل النفسي**، (ترجمة سامي محمود عبد السلام القفاس)، ط٤، القاهرة: دار المعارف.
- سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) **في ظلال القرآن**، ط١٧، ج٣، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ
- السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، ج١، (تحقيق محمد الفاريابي أبو قتيبة)، دار طيبة
- شاحاك، إسرائيل (١٩٩٧)، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠عام**، ط٤، (تقديم إدوار سعيد)، (ترجمة رضى سليمان)، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر
- شاش، طاهر (١٩٩٧)، **التطرف الإسرائيلي**، ط١، القاهرة: دار الشروق.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت٧٩٠هـ)، **الموافقات**، ط١، ج١، (تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان)، دار ابن عفان، ١٩٩٧.
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، **الأم**، ج٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠.
- الشامي، رشاد (١٩٨٦)، **الشخصية اليهودية والروح العدوانية** ، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- الشامي، رشاد (٢٠٠٢)، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

- الشرباصي (**١٩٨٠)، يسألونك عن الدين والحياة**، ج١، بيروت: دار الجيل.
- الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، ط١، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤
- شرح العقيدة الطحاوية (١٩٨٤)، (تحقيق جماعة من العلماء)، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الإلباني، المكتب الإسلامي، ط٨، بيروت.
- الشرقاوي، عثمان (١٩٧٢)، **شريعة القتال في الإسلام**، ط١، القاهرة: مكتبة الزهراء.
- شلبي، احمد (١٩٥٩)، **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط٢، ج١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- شلبي، أحمد (١٩٦٥)، مقارنة الأديان (الإسلام)، ط٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- شلبي، أحمد (١٩٩٧)، **مقارنة الأديان (اليهودية)**، ط١٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- شلبي، احمد، **الحروب الصليبية** ، القاهرة: النهضة المصرية.
- شلبي، رؤوف (١٩٧٥)، **أضواء على المسيحية (دراسات في اصول المسيحية)**، بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- شلبي، متولي يوسف (١٩٦٨)، **أضواء على المسيحية**، الكويت: الدار الكويتية للطباعة والنشر.
- شلتوت، محمد، **الإسلام عقيدة وشريعة**، القاهرة: دار القلم.
- شنودة، زكي، **المجتمع اليهودي**، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الشهابي، إبراهيم (٢٠٠٤)، **القرآن حرّر الإنسان**، ط١، دمشق: دار الفكر.
- الشهرستاني، أبي الفتح محمد عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)،**الملل والنحل**، (تحقيق عبد العزيز الوكيل)، بيروت: دار الفكر.
- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، ط١، (تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٤.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار**، ط١، ج٤، (تحقيق عصام الدين الصبابطي)، دار الحديث، مصر، ١٩٩٣.
- شين، فولتون، **حياة المسيح دراسة وتأمل**، (ترجمة نجيب غالي)، القاهرة: مكتبة المحبة

- الصابوني، محمد علي (١٩٨٥)، **النبوة والأنبياء**، ط٣، دمشق: مكتبة الغزالي.
- صالح أهضير، جريدة البلاغ الصحفي **(albalagh.over-blog.com)** ٢٠١٢/١١/٣
- الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القرآن**، ط٢٤، بيروت: دار العلم للملايين.
- صبري، محمد، **التلمود وشريعة بني إسرائيل** ، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- صحيفة اليوم، **بعنوان تقرير حقوقي فلسطيني يوثق مخاطر جدار الفصل العنصري الإسرائيلي**،٢٠٠٤.
- الصلابي، على محمد (٢٠١٣)، **موسوعة السير تاريخ الخلفاء الراشدين (عمر بن الخطاب شخصيته وعصره)**، ط١، المنصورة: مكتبة فياض.
- الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد (٢٠٠٨)، **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، ط٢، ج٢، بيروت، البنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، **دولة الموحدين**، عمان: دار البيارق للنشر.
- الصلابي، علي محمد(١٩٩٩)، **الوسطية في القرآن الكريم**، ط١، عمان: دار النفائس، دار البيارق.
- أبو طاحون، عدلي علي (١٩٩٩)، **سوسيولوجيا التطرف الديني**، الاسكندرية: المكتب الجامعي الجديث.
- طاليس، ارسطو (١٩٧٩)، **السياسة**، (ترجمة أحمد لطفي السيد) ، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- طبّاره، عفيف عبد الفتاح (١٩٨٢)، **روح الدين الإسلامي**، ط٢٢، بيروت: دار العلم للملايين.
- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط٣،ج٢، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧ هـ.
- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، ج٢، (تحقيق أحمد محمد شاكر)، موسسة الرسالة، ٢٠٠٠
- طبيشات، محمد الشيخ (١٩٩٥)، **الإنسان في القرآن الكريم**، ط٢.
- طرابيشي، جروج (٢٠٠٦)، **معجم الفلاسفة**، ط٣، بيروت: دار الطليعة،.
- طعمة، صابر(١٩٨٥)، **الإسلام يقيناً لا تلقيناً** ، ط٢، بيرت: الجيل
- طعيمة، صابر (١٩٩١)، **التاريخ اليهودي العام**، ط٣، ج١، بيروت: دار الجيل.

- الطماوي، سلمان (١٩٦٩)، **عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة،** ط١، دار الفكر العربي.
- الطنطاوي، حسين (١٩٧٤)، **الصهيونية والعنف،** (تقديم حسن ظاظا وآخرون)، مطبوعات الشعب.
- الطنطاوي، علي (٢٠١٦)، **تعريف عام بدين الإسلام،** وزارة الثقافة.
- الطنطاوي، علي والطنطاوي، ناجي (١٩٥٩)، **أخبار عمر،** ط١، دمشق: دار الفكر.
- طنطاوي، محمد سيد (١٩٨٧)، **بنوا اسرائيل في القرآن والسنة،** ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.
- الطهطاوي، محمد عزت (١٩٩٣)، **الميزان في مقارنة الأديان،**ط١، دمشق: دار القلم.
- الطويل، توفيق (١٩٤٧)، **قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام،** القاهرة: دار الفكر العربيز
- الطويل، توفيق، **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية،** القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.
- طويلة، عبد السلام (١٩٩٩)، **المسيح المنتظر ونهاية العالم،** ط١، القاهرة: دار السلام
- طويلة، عبد السلام (٢٠٠٧)، **مغالطات اليهودية من واقع أسفارهم،** ط١، دمشق: دار القلم.
- ظاظا، حسن (١٩٨٧)، **الفكر الديني اليهودي (أطواره ومذاهبه)،** ط٢، دمشق: دار القلم، وبيروت: دار العلوم.
- ظاظا، حسن (١٩٩٠)، **الشخصية الإسرائيلية،** دمشق: دار القلم.
- ظاظا، حسن وعاشور، محمد(١٩٧٦)، **شريعة الحرب عند اليهود،** ط ١، القاهر: دار الاتحاد العربي.
- عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هــ)، **رد المحتار على الدر المختار،** ط٢،ج٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤)، **التحرير والتنوير،** ج٦، تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٩٩)، **مقاصد الشرعية الإسلامية،** ط١، (تحقيق محمد الطاهر المساوي)، عمان: دار النفائس.

- عامر، عبد العزيز (٢٠٠٢)، **بنو إسرائيل الشعب الذي كان مختاراً**، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي الصغير.
- أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت
- عبد الحليم، أحمد (٢٠١١)، **سارتر والفكر العربي المعاصر**، ط١، بيروت: دار الفارابي.
- عبد الحميد، عرفان (١٩٩٧)، **اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية**، ط١، عمان: دار عمار.
- عبد الحميد، عرفان (٢٠٠٠)، **النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها**، ط١، عمان: دار عمار.
- عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ)، **المصنف**، ط٢، ج٧، رقم:١٢٦٧٣، (تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي)، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- عبد الرؤوف الأرناؤوط (٢٠١٧)،الاعتداءات الإسرائيلية على الأقصى منذ ١٩٦٧م اشدها وقعت في العام ٢٠١٥، **صفحة وكالة الاناضول** .
- عبد الصمد، محمد كامل، **موسوعة غرائب المعتقدات والعادات**، ج٣، ط١، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب.
- عبد العزيز، زينب (٢٠٠٤)، **تنصير العالم**، ط١، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- عبد العزيز، منصور، **دعوة الحق بين المسيحية والإسلام**، بدون ط، بدون ت.
- عبد القادر، محمد أحمد (١٩٨٥)، **عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي**، الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- عبد اللطيف، عبد الشافى محمد (١٤٢٨هـ)، **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، ط١، القاهرة: دار السلام.
- عبد المجيد، محمد بحر (٢٠٠١)، **اليهودية**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة.
- عبد المطلب، رفعت، **كتابة السنة في عهد النبي محمد ﷺ والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية**، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد.
- عبد الوهاب، أحمد (١٩٧٨)، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.

- عبد الوهاب، أحمد، **الإسلام والأديان الأخرى**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.
- عبده، محمد (٢٠٠١)، **رسالة التوحيد**، تعليق محمد رشيد رضا، ط ١، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر.
- عبود، عبد الغني (١٩٧٧)، **الله والإنسان المعاصر**، ط١، دار الفكر العربي.
- عبيدات، محمود سالم (١٩٩٨)، **العقيدة الإسلامية**، عمان، الأردن.
- عثمان، محمد فتحي (١٩٨٢)، **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي**، ط١، بيروت: دار الشرق.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح (٢٠١٣)، **شرح العقيدة السفارينية**، ط٢، الرياض: مدار الوطن للنشر.
- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد (ت١٢٢٤هـ)، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، ج٤، (تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي)، القاهرة'، ١٤١٩ هـ.
- عجيبه، أحمد علي (٢٠٠٦)، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه**، ط١، القاهرة: دار الافاق العربية.
- الخطيب، محمد (١٩٩٨)، الخطيئة والتوبة في المسيحية، **كلية الشريعة القانون والدراسات الإسلامية**، حولية (١٦)، جامعة قطر.
- العدوي، محمد أحمد (١٩٣٢)، **التوحيد**، القاهرة: المطبعة الرحمانية.
- عزوي، محمد سليم، **الحريات العامة في الإسلام**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- عزيز، فهيم (١٩٨٠)، **المدخل لدراسات العهد الجديد**، القاهرة: دار الثقافة المسيحية.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج١، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- عطار، أحمد عبد الغفور (١٩٨١)، **الديانات والعقائد**، ط١، ج٤، مكة المكرمة
- عطيات، احمد محمد (٢٠١٢)، **الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش**، ط١، عمان: أمواج للطباعة والنشر.
- العقاد، عباس محمود (١٩٩٤)، **الله**، القاهرة: نهضة مصر.
- العقاد، عباس محمود، **الديمقراطية في الإسلام**، عمان: وزارة الثقافة.
- العقاد، عباس محمود، **حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث**، دار هلال

- العقاد، محمود عباس (٢٠١٢)، **عبقرية عمر**، عمان: وزارة الثقافة.
- العلي، إبراهيم بن محمد بن حسين (ت ١٤٢٥هـ)، **صحيح السيرة النبوية**، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٥.
- علي، جواد (ت ١٤٠٨هـ)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤، ج١، دار الساقي ،٢٠٠١م.
- علي، ياسر(٢٠٠٩)، **المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني**، ط١، مركز الزيتونه للدراسات.
- عمارة، **الإسلام والآخر**، بيروت: مكتبة الشروق الدولية.
- عمارة، محمد (١٩٨٥)، **الإسلام وحقوق الإنسان**، الكويت: عالم المعرفة.
- عمر ، احمد مختار(ت ١٤٢٤هـ) ، وآخرون ، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ج١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- عمر، أحمد مختار (١٤٢٤هـ)، وآخرون، **معجم الصواب اللغوي**، ط١،ج١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨.
- عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، ج١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م.
- عمر، السيد، **وثيقة المدينة المنورة**، جامعة حلوان.
- العمري، أكرم ضياء (١٩٨٣)، **المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى**، ط١، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.
- العمري، أكرم ضياء، **بحوث في تاريخ السنة المشرفة** ، ط٤، بيروت: بساط.
- عوض، نجيب (٢٠٠٤)، **الله والإنسان والشر**، ط١، دمشق: قدمس للنشر والتوزيع.
- أبو العينين، بدران، **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون**، بيروت: دار النهضة العربية،.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، **المستصفى**، ط١، (تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي)، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.
- الغزالي، محم (١٩٦٣)، **حقوق الإنسان**، ط١، القاهرة: المكتبة التجارية.
- الغزالي، محمد ، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، القاهرة: مطبعة حسان.
- غزوي، محمد سليم، **الحريات العامة في الإسلام**، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

- الفار، عبد الواحد محمد (١٩٧٥)، **أسرى الحرب**، القاهرة: عالم الكتاب.
- الفارابي، أبو نصر اسماعيل (٣٩٣هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، ج٢، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- فارس، أحمد بن الحسين (ت ٣٩٥هـ)، **مجمل اللغة**، ط٢، ج٢، (تحقيق زهير سلطان)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (تحقيق عبد السلام هارون)، ج١، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- الفاروقي، إسماعيل راجي (١٩٦٨)، **الملل المعاصرة في الدين اليهودي**، معهد البحوث والدراسات العربية.
- فاضل، علي رمضان (٢٠١٤)، **الموسوعة الفلسفية الميسرة**، ط١، القاهرة: مكتبة النافذة.
- الفتلاوي، سهيل حسين (٢٠٠٧)، **حقوق الإنسان في معتقل أبي غريب**، بيروت: دار الطليعة العربية.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، **العين**، ج١، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي)، دار ومكتبة الهلال.
- الفرت، محمد أبو الغيط وقلعجي، محمد رواس (١٩٨٣)، **العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة**، ط١، الكويت: دار البحوث العلمية.
- فريق البحوث والدراسات الإسلامية، **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، مكتبة علاء الدين.
- فلوري، جان (٢٠٠٤)، **الحرب المقدسة (الجهاد، الحرب الصليبية)**،ط١، (ترجمة غسان ماسيو)، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.
- فورد، هنري، **اليهودي العالمي** ،(تعريب خيري حماد)، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الظاهر محمد بن يعقوب (٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، (تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي في مؤسسة الرسالة)، ج١ ، ط٨، مؤسسة دار الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥.

- أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، **المعجم الأوسط**، باب الالف، من أسمه أحمد،ج١، رقم:٢٩٤، (تحقيق طارق بن عوض الله)، دار الحرمين، القاهرة.
- قاسم، عبده قاسم (١٩٩١)، **ماهية الحروب الصليبية**، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية.
- قاسم، عبده قاسم، **الخلفية الإيديولوجية للحروب الصليبية**، ط١، القاهرة: دار عين للدراسات.
- القاسمي، محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، **قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله (ت ٦٢٠هـ)، **المغني لابن قدامة**، ج٧، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨.
- قدح، محمود، الأسفار **المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم (عرض ونقد)**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد١١.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي (ت٦٨٤هـ)، **الفروق**، ج٣، عالم الكتب، بيروت.
- القرضاوي، يوسف (١٩٨٠)، **الحلال والحرام في الإسلام**، بيروت: المكتب الإسلامي.
- القرضاوي، يوسف (١٩٧٩)، **الإيمان والحياة**، ط١٦، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرضاوي، يوسف (١٩٩٥)، **العبادة في الإسلام**، ط٢٤، القاهرة: مكتبة وهبة.
- القرضاوي، يوسف (٢٠٠٤)، **قيمة الإنسان وغاية وجوده في الإسلام**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.
- القرضاوي، يوسف(١٩٨٣)، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ط٢، ج٣، (تحقيق د محمد حجي وآخرون)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، ج٥، (تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ

- القطان، مناع بن خليل (ت١٤٢٠هـ)، **مباحث في علوم القرآن**، ط٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠
- قطب، محمد (١٩٦٥)، **الإنسان بين المادية والإسلام**، ط٤، دار أحياء الكتب العربية.
- قطب، محمد (١٩٩٧)، **ركائز الإيمان**، ط١، الرياض: مركز الدراسات والإعلام (دار شبيليا).
- قطب، محمد (١٩٩٩)، **المستشرقون والإسلام، ط١**، القاهرة: مكتبة وهبة.
- قطب، محمد (٢٠٠٨)، **مذاهب فكرية معاصرة**، ط١، القاهرة: دار الشروق.
- قطب، محمد علي (١٩٨٥) ، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش**، القاهرة: مكتبة القرآن
- ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، **أحكام أهل الذمة**، ط١، ٣ج، (تحقيق صبحي الصالح)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ)، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، ط١،ج٢ (تحقيق محمد أحمد الحاج)، دار القلم، دار الشامية، جدة، السعودية، ١٩٩٦
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط٣، ج١، (تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٦
- كار، غاي وليم (١٩٨٢)، **اليهود وراء كل جريمة**، ط٢، (ترجمة خير الله الطلفاح)، بيروت: دار الكتاب العربي.
- كازلس، المطران برتولومي دي لاس، **المسيحية والسيف**، (ترجمة سمير عزمي الزين)، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي (ت ٥٨٧هـ)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط٢، ج٢، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦
- كاير، جوزيف (١٩٦٤)، **حكمة الآديان الحية**، (ترجمة حسين الكيلاني)، بيروت: دار مكتبات الحياة.
- الكتاني، علي بن محمد المنتصر بالله (ت١٤٢٢هـ)، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**، ج٣، (تحقيق مصطفى عبد الواحد)، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط٣، ٨ج، (تحقيق سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
- الكردي، محمد طاهر المكي (ت١٤٠٠هـ)، **تاريخ القرآن الكريم**، مطبعة الفتح، جدة، ١٩٤٦.
- الكريني، إدريس (٢٠٠٥)، **التدعيات الدولية الكبرى لأحداث ١١ أيلول**، ط١، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية.
- الكفوي، أبو البقاء ايوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، (تحقيق عدنان درويش وآخرون)، ط١، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت
- كلايد تارنر، **هذه عقائدنا**، الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل (www.arabicbible.com)
- كنعان، جورجي (١٩٩٥)، **الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي**، ط١، ج١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت.
- الكيالي، عبد الوهاب (١٩٧٩)، **موسوعة السياسة**، ط١،ج١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الكيلاني ، نجيب (١٩٧١)، **دم لفطير صهيون**، ط١، بيروت: دار النفائس.
- الكيلاني، هيثم (١٩٩٧)، **الإرهاب يؤسس دولة**، ط١، القاهرة: دار الشروق.
- لالاند، أندريه (١٩٩٦)، **موسوعة لالاند الفلسفية**، م٢، ط١، بيروت: منشورات عويدات.
- اللاوندي، سعيد (٢٠٠٧)، **الشرق الأوسط الكبير**، ط٣، القاهرة: نهضة مصر،
- لبناني عتيق(١٩٧٩)، منشورات الدائرة، بيروت، ١٤ ايلول، ١٩٧٩
- لبيب، الطاهر (١٩٩٩)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت
- لطفي، عبد السلام (٢٠٠٢)، **جذور العنف والعنصرية في الفكر الديني اليهودي**، ط١، القاهرة: المكتبة الاكاديمية.

- لمؤرخ المصري، محمد عبد الله عنان (ت١٤٠٦هــ)، **دولة الإسلام في الأندلس**، ط٤، ج٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧
- لوقا، أبراهيم (١٩٩٥)، **المسيحية في الإسلام**، ط٥.
- لوقا، نظمي (١٩٥٩)، **محمد الرسالة والرسول**، ط٢، القاهرة: دار الكتب الحديثة.
- لينتال، الفريد (١٩٦٥)، **اسرائيل ذلك الدولار الزائف**، ط١، (تعريب عمر الديراوي)، بيروت: دار القلم للملايين.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٣هــ)، **سنن ابن ماجه**، ج٢، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت ٤٥٠هــ)، **الحاوي الكبير**، ط١، ج٩، (تحقيق الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩
- الماوردي، أبي الحسين علي بن محمد (ت٤٥٠هــ) **الأحكام السلطانية**، ط١، مطبعة السعادة، مصر
- المبارك، راشد (٢٠٠٦)، **التطرف خبزعالمي**، ط١، دمشق: دار القلم.
- المبارك، محمد (١٩٧٥)، **نظام الإسلام العقيدة والعبادة**، ط٤، بيروت: دار الفكر.
- مبروك، علي (١٩٩٣)، **النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التايخ**، ط١، بيروت: دار التنوير.
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هــ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ط٥ ،ج١٢(تحقيق بكري حياني وصفوة السقا)، مؤسسة الرسالة،١٩٨١
- أبو المجد، صبري (١٩٦٠)، **نهاية إسرائيل**، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.
- عبدالله، تيسير و زيدان، عفيف (٢٠٠٦)، الآثار المترتبة على الجدار الفاصل لدى المواطنين الفلسطينيين، **مجلة جامعة الأزهر بغزة/ سلسلة العلوم الإنسانية**، ٨(٢).
- مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة
- محمد، أنمار أحمد (٢٠١٠)، **اللاهوت المسيحي (نشأته وطبيعته)**، ط١، دمشق: دار النزمان للطباعة والنشر.

- محمدين، محمد محمود، والفراء، طه عثمان، **المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة**، ط٤، دار المريخ
- محمود، عبد الحليم (ت١٣٩٧هـ)، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، المكتبة العصرية
- محمود، مصطفى (١٩٧٢) ،**التوراة**، ط١، بيروت: دار العودة
- محمود، مصطفى (١٩٧٥) ، **الماركسية والإسلام**، القاهرة، مصر: دار المعارف.
- مدكور، إبراهيم، **في الفكر الإسلامي**، ط١، سميركو للطباعة والنشر
- مركز دراسات الشرق الأوسط (٢٠٠٤)، **الاغتيال جريمة حرب ثانية في السياسة الإسرائيلية**، ط١، عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط .
- مريس، القس سامح، **الإنسان**
- مسعد، بولس حنا (١٩٨٣)، **همجية التعاليم الصهيونية**، بيروت: مطابع المكتب الإسلامي
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن (ت٢٦١هـ)، **صحيح مسلم**، ج٤، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- المسيري، عبد الوهاب (١٩٨٢)، **الايدولوجية الصهيونية**، ج١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- المسيري، عبد الوهاب (١٩٩٩)، **موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية**، ٧م، القاهرة: دار الشروق.
- مصالحة، عمر أمين (٢٠٠٦)، **التلمود المرجعية اليهودية للتشريعات الدينية والاجتماعية**، ط١، عمان: دار الخليل.
- مظهر، سليمان (١٩٨٤)، **قصة الديانات**، ط١، بيروت: الوطن العربي.
- المعايطة، عطا الله بخيب (٢٠١٣)، **الأسس الشرعية والأخلاقية للحرب في السيرة النبوية**، ط١، عمان: الدار الأثرية.
- مقار، الياس، **قضايا المسيحية الكبرى**، ط٢،القاهرة، دار الثقافة المسيحية
- المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، ط١، ج١٤، (تحقيق محمد عبد الحميد النميسي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ

- مكرم، عبد العال سالم (١٩٨٨)، **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع** ، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط٣،ج٤، دار صادر، بيروت ١٤١٤ هـ
- منى ، زياد ، **تلفيق صورة الآخر في التلمود**، قدمسن بيروت، ٢٠٠٢
- مهران، محمد بيومي (١٩٩٩)، **بنو إسرائيل**، ج٣، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية.
- الموحى، عبد الرزاق صلال (٢٠٠١)، **العبادات في الأديان السماوية**، ط١، الأوائل، دمشق.
- المودودي، أبو الأعلى (١٩٨٥)، **شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية**، ط١، (ترجمة سمير عبد الحميد)، القاهرة: دار الصحوة.
- المودودي، أبو علي (١٩٨٣)، **إلى أي شيئ يدعو الإسلام**، الرياض: مكتبة الرشد.
- مؤسسة آل البيت (١٩٨٧)، **الحضارة الإسلامية**، ج١، عمان
- موسى، نبيل (٢٠٠٢)، **موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس وأعلام التبربية والطب النفسي والتحليل النفسي**،ط١،ج٢، بيروت: دار الصداقة العربية.
- الموصلي، فتحي والتركماني، عبد الحق (٢٠١٠)، **التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية**، ط١
- مونروند (١٨٦٢)، **تاريخ حرب الصليب**، م١، طبعة أورشليم
- الميداني، حسن حبنكة (٢٠٠٢)، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط١١، دمشق: دار القلم،
- الميداني، عبد الرحمن حبنكة (١٩٨٢)، **مكايد يهودية عبر التاريخ**، ط٤، دمشق: دار القلم.
- النجار، عبد المجيد (١٩٩٧)، **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- النجار، عبد الوهاب (١٩٦٦)، **قصص الأنبياء**، ط٢، القاهرة: مؤسسة الحلبي مطبعة المدني.
- النجار، عبد الوهاب (٢٠٠٠)، **الخلفاء الراشدون**، ط١، بيروت: المكتبة العصرية.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، **المجتبى من السنن**، ط٢، ج٦، (تحقيق عبد الفتاح أبو غدة)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م

- نصار، فتحي (٢٠٠٧)، **وثائق فلسطين من العهدة العمرية إلى وعد بلفور**، القاهرة: الدار الثقافية للنشر.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى (ت ٦٧٦هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**،ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، **المجموع شرح المهذب**،ج٥، دار الفكر
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٣، ج٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، **تحرير ألفاظ التنبيه**، ط١، (تحقيق عبد الغني الدقر)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ.
- هالسل، جرسل (٢٠٠٣)، **النبوءة والسياسة**، ط٢، (ترجمة محمد السماك)، القاهرة: دار الشروق.
- هالسل، جرسل (٢٠٠٥)، **يد الله** ، ط١، (ترجمة محمد السماك) بيروت: دار النفائس.
- ابن هشام (١٩٦٦)، **السيرة النبوية**، ط١، م١، ج٢، (تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري)، دمشق: دار الخير.
- هلال، إبراهيم إبراهيم (١٩٨٥)، **بحوث في العقيدة والتشريع**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- همو، عبد المجيد (٢٠٠٣)، **الله أم يهوه أيهما إله اليهود**، دمشق: الأوائل.
- الهندي، رحمة الله (١٨٩١)، **إظهار الحق**، ج١، طبعة عمر الدسوقي.
- هيجل (٢٠٠١)، **علم ظهور العقل** ، (ترجمة مصطفى صفوان)، ط٣، بيروت: دار الطليعة.
- الهيئة العامة لشئون المطابعة الأميرية (١٩٨٣)، **المعجم الفلسفي**، القاهرة.
- **واطسون**، اندرواس، شرح أصول الإيمان، ط٤، القاهرة: دار الثقافة المسيحية.
- وافي، علي عبد الواحد (١٩٦٤)، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، ط١، القاهرة: دار النهضة مصر للطبع والنشر.
- وافي، علي عبد الواحد (١٩٧٠)، **اليهودية واليهود**، القاهرة: مكتبة غريب.

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، **فتوح الشام**، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، **المغازي**، ط٣، ج٣ (تحقيق مارسدن جونس)، دار الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩.
- وجدي، محمد فريد (١٣٤٢هـ)، **دائرة معارف القرن العشرين**، ط٢، ج١، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين.
- ول ديورانت (١٩٨٨)، **قصة الحضارة**، (ترجمة زكي نجيب محمود ومحمد بدران)، ج١١، ، بيروت: دار الجيل
- ولز، هربرت جورج (١٩٦٩)، **معالم تاريخ الإنسانية**، ط٣، م٣، (ترجمة عبد العزيز جاويد)، لجنة التأليف والترجمة والنشر
- وهبة، مراد (٢٠١١)، **المعجم الفلسفي**، القاهرة، مدينة نصر: دار قباء الحديثة.
- اليازجي، ندرة (١٩٦٩) ، **رد على اليهود واليهودية المسيحية**، دار الأجيال، دمشق،
- ياسين، محمد نعيم، **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه** ، دار عمربن الخطاب ، الاسكندرية
- يسين، السيد (١٩٩٣)، **الشخصية العربية بين مفهوم الذات ومفهوم الآخر**، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد ٢٩٢هـ)، **تاريخ اليعقوبي** ، ط١، م٢، (تحقيق عبد الأمير مهنا)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.
- يكن، محمد أمير(١٩٩٠)، **يهوذا الاسخريوطي على الصليب**، ط١، دار اقرأ.
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ)، **الخراج**، (تحقيق طه عبد الرؤوف وسعد حسن محمد)، المكتبة الأزهرية للتراث.
- يوسف، محمد حسني (٢٠١١) ، **موسوعة الفرق والمذاهب المسيحية**، ط١، مصر، الجيزة: الدار العالمية للكتب والنشر.
- يوسف، يوسف (٢٠٠٠)، **الأغيار في الثقافة اليهودية**، ط١، دمشق: دار القلم
- **Aljazeera media network Aljazeera encyloped**

THE PERCEPTION OF OTHERS IN JUDAISM, CHRISTIANITY AND ISLAM "A COMPARATIVE ANALYSIS"

By

Islam Al Alshawabkeh

Supervisor

Dr. Mouhamad Al Khateeb, Prof.

ABSTRACT

This paper is presented to complete doctorate's degree requirements in faculty of Sharia-Department of Faith. The discusses "The perception of the other in Judaism, Christianity and Islam acomarative analysis".

The study was divided into three axes, the first of which was intellectual, including the impact of the tenets of the three religions in the formulation of the followers' view of the other through the sources and books adopted in each of them. The second included the results of the doctrines of the teachings and laws guiding the behavior of their followers towards the other. To deal with evidence and practical models that show the role of beliefs and laws in the treatment of their followers with the other.

To achieve this, the contents of this study are as follows:

- Introduction, and included the talk about the problem of the study, and its importance, and objectives, and previous studies, research methodology, and plan.
- The introductory chapter, in which four chapters shed light on the concept of the other and its history, and identify its implications and significance in the three religions, and then the definition of Judaism, Christianity and Islam in terms of its origins, beliefs and sources.
- The first part, represents the intellectual aspect has dealt with the subject of beliefs in the three religions based on the subject of human value in each, and its impact in the formulation of the view of the other through the sources and books adopted.

The second chapter includes all three religions and the laws and laws that defined the relationship of their followers to the other and included rights, freedoms, property, social relations and the law of fighting.

The Third Pillab represents the practical and practical aspect of the history of the three faiths. It shows the impact of its beliefs on the behavior of the followers towards the other.

The study concluded that the beliefs are the basis on which the view is based on the other, and that acceptance and recognition of the other depends on the validity and position of the human in general, and that the question of rejection and exclusion of the other is due to the corruption of the doctrine and the disruption of its perception of the human in general.

I ask Almighty God that this effort be purely for his honorable face, that he has achieved his goal and purpose, and that the benefit of the nation of Islam and Muslims.